المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا

دوافع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدعوة والاحتساب

إعداد الطالب
سعد بن عبد الرحمن الجريد
المحاضر بقسم الدعوة والاحتساب

إشراف الدكتور
سيد محمد ساداتي الشنقيطي
الأستاذ المشارك بقسم الإعلام

١٤١٩ هـ

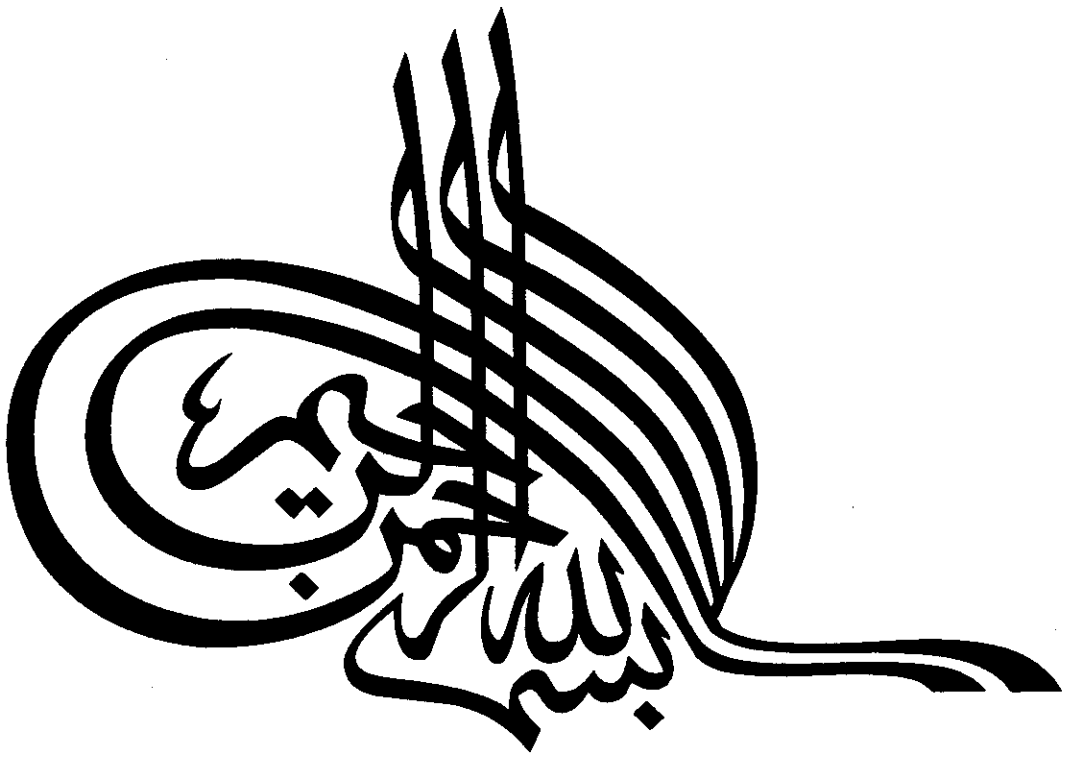
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة المنهجيَّة

أولا: خطبة الحاجة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[2].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3].

أما بعد[4]:

---

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) - سورة النساء، الآية: ١.

(٣) - سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٤) - ما قبل أما بعد خطبة الحاجة كما في حديث ابن مسعود ﷺ عن أبي الأحوص علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: « الحمد لله نستعينه... » أخرجه الإمام أحمد ،مسند الإمام أحمد، (ط: الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ)،تحقيق:أحمد محمد شاكر، وحمزة موسى الزين، ج٤/١٤٨، رقم ٤١١٧. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وأخرجه أبوداود. انظر: سليمان ابن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت)،مراجعة وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، ج٢/٢٣٨، رقم ٢١١٨. وصححه الألباني. صحيح سنن أبي داود. (ط: الأولى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩ هـ)، ج٢/٣٩٩، رقم ١٨٦٠.

فلقد أرسل الله رسله رحمة بالناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومع وضوح الحق وجلائه إلا أن الناس قد انقسموا إلى قسمين: مستجيب ومنكر، قال الله ﷻ: ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾[1]،والذي يهمنا هو الفريق المستجيب دون المنكر، إذ تفرض المسؤولية الملقاة على كاهل الدعاة أن يتحسسوا الأسباب والسبل التي تجعل المدعوين يتفاعلون مع دعوة الحق، لأن ذلك هو غاية الدعوة.

ولقد استوقفتني آيات القرآن الكريم وهي تتحدث عن أصحاب تلك النفوس الصافية التي ما إن لاحت لها دلائل الحق حتى أقبلت عليه دون تلكؤ أو تباطؤ، ترى ما الذي قادهم إلى الاستجابة؟

قال ﷻ مخبراً عن هذا الصنف من الناس: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾[2].

وتتجلى أهمية استجلاء تلك الدوافع وبيانها للدعاة في التعرُّف على مواطن الاستجابة في نفوس المدعوين، وبالتالي يخاطبونهم من حيث يسمعون ويستجيبون، فإن النفس البشرية هي المحور الذي تنصب عليه الدعوة، ومعرفة دوافع استجابتها أمر مهم للغاية.

إن في تلك النفس الإنسانية من الصفات والخصائص الحسنة ما الله به عليم، والكشف عنها هو لب البحث وغايته، ولعل من أولى تلك الفوائد من كشف تلك الدوافع معرفتنا باختلاف جمهور المدعوين، وهذا سينعكس على النشاط الدعوي،

---

(١) - سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

(٢) - سورة المائدة، الآيتان: ٨٣ - ٨٤.

وضرورة عرضه بأساليب مختلفة تكفل له القبول والنفاذ - بإذن الله - وتلك الدوافع متعددة ومختلفة؛ فهناك دوافع في موضوع الدعوة، النظر فيها بإنصاف وتجرد يمكن لدعوة الحق في النفوس، وأبرز وأهم تلك الدوافع الربانية، بمعنى كونها تستند إلى منهج رباني قائم على نصوص الكتاب والسنة يمنحها تفرداً عن غيرها من مناهج البشر المشوبة بالنقص واتباع الهوى. وينبثق من تلك الخصيصة بقية الخصائص؛ كالشمولية التي نعني بها شمول الدعوة للعقيدة والعبادات وغيرها، ونعني بالوسطية وسطيتها في جانب العقيدة والعبادة وغيرها، ونعني بالواقعية واقعيتها في جانب العقيدة والعبادة.

وثمة دوافع تدفع للاستجابة تتعلق بالداعية، وهي مجموعة الخصال التي يتصف بها الداعية، وتكون جزءاً من شخصيته الدعوية، وتجعله نموذجاً في خلقه وعلمه وإخلاصه، حيث إن هذا مما يدفع المدعو للقناعة بما يدعو إليه، كما كان رسول الله ﷺ فإن من رآه بداهةً هابه، ومن خالطه أحبَّه، لأنه ﷺ قدوة في حياته كلها.

وهناك دوافع تدفع للاستجابة تتعلق بالمدعو؛ وهي ذاتية ومكتسبة.

إن استجلاء دوافع الاستجابة للدعوة وتوضيحها موضوع مهم للغاية، إذ يعرف من خلاله الدعاة مواطن الاستجابة، فيسلكون السبيل الأمثل لمخاطبة المدعوين، خاصة إذا تتبعنا المناهج التي سلكها الكتاب والسنة في استثارة تلك الدوافع، ولفت أنظار المدعو لإحداث تلك الاستجابة من خلال المنهجين العقلي والحسي معاً.

ثم إن المؤثرات لها أثر كبير، فهناك مؤثرات من خارج المدعو؛ كالبيئة والترغيب والترهيب مثلاً، وهناك مؤثرات من داخل المدعو؛ كالبحث عن الحق، والشعور بغلبته كل ذلك ذو تأثير في دوافع الاستجابة.

ثانياً: التعريف بالمصطلحات:

ورد في عنوان البحث عدد من الألفاظ التي أصبحت كالمصطلحات المقعَّدة في الدعوة؛ وهي:الدوافع، والاستجابة، والدعوة، وأردت هنا أن أجليها، ليكون التعامل معها في البحث بوضوح، وهي على النحو التالي:

١ – معنى الدوافع في اللغة:

جاء في كتب اللغة:« دفَعَه، يدْفعُه، دفعـاً، ودفاعـاً، ودافعـه، ودفَّعَـه فـاندفع وتدفَّـع وتدافَع»[١]، ويقال: «دفع عن الموضع: رحل عنه، والاندفاع: المضيّ في الأمر»[٢].

قـال ابـن فـارس:« الـدَّال والفـاء والعـين أصـل واحـد مشـهور يـدل علـى تنحيـة الشيء»[٣]،ويقال: «طريق يدفع إلى مكان كـذا: أي ينتهـي إليـه»[٤]،« ودفعـه إلى كـذا: اضطرَّه»[٥].

٢ – معنى الدوافع في الاصطلاح:

يمكننا أن نستخلص المعنى الاصطلاحي للدوافع من خلال المعنـى اللغـوي فنقـول:إن الدوافع هي: « الحوافز والبواعث المحركة لاتخاذ موقف معيَّن » ولا شك أن بين التعريـف اللغوي والاصطلاحي قدراً مشتركاً من المعاني المتمثلـة في الاندفـاع والتحـرك نحـو هـدف معيَّن واتجاه محدد.

٣– معنى الدوافع في الدراسات الاجتماعية:

عرف الدافع في الدراسات الاجتماعيـة تعريفـات عـدة منهـا: « أنـه حالـة داخليـة جسمية أو نفسية – تثير السلوك في ظروف معينة وتواصله حتى ينتهي»[٦].

---

(١) – انظر: جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الافريقي. لسان العرب. (ط: الأولى. دار صادر. بيروت. ١٣٠٠ هـ). مادة: دَفَعَ. ج٨/٨٧. وانظر: إبراهيم أنيس وآخرون. المعجم الوسيط. (ط: الثانية. دار المعارف ودار إحياء التراث العربي. مصر. ١٣٩٢ هـ)، مادة: دفع. ج١/٢٨٩.

(٢) – لسان العرب، المدرك السابق، ج٨/٨٩، وانظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط: مطبعة حكومة الكويت. ١٤٠٣ هـ)، مادة: دفَع. ج٢٠/٥٥٨، تحقيق: عبد الكريم العزّباوي. مراجعة: عبد العليم الطحاوي. وعبد الستار فرَّاج. المعجم الوسيط، المدرك السابق.

(٣) – أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغـة، (ط:الأولى، دار الجيـل، بيروت، ١٤١١ هـ)، ج٢/٢٨٨،مـادة: دفَعَ. وانظر: لسـان العرب. ج٨/٨٧. وانظر: المعجم الوسيط، ج١/٢٨٩.

(٤) – لسان العرب. مادة: دفع. ج٨/٨٩. تاج العروس. المدرك السابق.

(٥) – تاج العروس، المدرك السابق.

(٦) – انظر: أحمد عزت راجح. أصول علم النفس. (ط: الثالثة. دار الكتاب المصري الحديث. ١٩٧٠م). ص ٧٣.

وعُرِّف بأنه: " تلك القوة الذاتية التي تحرِّك سلوك الفرد وتُوَجِّهُه لتحقيق غاية معينة يشعر بالحاجة إليها أو بأهميتها المادية أو المعنوية بالنسبة لـه، وتستثار هـذه القـوة المحركـة بعوامل تنبع من الفرد نفسه، أو من البيئة المادية أو النفسية المحيطة به"(١)، أي أن الدافع ربما أثير بعوامل خارجية أو داخلية.

وعُرِّفَ الدافع بأنه:« حالة داخلية تنتج عن حاجة ما، وتعمل هـذه علـى تنشـيط أو استثارة السلوك الموجه عادة نحو تحقيق الحاجة المنشطة»(٢).

وفي معجم علم الاجتماع الدافع: " هو المنبِّه الذي يحفز الكائن الحـيّ علـى السـلوك والحركة لنيل أهدافه وغاياته"(٣)، أو هو: « ما يحض الفرد على القيام بنشاط سلوكي مـا، وتوجيـه هـذا النشـاط نحـو وجهـة معينـة»(٤)، وفي قـاموس علـم الاجتمـاع جـاء تعريفـه بأنه:«باعث على الفعل بطريقة معينة»(٥).

وعلـى هـذا فـإن الدافـع في الدراسـات الاجتماعيـة منحصـر في كونـه قـوة موجهـة ومحركة لسلوك الفرد تجاه أهداف معينة(٦)، ويشير الأسـتاذ الملاحـي إلى أن المفهـوم الـذي يجمع بـين الدوافـع في موضـوع دوافـع الإنكـار والدوافـع لـدى علـم النفـس هـو: ماهيـة

---

(١) - أحمد بنقيس، وتوفيق مرعي، الميسَّر في علم النفس التربوي، (ط: الأولى، دار الفرقان، عمَّان، الأردن، ١٤٠٢ هـ)، ص ٨٤.

(٢) - لندال، دافيدوف، مدخل علم النفس، (ط: الثانية، دار المريخ، ١٩٨٣ م)، ص ٤٣١، ٤٣٢، ترجمة سيد الطوَّاب، ومحمود عمر، ونجيب خزَّام.

(٣) - البروفيسوردينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، (ط: دار الرشيد للنشـر، منشورات وزارة الثقافة والإعـلام، العراق)، ص ٢١٠، ترجمة: إحسان محمد الحسن.

(٤) - عبد المجيد نشواتي، علم النفس التربوي، (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ)، ص ٢٠٦.

(٥) - قاموس علم الاجتماع، (ط:دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ١٩٩٥ م)، ص ٢٩٥ ، حرره وراجعه: محمد عاطف غيث.

(٦) - انظر: عبد الله بن إبراهيم الشويعان، الهجرة في ضـوء الكتـاب والسـنة، (رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة مقدمـة لقسـم الدعـوة بالكلية)، ص ٣٩.

التحريك والدفع[1]، وهو رأي قوي لا سيما أن مدلول تعريفات المختصين في علم النفس وعلم الاجتماع تدور كلها حول تحديد مهمة الدافع ووظيفته، وأنها التحريك والدفع نحو الهدف وينطبق هذا على دوافع الاستجابة أيضاً.

وعند التأمل في المعاني اللغوية المذكورة آنفاً تظهر لنا العلاقة بين المعاني التي دلت عليها وبين المعنى الذي يعالجه البحث.

فالإشارة في معنى الدفع عن الموضع: بالارتحال عنه له علاقة بموضوعنا؛ لأن دوافع الاستجابة نقلت أصحابها من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور.

والتعبير عن الدافع بأن من معانيه: التنحية والإزالة بقوة علاقته بالموضوع أن دوافع هذا البحث أزالت ونحّت كل ما يمكن أن يقف في طريق الاستجابة.

وكذلك المعنى اللغوي المشار إليه في قوله:« طريق يدفع إلى كذا: أي ينتهي إليه» فإن دوافع هذا البحث توصل إلى نهاية وهي الإذعان للحق والاستجابة له.

والحق أن كلمة الدافع مفردة ربما لا تكون واضحة بالمعنى الذي يراد إلا إذا قرنت مع كلمة الاستجابة، وعندئذ يزول اللبس كما سيأتي في التعريف الإجرائي الذي توصَّل إليه البحث.

٤- معنى الاستجابة في اللغة:

أخذت مادة: « جَوَبَ» وتصاريفها مساحة واسعة في كتب اللغة ففي اللسان: «الإجابة: رجع الكلام»[2].

وفي بعض المعاني اللغوية: أن المقصود بالاستجابة: « الطاعة والطاقة والتلبية»[3].

---

(١) - انظر: عبد الرحمن الملاحي، دوافع إنكار دعوة الحق، (ط: الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤ هـ)، ص ١٥١. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث لا يعتمد على الدراسات النفسية ولكنه يستعين بها في دراسته للدوافع.

(٢) - مادة: جَوَبَ، ج١/٢٨٣، وانظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: جوب، ج٢/٢٠٣.

(٣) - المصدر السابق، المدرك ذاته، وانظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: جَوَبَ، ج٢/٢٠٣.

٥- معنى الاستجابة في الاصطلاح:

قال الراغب: « والاستجابة قيل: هي الإجابة، وحقيقتها هي التحرِّي للجواب والتهيؤ له»[١].

وثمة علاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي تتمثل في اشتراكهما في معنى الإجابة وهو: طاعة أوامر الله والاستجابة لها.

الخلاصة:

يمكننا بعد كل هذا الخروج بتعريف مركب لدوافع الاستجابة فنقول بأنها هي:

« **الحوافزُ والبواعثُ الدَّاخلية والخارجيَّة التي تدفع الإنسان إلى الاستجابة للحق والتفاعل معه لينتقل بإذن الله من الظلمات إلى النور** » وهذا المعنى هو المعتمد في البحث.

٦- معنى الدعوة لغةً:

(دَعَوَ): دعوت له بخير وعليه بشر، ودعا الرجل دعواً: ناداه وصاح به، والتداعي والادِّعا: الاعتزاء في الحرب لأنهم يتداعون بأسمائهم، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع[٢].

(دعا) بالشيء دعواً ودعوةً ودعاءً ودعوى: طلب إحضاره، ويقال: دعا الله: رجا منه الخير، ولفلان: طلب الخير له، وإلى الشيء: حثه على قصده.

ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده[٣].

---

(١) - المفردات في غريب القرآن، (ط: دار المعرفة، بيروت)، ص ١٠٢، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٢) - انظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط: منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ١٣٠٧ هـ)، ج١٠/١٢٨.

(٣) - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: دعا، ج١/٢٨٦.

٧- معنى الدعوة اصطلاحاً:

أ – تأتي الدعوة بمعنى الدعوة إلى الدين الإسلامي ومنه كتابه ﷺ إلى هرقل: «**أدعوك بدعاية الإسلام**»[١] أي: بدعوته، قال ﷻ: ﴿ **لهدعوةالحق**﴾[٢].

ب – وتأتي الدعوة بمعنى النشر، وهو المعنى المختارالذي له علاقة بهذا الموضوع، وقد عرفت تعريفات كثيرة،ولا منافاة بينها على كثرتها، بل هي من اختلاف التنوع لا التضاد، فكل تعريف منها ركز على جانب من جوانب الدعوة[٣]، والتعريف المختار هو تعريف الدكتور أحمد غلوش بأن الدعوة هي: « **العلم الذي به تُعرَف كافة المحاولات الفنية المتعدِّدة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق**»[٤]حيث يعد شاملاً جامعاً.

وإذا تأملنا في المعنيين اللغوي والاصطلاحي وجدنا بينهما علاقة تتمثل في أن أصل الدعوة نداء ودعوة إلى شيء محدد.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع مع ما سبق في بيان أهميته ما يأتي:

١ – ارتباط هذا الموضوع بالكتاب والسنة، وهي ميزة تعطي للموضوع قيمة كبيرة حيث الفائدة والتأصيل الذي تحتاجه الدراسات الدعوية، شأنها في ذلك شأن الدراسات الأخرى المتخصصة في الدراسات الشرعية.

---

(١) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، (ط: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٧٩ هـ)، كتاب بدء الوحي، باب ٦ حدثنا أبو اليمان، ج١/ ٣٢، رقم ٧، تعليق وتصحيح: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وأخرجه مسلم في صحيحه، (ط: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤ هـ)، كتب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٣ ١٣٩٦، رقم ١٧٧٣.

(٢) – ابن منظور، لسان العرب، مادة: دعَوَ، ج١٤/ ٢٥٨، سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٣) – للاطلاع على تلك التعاريف ، انظر: حمد بن ناصر العمار ، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، (ط: الأولى ، دار إشبيليا ، الرياض ، ١٤١٦ هـ) ، ص ٢١ – ٢٤ .

(٤) – أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، (الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٠٧ هـ)، ص ١٠.

٢ - تعدد تلك الدوافع يفتح مجالاً رحباً للدعوة في مخاطبة المدعو من جميع الجوانب المتاحة.

٣ - هذا البحث ركّز على دوافع الاستجابة، ومعنى ذلك أن ميدانه هو الإنسان ذاته الذي هو ميدان الدعوة قديماً وحديثاً، والدعاة في كل جيل يخاطبون النفس البشرية ويتعاملون معها كما فعل الأنبياء قبل ذلك.

٤ - إن هذا الموضوع لم يدرس في رسالة علمية، وما كتب عنه مجرد إشارات عابرة لا تفي بالغرض، وموضوع دوافع الاستجابة سيكون أشمل وأعمق - بإذن الله.

رابعاً: الكتابات السابقة:

١ - الكتابات الجامعية:

لم أعثر فيما اطلعت عليه على دراسة علمية وافية متخصصة تناولت دوافع الاستجابة في الكتاب والسنة - رغم ما بذلته من جهد - فقد قمت بمراجعة دليل الرسائل العلمية بمركز الملك فيصل للأبحاث بغية الحصول على معلومات عن دراسة سابقة للموضوع فلم أجد شيئاً.

كما تمت مراسلة قسم الدعوة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتبيَّن عدم تسجيل الموضوع، كما تم الاتصال بجامعة أم القرى وأفادوا بعدم تسجيله، وقد جاء في رد قسم الدعوة بكلية الدعوة التابعة لجامعة الإمام بالمدينة ما يفيد بأنه لم يسجل في رسالة علمية، بقيت الإشارة إلى أن ثمة رسالة علمية تقدم بها الزميل **عبد الرحمن الملاحي** لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة بالكلية بالرياض وهي بعنوان: " **دوافع إنكار دعوة الحق**".

وبالرجوع إلى مخطط الرسالة يتبين الفرق بينها وبين هذا الموضوع، فقد تناول في الفصل الأول: المنكرون والظروف المحيطة بهم، وركز على دراسة الظروف التي دفعت المنكرين لإنكار الدعوة، وفي الفصل الثاني:دوافع الإنكار وركز فيه على الدوافع الخلقية التي تدفع أصحابها لإنكار الدعوة كالكبر، والغرور، والحسد، والخوف، والتقليد، وفي الفصل الثالث: سبل العلاج، ركز فيه على سبل العلاج الحسية، التي تشمل دفع الأحوال

والمعجزات الحسية وزوال النعمة والجهاد والقدوة، وعلى السبل العقلية التي وضح فيها مواقف النبي ﷺ العقلية مع أهل الكتاب والوثنيين،وعلى السبل الأخلاقية وأثرها على المنكرين، وركز على السبل الاجتماعية.

وبالمقارنة بين هذه الرسالة وموضوع هذا البحث: « **دوافع الاستجابة** » يتبين التكامل بينهما، فهذا الموضوع ينصب على معالجة دوافع الاستجابة، أما موضوع تلك الرسالة فهو ينصب على دوافع الإنكار .

ولا يفوتني أن أشير إلى أن مسألة الدوافع سواء كانت للاستجابة أو للإنكار موضع اتفاق بين الموضوعين، وقد استفاد الباحث من تلك الرسالة نظراً لقيمتها العلمية.

٢- الكتابات غير الجامعية:

هناك إشارات إلى الموضوع من قبل العلماء والدعاة والمهتمين بقضايا الدعوة، وهي إشارات قيمة ومفيدة، بيد أنها مبثوثة ومتفرقة، وينقص غالبها التكامل والشمول، وسنستعرض فيما يلي أهمها:

ممن تطرّقَ إلى الموضوع الدكتور/ عبد الله بن يوسف الشاذلي في كتابه:«الدعوة والإنسان »، ففي الفصل الثاني من الباب الرابع : مؤثرات الاستجابة عند المؤمنين وذكرمنها:التأثير القرآني، تأثير الشخصية النبوية، الصفاء النفسي، الإيمان بالآخرة، حسن الإدراك العقلي، التقليد المفيد، الاستجابة بالمماثلة، التأثير الإعجازي.

وما ذكره في هذا الفصل معلومات قيمة لكنها ناقصة لم يتوسع فيها وقد استفاد منها البحث.

٢- وممن كتب عن الموضوع أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه: « **المدخل إلى الدراسات القرآنية**»، وهو كتاب صغير الحجم تحدث فيه عن القرآن معجزة الهداية، والذي له علاقة بالموضوع هو حديثه عن مؤيدات الانتفاع بالقرآن، ولكن هذا يختلف عن طبيعة هذه الدراسة، ومظاهر الاختلاف من وجهين: الأول: أنه ركز على موضوع الانتفاع بالقرآن، ولم يتحدث عن دوافع الاستجابة بشكل عام، والوجه الثاني: أنه لم يعن بالجانب الدعوي في الموضوع.

خامساً: المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:

من خلال التأمُّل الطويل في نصوص الكتاب والسنة التي تعالج النفوس البشرية وتكشف عن دخائلها وصلتها بالحق إقبالاً وإدباراً، ظهر للباحث أنه لا بد أن يكون هناك سر عجيب وراء استجابة من يستجيب للحق الذي يدعى إليه وإدبار من يدبر عنه، إذ يوجد في النفوس البشرية ما يحثها ويدفعها لطبيعة موقفها من الحق، ومعرفة دوافع الاستجابة، مما يمهد لنجاح الدعوة ويدفع الدعاة لوضع الخطط والتصورات التي تمكن للدعوة.

ومن هنا فإن البحث سيتركّز على الكشف عن دوافع الاستجابة من خلال الغوص في دلالات الآيات والأحاديث التي تعرضت للموضوع، سواء من حيث حقيقة تلك الدوافع في موضوع الدعوة، أوفي موضوع الداعية، أوفي موضوع المدعو، أو من حيث منهج الكتاب والسنة في استثارتها، أو من حيث المؤثرات في تلك الدوافع.

وتستدعي دراسة تلك المشكلة البحثية الإجابة عن تساؤلات تناولتها في المحاور الأربعة:

١- تساؤلات خاصة بموضوع الدعوة.

- هل ثمة علاقة بين استجابة المدعو وبين ماتحمله الدعوة من خصائص من حيث ربانيتها أو شمولها أو وسطيتها أو واقعيتها ؟.

٢- تساؤلات خاصة بالداعية.

كيف تؤثر شخصية الداعية في تنمية دوافع الاستجابة ؟

ما علاقة إخلاص الداعية، وتحصيله العلمي، ومراعاته لأحوال المدعو، والحرص على هدايته، ودعوته المقرونة بالعمل، وحسن التعامل معه، ما علاقة ذلك كله بتحقيق دوافع الاستجابة ؟.

٣- تساؤلات خاصة بالمدعو:

ما دوافع الاستجابة في المدعو وكيف تصنف ؟ وما طبيعة عملها ؟ وما نوع العلاقة بينها ؟

ما تأثير الدوافع الذاتية والمكتسبة في تقوية الدوافع.

٤- تساؤلات خاصة بمنهج الكتاب والسنة في استثارة الدوافع.

هل للكتاب والسنة منهج متميز في استثارة الدوافع ؟

ما أساليب المنهج العقلي في استثارة تلك الدوافع ؟

ما قواعد المنهج الحسي في تلك الاستثارة ؟

٥- تساؤلات خاصة بالمؤثرات في الدوافع.

كيف تصنف تلك المؤثرات ؟

ما العلاقة بين البيئة وتقوية تلك الدوافع ؟

ما تأثير الترغيب والترهيب في تحقيق الاستجابة ؟

هل البحث عن الحق من المؤثرات في الدوافع ؟

كيف يؤثر الشعور بغلبة الحق في تقوية تلك الدوافع ؟

سادساً: المناهج العلمية المستخدمة في الدراسة:

هذا الموضوع له صلة وثيقة بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وبالتالي فإن أنسب المناهج لدراسته المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

ويعرف المنهج الاستقرائي بأنه:« تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً، أو هو انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته»[1].

---

(١) - عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة، (ط: دار القلم، ١٤٠١ هـ)، ص ١٩٠.

ويعرف المنهج الاستنباطي بأنه:« الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخدام مبادىء «معينة» مدعمة بالأدلة الواضحة»[1].

ولتطبيق هذين المنهجين قام الباحث بما يلي:

١ - استقراء ناقص للنصوص التي تناولت الموضوع وجمعها وتصنيفها حسب خطة البحث، والانطلاق في المعالجة والتقسيم على ضوء تلك النصوص.

٢ - الغوص في معاني النصوص ودلالتها من خلال استقصاء المصادر الأصلية الممكنة في هذا المجال.

٣ - دراسة النصوص دراسة دعوية مدعمة بالأدلة لاستنباط المبادىء والأفكار المتعلقة بدوافع الاستجابة.

أما الخطوات الإجرائية التي سلكتها لطبيعة التوثيق للمعلومات فألخصها فيما يلي:

١ - عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها، وقد جعلت النصوص القرآنية بين قوسيم منجَّمين ﴿﴾ ونصوص السنة الشريفة جعلتها بين علامتي تَنْصِيص «».

٢ - لما كان البحث في الكتاب والسنة وجهت جهدي للاعتماد على هذين المصدرين الأساسيين للإسلام وهما: الكتاب والسنة وفي مقدمتها: الصحيحان والسنن الأربع ومسند الإمام أحمد والتي لم أعتمد منها إلا ماثبت فقط واستبعدت غير ذلك، أما تخريج الأحاديث النبوية الشريفة والحكم عليها فقد بذلت وسعي في تخريجها من كتب الأحاديث، وذلك بالرجوع إلى أقوال أهل الفن القدامى منهم والمحدثين، وما كان منها مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك لتلقي الأمة لهذين الكتابين بالقبول، وما كان في غيرهما من كتب السنة حرصت

---

(١) - حنمي فودة، وعبد الرحمن صالح، المرشد في كتابة الأبحاث، (ط: الرابعة، دار الشروق، ١٤١١هـ)، ص ٤٢.

على تخريجه وإيراد حكم العلماء عليه، وسيجد القارىء ذلك واضحاً و لله الحمد.

٣- أما ما يتعلق باستخدام المراجع والمصادرفقد اتبعت قواعد البحث العلمي في هوامش الرسالة، وعنيت بتوثيق المعلومة أياً كانت، فما كان منها منقولاً بنصه فإني أضعه بين علامتي تنصيص " " وأشير في الهامش إلى اسم المؤلف واسم الكتاب والجزء - إن كان الكتاب ذا أجزاء متعددة - وإن لم يكن فأشير إلى الصفحة فقط، أما ما تصرفت فيه أيَّ تصرُّف فإني أكتفي بالإشارة إليه في الهامش بقولي: انظر. ومما يجدر ذكره أنه عندما يرد المرجع لأول مرة فإنني أكتب المعلومات عنه كاملة، فإذا ورد مرة أخرى أكتفي باسم المؤلف واسم الكتاب والجزء والصفحة إلا أن تتغير النسخة فأشير إلى الطبعة وسنة النشر ومكانها، وهذا قليل جداً، فقد حرصت على توحيد نسخ المراجع تسهيلاً للقارىء.

٤ - قمت بإيضاح الألفاظ الغامضة في الرسالة وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة وإلى كتب شرح الغريب.

٥ - ترجمت لغير المشهورين من الأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة بترجمة موجزة.

٦ - ذكرت تعريفاً للأماكن الجغرافية الواردة في متن الرسالة.

٧ - ربما تكرر الدليل أو المعلومة في أكثر من مناسبة وذلك لكونها تحمل فائدة جيدة في موضعها.

٨ - ختمت البحث بخاتمة اشتملت على خلاصة النتائج التي توصلت إليها والتوصيات التي رأيتها.

٩- قمت بعمل فهارس عامة للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات ورتبتها حسب حروف الهجاء.

سابعاً: أدوات جمع المادة العلمية:

بالنظر إلى أن البحث بالصورة التي ذكرت بحث مكتبي وثائقي فإن الباحث اعتمد بعد الله ﷻ على القراءة المتعمقة لكتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين ﷺ، وكتب

التفاسير، وكتب شروح الأحاديث، وكتب السيرة النبوية، والتاريخ والدراسات السابقة، وكتب الأدب، كما استفاد الباحث من كتب التراجم، وكتب الدراسات النفسية الحديثة وكتب الدراسات الاجتماعية.

ثامناً: تقسيم الدراسة: وتشتمل على ما يلي:

المقدمة المنهجية وتشمل:

أولاً- خطبة الحاجة.

ثانياً - التعريف بالمصطلحات.

ثالثاً - أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره.

رابعاً - الكتابات السابقة.

خامساً - المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة.

سادساً - المناهج العلمية المستخدمة في الدراسة.

سابعاً - أدوات جمع المادة العلمية.

ثامناً - تقسيم البحث.

المبحث التمهيدي: حاجة الإنسان إلى الدين.

الفصل الأول: دوافع الاستجابة في موضوع الدعوة.

المبحث الأول: ربانية الدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني: شمولية الدعوة الإسلامية.

المبحث الثالث: وسطية الدعوة الإسلامية.

المبحث الرابع: واقعية الدعوة الإسلامية.

الفصل الثاني: دوافع الاستجابة في الداعية.

المبحث الأول: إخلاص الداعية (الإخلاص).

المبحث الثاني: العلم.

المبحث الثالث: مراعاة أحوال المدعوين.

المبحث الرابع: الحرص على هداية الآخرين.

المبحث الخامس: الدعوة المقرونة بالعمل.

المبحث السادس: حسن التعامل مع المدعوين.

الفصل الثالث: دوافع الاستجابة في المدعو.

المبحث الأول: الدوافع الذاتية.

المبحث الثاني: الدوافع المكتسبة.

الفصل الرابع: منهج الكتاب والسنة في استثارة الدوافع.

المبحث الأول: المنهج العقلي.

المبحث الثاني: المنهج الحسي.

الفصل الخامس: المؤثّرات في دوافع الاستجابة.

المبحث الأول: المؤثّرات الخارجية.

المبحث الثاني: المؤثّرات الداخلية.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة وفهرس الموضوعات..

تاسعاً: الشكر والتقدير:

تنفيذاً لقول الرسول ﷺ: « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[1]، واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، فإني أشكر الله تعالى أولاً وآخراً، ثم أشكر ثانياًجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، على ما تقوم به من جهد في خدمة الإسلام والمسلمين، وأثلث بشكر فضيلة شيخي وأستاذي المشرف على الرسالة الدكتور: **سيد محمد ساداتي الشنقيطي**، الأستاذ المشارك في قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤/٢٥٥، رقم ٤٨١١. وأخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي،(ط:دار الحديث، القاهرة)، تحقيق:أحمد محمد شاكر، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج٤/٣٣٩، رقم ١٩٥٤، وقال: حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٩/٣٥٦، ٤٦٠، قال عنه حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٢/١٨٥، رقم ١٥٩٢.

الإسلامية، الذي بذل جهداً كبيراً في النظر في هذه الرسالة من ألفها إلى يائها، فلم يبخل بالرأي والمشورة في سبيل الارتقاء بهذا البحث حتى خرج بهذه الصورة، فجزاه الله خيراً.

وأشكر فضيلة الدكتور: **حسين خطاب** الأستاذ المشارك في قسم الدعوة سابقاً على ما بذله من جهد أثناء إعداد خطة البحث، كما أتقدم بالشكر لفضيلة عميد الكلية الحالي الدكتور: **عبد العزيز بن إبراهيم العسكر**، على ماقدَّم من تسهيلات لإنجاز هذا البحث فجزاه الله خيراً، وأشكر أيضاً لفضيلة وكيلي الكلية الدكتور: **حمد بن ناصر العمار**، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، والدكتور: **عبد الله بن صالح الحقيل** الأستاذ المشارك في قسم الإعلام على ما قدما لي من خدمات، فشكرا لله لهما، كما أشكر الأستاذ الدكتور: **زيد بن عبد الكريم الزيد**، الأستاذ بقسم الدعوة وعميد الكلية السابق على ما بذله من نصح وجهد في سبيل تسجيل هذه الرسالة، كما أشكر لفضيلة رئيس قسم الدعوة السابق الدكتور: **أحمد بن محمد أبا بطين** وفضيلة الدكتور: **إبراهيم بن صالح الحميدان** رئيس القسم حالياً على جهودهما المشكورة، وأخيراً لا أنسى الشكر لكل الزملاء الذين تعاونوا معي في إعداد هذه الرسالة ممن لا يتسع المقام لذكرهم، فجزاهم الله خير الجزاء، وبارك في جهودهم، ونفع بالجميع إنه سميع قريب.

المبحث التمهيدي: حاجة الإنسان إلى الدين

أولا: التعريفات:

هناك مسألتان، تحتاجان إلى بيان هما: مدلول الحاجة، ومدلول الدين لغةً واصطلاحاً، لعلاقتهما بالتمهيد، فهما يمثلان العنصر الرئيس له.

١- معنى الحاجة في اللغة:

الحاجةُ في اللغة من الحَوْج،وهو: الطَّلَب، والحُوجُ:الفقر، والحائجة: المأربة والغرض، وتحوَّج إلى الشيء: احتاج إليه وأراده [١].

٢- معنى الحاجة في الاصطلاح:

عرفت في الدراسات النفسية بأنها هي: " كل حالة من النقص والافتقار، أو الاضطرار الجسمي أو النفسي، إن لم تلق إشباعاً أثارت لدى الفرد نوعاً من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة، أي: متى زال النقص أو الاضطرار واستعاد الفرد توازنه"[٢]

والمتأمل في المعنى اللغوي والاصطلاحي للحاجة يدرك اشتراكهما في تقرير هذا المعنى، وهو الافتقار والاضطرار، وعلاقة هذا بموضوعنا أن معنى الحاجة الاضطرار والافتقار إلى الدين كما دل عليه المعنى السابق.

٣- معنى الدين

الدين لغةً: الطاعة، وقد دِنْتُهُ ودِنْتُ له، أي: أطعته، والدين لله: إنما هو طاعته والتعبد له[٣].

---

(١) - ابن منظور، اللسان،ج٢/٢٤٢. مادة:حوج.

(٢) - أحمد عزت راجح، أصول علم النفس. (ط: التاسعة، المكتب المصري، الاسكندرية، ١٩٧٣ م)ص١٧٠، حامد زهران، علم نفس النمو. (ط: الرابعة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧ م)ص٢٦٧.

(٣) - ابن منظور، اللسان، ج١٣/١١٩،١٢٠، مادة (دين).

واصطلاحاً: هو " وضع إلهي، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما جاء به الرسول"(١).

قال ابن تيمية: " وأصل الدين الذي فطر الله عليه عباده... يجمع أصلين:

أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما يعبد بما أحبه، وأمر به.

والثاني: حل الطيبات التي يستعان بها على المقصود، وهو الوسيلة، وضدها تحريم الحلال"(٢).

وعرِّف بأنه:"ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة، و هو التسليم لله تعالى والانقياد له، والدين هو ملة الإسلام، وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين، من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد ﷺ "(٣)، قال الله ﷻ ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾(٤)،وبعد مجيء الإسلام فلا يقبل الله من الناس ديناً غيره، قال الله ﷻ: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ (٥) وقال الله ﷻ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ (٦).

حاجة الإنسان إلى الدين:

لقد خلق الله الإنسان بطبيعة متميزة تختلف عن غيره من المخلوقات، ففي أصل النشأة بيَّن ﷻ في كتابه أن مادة الإنسان من طين، أو صلصال من حمإٍ مسنون، ثم كرمه الله بالعنصر الثاني وهو نفخة الروح، يقول الله ﷻ في محكم كتابه الكريم: ﴿**وإذ قال**

---

(١) - انظر:الجرجاني، التعريفات، (ط:الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٨ هـ) ص١٠٥.

(٢) - درء تعارض العقل و لنقل، ج٨/ ٤٥٥.

(٣) - ناصر العقل، وناصرالقفاري، الموجزفي الأديان والمذاهب المعاصرة، « ط: الاولى، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٣ هـ » ص١٠.

(٤) - سورة آل عمران، الآية:١٩.

(٥) - سورة آل عمران، الآية:٨٥.

(٦) - سورة المائدة، الآية:٣.

ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[١]، ويقول الله ﷻ: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[٢]، والناظر في طبيعة ذلك التكوين يدرك الفرق بين العنصرين، فعناصر التكوين الجسدي تشد الإنسان إلى جواذب الأرض، من الطعام والشراب والملبس والمسكن وجميع الشهوات التي تشتهيها النفس، وعناصر التكوين الروحي تسمو بالإنسان إلى الأفق الكريم عبادةً، وإيماناً، واستقامةً، وسلوكاً حسناً، فهذا هو أساس التكوين الخَلْقي للإنسان.

وكذلك كانت طبيعة النفس البشرية، فقد منحها الله قدرة مزدوجة للخير والشر، واستعداداً لسلوك أحد السبيلين: الخير والشر، وقد دلت آيات الكتاب العزيز على ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها *قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾[٣]وقال الله ﷻ: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[٤]، هذه النفس الإنسانية زودها الله باستعدادت متساوية للتقوى والفجور، تكمن في كيانها، فإما أن يوفقها الله بالتقوى فتستقيم وتصلح،وإما أن يخذلها بالفجور فتنحرف وترتد إلى مرتبة أحط من الحيوان، وهذا هو أحد معاني الابتلاء والاختبار، فالفائز من زكاها والخاسر من دساها[٥]، ومع كل ذلك لم يترك الله الإنسان هملاً ولا سدىً، بل أرسل إليه رسله مبشرين ومنذرين، يرفعون للعباد رايات الهداية، ويحذرونهم من طريق الغواية، لتقوم

---

(١) - سورة الحجر، الآيتان:٢٨،٢٩.

(٢) - سورة السجدة، الآيات:٧-٩.

(٣) - سورة الشمس، الآيات: ٧-٩.

(٤) - سورة الإنسان، الآية:٣.

(٥) - انظر: مناع خليل القطان، الحاجة إلى الرسل في هداية البشرية،(ط:الاولى، الدار السعودية، ١٤٠٧هـ)، ص١٨.

الحجة، كما قال الله ﷻ: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيماً ﴾[١].

لقد كان فضل الله واسعاً ورحمته سابغةً بنعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب، لإرشاد الإنسان ودلالته على الطريق كلما ضل أو تاه، لقد تعهدته النبوة منذ هبط إلى الأرض بالهداية التي بينت له وجهته، وأنارت طريقه، وأخرجته من الظلمات إلى النور بإذن الله، قال الله ﷻ: ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[٢]، ويبين ﷻ أن بعثة محمد ﷺ ليست بدعاً من الرسل، وإنما هي سنة الله الجارية في بعث أنبيائه وتكليفهم بتبليغ وحيه إلى الناس فيقول ﷻ: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورًا * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾[٣].

ولقد من الله على الأمة بشريعته، لتكون ميزاناً يزن به الناس أمورهم، إذ لا يمكن للإنسان مهما بلغ من قدرة عقلية في أي زمان ومكان أن يستغني عن رسالات الأنبياء

---

(١) - سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) - سورة طه، الآيات: ١٢٣-١٢٦.

(٣) - سورة النساء، الآيات: ١٦٣-١٦٥.

عليهم السلام، وذلك لأنَّ عقول الناس لاتحسن الاختيار النافع دائماً، بل العقول تقصر، والهوى غالب، والشهوة طاغية، والعقل الإنساني مختلف بطبيعته، فما يستقبحه هذا يستحسنه آخر، وما يراه هذا صدقاً وصواباً في تصوره يراه عقل آخر بوجه مختلف، "فلأيِّ عقل تكون القيادة ؟ ولأيِّ فرد يرجع في تصحيح المفاهيم واستقامة السلوك"(١)، ثم إن حكمة الله ﷻ اقتضت أن يعيش الناس متساندين متعاونين في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، ولكنهم لايملكون قوة الإلهام التي يترجح بها وجه المصلحة، ومن ثَمَّ كان الاختلاف بين الناس والتباين، وكانت رحمته ﷻ ببعث الرسل وإنزال الكتب، قال الله ﷻ: ﴿**كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذِرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾(٢)، ونحن لاننكر قدرة العقل الإنساني على الإدراك والتفكر والاستنباط، ولكن لا مناص من الاعتراف بقصوره وعجزه عن فهم أمور ليست داخلة في مجاله ودائرته، فمن أين له معرفة الله معرفة تفصيلية بأسمائه وصفاته ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته ورضاه، وسخطه وكراهته؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه، وما أعد لأوليائه وما أعد لأعدائه، ومقادير الثواب والعقاب، وكيفيتهما ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يُظْهِر الله عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه من رسله، إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلَّغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته(٣).

وثمة جانب آخر، وهو أن الإنسان لايعرف بعقله إلا الواقع القريب المحسوس، أما

---

(١) - عطية صقر. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية. (ط: الاولى. مؤسسة الصباح. ١٤٠٠هـ). ص٢٠.

(٢) - سورة البقرة. الآية:٢١٣. وانظر: محمد رشيد رضا. تفسير المنار. (ط: الثانية. دار الفكر بيروت). ج١ ٢٨٢. وانظر: محمد عبد الله دراز. الدين. (ط: دار القلم. ١٣٩٠هـ) ص٩٨.

(٣) - انظر: محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، مفتاح دار السعادة، (ط: دار الكتب العلمية،بيروت) ص١١٧، ١١٨.

المستقبل فبعيد عنه تصوره وإدراكه، فضلاً عن التخطيط لـه، لأنـه غيـب علمـه عنـد الله، قـال الله ﷻ: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾[١]، فهل يستطيع عقل بتلك القدرة المحدودة أن يشرع للناس نظامـاً يكونـون بـه أغنياء عن رسالات الله،ويكون منهجاً للجيل الحاضر والمستقبل ؟ !! إن ذلك غير ممكن.

ويبين شيخ الإسلام بن تيمية أن العقل يزداد بصيرة بنور الإيمان والقرآن، وأنه بمنزلـة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العـين إذا اتصـل بـه نور الشمس والنار[٢].

والإنسان محكوم بضعفه، يتأثر بغرائزه وشهواته، يغضب ويرضى، يحب ويكـره، لـه عواطف متقلبة لاتثبت على حال، إن أحب شيئاً رفعـه، وإن أبغـض شـيئاً وضعـه، وذلـك شأنه دائماً، مما يؤكد فقره أبداً إلى هدي النبوة ونورها.

وقد ظن قوم من الفلاسفة قديماً وحديثاً أنه يمكنهم الاستغناء عـن الرسـالات الإلهيـة بالعقول التي وهبهم الله، فسنوا القوانين وشرعوا الشرائع، واعتمدوا في ذلك علـى تحسـين العقل وتقبيحه، ومن ذلك طائفة البراهمـة، وهـم " طائفـة مـن المجـوس زعمـوا أن إرسـال الرسل عبث، لايليق بالحكيم، لإغناء العقل عن الرسل، لأن ماجـاءت بـه الرسـل إن كـان موافقاً للعقل حسناً عنده فهو يفعله وإن لم يأت به، وإن كان مخالفاً قبيحاً فإن احتاج إليـه فعله وإلا تركه" [٣].

وبـادىء ذي بـدء لايجـوز في مجـال الجـدال إنكـار قـدرة العَقْـل علـى إدراك الحسـن والقبح، " فإن الله فطر عباده على الفرق بين الحسـن والقبيـح، وركَّـبَ في عقولهـم إدراكَ

---

(١) - سورة النمل، الآية:٦٥.

(٢) - انظر:أحمد بن تيمية الملقب بشيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، ج٣/٣٣٩، جمع عبد الرحمن بـن قاسـم النجـدي الحنبلي، وانظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات، (ط: الثانية، مكتبة الفلاح،١٤٠٣ هـ) ص٣٨.

(٣) - محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، (ط: المكتب الإسلامي، بيروت) ج٢ ٢٥٦، وانظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢/٥٧.

ذلك، والتمييز بين النوعين" [١]، ولكن هاهنا أمور ينبغي الوقوف عندها:

أولها: أن مايدرك العقل حسنه وقبحه إنما يدركه على سبيل الإجمال لا التفصيل، وإدراك جزئياته لا كلياته.

ثانياً: قد يكون الفعل مشتملاً على مصلحة ومفسدة في آن واحد، ولايدرك العقل أيهما أرجح وأنفع له، وبالتالي يتوقف العقل ويحار، فتأتي الشرائع السماوية لتفصيله وبيانه.

ثالثاً: ما يتوصل إليه العقل وإن كان صحيحاً فإنه ليس أمراً قطعياً دائم الثبوت، بل هو أمر ظني غير مقطوع بصحته، و قد يناقضه غيره، ممايجعل الإنسان معرضاً للتخبط والتيه[٢]

وهؤلاء القائلون بالاستغناء عن الرسل بالعقول يظلمون العقل ظلماً كبيراً، فمجال العقل عالم الشهادة، أما عالم الغيب فليس له ذلك، إن له أن يخطط ويحلل، ويكتشف، ويخترع في مجال دنياه التي أمامه، أما إذا توجه إلى ماوراء المحسوس فإنه يعود بشطحات ويضل ضلالاً مبيناً، فمن أين له أن يعرف التوحيد، الذي هو إما خبر عن الله ﷻ، وما يجب أن يوصف به، وما يجب أن ينزه عنه، وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد من دونه، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وإما خبر عن أهل الشرك وإهانتهم[٣]، ليس ذلك إلا عن طريق الوحي المطهر.

وظن آخرون أن الدعوة لاثمرة لها، إذ إن طبائع البشر لاتتغير، ويقولون:" من العبث محاولة تعديل السلوك الإنساني، فكل جماعة في كل دور تأريخي لها مقدراتها الأخلاقية، التي ماكان يمكن أن تتخلف عن الظهور في الدور الخاص بها من التأريخ، كما أن كل فرد

---

(١) - ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢/١١٦.

(٢) - انظر:عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ص٣٦-٣٧، وانظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢/١١٧.

(٣) - انظر: حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، (ط: الثالثة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٤ هـ)ج١/٥٧-٥٨، (بتصرف)

في كل لحظة من حياته له أخلاقه، التي ماكان يمكن أن يتخطى ظهورها تلك اللحظة، إن محاولة بعض الأخلاقيين تغيير الأخلاق الإنسانية ما هو إلا دليل على ما هم عليه من السذاجة المفرطة نوعاً ما "(١).

ويرى الفيلسوف الألماني" شوبنهور " فكرة أخلاقية مبنية على أن " لكل فرد طابعه الأخلاقي الذي لايتغير، وكل محاولة إلى دفع الفرد إلى أن يعدل سلوكه، وكل تعليم أخلاقي يؤخذ به، وكل أمل في صيرورته صالحاً، إنما هو إنكار لحقيقة لاجدال فيها«ليس من الممكن تعلم المرء كيف يريد»"(٢).

والمتأمل في هذا الكلام يظهر له أن مؤدى هذا الزعم أنه مادامت أخلاق الناس لاتتغير مهما حاول المصلحون إصلاحها فإرسال الرسل إذاً عبث، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وأن الناس ليسوا محتاجين إلى الرسالات الإلهية، ويمكن القول أن ما ذهب إليه أولئك إنما هو وهم وتخبط وشبهة داحضة عقلاً ونقلاً وواقعاً ؛أما العقل والنقل فإن الله الحكيم العليم هو الذي خلق الإنسان بقدرة مزدوجة على الخير والشر، واستعداد للهدى والضلال، وأمره أن يغير طباعه ويجاهد نفسه حتى تتغلب نوازع الخير على نوازع الشر في نفسه، وهو ما يسمى شرعاً بتزكية النفس التي عَلَّقَ الله عليها الفلاح في الدنيا والآخرة، وذلك واضح في قوله ﷻ: ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾(٣) وقوله ﷻ:﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾(٤)، فهل يقول أحد إنه ليس بمقدور الإنسان أن يسعى في تغيير طباعه، وأن ذلك أمر محال خارج عن طاقته، ولو كان ذلك كذلك كيف يكلف الإسلام الإنسان بأمر لا يطيقه وقد قال الله ﷻ: ﴿ **لا**

---

(١) - أندريه كرسون، الأخلاق في الفلسفة الحديثة، القسم الثاني من المشكلة الأخلاقية والفلاسفة،(ط:القاهرة، ١٣٦٨ هـ)ص٩٥،٩٦، ترجمة: عبد الحليم محمود، وأبو بكر زكري.

(٢) - المرجع السابق، ص٩٦،٩٧.

(٣) - سورة الشمس، الآيات: ٧-٩.

(٤) - سورة الأعلى، الآية:١٤.

يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[١]، لقد أثبت الإسلام القدرة عند الإنسان على تغيير طباعه، قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً**»[٢]،وفي رواية مسلم «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً،... ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عندالله كذاباً**»[٣]،وفي هذا " إشارة إلى أن من تَوَقَّى الكذب بالقصد الصحيح إلى الصدق صار له الصدق سجية حتى يستحق الوصف به، وكذلك عكسه"[٤]، فالمؤمن إذا لزم الصدق وتحراه في كل قول لا يزال يترقى في هذا الخلق النبيل، حتى يكون ذلك له هيئة راسخة وعادة مستحكمة لا تكلف فيها ولاتصنع، وهكذا تفعل التربية الإيمانية في نفوس المؤمنين، حيث يترقون في معارج الكمال ودرجات الربانية، بطهارة قلب وزكاة نفس.

والواقع كذلك يكذب الشبهة السابقة، فهؤلاء العرب الذين نزل عليهم القرآن كانوا قبل الإسلام كما يصفهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: " **كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف**"[٥] فبعد إسلامهم تحولوا تحولاً عظيماً، وتغير كل شيء في حياتهم، ونشأوا نشأةً جديدة بفعل هذا الدين الذي تشربته نفوسهم، واطمأنت إليه قلوبهم، وكان

---

(١) – سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) – أخرجه البخاري. انظر:صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)ج١٠/٥٠٧، حديث رقم: ٦٠٩٤. وأخرجه مسلم. في صحيحه. (ط: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤ هـ). كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب، وحسن الصدق. وفضله،ج٤/٢٠١٢، حديث رقم:٢٦٠٧.

(٣) – صحيح مسلم، ج٤/٢٠١٣.

(٤) – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري. (ط: مكتبة الرياض الحديثة)،ج١٠/٥٠٨. وانظر: ابن تيمية، الفتاوى، ج١٠/١١.

(٥) – عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت)ج١/٣٥٩.

القرآن العظيم هو أساس هذا التغيير الـذي حـدث قـال ا لله ﷻ: ﴿ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً ﴾[١] لقد صنـع هـذا القـرآن في نفوس أهله أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، حيث أخرج ا لله بـه أمـة متميزة في تصورها وفي سلوكها، لقد كان خروج ذلك الجيل القرآنـي الفريـد نبـأً عظيمـاً حقاً لم يكن ليخطر ببال البشرية لولا أن ا لله أراده وقدَّره.

ويظن البعض في عصرنا الحاضر الـذي صعـد فيـه الإنسـان إلى القمـر واخـترق جـو السماء، يظنون أنهم مستغنون عن هداية النبوة، فأقاموا نظام حياتهم علـى حـرب الديـن، وأعلنوا أنه يحجر على عقولهم، و لم يعد صالحاً للقرن العشـرين، ولاشـك أن العلـم المـادي الذي وصل إليه إنسان اليوم عاجز عن إسعاد تلك المجتمعات التي علمت ظاهراً مـن الحيـاة الدنيا وغفلت عن الآخرة، يقول محمد فريد وجدي:" لاجـدال في أن العلـوم والفنـون قـد آتت الإنسان بكل ماهو في حاجة إليه من مقومات الحياة وهي دائبة علـى إتيانـه منهـا بما لايدع له معها حاجة إلى المزيد، ولكنها قد عجزت اليوم عن إتيانـه بـأعز مطلـوب لديـه، وهو « العزاء » الذي لابد منه حيال ما ينتابه مـن صـروف الأيـام وكـوارث الحدثـان في الأهل والنفس والمال - إلى أن قـال- هـذه الحاجـة الماسـة إلى العـزاء وجدهـا الإنسـان في تعاليم النبوات "[٢]،لقد اكتسبت تعاليم النبوة مع هذا التقدم العلمي المذهـل سـلطاناًجديداً علـى العقـول وإشـراقاً علـى الأنفـس، مصداقـاً لقـول ا لله ﷻ: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾[٣].

إن البشرية مع ماوصلت إليه اليوم من تقدم علمي أحوج ما تكون إلى الرسـالة، وإن نظرة لواقعها وما فيه من تدهور أخلاقي كفيل بتأكيد تلك الحقيقة، إن أمماً كثـيرة كـافرة

---

(١) - سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) - مجلة الأزهر ج١٠: ٢٤٥، ٢٤٦.وانظر: محمـد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، (ط: دار الوفاء، مصر ١٤٠٦ هـ)ص١٦.

(٣) - سورة المجادلة، الآية: ٢١، وانظر: مجلة الأزهر، ج١٠/٢٤٥، ٢٤٦.

تملك اليوم منجزات حضارية مادية عظيمة، ولكنها لم تسعد شعوبها، بل أصبح القلق والأمراض النفسية سمة مميزة لتلك المجتمعات، لقد شقي الإنسان شقاءً تاماً نتيجةً لاتباعه هواه وإعراضه عن مولاه، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿فإن تولّوا فإنما هم في شقاق﴾[١]، وستظل البشرية معذبة ما لم تصخ آذانها لتعاليم الدين القيم.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: " والدنيا مظلمة ملعونة إلا ماطلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينابيعه من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات قال الله ﷻ: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات"[٣]، ويقول: " ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد،« و» لكانوا بمنزلة الأنعام البهائم، بل أشرحالاً منها "[٤].

ويقول ابن القيم: " ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول،ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لاسبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولاسبيل إلى معرفة الطيِّب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرِضَتْ،فضرورة

---

(١) - سورة البقرة، الآية:١٣٧.

(٢) - سورة الأنعام، الآية:١٢٢.

(٣) - ابن تيمية، الفتاوى، ج١٩/٩٣، ٩٤.

(٤) - المصدر السابق،ج١٩/١٠٠.

العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[١].

وهكذا اتضح من خلال ما مر حاجة الإنسان إلى الدين بصورة ضرورية لا غنى عنها.

وبعد أن عرفنا حاجة الإنسان إلى الدين الحق يحسن إبراز ملامح ذلك الدين وما فيه من خصائص تقوّي دوافع الاستجابة في النفوس.

---

(١) – ابن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد. (ط: الاولى. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٣٩٩هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط. وعبد القادر الارنؤوط.

الفصل الأول: دوافع الاستجابة في موضوع الدعوة

المبحث الأول: ربانية الدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني: شمولية الدعوة الإسلامية.

المبحث الثالث: وسطية الدعوة الإسلامية.

المبحث الرابع: واقعية الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول: ربانية الدعوة الإسلامية

إن مما يميز هذه الدعوة أن منهجها منهج إلهي وليس من صنع البشر، وهذا يؤكد اختصاص هذه الدعوة بخاصية الربانية التي تميزها عن غيرها من الدعوات، ويقصد بالربانية في سياق بحثنا هذا أمران:

الأول: أن منهجها الذي تستند إليه مصدره الله، وهو ما يسمى بربانية المصدر.

الآخر: أن غايتها ربط الناس بربهم وخالقهم، فالمصدر رباني، والغاية ربانية.

ومصطلح الربانية مشتق من قوله ﷻ: ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[١]، وذلك أن الرباني منسوب إلى الرب ﷻ، والرباني: هو العالم بالكتاب العامل به والمعلم له[٢]، أو هو العامل بعلمه والذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة[٣]، قال الطبري:" والربانيون جمع رباني، و هو الذي يرب الناس، أي: يعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم"[٤]، ومعنى ذلك أنه مكمل لنفسه، ساع لإكمال غيره.

وتأسيساً على ما سبق فإن صفة الربانية مما تعنيه الإيمان بالله ﷻ والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك في التصور والسلوك، كما أن مما تعنيه: اصطباغ الحياة بهدي تلك الربانية، التي تهدف إلى إقامة مجتمع مسلم، يتواصى أفراده بالحق والصبر، وتتمثل فيه أخلاقيات الإسلام، و لربانية الدعوة بهذا المعنى أثر كبير في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، حيث تسهم تلك الربانية إسهاماً كبيراً في جذب الناس إلى الدعوة،

---

(١) - سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٢) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣/٣٤٨.

(٣) - محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ط:الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٢ هـ)، ج٤/١٢٢.

(٤) - انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ج٣/٣٢٧. وانظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، (ط: دار الفكر، القاهرة)، ج٨/١٢٣.

وتقوية دوافع الاستجابة في نفوسهم، من خلال إقامة مجتمع رباني الفكر، رباني الخلق، رباني التصور، يستهوي الآخرين بجماله وكماله، وذلك أن مجتمع الدعوة لايتحقق بصفة الربانية، ولا يصدق عليه ذلك الوصف إلا بممارسة العلم والتعليم والتربية للآخرين على هذا العلم، حتى يكون مجتمعاً كاملاً في ذاته مكملاً لغيره، وهي الصفات التي شملها معنى الربانية الذي ذكره المفسرون[١]، وقد وردت نصوص في الكتاب والسنة تدل على أن منهج الدعوة منهج رباني، ومصدرها مصدر رباني، قال الله ﷻ: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾ [٢]،وقال الله ﷻ: ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾[٣]، وقال الله ﷻ: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾[٤]. وقال الله ﷻ: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾[٥]. وقال الله ﷻ: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾[٦]، وقال الله ﷻ: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون﴾[٧]،وقال الله ﷻ: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما

---

(١) - انظر: سيد محمد الساداتي الشنقيطي، مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، (ط:الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٨ هـ)، ص ٢٧.

(٢) - سورة الفرقان، الآية: ٦.

(٣) - سورة النجم، الآية:٤.

(٤) - سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٥) - سورة يوسف، الآية: ٢.

(٦) - سورة الشعراء، الآيات: ١٩١ - ١٩٥.

(٧) - سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[١]، وقال الله ﷻ: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[٢]، كما وردت نصوص أخرى تبين الغاية الربانية للدعوة، يقول الله ﷻ: ﴿الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[٣]، ويقول الله ﷻ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٤]، قال الله ﷻ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾[٥]، وأما نصوص السنة ففي بيان ربانية مصدر الدعوة ومنهجها ما جاء «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنَ الأنبياء نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦] « وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[٧]، وفي بيان ربانية

---

(١) - سورة يونس، الآية ١٥.

(٢) - سورة النمل، الآية: ٦.

(٣) - سورة ابراهيم، الآية: ١.

(٤) - سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٥) - سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٦) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول مانزل، ج٩/٣، رقم ٤٩٨١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ « بعثت بجوامع الكلم »، ج١٣/٢٤٧، رقم ٧٢٧٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ج١/١٣٤، رقم ١٥٢.

(٧) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج٤/٢٠٠، رقم ٤٦٠٤، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، ج٥/٣٨، رقم ٢٦٦٤، وقال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة،(ط:دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ)، تحقيق وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي

=

الغاية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »(١)، «وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّ الإِسلام وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »(٢)، « وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»(٣).

واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع بإذن الله على النحو التالي:

المطلب الأول: ربَّانية المصدر.

المطلب الثاني: ربَّانية الغاية .

=

المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، ج١/٦، رقم ١٢، وأخرجه أحمد في المسند، ج٢/٢٩١، رقم ١٧١٠٨، قال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٨٧٠، رقم ٣٨٤٨.

(١) - رواه البخاري تعليقاً، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن، فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح، ج٦/٩٨، وأخرجه أحمد في المسند، ج٥/١٧١، رقم ٥٦٦٧، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ، (ط: الثالثة،المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ)ج١/٥٤٥، رقم ٢٨٣١.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ج١/٧٥، رقم ٢٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ج١/٥٣، رقم ٢٢.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج٣/٢٦١، رقم:١٣٩٥، وفي باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ج٣/٣٢٢، رقم ١٤٥٨، وفي باب: أخذ الصدقة من الاغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ج٣/٣٥٧، رقم ١٤٩٦، وفي كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ج٥/١٠٠، ١٠١ رقم ٢٤٤٨، وفي كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج٨/٦٤ رقم٤٣٤٧، وفي كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك و تعالى، ج ١٣/٣٤٧، رقم٧٣٧١، ورقم٧٣٧٢. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١/٥٠، رقم: ١٩.

المطلب الأول: ربانية المصدر

إن استناد الدعوة إلى المصدر الإلهي أمر يميزها عن غيرها من الدعوات، ويكسبها صفات خاصة بها، ومن أبرز تلك الخصائص موافقتها للفطرة السليمة، واتساق أحكامها مع العقل الصحيح، وبراءتها من العيب والخطأ، وقيام أساسها على العدل المطلق، وحفظها من التبديل والتغيير، مع ما يعطيه مصدرها الرباني من هيبة واحترام في النفوس فتنقاد لها طائعة مختارة، وكل تلك الخصائص ذات علاقة بتقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين وسنتناول بإذن الله هذه النقاط بالتفصيل:

١- موافقتها للفطرة:

ومن مزايا هذه الربانية مجيء الدعوة متوافقة مع الفطرة، لأن الذي أنزلها هو خالق الإنسان، وهو أعلم وأحكم الحاكمين، قال الله ﷻ ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[١]، فهي رسالة جاءت موافقة للفطرة الإنسانية، يشهد بذلك تاريخ الذين دخلوا في الإسلام، ومن أوضح الأمثلة على ذلك الفنّان الإنجليزي (كات ستيفنز)، أو يوسف إسلام كما سمى نفسه بعد إسلامه، عاش رحلة من الضياع والتنقل لشتى الديانات وكل ذلك لم يتوافق مع ما في فطرته حتى هداه الله للإسلام فتحول إنساناً آخر يقول بعد إسلامه:" لقد أجاب القرآن على كل تساؤلاتي وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة، لقد ولدت من جديد وعرفت إلى أين أسير"[٢].

٢- اتساقها مع حقائق العلم الصحيح:

كما أن من مزايا تلك الربانية عدم اصطدام نصوص الوحي مع حقائق العلم الصحيح، وصدق الله القائل: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه**

---

(١) - سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) - المجلة العربية، عدد رمضان، (١٤٠٦ هـ، ص ٢٨ - ٢٩).

اختلافا كثيرا ﴾[١] وذكر القرطبي أنه " ليس من متكلم يتكلم كلاماً كثيراً إلا وجد في كلامه اختلاف كثير ؛ إما في الوصف واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض وإما في الكذب"[٢]، وفي قول أحد الذين دخلوا في هذا الدين حديثاً ما يؤيد هذا المعنى يقول جرينيه المسلم الفرنسي الشهير: لقد " تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية، التي درستها من صغري، وفهمتها جيداً، فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمتُ، لأني تيقنت أن الإسلام أتى بالحق الصراح، من قبل ألف سنة، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه جيداً كما قارنت أنا، لأسلم دون ريب، هذا إن كان عاقلاً خالياً عن الأغراض والأهواء"[٣]، ويقول أحد الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام: "هل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة في القرآن، ولو ارتكنوا على كل ما في أيديهم من علوم عصرية، لا يتأتى لهم ذلك، والعلوم كل يوم في تبدُّل وتغيُّر، وفي كل لحظة تظهر معان باهرة لآيات قرآنية، ما كنا لنفهم معناها إلا بعد تقدم العلوم"[٤]

٣- براءتها من العيب والخطأ:

ومن مقتضى ربانية المصدر الصواب الأبدي الممنوح لها من رب العالمين، وهذا عائد إلى طبيعة مصدرها الرباني، والذي تفتقده كثير من المناهج والفلسفات التي من صنع البشر، ولذلك فإن مصادر دعوة الإسلام هي المصدر الوحيد الباقي بأصله الرباني، المحفوظ بحفظ الله تعالى له، فإن كثيراً من الرسالات السابقة التي أنزلها الله، دخلها التحريف والتأويل والكذب والافتراء، مما بدل طبيعتها وجعلها خليطاً من الأهواء البشرية التي لاتحمل صفة الربانية، أما مصادر الدعوة الإسلامية فبقيت وحدها محفوظة الأصول لم تتلوث بلوثات الجهالة، ولم يختلط فيها الحق والباطل، بل هي الحق الخالص، الذي جعله

---

(١) - سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥/٢٩٠.

(٣) - محمود أحمد مهدي، البرهان من القرآن، (ط: منشورات حمد، بيروت)، ص ٣١ .

(٤) - محمود أحمد مهدي، البرهان من القرآن، ص٣٠ .

الله حجة على الخلق إلى قيام الساعة، وهي بتلك الميزة تنفرد عن غيرها من مناهج البشر في تجردها من الزيادة والنقص، والعيب والخلط والهوى، كما هي آفة المناهج البشرية، التي تحمل في طياتها كثيراً من الخلط والضلال.

٤- قيامها على أساس العدل:

ومن مقتضى تلك الربانية أيضاً التزامها العدل بين الناس، فهي سليمة من الجور والتحيز واتباع الهوى، لأنها من لدن حكيم عليم، حرَّم الظلم على نفسه وحرمه على عباده، قال الله ﷻ: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[١] إن كثيراً ممن يدعون الألوهية، حينما يسُنُّون قوانين ونظماً، لايستطيعون الفكاك من أسر الميول والنزعات الشخصية والحزبية والإقليمية، فإذا انضاف هذا إلى الهوى، كانت الطامة التي لايرجى من ورائها صلاح، لاجتماع القصور البشري مع الهوى المضل، قال الله ﷻ ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[٢]. وقال الله ﷻ: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾[٣]، فدعوة الإسلام وما فيها من أحكام لا تجنح هنا أو هناك، لأن واضعها هو الخالق المهيمن، قال الله ﷻ: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾[٤]، قال قتادة رحمه الله تعالى: "صدقاً فيما قال، عدلاً فيما حكم"[٥]، وقال ابن كثير[٦] - موضحاً ما تشتمل عليه هذه الآية العظيمة من أسرار-: "كل ما أخبر الله به حق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل،

---

(١) - سورة النحل، الآية: ٩٠ .

(٢) - سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) - سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٥) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ط:الأولى، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ)ج٢/١٥٩.

(٦) - المصدر السابق، ج٢/١٦٠.

فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة، كما قال ﷻ: ﴿**يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾"[١]،ومن هنا كانت القوانين البشرية في اعتبار القرآن الكريم – من أي جهة كانت – أهواء مضلة يجب التبرؤ منها، قال الله ﷻ: ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾[٢]

٥– هيبتها واحترامها في النفوس:

ومن مقتضى الربانية، ما تلقيه في نفوس المدعوين من هيبة واحترام وتقديس لا يتأتى لمنهج آخر، لقد كانت تلك الهيبة ذات أثر كبير في تقوية دوافع الاستجابة لمنهج الحق وأحكامه، حتى إن المسلم يقع في الفاحشة في لحظة ضعف فينطلق إلى الوالي ويعترف بجريمته مع علمه بأن مآله إلى الرجم حتى الموت « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ أَحْصَنْتَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ**»[٣]، قال الحافظ بن حجر في تعليقه على هذا الحديث: "وفي الحديث من الفوائد منقبة عظيمة لماعز بن مالك[٤]، لأنه استمر على طلب إقامة الحد عليه مع توبته ليتم تطهيره، ولم يرجع عن

---

(١) – سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) – سورة الجاثية، الآية: ١٨.

(٣) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة، ج١٢/١٢٠، رقم ٦٨١٥، باب سؤال الإمام المقر: هل أحصنت ؟ ج١٢/١٣٦، رقم ٦٨٢٥، كتاب النكاح، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغَلَطِ والنسيان في الطلاق والشرك وغيره، ج٩/٣٨٩، رقم ٥٢٧١، ٥٢٧٢، كتاب الأحكام، باب من حكم في المسجد، حتى إذا أتى على حد أمر أن يخرج من المسجد فيقام، ج١٣/١٥٦، رقم ٧١٦٧. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج٣/١٣١٨، رقم ١٦٩١.

(٤) – ماعز بن مالك الأسلمي أسلم وصحب النبي ﷺ وهو الذي أصاب الذنب ثم ندم، فاعترف عند الرسول ﷺ، وكان محصناً، فأمر به فرجم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ط: دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ هـ)ج٤/٣٢٤.

إقراره مع أن الطبع البشري يقتضي أنه لا يستمر على الإقرار بما يقتضي إزهاق نفسه، فجاهد نفسه على ذلك، وقوي عليها، وأقر من غير اضطرار إلى إقامة ذلك عليه بالشهادة، مع وضوح الطريق إلى سلامته من القتل بالتوبة"[١]، وما كان له أن يقف هذا الموقف لولا حب الله وخشيته، الذي ملأ قلبه، وأصبح يشعر بالذنب العظيم الذي يود التطهير منه مهما كان الثمن غالياً ومؤدياً إلى إتلاف نفسه التي بين جنبيه، إن قوانين البشر ومناهجهم التي يضعونها بأيديهم ما كان لها أن ترقى إلى هذا الأفق السامي من القداسة والهيبة في نفوس أصحابها، وذلك راجع إلى افتقارها وخلوها من الارتباط بسند الحق الذي يلقي الهيبة التلقائية في نفوس أتباعه.

٦- خاصية الحفظ:

قال الله ﷻ مبيناً مصدر المنهج الذي تقوم عليه الدعوة: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورًا * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً﴾[٢]، وإذا تحدثنا عن القرآن فإن السنة تابعة له، لأنها شارحة وموضحة لمعانيه، قال الله ﷻ: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[٣] «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ

---

(١) - فتح الباري، ج١٢/١٢٤، وانظر: عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، (ط: الثالثة، دار النفائس، عمّان، ١٤١٢هـ)، ص ٤١، وانظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، (ط:الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ)، ص ٥١، وانظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة،،(ط: مكتبة المنار، ١٤٠١ هـ)، ص ٤٧.

(٢) - سورة النساء، الآيتان: ١٦٣، ١٦٤.

(٣) - سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤ .

وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[١]، قال ابن حجر وهو يتحدث عن تعلق الحديث بالترجمة:" أن القرآن إنما نزل بالوحي الذي يأتي به الملك لابالمنام ولا بالإلهام"[٢]، فالوحي الذي هو مصدر هذه الدعوة إنما أنزله الله ﷻ من فوق سبع سماوات ولا يستطيع نبي مرسل ولا ملك مقرب مهما علت درجته أن يغير فيه شيئاً، قال الله ﷻ: ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾[٣] وعندما اقترح المشركون على الرسول ﷺ تبديل هذا القرآن فيما حكاه الله ﷻ عن مقولتهم الساذجة التي تنم عن عبث وهزل وعن جهل بوظيفة هذا القرآن رد الله عليهم كما في قوله ﷻ: ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون** ﴾[٤]، قال ابن كثير:"أي: ليس هذا إليَّ إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله.. والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل، لا تنتقدون علي شيئاً تغمصونني به، ولهذا قال: ﴿ **فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون** ﴾ أي: أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل"[٥] وهو رد قوي حاسم يتمثل في طلب الله ﷻ من رسوله ﷺ أن يجابههم بقوله ﴿ **ما يكون**

---

(١) - انظر تخريجه: ص١٨.

(٢) - فتح الباري، ج٩/٧.

(٣) - سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٤) - سورة يونس، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٥) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٣٩١.

لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾، وقد تكفل الله ﷻ بحفظ كتابه قال الله ﷻ: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١] قال الخازن في تفسيره:"الضمير في « له » يرجع إلى«الذكر » يعني: وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون، يعني: من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها، لا يقدر أحد من جميع الخلق – من الجن والإنس– أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة"[٢]، وقال الفخر الرازي: "واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه أو القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات"[٣].

وهكذا تبين لنا في هذا المطلب أثر ربانية المصدر في تقوية دوافع الاستجابة لدى المدعوين.

---

(١) – سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) – علي بن محمد الشهير بالخازن، تفسير الخازن، (ط: دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ)، ج٤/٤٧ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/٥.

(٣) – الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٩/١٦٥.

المطلب الثاني: ربانية الغاية

سبق القول إن غاية الدعوة ربط الناس بخالقهم ﷻ وفي ذلك تحقيق للغاية من الخلق فالله ﷻ هو الذي له الخلق والأمر، وهذا الكون الفسيح كله يسبح لله وحده، كما يسجد له مافي السموات وما في الأرض، كما قال الله ﷻ: ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب**﴾(١)، وقال الله ﷻ: ﴿**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾(٢)، ومن هنا ينكر الله ﷻ على أولئك الذين يبغون غير دين الإسلام، ويتنكبون صراط هذه الغاية الشريفة التي أكرم الله بها الإنسان(٣)، قال الله ﷻ: ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون**﴾(٤)، ويبين القرآن الكريم الغاية النهائية، والهدف البعيد من الدعوة، وأنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وربطهم بخالقهم ﷻ والحصول على مرضاته(٥)، قال الله ﷻ: ﴿**الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾(٦)،وذلك الإخراج إخراج شامل يشمل "إخراجهم من ظلمات الكفر والشك إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور

---

(١) - سورة الحج، الآية:١٨.

(٢) - سورة النحل، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣/٣٥٤.

(٤) - سورة آل عمران، الآية:٨٣.

(٥) - يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام، ص ٩.

(٦) - سورة ابراهيم، الآية: ١.

العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الشك والشبه إلى نور اليقين"(١)، ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية غاية الدعوة فيقول: " هي وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم"(٢)، وقال في موضع آخر مبيناً تلك الغاية: " ففاتحة دعوة الرسل: الأمر بالعبادة، قال الله ﷻ: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ "(٣)، ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر فيقول: "وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده، ويكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، قال الله ﷻ: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾"(٤)، ويقول الله ﷻ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٥)، وربط الناس بخالقهم وتعريفهم به إنما يتم من خلال هداية القرآن الذي وصفه منزله ﷻ بالروح التي من شأنها الإحياء، فالنفوس الميتة في ظلمات الكفر والشرك إنما أحياها الوحي الذي أنزله الله، قال الله ﷻ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾(٦)، وقال ﷻ: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج

---

(١) - سيد محمد ساداتي الشنقيطي، البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، (ط: الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٧ هـ)، ص ١٩ - ٢٠.

(٢) - مجموع الفتاوى، ج٦/٢.

(٣) - سورة البقرة، الآية: ٢١. وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣/٢.

(٤) - سورة النحل، الآية:٣٦. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢١٩/٨.

(٥) - سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٦) - سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

منها﴾[١]، ونجد تأكيد تلك الغاية في سنة الرسول ﷺ ففي الحديث « **عَنِ ابْنِ عُمَرَرَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** »[٢].

إن من يتأمل الهدف النهائي من القتال في الإسلام يلحظ ربانية الغاية جلية واضحة، ذلك أن الهدف هو تحقيق عبودية الله، والقضاء على الأرباب الزائفين الذين ينازعون المولى الحق ﷻ خصائص الألوهية، قال الله ﷻ: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلُّه لله**﴾[٣]، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿**حتى لا تكون فتنة**﴾ "يعني: لايكون شرك[٤] ﴿**ويكون الدين كلُّه لله**﴾ أي: يخلص لله التوحيد "[٥]، « **عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[٦]، « **وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ**

---

(١) - سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) - انظر تخريجه: ص ١٩.

(٣) - سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٤) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٢٩٦.

(٥) - المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٦) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾، ج١٣/٤٤١، رقم ٧٤٥٨، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، ج١/٢٢٢، رقم ١٢٣، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج٦/٢٧، رقم ٢٨١٠، كتاب فرض الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره، ج٦/٢٢٦، رقم ٣١٢٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ج٣/١٥١٢، رقم ١٩٠٤.

الإسلام وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[١]، قال بن حجر: " جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر، وهي الإقرار بالشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"[٢]، وأعظم بها من غاية، والتحقق بهذه الربانية يمنح الإنسان مزايا ذات أثر في حياته، ومن تلك المزايا:

١- توَحُّد الغاية والهدف:

عندما يُسلم المرء وجهه لله تعالى يكون قد بدأ في الاتجاه الصحيح الذي يمنحه الطمأنينة والراحة، بما يحققه التوحيد من اختصار للغايات في غاية واحدة هي مرضاة الله ﷻ، ويضرب الله مثلاً للمشرك والموحد فيقول الله ﷻ: ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً** ﴾[٣]، إنهما لايستويان، فالذي يخضع لسادة متشاكسين همُّه متفرق، وقلبه متشتت يتعاورونه في مهن شتى، وهو حيران في إرضائهم وأداء حقوقهم، ومتبع الحق لا يعترضه ما يشوش عليه باله، فهو موحد الاتجاه، واثق الخطى[٤]، ومن هنا كانت راحة النفس في توحيد الوجهة حتى لاتتمزق وتضيع طاقاتها، والنفس البشرية إنما يعظم إنتاجها حين تتجه إلى غاية واحدة فحسب، ويتعاظم ذلك الإنتاج حين يكون التوجه لله رب العالمين ﷻ، مما يعينها على إنشاء أعظم الآثار، كما دل على ذلك واقع الأمة حين استقامت على المنهج الرباني، وتركت آثاراً عميقة في تأريخ الحياة كله، وهذا الانتاج من السعة والشمول بحيث تناول جوانب الحياة المختلفة، فكرياً وعلمياً وعملياً، وذلك ناتج عن ولائها لرسالتها ولاءً تاماً، وعلى العكس من ذلك، فإن واقعها المتردي اليوم، يشهد بالآثار الناتجة عن التوزع بين شتى الغايات والوجهات والرايات، حيث لم تعد تلك الأمة المبدعة المنتجة في أفرادها وعمومها، بل تحولت إلى أمة مستهلكة، وهو بلا شك دليل على أهمية تحقق ربانية الغاية في حياة الأمة،

---

(١) - انظر تخريجه: ص ١٩ .

(٢) - فتح الباري، ج١/٧٦.

(٣) - سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٤) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ط: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م)ج٢٣/٤٠٢.

وما يعكسه ذلك من آثار إيجابية تتحقق للفرد والمجتمع.

٢- الارتقاء إلى أعلى درجات الكمال:

إذا امتلأ قلب المؤمن بمعاني العبودية لله ﷻ تحرر من العبودية لغيره، وأصبح عزيز النفس لا يخشى إلا الله تعالى، ومن ثم يرتقي إلى درجة العبودية لخالقه، وهذه العبودية هي أسمى درجة يرتفع إليها الإنسان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فكمال المخلوق: في تحقيق عبوديته لله ﷻ، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته"(١)، ولذلك وصف الله ﷻ بها رسوله ﷺ في أشرف المقامات مقام تنزل الوحي عليه، ومقام الدعوة إليه، ومقام الإسراء به إلى بيت المقدس، قال ﷻ: ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾(٢) وقال ﷻ: ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً** ﴾(٣) وقال ﷻ: ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾(٤).

وهكذا تبين لنا من خلال المعالجة أثر ربانية المصدر وربانية الغاية في دوافع الاستجابة.

---

(١) - العبودية، (ط: الرابعة، بيروت، ١٣٩٧ هـ)، ص ٨٠.

(٢) - سورة النجم، الآية: ١٠.

(٣) - سورة الجن، الآية: ١٩.

(٤) - سورة الإسراء، الآية: ١. انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ١٨.

المبحث الثاني: شمولية الدعوة الإسلامية

إن خاصية شمول الدعوة منبثقة من كونها ربانية الأصل والمنشأ، ويقصد بشمول الدعوة في سياق بحثنا هذا، النظرة الكلية المستوعبة للنشاط البشري، زماناً ومكاناً، دنياً وأخرى، ولكيان الإنسان كله، ظاهراً وباطناً، فرداً ومجتمعاً، حيث إن السمة البارزة للدعوة استيعاب منهجها لجميع جوانب الحياة، وقد توافرت النصوص الدالة على شمول ذلك المنهج، ففي شموله لأمور الدنيا والآخرة قال الله ﷻ في محكم كتابه -حاكياً مقالة أولي العلم لقارون- :﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾(١)،وكانت سنة النبي ﷺ تؤكد هذا الشمول، ففي أدعيته التي علمها الأمَّة، - والتي كان يقولها صباحاً ومساءً - نرى اهتمامه بجميع أموره ومصالحه كلها، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ** »(٢)، وفي بيان القرآن لكل ما يحتاجه الناس قال الله ﷻ: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾(٣)،وقال الله ﷻ:﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾(٤)، وفي شمول الدعوة للناس والجن الآيات التي فيها ذكر للعالمين، وهي: قول الله ﷻ:﴿ **وما**

---

(١) - سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، ج٤/٢٠٨٧، رقم ٢٧٢٠.

(٣) - سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

هو إلا ذكر للعالمين﴾ (١)، وقول الله ﷻ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٢)، وقول الله ﷻ: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (٣)، أما الآيات التي ورد فيها لفظ الناس فمنها قول الله ﷻ: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض﴾ (٤)، وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (٥)، ومن السنة ما رواه جَابِر بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْض مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَ ةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(٦)،والشاهد منه قوله ﷺ «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»، ومما يدل على شمول الدعوة للناس جميعاً هذا الحديث « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٧)، وأخرج البخاري بسنده قال: «**كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ**

---

(١) - سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٢) - سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) - سورة الفرقان، الآية: ١ .

(٤) - سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٥) - سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٦) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، ج١/٤٣٥، رقم ٣٣٥، كتاب الصَّلاة باب قول النبي ﷺ:«جعلت لي الأَرْض مسجداً وطهوراً»، ج١/٥٣٣، رقم ٤٣٨، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ « أُحِلَّتْ لكم الغنائم ». ج٦/٢٢٠، ٣١٢٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، ج١/٣٧٠، رقم ٥٢١، ٥٢٣.

(٧) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ج١/١٣٤، رقم ١٥٣.

أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ، حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَنَحْنُ عِنْدَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ، قَالَ وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ»[1]، والشاهد في الحديث قولهﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا »، واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع على النحو التالي:

المطلب الأول: شمول الدعوة لأصول الإيمان.

المطلب الثاني: شمولها لأنظمة الحياة وتحقيقها للمجتمع المثالي.

المطلب الثالث:شمول الدعوة للثقلين.

المطلب الرابع: شمولها للإنسان في جميع مراحل حياته.

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ﴾، ج٨/٣٠٣، رقم ٤٦٤٠، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً »، ج٧/١٨، رقم ٣٦٦١.

المطلب الأول: شمول الدعوة لأصول الإيمان

إن مما يميز الإسلام عن غيره من النحل الباطلة شمول أصول دعوته لأركان الإيمان الواردة في قوله ﷻ: ﴿ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾(١)، والأصل السادس من أركان الإيمان الذي هو الإيمان بالقدر جاء في قوله ﷻ: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(٢)، وفي حديث جبريل الطويل الذي جاء فيه « **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمان ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٣)، قال ابن أبي العز بعد إيراد الحديث المذكور: " فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأَنْبِيَاء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم"(٤)، والنبي ﷺ لم يأت بشيء في دعوته يخالف دعوة الأَنْبِيَاء عليهم السلام، بل جاءت دعوته موافقة ومصدقة لما جاء ت به الرسل عليهم السلام، قال الله ﷻ: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾(٥)، وقال الله ﷻ: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من

---

(١) - سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٢) - سورة التوبة، الآية: ٥١ .

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان، ج١/٣٧ رقم ٨.

(٤) - علي بن علي بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية،، (ط: الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ)،ج٢/٤٠٢.

(٥) - سورة الشورى، الآية: ١٣.

الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾[١] وقال : «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ[٢]، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ »[٣] قال النووي: " قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الإختلاف"[٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"والإسلام هو دين جميع الأَنْبِيَاء والمرسلين ومن اتبعهم من الأمم"[٥]، والأَنْبِيَاء "يصدق بعضهم بعضاً لا يختلفون مع تنوع شرائعهم"[٦]، وقد اتفقت دعوات الأَنْبِيَاء عليهم السلام في الأصول التي دعت إليها، لأن مصدرها واحد هو الله جل جلاله، وأكبر تلك الأصول وأجلُّها توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة وحده لاشريك له، فكل نبي دعا إلى توحيد الله، لأنه الأصل، وهو لب الدعوة، قال الله ﷻ:﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[٧] فكل كان يقول لقومه:﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾[٨] وهي حقيقة واحدة دعا إليها الرسل جميعاً، فكلمة " لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة ابراهيم، وهي التي جعلها كلمة

---

(١) - سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) - العَلاَّت: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، والعَلَل الشرب بعد الشرب. فتح الباري، ج٦/٤٨٩. وقال العلماء: أولاد العلات هم الأخوة لأب من أمهات شتى. وأما الأخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان. صحيح مسلم بشرح النووي،، (ط: الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ)، ج١٥/١١٩.

(٣) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأَنْبِيَاء، باب قوله ﷻ ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾، ج٦/٤٧٨، رقم ٣٤٤٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج٤/١٨٣٧، رقم ٢٣٦٥.

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥/١١٩، ١٢٠. وانظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢/٣.

(٥) - النبوّات، (ط: دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ)، ص ٨٧.

(٦) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/٢٢٠.

(٧) - سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٨) - سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأَرْض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب"[١]، وقد حفل القرآن الكريم بهذا الموضوع وفصله، وبينه بياناً شافياً يهدف إلى تعريف الناس بربهم ﷻ، وتعريفهم بصفاته، كما في قول الله: ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾[٢]، وقول الله ﷻ: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾[٣] ولتوضيح هذا الأمر وجلائه يقول ابن القيم: " وهذا - أي الحديث عن التوحيد - في القرآن كثير بل هو أكثر من أن يذكر. وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وذروة سنامه، وقطب رحاه"[٤] والسنة شارحة للقرآن « **فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاة وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[٥]، كما جلى لهم ﷻ آياته والمتمثلة فيما بثه ﷻ في هذا الكون من آيات ودلائل، تشهد بوحدانية الخالق الكريم جل جلاله، وذلك بأسلوب موافق للفطرة، مفهوم للعقل، كما في قوله ﷻ: ﴿الذي جعل لكم الأَرْض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا

---

(١) - الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، في عقائد الإسلام، (ط: الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١ هـ)، ص ١٦.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٣) - سورة الزمر، الآيات: ٦٤ -٦٦.

(٤) - عبد المنعم العلي العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص ٦٥١. وانظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج١/ ٢١.

(٥) - انظر تخريجه: ص ١٩ .

تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون *وهو الذي مد الأَرْض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأَرْض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[٢]، وهو مع هذا كله ينمي روح المسارعة والمسابقة في الترقي إلى درجات الإسلام والإيمان، حتى تصل إلى مرتبة المراقبة الدائمة وهي مرتبة الإحسان وهي من المراتب الفاضلة في الدين، كما في حديث **أبي هريرة** ﷺ **لما جاء جبريل للنبي** ﷺ **وسأله:«قَالَ: مَا الإحسان ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[٣]، ومن تلك الأصول الإيمان بالملائكة، فهذا نوح عليه السلام أعلم قومه بهم، ولذلك قال الكفار من قومه:﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾[٤]، وينبئنا القرآن عن صفات الملائكة، فمن صفاتهم أنهم ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون *يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[٥]، ﴿لا يعصون الله

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٢) - سورة الرعد، الآيات: ٢ - ٤.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر، ج١/١١٤، رقم ٥٠، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾، ج٨/٥١٣ رقم ٤٧٧٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج١/٣٧، ٣٨، رقم ٨، ٩.

(٤) - سورة المؤمنون، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٥) - سورة الأَنْبِيَاء، الآيتان: ١٩، ٢٠.

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[١]، ويقول ﷻ: ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾[٢]، وأخبرنا رسول الله ﷺ عن أصل خلقتهم، « **فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُلِقَتِ الملائِكة مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ [٣] مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ** »[٤].

وهم أنواع فمنهم حملة العرش، ومنهم سكان السموات السبع، ومنهم موكلون بالجنة، ومنهم موكلون بالنار أعاذنا الله منها، ومنهم الموكّلون بحفظ بني آدم، ومنهم الموكّلون بحفظ أعمال العباد[٥].

والأصل الثالث الذي اعتنى به الأَنْبِيَاء جميعاً الإيمان باليوم الآخر، وكل نبي حذر أمته اليوم الآخر، فأول الرسل نوح عليه السلام كان يقول لقومه:﴿ **والله أنبتكم من الأَرْض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً** ﴾[٦]، وابراهيم عليه السلام كان يقول في دعائه كما قص الله عنه: ﴿ **وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر**﴾[٧]، ونجد هذا المعنى أكثر وضوحاً في دعوة موسى عليه السلام، وذلك حينما آمن السحرة وقالوا لفرعون فيما قصه الله ﷻ:﴿ **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى * إنه من يأتي ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا * ومن يأته مؤمناً**

---

(١) - سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) - سورة فاطر، الآية: ١.

(٣) - مارج: اللهب المختلط بسواد النار. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨/١٢٣.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ج٤/٢٢٩٤، رقم ٢٢٩٦.

(٥) - انظر للاستزادة: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كتاب أصول الإيمان، (ط: مكتبة المعارف، الرياض)، ٢١ - ٢٧، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٠٥، أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، (ط: الثالثة، دار الشروق، جدة)، ص ١٨٦ - ٢٠٧.

(٦) - سورة نوح، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٧) - سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾[١]، وفي صحف ابراهيم وموسى يقول الله ﷻ: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾[٢]، والأَنْبِيَاء جميعهم قد أخذ الله عليهم الميثاق بالإيمان بالرسول ﷺ والكتاب الذي أنزله الله عليه، قال الله ﷻ: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[٣]، قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: "**مابعث الله نبياً من الأَنْبِيَاء إلا أُخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمد اً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه** "[٤]، ومحمد ﷺ هو خاتمهم، مكمل لبناء الأَنْبِيَاء الذين سبقوه، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[٥]. فقد دعا إلى التوحيد ونبذ الشرك بجميع صوره، وقاتل على ذلك، حتى أيده الله بنصره وظهر أمر الله، وقد بعثه الله مبشراً بالجنة للمطيعين ومنذراً بالنار للعاصين، داعياً إلى الإيمان باليوم الآخر، وأنزل الله عليه قوله: ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم

---

(١) - سورة طه، الآيات: ٧٣ - ٧٦.

(٢) - سورة الأعلى، الآيتان: ١٦، ١٧. للاستزادة: انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

(٣) - سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٣٥٧.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ج٦/٥٥٨، رقم ٣٥٣٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبين، ج٤/١٧٩٠، ١٧٩١، رقم ٢٢٨٦.

الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[١]، كما أوجب الله على نبيه ﷺ الإيمان بما أنزل من الكتب فقال الله ﷻ لرسوله ﷺ ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾[٢]، وقال ﷻ للمؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[٣]، وأوجب كذلك على أتباعه الإيمان بالأنبياء جميعاً، وما أنزل عليهم من كتب، قال الله ﷻ: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[٤].

ومن جملة تلك الأصول الإيمان بالقضاء والقدر، قال الله ﷻ: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[٥] وقال الله ﷻ: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[٦]، فكل ماهو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة مسطر في ذلك الكتاب المبين، ومن ذلك ما قدر للإنسان من رزق وأجل وشقاء وسعادة، كل ذلك يجب الإيمان به، كما في قوله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ

---

(١) - سورة الشورى، الآية: ٧.

(٢) - سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٣) - سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٤) - سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٥) - سورة الحديد، الآية: ٢٢، ٢٣.

(٦) - سورة القمر، الآية: ٤٩.

ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ »(١) « **وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ »**(٢)، قال النووي:" قال العلماء: المراد:تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له"(٣)، وبهذا الإيمان انطلق الصحابة الفاتحون ﷺ يفتحون الأمصار، غير مبالين بما يصيبهم في سبيل الله، ليقينهم بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم(٤).

ومن الأصول المهمة التي اتفق عليها الأَنْبِيَاء عليهم السلام الإخبار بفتنة المسيح الدجال، فقد أجمع الأَنْبِيَاء عليهم السلام على تحذير أممهم من فتنته كما قال النبي ﷺ:« **مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ** »(٥)، ولقد كان التوحيد - وهو الأصل الاعتقادي الكبير والذي جاءت به الدعوة - ذا أثر كبير في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، يؤكد ذلك قول أحد المهتدين اسمه رودريك(٦): " الاعتقاد الإسلامي بوحدانية الله... أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً، إذ إن فطرتي

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، ج٤/٢٠٣٦، رقم ٢٦٤٣، وأخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٦/٣٠٣، رقم ٣٢٠٨.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج٤/٢٠٤٤، رقم ٢٦٥٣.

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٢٠٣.

(٤) - انظر: أحمد محمد المقري، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار حافظ، جدة، ١٤٠٩ هـ)، ص ٢٣٠.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج٨/١٠٦، رقم ٤٤٠٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ « لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »، ج١/٨١.

(٦) - يحيى رودريك شاب هندي، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، وكان نصرانياً فأسلم في منتصف الأربعينيات رغم التربية التبشيرية التي تلقاها على يد النصارى الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام،(ط:الأولى، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض،١٤١٢ هـ)،ص ١٨٣.

استساغت الإيمان بالله الواحد"[١].

وهكذا تبين لنا في هذا المطلب شمول الدعوة لأصول الإيمان وتبيَّن أثر ذلك في تقوية دوافع الاستجابة.

(١) - المرجع السابق، المدرك ذاته.

المطلب الثاني: شمولها لأنظمة الحياة وتحقيقها للمجتمع المثالي

إن إبراز هذه الخاصية بصفة خاصة في زمننا هذا من الأهمية بمكان، ذلك أن كثيراً من المسلمين فضلاً عن غيرهم غابت عنهم هذه الحقيقة، أعني حقيقةَ شمول الإسلام لجميع أنظمة الحياة، وبهتت صورته في نفوس بعضهم، حتى أصبح الدين عند ذلك البعض تصوراً ممسوخاً، يتلخص في كونه عقيدة لا دخل لها في واقع الحياة، وألبسوه ثوباً لا يمثل صورته الحقيقية، ساعد على ذلك الكيد المنظم والدؤوب من أعدائه، فاجتمع جهل الأبناء وكيد الأعداء، مع العلم أن حقيقة شمول دينهم لا تحتاج إلى دليل، حيث تُعَدُّ من بدهيات الدين، قال الله ﷻ: ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾[1]، وقال الله ﷻ: ﴿ **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً** ﴾[2] يقول الشيخ السعدي في تفسيره: " أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه "[3]، وما يحويه من أمر، ونهي، وتبشير، وإنذار، ومواعظ، وإخبار، واحتجاج، وإرشاد، وأغراض أخرى تحقق المقصود[4]، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الإيمان بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان** »[5] وقد ذكر الحافظ بن حجر أقوال العلماء في تلك الشعب وأنها " تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن. فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة، وأعمال اللسان وتشتمل على

---

(١) - سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ)، ج٢/٤٦٠.

(٤) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩/٨.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، ج١/٦٣، رقم ٣٥، وأخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ج١/٥١، رقم ٩.

سبع خصال، وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة "[١]، وعلى هذا فلا يجوز للمسلم أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم جانباً من جوانب حياته، ومن فعل هذا فله نصيب من قوله ﷻ: ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾[٢]،يقول العقاد عن دعوة الإسلام: "هي العقيدة المثلى للإنسان منفرداً أو مجتمعاً، وعاملاً لروحه، أو عاملاً لجسده، وناظراً إلى دنياه، أو ناظراً إلى آخرته، ومسالماً أو محارباً، ومعطياً حق نفسه، أو معطياً حق حاكمه وحكومته، فلا يكون مسلماً (حقيقياً)وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مسلماً (حقيقياً)لأنه روح في حالة تنكر الجسد، أو لأنه جسد ينكر الروح، أو لأنه يصحب إسلامه في حالة ويدعه في حالة أخرى،... ولكنما هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه، في جميع حالاته سواء تفرد وحده، أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع"[٣] وقد عجب الأعداء من شمول توجيهات هذه الدعوة، واهتمامها بكل صغير، واستيعابهالكل مايحتاجه الإنسان في حياته العامة والخاصة، حتى سألوا سلمان الفارسي[٤] ﷺ «**وقالوا:قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ[٥]، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ**

---

(١) - لمزيد من التفصيل انظر: فتح الباري، ج١/٥٢.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ٨٥. وانظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٩.

(٣) - عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين، (ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت)،ص ٢١.

(٤) - سلمان الفارسي صحابي جليل من أهل فارس، وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق، ولم يتخلف بعدها عن مشهد بعد الخندق، توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان ﷺ. انظر:علي بن محمد الجزري المعروف بعز الدين ابن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابه ،(ط: دار الفكر ١٣٩٠هـ)، ج٢/٢٦٥.

(٥) - الخِرَاءة: اسم لهيئة الحدث. وأما نفس الحدث فبحذف التاء وبالمد، مع فتح الخاء وكسرها. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٣/١٥٣. وهي أدب التخلي والقعود عند الحاجة. انظر: محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ)، ج١/٦٦.

بِرَجِيعٍ أَوْبِعَظْمٍ»[١]، قال الإمام النووي: " ومراد سلمان ﷺ: أنه علمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا، حتى الخراءة التي ذكرت أيها القائل، فإنه علمنا آدابها فنهانا فيها عن كذا وكذا، والله أعلم"[٢].

وظهورميزة الشمول وجلاؤها في الإسلام يتيح للبشرية إدراك الحق بصورته الصحيحة، فقد دأب العدو على تشويه الدعوة وصبغها بمفاهيم وصور تنفر الناس وتبعدهم عن الصراط المستقيم، قال الله ﷻ: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾[٣]، إن ذلك الشمول بتطبيقه في الواقع يعطي المدعوين قناعة بإمكانات الدعوة في تقديم الحلول الناجعة لقضاياهم ومشكلاتهم، فتقبل عليها النفوس راضية مطمئنة فتقوى دوافع استجابتها، إذ إن هذا الشمول يسعى إلى إيجاد مجتمع متكامل فاضل يكون صورة معبرة عن حقيقة الدعوة وما فيها من خير وجمال جاء لإنقاذ البشرية، وتكوين ذلك المجتمع يتم من خلال الوسائل التالية:

١ - التهذيب النفسي والسلوكي للفرد المسلم، من خلال العبادات التي تربطه بخالقه ﷻ وتزكي نفسه، ليكون عبداً خاضعاً لله يسعى لمرضاته، ونشر دعوته.

٢ - تكوين مجتمع يغلب فيه الخير على الشر والمعروف على المنكر، ولتحقيق تلك الغاية شرع للمطيع محاربة المنكر في أي صورة من صوره، وجعله مسؤولية فردية لايسع المرء تركها.

٣ - ولم تكتف تعاليم الدعوة بذلك التكليف العام الذي يقوم به كل أحد من المجتمع إن رأى منكراً يستطيع إزالته، بل أوجبت أن ينتدب طائفة من الأمَّة تكون مهمتها تطهير المجتمع من الآفات، وأن القيام بهذا الأمر سبب من أسباب الفلاح، قال الله ﷻ: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم**

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب آداب الاستطابة، ج١/٢٢٣، رقم ٢٦٣.

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج٣/١٥٤.

(٣) - سورة الصف، الآية: ٨.

المفلحون﴾[١]، إن تحقيق ذلك المجتمع الفاضل من أعظم الوسائل في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، وفي التأريخ شواهد على ذلك، لقد كان تأثر عروة بن مسعود الثقفي[٢] بمجتمع الصحابة ﷺ خير شاهد على ذلك، وذلك أنه قدم وافداً لقريش في صلح الحديبية[٣]، ليفاوض النبي ﷺ بالرجوع عنهم، فرأى منظر الصحابة ومحبتهم للنبي ﷺ واحترامهم له احتراماً شديداً، ورأى المجتمع الإسلامي المتكافل المتحاب، مما جعله يعيد النظر في موقفه من المسلمين، وينقل صورة للمشركين يقول فيها: « **أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا** »[٤]، وفي العصر الحديث يقول أحد من أسلم حديثاً واسمه جابا[٥]: " لقد تأثرت على وجه الخصوص ببساطة المجتمع الإسلامي وإحساسه بكرامته، وبالحب المتبادل بين أفراده، كما شدني إليه ذلك الاحترام ومبدأ

---

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٠٤، وانظر: عبد اللطيف كساب، نظرات في عموم الشريعة الإسلامية، مقال منشور في مجلة (هدى سبيلي)، العدد الخامس، ١٤٠٣ هـ، ص ٢٩١.

(٢) - عروة بن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك الثقفي، أسلم بعد انصراف النبي ﷺ عن ثقيف، ورجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فقتله رجل منهم بسهم. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣/٥٢٨.

(٣) - الحديبية: على بعد (٢٢) كيلاً غرب مكة على طريق جدة القديم، ولاتزال تعرف بهذا الاسم، وهي خارج الحرم، غير بعيدة منه. عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (ط: الأولى، دار مكة، ١٤٠٢هـ)، ص ٩٤.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، ج٥/٣٣٠، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٥) - كوفهي لال جابا، رجل سياسة، ومؤلف صحفي، ولد في مدينة لاهور، منحدراً من أسرة هندوكية عظيمة الثراء، عالية التعليم، لها مكانتها بين الهندوس. وبعد أن أعلن إسلامه انتقل للحياة في بومبي. ومن أشهر مؤلفاته كتاب: الأصوات العامرة، وآخر بعنوان: رسول الصحراء. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص١٦٧، هامش رقم ٢.

المساواة المطبق فيه"[١].

ولقد كان شمول الدعوة هو ما لفت أنظار كثير من المسلمين إليها، وقوى دوافع الاستجابة في نفوسهم، فقد ذكر محمد أسد[٢] سبب اهتدائه للدعوة فقال: " لم يكن الذي جذبني إلى الإسلام تعليماً خاصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لانستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية، بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي"[٣]، ويقول: " ربما كان شعوري بأن كل ما في الإسلام من نظريات وتعاليم موضوع في وضع محكم مناسب، هو أكثر الأمور تأثيراً في نفسي"[٤]، وهذا مهتد آخريقول: " وجدتني على توافق مع الإسلام ومبادئه التي كنت آلفها منذ نعومة أظفاري ؛ وجدت في الإسلام التشريع الكامل الشامل لكل وجوه الحياة، التشريع القادر على قيادة الفرد والجماعة، التشريع الذي فيه من المرونة ما يجعله ملائماً لظروف العصر الحديث"[٥]، " لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذي يحقق الغاية، فهو يمتاز بالشمول... ويحترم كافة الأديان، قال الله ﷻ:

---

(١) - المرجع السابق، المدرك ذاته.

(٢) - كان اسمه قبل الإسلام ليوبولد فايس ولد في النمسا عام ١٩٠٠م، ولما بلغ اثنتين وعشرين من عمره زار الشرق الأوسط، وأصبح بعد ذلك مراسلاً لجريدة « فرانكفورتر زايتونج »،وبعد إسلامه تنقل في ربوع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وبعد سنوات من الاطلاع الواسع صار علماً من الأعلام في العصر الحديث. انظر:عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، (ط:الثانية، دار القلم، الكويت، ١٣٩٣ هـ)، ص ٥٤، وانظر: لماذا أسلمنا، (ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ)ص٦١.

(٣) - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق،(ط: الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤ م) ص ١٥، وانظر: لماذا أسلمنا، ص ٥٩، ٦٠، عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ص٥٨

(٤) - عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ص ٦٠، (ط: الأولى، دار القلم، الكويت، ١٣٩٧ هـ).

(٥) - انظر:لماذا أسلمنا، ص ١٥١.

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾[١]، فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد الأحد"[٢]، وهذا مهتد آخر أسلم يقول: " ولو أن أحداً سألني عن أهم شيء أعجبني وشدني إلى الإسلام، فلا بد أن أجيب قائلاً: إنني معجب بتعاليم الإسلام الكاملة، فيالها من تعاليم واضحة منطقية، فالإسلام يمنحنا منهج حياة كامل، يشمل كافة الجوانب الروحية والمادية جميعاً"[٣]، وهكذا رأينا في هذا المطلب العلاقة بين شمول الدعوة وتقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين.

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٢) - انظر: عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ج١/١٩.

(٣) - المرجع السابق، ج٤/٦٥.

المطلب الثالث: شمول الدعوة للثقلين

لقد كان القرآن موجهاً للجن والإنس منذ أول يوم نزل، تحقيقاً للغاية التي أوجدوا من أجلها، قال الله ﷻ: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾[١]، فهذه الدعوة خطاب الله للجن والإنس، وقد جاء الخطاب موجهاً للثقلين بلفظ العالمين تارة، وبلفظ الناس تارةً أخرى، **أما لفظ العالمين فيشترك فيه الجن والإنس**، قال القرطبي: " المراد بالعالَمِين هنا الإنس والجن، لأن النبي ﷺ كان رسولاً إليهما"[٢]، ومن تلك الآيات التي فيها ذكر العالمين قول الله ﷻ: ﴿ **وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ [٣]، وقول الله ﷻ: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [٤]، وقول الله ﷻ: ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾[٥]،والعَالَمُ عبارة عمن يعقل ؛ وهم أربعة أمم الإنس والجن والملائِكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم، لأن هذا الجمع إنما هوجمع من يعقل خاصة[٦]، ولفظ « العالمين » من صيغ العموم التي يدخل تحتها كل ما خلق الله، إلا ما أخرجه الدليل[٧] ومن أدلة بعثه ﷺ إلى الجن قوله ﷻ حكاية عن قول الجن: ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله**﴾[٨]، وقوله

---

(١) - سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ - ٥٨.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، ج٢/١٣.

(٣) - سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٤) - سورة الأنْبِيَاء، الآية: ١٠٧.

(٥) - سورة الفرقان، الآية: ١ .

(٦) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١/١٣٨.

(٧) - محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، (ط: الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٣ هـ)، ص ١٥٣.

(٨) - سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

ﷻ: ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾[١]، أما الآيات التي وردت بلفظ الناس، فهي كثيرة، ومن تلك الآيات قول الله ﷻ: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[٣]، والناس من أسماء الجموع جمع إنسان على غير لفظه، واللام الداخلة عليه للجنس[٤] مما يقتضي شمول المسمى كل أفراد مسماه، " لأن الجموع المعرفة باللام للعموم، ما لم يتحقق عهد كما تقرر في الأصول"[٥]، ومن السنة قول الرسول ﷺ: فيما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٦]، قال الحافظ بن حجر: "وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك... وأصرح الروايات وأشملها رواية أبي هريرة عند مسلم «**وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً**»"[٧]، ومما يدل على شمول الدعوة للناس جميعاً هذا الحديث «**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي**

---

(١) - سورة الجن، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) - سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) - سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٤) - الشوكاني، فتح القدير، (ط: دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ)، ج١/٤٠.

(٥) - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١/٣٢٥، وانظر: محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ١٥٤.

(٦) - انظر تخريجه: ص ٣٣ .

(٧) - فتح الباري، ج١/٤٣٦، ٤٣٩، وانظر: الحديث في صحيح مسلم، ج١/٣٧١ رقم ٥٢٣.

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[١]، وأخرج البخاري بسنده قال: «كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ، حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ، قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ، وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ »[٢]، والشاهد في الحديث قوله ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»، إن عالمية الدعوة وعدم إقليميتها أو قوميتها منحها بعداً لا يحده الزمان والمكان، وهو ذو أثر في تقوية دوافع الاستجابة لدى المدعوين، فهذا أحد المهتدين وهو يتحدث عن الأمور التي ركزت في نفسه دوافع الاستجابة للدعوة يقول: " وناحية أخرى أعجبتني في الإسلام، هي عالميته، فالقرآن الكريم لا يحدثنا عن الله على أنه رب العرب أو أي شعب بذاته بين الشعوب، كلا، بل وليس على أنه رب هذه الدنيا ؛ ولكن على أنه رب العالمين، بينما تتحدث الكتب السابقة عن إله بني اسرائيل وما إلى ذلك، وفوق هذا فإن الإسلام يأمرنا بالإيمان بجميع الرسل، سواء منهم من ذكر في القرآن أو من لم يرد ذكره"[٣].

ومن الجوانب المهمة ونحن بصدد الحديث عن شمول الدعوة الاشارة إلى معنى من معانيه، وهو شمولها لجميع أصناف الناس باختلاف مستوياتهم العمرية والاجتماعية والثقافية، حيث تشمل المجتمع بجميع فئاته الصغار والكبار، الرجال والنساء، الأغنياء

---

(١) - انظر تخريجه: ص ٣٣ .

(٢) - انظر تخريجه: ص ٣٤ .

(٣) - لماذا أسلمنا ، ص ٢٢٨.

والفقراء، المتعلم والجاهل، وكافة الحلقات التي تؤلف في مجموعها المجتمع البشري في تنوعه العمري والثقافي ومستوياته المختلفة[١]، وإن في الكتاب والسنة ما يؤكد هذا المعنى على النحو المذكور، فقد دعا ابراهيم الخليل عليه السلام أبناءه فيما قصه الله ﷻ: ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**﴾[٢]، كما دعا أباه وأنكر عليه عبادة الاصنام، كما قال الله ﷻ عنه: ﴿ **واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً**﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين**﴾[٤]، أما دعوة الصغار فهي مظهر من مظاهر شمولها، فلم يكن النبي ﷺ يحتقر صغيراً لصغر سنه، فرب صغير في سنه كبير في عقله، فهاهو ﷺ يغرس أصول العقيدة في نفس الغلام الصغير، الذي غدا فيما بعد حبر الأمَّة وترجمان القرآن، إنه ﷺ يعلم الأمَّة الآفاق الرحيبة، والمساحة الشاسعة، التي تعمل فيها الدعوة، وتغرس فيه غرسها المبارك، لقد كان ابن عباس واحداً من تلاميذ كثيرين سعدوا بتربية الرسول ﷺ، وناهم من شمولها وبركتها ونفعها ما جعلهم أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون « **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ**

---

(١) - سيد محمد ساداتي، ركائز الإعلام في دعوة ابراهيم عليه السلام، (ط: الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٥ هـ)، ص٥٦.

(٢) - سورة البقرة، الآيتان: ١٣٢، ١٣٣.

(٣) - سورة مريم، الآيتان: ٤١ ، ٤٣.

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ[١] إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[٢]، وإذا كان ذلك التوجيه في أصول العقيدة فإنه ﷺ لم يهمل تقويم سلوك الصغار وأخلاقهم، ذلك أن سلوك المسلم من مستلزمات العقيدة التي يؤمن بها، يجلي هذا موقفه ﷺ من الغلام الذي كان يأكل معه، فلم يحسن، فأرشده عليه الصَّلاة السلام إلى آداب الطعام «عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ غُلاَماً فِي حَجْرِ[٣] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ[٤]، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»[٥]، وكذلك قصة الحسن بن علي[٦] لما هم بأخذ ما لا يجوز، وهي الصدقة التي طهر الله عنها بيت النبوة، «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) - الغلام: مادون البلوغ، يقال للصبي من حين يولد إلى أن يبلغ الحلم غلام. فتح الباري، ج٩/٥٢١.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند،ج٣/١٩٥، رقم٢٦٦٩، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ٥٩، ج٤/٦٦٧، رقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، انظر: ناصر الدين الألباني،صحيح سنن الترمذي،(ط:الأولى،مكتب التربية العربي لدول الخليج،الرياض،١٤٠٨ هـ) ج٢/٣٠٨، رقم ٢٠٤٣.

(٣) - الحَجْرُ: بفتح الحاء وسكون الجيم أي في تربيته وتحت نظره وأنه يربيه في حضنه تربية الولد، قال عياض: الحجر يطلق على الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكسر، وإذا أريد به معنى الحضانة فبالفتح لاغير، فإن أريد به المنع من التصرف فبالفتح في المصدر وبالكسر في الاسم لاغير. فتح الباري، ج٩/٥٢١، ٥٢٢.

(٤) - الصحفة: ما تشبع خمسة ونحوها، وهي دون القصعة وهي تشبع عشرة. المصدر السابق، ج٩/٥٢٢، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣/١٩٣.

(٥) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين، ج٩/٥٢١، رقم ٥٣٧٦، ٥٣٧٧، ٥٣٧٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام، ج٣/١٥٩٧، رقم ٢٠٢٢.

(٦) - الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط النبي ﷺ، ولد سنة ٣ هـ، وتوفي سنة ٤٩ هـ. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١/٤٨٨.

وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ[١] لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[٢].

ومما يؤكد شمول الدعوة لأصناف المدعوين دعوة الملأ فقد دعا النبي ﷺ الملوك والأمراء للإسلام، روى مسلم في صحيحه « عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى[٣] وَإِلَى قَيْصَرَ[٤] وَإِلَى النَّجَاشِيِّ[٥] وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٦] وقد ذكر المحدثون والمؤرخون أسماء من أرسلهم النبي ﷺ، ومن أرسلوا إليه، ونصوص تلك الكتب، فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بكتاب قيصر فقد روى البخاري « عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَإِذا فيه – أي: في الكتاب – بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإسلام أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٧]. وَ ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾»[٨]، أما كتابه ﷺ إلى كسرى فقد رواه البخاري أيضاً «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، مَعَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ

---

(١) – كلمة زجر للصبي عما يريد فعله. فتح الباري، ج٦/١٨٥.

(٢) – صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، ج٣/٣٥٤، رقم ١٤٩١، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، ج٦/١٨٣، ١٨٤، رقم ٣٠٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهو بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، ج٢/٧٥١، رقم ١٠٦٩

(٣) – كسرى: بفتح الكاف وكسرها. وهو لقب كل ملك من ملوك الفرس. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢/١١٢، ١١٣.

(٤) – قيصر: لقب من ملك الروم، المصدر السابق، ج١٢/١١٣.

(٥) – النجاشي: لقب لكل من ملك الحبشة. المصدر ذاته، المدرك ذاته.

(٦) – كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ج٣/١٣٩٧، رقم ١٧٧٤.

(٧) – الأريسيون: الأكارين، الفلاحين جمع أريس. فتح الباري، ج١/٣٩.

(٨) – صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، جزء من حديث رقم ٧، ج١/٣٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٣/١٣٩٣، رقم ١٧٧٣.

إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ»[١] أما دعوة النساء فهو شاهد على شمول هذه الدعوة لجميع شرائح المجتمع، حتى أن البخاري رحمه الله بوَّب في صحيحه باباً قال فيه: باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، وأورد حديث ابن عباس رضي الله عنه **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ**[٢] **وَالْخَاتَمَ، وَبِلاَلٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ »**[٣] ولجلاء هذا الأمر ووضوحه في المجتمع المسلم جعل النساء يطالبن بحقهن في الدعوة والارشاد، وألاَّ يستأثر بذلك الرجال فحسب، **« عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ»**[٤]، وقد ذكر الحافظ ابن حجر فوائد من هذا الحديث منها: استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام، وتذكيرهن بمايجب عليهن، ويستحب حثهن على الصدقة، وتخصيصهن بذلك في مجلس منفرد، ومحل ذلك كله إذا أمن الفتنة والمفسدة [٥].

وهكذا تبين لنا في هذا المطلب جوانب الشمول في الدعوة وأثر ذلك في تقوية دوافع الاستجابة.

---

(١) - المصدر السابق، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٨/١٢٦، رقم ٤٤٢٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى الكفار يدعوهم إلى الإسلام، ج٣/١٣٩٧، رقم ١٧٧٤.

(٢) - القُرْطُ: الحلقة التي تكون في شحمة الأذن. فتح الباري، ج١/١٩٣.

(٣) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، ج١/١٩٢، رقم ٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العيدين، باب ترك الصَّلاة قبل العيد وبعدها، في المصلى، ج٢/٦٠٦، رقم ٨٨٤.

(٤) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، ج١/١٩٥، رقم ١٠١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ج٤/٢٠٢٨، رقم ٢٦٣٣.

(٥) - فتح الباري، ج٢/٤٦٨.

المطلب الرابع: شمولها للإنسان في جميع مراحل حياته

ومن مظاهر شمول الدعوة وما جاءت به من أحكام إلمامها بجميع جوانب حياة الإنسان في أي مرحلة من مراحل عمره، ففي مرحلة الطفولة أبانت أحكاماً لها علاقة بالجنين، فلا عجب أن تجد في الإسلام أحكاماً تتعلق بالمولود منذ ولادته، مثل إماطة الأذى عنه، والتأذين في أذنه اليمنى، واختيار اسم حسن له، وتشريع العقيقة، كما نجد أحكاماً تتعلق بالرضاعة ومدتها، ومتى يكون فصاله وفطامه، ومن يرضعه وعلى من تكون نفقة المرضعة، أو أجرتها عند الطلاق وانفصال الرضيع عن أبيه، انظر إلى قوله ﷻ: ﴿**والوالدات يُرضِعْن أولادَهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرَّضَاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**﴾[1]، ولما كانت مرحلة الشباب مرحلة تأجج الشهوة وشدتها، ودواعي الانحراف فيها أكثر، وجه الإسلام إلى المبادرة بالزواج والمسارعة إليه، لما فيه من المصالح في العاجل والآجل فقد قال ﷺ: « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ[2] مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ[3] فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[4]، وفي مرحلة الشباب

---

(١) - سورة البقرة، الآية:٢٣٣.

(٢) - الشَّباب: أصله الحركة والنشاط، وهو اسم لمن بلغ حتى يكمل الثلاثين. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٩/١٠٨. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩/١٧٣.

(٣) - الباءة: فيها أربع لغات حكاها القاضي عياض ؛ الفصيحة المشهورة الباءة بالمد والهاء، والثانية: الباة بلا مد، والثالثة: الباء بالمد بلا هاء، والرابعة: الباهة بهائين بلا مد، وأصلها في اللغة الجماع، مشتقة من المباءة وهي المنزل، ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها، ثم قيل لعقد النكاح: باءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً، واختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما: أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه، فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه، كما يقطعه الوجاء. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩/١٧٣، وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٩/١٠٨.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ « من استطاع منكم الباءة فليتزوج »، ج٩/١٠٦، رقم ٥٠٦٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد

=

أيضاً وجه الإسلام إلى تربيتهم على الخشونة والجلد، فقد أوصى النبي ﷺ معاذاً بقوله: «**إِيَّاكَ والتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُواْ بِالْمُتنعِّمين**»(١)، وكتب عمر رضي الله عنه إلى بعض الصحابة يوصيهم بتعويد النفس على الجد والجلد، وعدم الركون إلى الملاذ والشهوات فقال لهم: «**وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلُبُوسَ الْحَرِيرَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لُبُوسِ الْحَرِيرِ**»(٢)، « **وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحَلَ إِلَى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَهُوَ بِمِصْرَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَا وَأَنْتَ حَدِيثًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ، قَالَ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا لِي أَرَاكَ شَعِثًا وَأَنْتَ أَمِيرُ الأَرْضِ ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الإِرْفَاهِ(٣)، قَالَ: فَمَا لِي لاَ أَرَى عَلَيْكَ حِذَاءً ؟ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَحْتَفِيَ أَحْيَانًا**»(٤)، ومما يجدر ذكره أن الترغيب في ترك الرفاهية لايقصد منه ترك الزينة بالكلية، وإنما المكروه " الإفراط في التنعم من التدهين والترجيل على ما هو عادة الأعاجم.. وليس في معناه الطهارة والنظافة، فإن النظافة من الإيمان"(٥)، والتقلب في النعيم والترف يمنع صاحبه من احتمال المشاق، ويدعوه لاختيار السهل دائماً، وهو بهذه التربية لا يمكن أن يركب الصعب، وقد يهرب من

=

مؤنه. ج٢/١٠١٨، رقم ١٤٠٠، ومعنى وجاء: رضُّ الخصيتين. والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة، ويقطع شر المني. كما يفعله الوجاء. صحيح مسلم بشرح النووي. ج٩/١٧٣.

(١) - الألباني. صحيح الجامع. ج١/٥٢٠، رقم ٢٦٦٨.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء. ج٣/١٦٤٢، رقم ٢٠٦٩، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد. ج٢/٣٧٣، رقم ٨٨٦.

(٣) - الإرْفَاه: السَّعَة والدَّعة والتنعم. شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، (ط: الثانية، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤١٥ هـ)، ج١١/١٤٦.

(٤) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الترجل. ج٤/٧٥، رقم ٤١٦٠. قال عنه الألباني: صحيح. صحيح سنن أبي داود، ج٢/٧٨٤، رقم ٣٥٠٦.

(٥) - عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١١/١٤٦.

المسئولية،ويجبن عند لقاء الأعداء، بل قد يفر في مواطن البأس ومعارك الرجال، لأنه نشأ نشأةً لينةً طريةً سهلةً لا خشونة فيها ولارجولة، ولا صبر ولا مصابرة، وقد يشعر بالعجز عن معالي الأمور والأهداف الكبار، لأن مثل ذلك يحتاج إلى عطاء وقد تعود على الأخذ، ويحتاج إلى تضحية لاطاقة له بها[١]، وفي توجيهات السنة نجد الحرص على تحقيق رجولة الرجل وأن يكون واضحاً في رجولته، فلا يتميع، ولا تبدو عليه مظاهر الانحلال التي تحط من قدره، وتزيد من مهانته، كما نجد التوجيه للمرأة المسلمة في تحقيق أنوثتها التي كرمها الله به وصانها وسترها، فلا تتشبه بالرجال، ولاتعاكس فطرتها« **فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ** »[٢] ولئن كان الإسلام يربي أتباعه على الجد، وترك اللهو، فقد حرص على علو الهمة، والبعد عن مواطن الذل والبطالة، ذلك أن علو الهمة من صفات النفوس الشريفة، والتعود على العمل النافع المفيد المغني عن الناس، – مهما كان حقيراً في نفوس الناس – من مكارم الأخلاق التي يحبها الله ورسوله، «**عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ** »[٣]، قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث من الفوائد " الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق، وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن ذل الرد إذا لم يعط، ولِمَا يدخل على المسؤل من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل"[٤]، وفي مرحلة الشيخوخة اهتم الإسلام بالإنسان، وجعل احترامه وتقديره من آداب الدين، فإن كانا أبوين فقد أوجب الله على المسلم برهما، كما قال ﷻ: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض**

---

(١) – انظر: بدير محمد بدير، منهج السنة النبوية في تربية الإنسان، ط: الثانية، مكتبة الضياء، جدة، ١٤١٣ هـ)، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) – رواه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، بابٌ المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال، ج١٠/٣٣٢، رقم ٥٨٨٥.

(٣) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ج٣/٣٣٥، رقم ١٤٧١.

(٤) – فتح الباري، ج٣/٣٣٦.

لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[١]، وإن كان ذا شيبة في الإسلام، فإن توقيره واحترامه من إجلال الله، « **عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلَ الْقُرْآنِ غَيْرَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[٢]، قال شمس الحق العظيم آبادي: "أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله، لحرمته عند الله"[٣]، ورفعت الشريعة الحرج عن الشيخ الكبير الذي لايستطيع الصيام، أو يناله بسببه مشقة كبيرة فرخصت له في الفطر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قول الله ﷻ: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾[٤] بأن الآية «**لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لاَ يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا**»[٥]، وهكذا وضعت الشريعة أحكاماً وآداباً ذات علاقة بكل مرحلة من مراحل عمر الإنسان، كما أنها شملت بآدابها جميع مجالات نشاطاته المادية والروحية، الفردية والجماعية، الثقافية والتربوية، السياسية والاقتصادية، الدينية والدنيوية، ولا غرو فقد أنزلها الحكيم العليم الذي أحاط ووسع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً[٦]،بل وأعجب من ذلك أنك تجد أحكاماً للإنسان حتى بعد مفارقته للحياة الدنيا بموته، مثل وجوب تغسيله وتكفينه والصَّلاة عليه ودفنه، بكيفية خاصة تختلف عن غيره من المخلوقات، ومن شرعية التعزية في وفاته وإنفاذ وصيته وقضاء ديونه والدعاء له، وفي الفقه الإسلامي كتاب الجنائز يعالج هذا الموضوع[٧].

وهكذا رأينا جوانب من شمول الدعوة وآثار ذلك في تقوية دوافع الاستجابة.

---

(١) - سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب إنزال الناس منازلهم، ج٤/٢٦١، ٢٦٢، رقم ٤٨٤٣، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩١٨، رقم ٤٠٥٣.

(٣) - عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٣/١٣٢.

(٤) - سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٥) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله ﷻ: ﴿أياما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾، ج٨/١٧٩، رقم ٤٥٠٥. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٢٠٤.

(٦) - انظر: محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٢٣١، وانظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص١١٠.

(٧) - للاستزادة انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٠٩، ١١٠.

المبحث الثالث: وسطية الدعوة الإسلامية

عندما نطرح سؤالاً ونقول لماذا اختار الله ﷻ الوسطية لتكون خصيصة من خصائص الإسلام والمسلمين؟ فسنجد الجواب: لأن الوسطية أليق بالرسالة الخالدة التي جعلها الله ديناً خاتماً للأديان ومهيمناً عليها، وحينما نطرح سؤالاً آخر هل يستطيع الإنسان إنشاء نظام متوازن يحقق سعادة الإنسان ؟ فإننا نجد الجواب: كلا، لا يستطيع الإنسان القاصر العلم المحدود العقل أن ينشأ نظاماً يتسم بالتوازن والتعادل، لأنه محكوم بنظرته السطحية ومأسور بهواه ورغبته، ومن هنا كان أي نظام صنعه البشر في قديم الدهر وحديثه لايخلو من غلو أو تقصير أو إفراط أو تفريط، والواقع يشهد على ما نقول، فإن البشرية اليوم لاتزال تعاني من تخبط وانتكاس، من جراء أهواء البشر التي يتبعونها في أنظمة حياتهم، ولم يغن عنهم ذلك التقدم المادي الذي وصل إليه الإنسان شيئاً، مما يؤكد حاجة الإنسان إلى نظام عادل متوازن، ولا يتأتى هذا إلا في الإسلام الذي أنزله العليم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وجعل دينه وسطاً بين الأديان، وصانه من الغلو والتقصير، ومن الإفراط والتفريط[1]، قال الإمام الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه... ثم قال: فإذا نظرت في كلّيةٍ شرعيةٍ فتأمَّلْها تجدها حاملةً على التوسُّط، فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف فذلك في مقَابَلَةِ واقع أو مُتَوَقَّع في الطرف الآخر، فطرف التشديد يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف التخفيف يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه"[2].

---

(١) - انظر: حسن عبد الرؤوف البدوي وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية، (ط: الأولى، دار الحكمة، الدوحة، ١٤١٤ هـ)، ص ٤٣٥، وانظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٢٧.

(٢) - الموافقات، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت)ج٢/١٢٤، ١٢٨.

ويحسن قبل الدخول في الموضوع الحديث عن معنى الوسطية:

المتأمل في المعاجم اللغوية يجد أن معنى الوسطية لايخرج عن معنيين ؛ أحدهما: أن "وسط الشيء ما بين طرفيه قال الشاعر:

إذا رحلت فاجعلوني وسطاً إني كبير لا أطيق العُنَّدا

أي: اجعلوني وسطاً لكم، ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف إذا كنت وحدي متقدماً لكم أو متأخراً عنكم أن تفرط دابتي فتصرعني.."(١)

والمعنى الثاني: ما ذكره ابن فارس من أن مادة « وسط » تدل على معان متقاربة، يقول ابن فارس: " الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنَّصَف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه"(٢)، والمعنى: هو أن الوسط من كل شيء أعدله.

وقال د/زيد الزيد: وقد أشارت بعض المعاجم اللغوية إلى التفريق بين كلمة وسَط بالتحريك، ووسْط بالسكون فقالوا: إن كل موضع يصلح فيه« بين» فهو بالسكون، وما لايصلح فيه «بين» فهو بالفتح ؛ وقيل كل منهما يقع موضع الآخر، وقال عنه ابن الأثير: وكأنه الأشبه(٣)، وقال محمد باكريم: وكيفما تصرفت هذه اللفظة فلا تخرج عن معاني العدل والفضل والخيرية، والبينية، والنَّصَف، والتوسط بين طرفين(٤)، وقال فريد عبد القادر: " استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة « الوسط » أرادوا معاني الخير، والعدل، والنَّصَفَة، والجودة، والرفعة، والمكانة العلية "(٥).

وتلتقي المعاني التي ذكرها أهل اللغة مع أقوال المفسرين في معنى الوسط الوارد في

---

(١) - لسان العرب، ج٤٢٦/٧، مادة (وسط).

(٢) - أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١٠٨/٦.

(٣) - الوسطية في الإسلام، (ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢ هـ)، ص ١٧، محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (ط: لبنان، مكتبة لبنان، ١٩٨٩ م)، ص ٦٣٥، مادة: وسط، مجد الدين أبو السعادات محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (ط: الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ)، ج١٦٠/٥، تحقيق: أبوعبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة.

(٤) - انظر: محمد باكريم محمد باعبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، (ط:الأولى، دار الراية، الرياض،١٤١٥ هـ).ص١٧.

(٥) - الوسطية في الإسلام، (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص ١٠، ١١، رسالة غير منشورة.

الآية، يقول البيضاوي في معنى ﴿ أمة وسطاً ﴾: " أي: خياراً أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل، وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط، كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، ثم أطلق على المتصف بها مستوياً فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي وصف بها"(١)

ومن معاني الوسطية ما يلي:

المعنى الأول: العداله:

وتفسير الوسط بالعدل في قول الله ﷻ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾(٢) روي عن النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ فسر الوسط هنا بالعدل(٣)،وفي تفسير ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله ﷻ ﴿ جعلناكم أمة وسطاً﴾ قال: عدولاً(٤)، وقال الزجاج: وفي قوله ﷻ: ﴿ أمةً وسطاً ﴾ قولان:

قال بعضهم: ﴿ وسطاً ﴾: عدلاً، وقال بعضهم: خياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل(٥)، وهناك ارتباط تام بين العدل وبين الشهادة، ذلك أن الشاهد لابد وأن يتوافر فيه العدل الذي يتساوى فيه الخصمان، حتى لايخرج إلى الجور

---

(١) - حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، (ط: دار صادر، بيروت)، ج١/٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) - المصدر السابق، المدرك ذاته، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾، ج٨/١٧١، رقم ٤٤٨٧، وأخرجه أحمد في المسند،ج١٠/١٠٦، رقم ١١٢٢٢، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٤) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢/٧.

(٥) - أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ج١/٢١٩، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ابن منظور، لسان العرب، ج٧/٤٣٠، مادة « وسط ».

والظلم، وإنما سمي الوسط عدلاً لأنه لا يميل لأحد الخصمين[١] .

المعنى الثاني: الخيرية:

قال ابن كثير في قوله ﷻ: ﴿ **جعلناكم أمة وسطاً** ﴾: " والوسط هنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسباًودارا، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه"[٢]، وفي القرآن الكريم ﴿ **قال أوسطهم** ﴾[٣] أي: أمثلهم وأعقلهم وخيرهم[٤]، وقال ابن عاشور: أي:" أفضلهم وأقربهم إلى الخير"[٥].

المعنى الثالث: التوسط بين طرفين:

وقد ذهب الإمام الطبري إلى أن الوسط في الآية بمعنى الاعتدال والتوسط بين طرفي الافراط والتفريط، وكأنه يشير إلى التوازن والاعتدال، الذي هو سمة من سمات الدعوة، فقال: " وأنا أرى أن « الوسط» في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزء، الذي هو بين الطرفين، مثل « وسط الدار »، محرك الوسط مثقله، غير جائز في « سينه التخفيف»، قال: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم « وسط» ؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهُّب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولاهم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياء هم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"[٦]، والآية خطاب للأمة المختارة للشهادة على الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، بأنكم تسبقون الأمم كلها بتوسطكم في الأمور كلها، هذا التوسط هو

---

(١) - الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢/١٠٧.

(٢) - تفسير القرآن العظيم، ج١/١٨١.

(٣) - سورة القلم، الآية: ٢٨.

(٤) - الشوكاني، فتح القدير، ج٥/٢٧٢.

(٥) - التحرير والتنوير، ج٢٩/٨٦.

(٦) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢/٦.

غاية الكمال الإنساني، لأن صاحبه يعطي كل ذي حق حقه[١]، ويذكر محمد رشيد رضا نكتة بديعة حول إيثارالتعبير بلفظ الوسط في الآية دون الخيار، وهو من المعاني الواردة في تفسير الآية، فيقول: " الجواب على ذلك من وجهين، أحدهما: أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي، فإن الشاهد على الشيء لابد أن يكون عارفاً به، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر، ولا حال الوسط أيضاً، وثانيهما: أن في لفظ الوسط إشعاراً بالسببية، فكأنه دليل على نفسه، أي: أن المسلمين خيار وعدول لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال"[٢]، وهذه الوسطية تفرض على الأمة الإسلامية تبعة عظيمة، من أهمها أن تكون الأمة على مستوى تلك الشهادة، صدقاً وإخلاصاً واستقامةً وتبنياً لرسالة الدعوة والهداية لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، لتكون شهادتها معبرة عن عدالة الشاهد، الذي ينشد الخير للإنسانية دون اعتبار للون ولا جنس، لأن تلك اعتبارات جاهلية ألغاها الإسلام وأبدلها بموازين قائمة على العدل والصدق، وبذلك التوسط اهتدت إلى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال ابن عاشور: "ويشمل المغضوبُ عليهم والضالُّون فِرَقَ الكفر والفسوق والعصيان، فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد وعن تأويل بعيد جداً، والضالُّون جنس للفرق التي أخطأت الدين عن سوء فهم وقلة إصغاء"[٣]، وقد وردت نصوص في الكتاب والسنة تدل على أن الوسطية خصيصة من خصائص هذه الدعوة وسنذكرها فيما يلي:

ما ذكره الله ﷻ في امتنانه على الأمة باختيار الوسطية صفة لها ومؤهلاً من مؤهلاتها للقيام بالشهادة على أعمال الناس، قال الله ﷻ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً

---

(١) - انظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢/٥.

(٢) - تفسير المنار، ج٢/٤.

(٣) - التحرير والتنوير، ج١/١٩٦.

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[١]، وفي الحث على التوسط في الاعتقاد والنهي عن الغلو قال ﷻ: ﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾[٢] وفي السنة « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لاَ تُطْرُونِي[٣] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[٤]، ويقول ﷺ: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ[٥] قَالَهَا ثَلاَثًا »[٦]، وفي الوسطية في علاقة المؤمن بربه والجمع بين الخوف والرجاء نلحظ ذلك واضحاً، ففي التوسط والتوازن بين الخوف والرجاء، قال الله ﷻ: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[٧]،وفي الرغبة والرهبة قال الله ﷻ: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[٨]، ويقرر

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) - سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) - الإطراء: المدح بالباطل تقول أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في مدحه. ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٤٩٠.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾، ج٦/٤٧٨، رقم ٣٤٤٥، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ج١٢/١٤٤، رقم ٦٨٣٠، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة، ج١٣/٣٠٣،رقم ٧٣٢٣، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٧/٢٦٤ رقم٣٩٢٨وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، ج٣/١٣١٧ رقم:١٦٩١.

(٥) - المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٢٢٠ وقال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لايعنيهم الخائضين فيما لاتبلغه عقولهم. شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ج١٢/٢٣٥، ٢٣٦، والمقصود بهلاكهم: أي في الآخرة.انظر: محمد بن خليفة الوشتاني الأبي، إكمال إكمال المعلّم المسمى شرح الأبي والسنوسي على صحيح مسلم، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)،ضبطه وصححه:محمّد سالم هاشم، ج٩/٥٨.

(٦) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم ٢٦٧٠.

(٧) - سورة الإسراء، الآية: ٥٧ .

(٨) - سورة الأنبياء، الآية: ٩٠ .

القرآن الكريم منهج الوسطية، وذلك في الآيات التي تجمع بين تهديد الله ﷻ للعصاة إن لم يتوبوا، ومغفرته ورحمته للمؤمنين، ليكون المؤمن على حذر، قال الله ﷻ: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾(١)، وقال الله ﷻ: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾(٢)،وفي السنة أيضاً ما يؤكد هذا المعنى« **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**»(٣)، وفي وسطية العبادة والجمع بين القيام بمصالح الدنيا والآخرة نرى قوله ﷻ: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾(٤)،وقوله ﷻ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾(٥).

واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع بإذن الله على النحو التالي:

المطلب الأول: مظاهر الوسطية في العقيدة.

المطلب الثاني: وسطية الدعوة في العبادة .

---

(١) - سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠ .

(٢) - سورة المائدة : الآية: ٩٨ .

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، ج١١/٣٠١، رقم ٦٤٦٩، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، ج١٠/٤٣١، رقم ٦٠٠٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه،ج٤/٢١٠٨، رقم ٢٧٥٢.

(٤) - سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٥) - سورة الجمعة، الآية: ٩، ١٠ .

المطلب الأول: مظاهر الوسطية في العقيدة

الوسطية من خصائص هذه الدعوة ومن أعظم صفاتها، و من أهم تلك الأمور وسطيتها في العقيدة، ومن أعظم أمور العقيدة توحيد الله ﷻ، وقد جاءت العقيدة وسطاً بين الغلو والتقصير، أو بين الإفراط والتفريط، وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وسطية أهل السنة والجماعة في باب صفات الله ﷻ وما تميزوا به عن أهل الأهواء والفرق الضالة، وبَيَّن أن اليهود وصفوا الرب ﷻ بصفات النقص التي هي من خصائص المخلوق، وشبهوا الخالق بالمخلوق، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء، وقالوا هو بخيل، كما ذكر الله في كتابه قال الله ﷻ: ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق** ﴾[2]، روى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس[3]، فوجد من يهود ناساً كثيراً، قداجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له: أشيع، فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، قال فنحاص: والله يا أبا بكر مابنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما تضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنَّا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا

---

(١) - الوصية الكبرى، (ط: الأولى، دار عمَّار، الأردن، ١٤٠٧)، ص ٢٠، مجموع الفتاوى، ج٣/٣٧١، وانظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (ط: الأولى، جامعة الإمام، ١٤٠٦هـ)، ج٥/١٦٨، ١٦٩.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٣) - بيت المدراس: بكسر الميم وآخره مهملة مفعال من الدرس، والمراد به كنيس اليهود. ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم أي قراءتها. ابن حجر، فتح الباري، ج١٢/٣١٨.

وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين؟ فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال يارسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم إن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك: غضبت لله مما قال، فضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾[1]، وقالت اليهود أيضاً: يد الله مغلولة، كما قال ﷻ ذاكراً مقالتهم: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾[2]، وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك، فرد الله عليهم وأنزل في تكذيبهم قوله ﷻ: ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾[3]، أما النصارى فقد وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا: إنه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويتوب على الخلق، ويثيب ويعاقب، فرد الله عليهم بقوله ﷻ: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما

---

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٨١. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٤/١٩٤

(٢) - سورة المائدة، الآية: ٦٤ .

(٣) - سورة ق، الآية: ٣٨ ، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/٢٣٠.

(٤) - سورة المائدة، الآية: ١٧ .

﴿يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾[١]، ولا شك أن القرآن الكريم ردَّ ضلال المنحرفين وبين عواره، وفي الوقت ذاته قرر المنهج الحق فيما يجب على المؤمن اعتقاده في الله ﷻ، من الإيمان به جل وعلا، وإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وهذه حقيقة منهج الوسطية الذي جاءت به الدعوة الإسلامية[٢]، والمؤمنون سلكوا مسلك الوسطية في اعتقادهم، فإنهم آمنوا بالله وحده لاشريك له، وأنه ليس له سمي ولا ند ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، وكل ما سواه عباده فقراء إليه[٣]، والله ﷻ قد ذم الغلو في الدين ونهى عنه، فقال ﷻ: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾[٤]، قال الحافظ ابن كثير: " ينهى الله ﷻ أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً يعبدونه كما يعبدون الله تعالى، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً "[٥]، بينما نجد موقف الإسلام واضحاً في هذه المسألة، وهذا الموقف يتمثل في الوسطية التي جاء بها هذه الدعوة، فهو يدعو إلى الإيمان بالنبي ﷺ ومحبته من كل القلب « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»[٦]،ويدعو في الوقت ذاته إلى عدم رفعه فوق منزلته، لأن ذلك ضلال مبين فقد

---

(١) – سورة المائدة، الآية: ٧٣ ، انظر شيخ الإسلام ابن تيمية، الوصية الكبرى، ص ٢٠، مجموع الفتاوى، ج٣/٣٧١، وانظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٥/١٦٨،١٦٩.

(٢) – انظر: ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣ هـ)، ص ١٤١، ١٤٢.

(٣) – انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣/٣٧٢.

(٤) – سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٥) – انظر:تفسير القرآن العظيم، ج١/٥٥٨.

(٦) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ج١/٥٨، رقم ١٤، ١٥.

جاء « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لاَ تُطْرُونِي[١] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[٢]،قال شيخ الإسلام ابن تيمية: و"الفرقة الناجية - أهل السنة - هم وسط في النحل ؛ كما أن ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ؛ لم يغلو فيهم كما غلت النصارى، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباًمن دون الله والمسيح بن مريم، ولاجفوا كما جفت اليهود"[٣]، وقال أيضاً: "هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله ﷻ بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج"[٤]، وقد كان الصحابة ﷺ من أقل الناس تكلفاً، وأبعدهم عن التعمق والتشديد، وهذا هو المنهج الذي رباهم عليه الرسول ﷺ وكان يقول لهم: « **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلاَثاً** »[٥]، «**وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَأَلُوهُ إِلاَّ عَنْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ، مِنْهُنَّ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ قَالَ مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلاَّعَمَّا يَنْفَعُهُمْ**»[٦].

---

(١) - انظر: ص ٦٦.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٦٦ .

(٣) - مجموع الفتاوى، ج٣/٣٦٩، ٣٧٠.

(٤) - المصدر السابق، ج٣/١٤١.

(٥) - انظر تخريجه: ص ٦٦ .

(٦) - أخرجه الدارمي، سنن الدارمي ، (ط:الأولى،دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٧ هـ)، باب كراهية الفتيا، ج١/٦٣، رقم ١٢٥، تحقيق:فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلميّ ، ورواه الطبراني ، انظر:سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، المعجم

=

كما تتمثل وسطية الإسلام في العقيدة في كونه وسطاً بين الخرافيين الذين يؤمنون بكل شيء بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل شيء لا تدركه حواسهم، فجاء الإسلام داعياً إلى الإيمان والاعتقاد بما قام عليه الدليل القطعي، والبرهان اليقيني، ضارباً بالأوهام عرض الحائط، وشعاره دائماً قوله ﷻ: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[1].

كما أنه وسط بين الملحدين الذين لايؤمنون بإله مهما كان ذلك الإله، وبين الذين يؤمنون بآلهة متعددة حتى عبدوا الجن والأبقار والأشجار، فجاء الإسلام داعياً إلى الإيمان بإله واحد لاشريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وما سواه فمخلوقات لاتملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً[2].

=

الكبير.(ط:مكتبة العلوم والحكم،الموصل،١٤٠٤ هـ)ج١١/٤٥٤ ، رقم ١٢٢٨٨ ، مراجعة: حمدي عبد المجيد السلفي.

(١) - سورة البقرة، الآية: ١١١ .

(٢) - انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٣٥ .

المطلب الثاني: وسطية الدعوة في العبادة

ومن الموضوعات المهمة التي تتجلى فيها الوسطية في أبهى حللها علاقة المرء بربه، حيث يسير المؤمن في هذه الحياة الدنيا بين جناحي الخوف والرجاء، فلا هو بالمستهتر الذي يتخذ دينه هزواً ولعباً، ولا هو بالقانط اليائس من رحمة الله ﷻ، فلا خوف محض ولا رجاء محض، وإنما هو خوف ورجاء ورهبة ورغبة في آن واحد، مع اجتهاد في العمل وعدم تراخ، ذلك أن العمل والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله أمر ندب إليه الإسلام، ومن تأمل نصوص القرآن والسنة يجد الوسطية في الجمع بين الخوف والرجاء جلية واضحة في حياة المؤمنين، ففي مجال الخوف والرجاء، قال الله ﷻ: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[1]، وفي الرغبة والرهبة قال الله ﷻ: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[2]، وقال الله ﷻ: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾[3]، ومن يقرأ القرآن يجد الآيات التي تحمل طابع التهديد والتخويف، وفيه أيضاً الآيات التي تطمئن المؤمن وتمنحه الأمل والرجاء في رحمة الله، قال الله ﷻ: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾[4]، وقال الله ﷻ: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور

---

(١) - سورة الإسراء، الآية: ٥٧ .

(٢) - سورة الأنبياء، الآية: ٩٠ .

(٣) - سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٤) - سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠ .

رحيم﴾[١]،وفي الحديث:« **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**»[٢].

وقد أشارالحافظ ابن حجر إلى المقصود من الحديث: وهوضرورة التوسط بين الخوف والرجاء، حيث قال: " ومن تتبَّع دين الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط والله أعلم"[٣]، ومن هذين النوعين من الآيات يقع التوازن والوسطية في علاقة العبد بربه بين الخوف والرجاء، ولا شك أن ذلك ينعكس على سير الإنسان في هذه الحياة، فيسير معتمداً على ربه متوكلاً عليه لا يرجو ولا يخاف إلا إياه[٤]، والإسلام في باب العبادة وسط بين الملل التي ألغت جانب التعبد لله كالبوذية[٥]، وبين الملل التي طالبت أصحابها بالانقطاع للعبادة، وترك التمتع بما أحل الله ﷻ كالرهبانية النصرانية، وفي ذلك انقطاع عن العمل والانتاج[٦]، فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر يومية كالصلاة، أو سنوية كا لصوم، أوفي العمرمرة كالحج، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله، ليظل موصولاً بالله على الدوام[٧]، وأوضح دليل على وسطية الدعوة في العبادة قوله ﷻ: ﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا**

---

(١) - سورة المائدة : الآية: ٩٨ .

(٢) - انظر تخريجه: ص ٦٧ .

(٣) - فتح الباري بشرح البخاري، ج٣٠٢/١١.

(٤) - انظر: حسن عبد الرءوف البدوي وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص ٤٤٠ - ٤٤٢.

(٥) - البوذية: ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد. لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (ط:الأولى، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،الرياض، ١٤٠٩ هـ)ص ١٠٧.

(٦) - انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٣٧.

(٧) - المرجع السابق، المدرك ذاته.

أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾(١)، قال ابن عاشور مبيناً بعض ملامح وسطية العبادة، والمتمثلة في إباحة التجارة في الحج وأنها: " لا تنافي المقصد الشرعي إبطالاً لما كان عليه المشركون، إذ كانوا يرون التجارة للمُحْرِم بالحج حراماً" (٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " **كانت عكاظ(٣) وَمَجنَّة(٤) وذو المجاز(٥) أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا(٦) أن يتجروا في الموسم**"(٧)، ومما يدل على وسطية الدعوة في العبادة قوله ﷻ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾(٨)، فهو سعي إلى طاعة الله وترك للشواغل، حتى إذا قضيت العبادة، جاء الأمر بالانتشار في الأرض بحثاً عن الرزق، مع مراعاة عدم الغفلة عن ذكر الله، لأن ذلك مؤذن بالخسارة والبوار، كما حرص الإسلام على التوازن في ممارسة العبادة، حتى لايخرج الإنسان عن درجة الوسطية، «**عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرو رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، قُلْتُ:**

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٢) - التحرير والتنوير، ج٢/٢٣٧.

(٣) - كان سوقاً في الجاهلية، له ذكر في السيرة النبوية، ويقع في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الخوية اليوم، وهو شمال شرق الطائف على بعد خمسة وثلاثين كيلاً في أسفل وادي شَرَب وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك. محمد محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، (ط: الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١١ هـ)،ص ١٩٩.

(٤) - اسم مكان من الجَنّة وهو الستر والاخفاء، وهو سوق للعرب في الجاهلية، ويقع بمر الظهران قرب جبل يقال له: الأصفر بأسفل مكة، على قدر بريد منها. المرجع السابق، ص ٢٤٠. وانظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٨٢.

(٥) - من أشهر أسواق العرب في الجاهلية بعرفة، وهو ولا زال موضعه معلوماً بسفح جبل كبكب من الغرب. المرجع السابق، ص ٢٧٨، محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٢٣٩.

(٦) - يقال: تأثَّم فلان: إذا فعل فعلاً خرج به من الإثم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: أثِم، ج١/٢٨.

(٧) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٢٢٧.

(٨) - سورة الجمعة، الآية: ٩، ١٠ .

إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ (١) عَيْنُكَ وَنَفِهَتْ(٢) نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ »(٣)، وهكذا يرسم الإسلام المنهج الصحيح للعبادة، وفي الوقت ذاته ينهى عن التفريط المؤدي إلى الإعراض وقسوة القلب، لئلا يقع الإنسان في التقصير في حق الله ﷻ، فقد شنع القرآن الكريم على مسلك أقوام من الأمم التي سبقتنا، والتي تحول الدين عندها إلى صورة من التدين الممسوخ، الذي لا يضبط سلوكاً، ولا يأمر بمعروف ولاينهى عن منكر، وهو سلوك ينبيء عن فساد السريرة وخلو الباطن من معاني الإيمان، حيث يرتد صاحبه إلى حال من القسوة والعناد، يقطع فيها ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض، وذلك مؤدٍّ - ولا ريب - إلى الخسارة الفادحة في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾(٤)**.

ولا شك أن تلك الوسطية بجميع مظاهرها وأشكالها مما يقوي دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، فهذا أحد المهتدين هاله ما رأى في الدعوة من وسطية لفتت نظره نحو الدعوة، حتى قال معبراً عن شعوره: "والاعتدال والتوسط في كل شيء هما دعامتان أساسيتان في الإسلام، استحوذتا على كل إعجابي وتقديري"(٥)، وهذا مهتد آخر يدعى: ميليما(٦) يبين أن أهم شيء قوى دوافع الاستجابة في نفسه وسطية الإسلام وما فيه من توازن بين الروح والمادة، فيقول: " لقد أعجبني اهتمام الإسلام بالمادة والروح باعتبارهما قيمتين أساسيتين فالتطور العقلي والروحي للإنسان مرتبط في الإسلام ارتباطاً وثيقاً، لا سبيل إلى فصله بحاجات

---

(١) - هجمت: أي غارت أو ضعفت لكثرة السهر. فتح الباري، ج٣/٣٨.

(٢) - نفِهَت أي كلّت. المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٣) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التهجد، باب ١١٥٣، ج٣/٣٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، ج٢/٨١٢، رقم ١١٥٩.

(٤) - سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٥) - لماذا أسلمنا، ص ١٠٤ .

(٦) - الدكتور ميليما رئيس القسم الإسلامي في المتحف الاستوائي بامستردام في هولندا، وهو مؤلف عدد من الكتب الإسلامية بالهولندية. انتمى للإسلام عام ١٩٥٥ م. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٢٤٦، هامش رقم ٣ .

الجسد، وإن أعظم العبادات في الإسلام هي ما يكون في خضم الحياة"[١]، وقد لفتت خاصية الوسطية التي تتميز بها الدعوة شاباً دانماركياً اسمه علي يول[٢] مما دعاه إلى الاقتناع بها، ومن ثَمَّ إعلان إسلامه، والتزامه بهذا الدين، ولا ريب أن ذلك كله يبين ويؤكد قدرة هذه الدعوة على التأثير التلقائي، في نفوس المدعوين، بما تتميز به من خصائص تفردها عن غيرها، ومن ضمنها تلك الوسطية المحكمة، التي تجعل الاعتدال والتوسط من أهم القضايا الجلية في هذه الدعوة[٣]

---

(١) - عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٢٤٧.

(٢) - علي يول شاب دانماركي تعرف على الإسلام عام ١٩٧٣ م خلال رحلاته إلى المغرب. المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٣) - انظر: عماد الدين خليل ، قالوا عن الإسلام ، ص ٢٦٠ .

المبحث الرابع: واقعية الدعوة الإسلامية

ونعني بالواقعية في سياق بحثنا هذا ماتحمله الدعوة من منهج واقعي يتفق مع طبيعة الإنسان وواقعه وإمكاناته وطاقاته[١]، ويدخل في هذا مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة[٢]، ومراعاة مطالب الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة[٣]، يقول الإمام ابن القيم – موضحاً واقعية الدعوة وما تضمنته من شريعة –:" الشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة مركوز حسنها في العقول، ولو وقعت على غير ماهي عليه لخرجت عن الحكمة والمصلحة والرحمة، بل من المحال أن تأتي بخلاف ما أتت به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾"[٤]، ولانعني بالواقعية الخضوع للواقع الفاسد، فالدعوة بعيدة كل البعد عن هذا المعنى، وهو الخضوع للواقع في كل شيء مهما كانت سلبياته، وهذا النوع من الواقعية نفاه القرآن الكريم نفياً قاطعاً في كثير من آياته، التي هي حرب على كل الأهواء واتباعها، وتجعل السلطان للوحي المعصوم، وتتوعد المتبعين لأهوائهم بالعقاب الشديد، وذلك لأن الهوى مضاد للحق صاد عن اتباعه، فلا غرو إذن أن نجد آيات القرآن الكريم تؤكد الحرب على الأهواء مهما كان مصدرها وأصحابها، قال الله سبحانه وتعالى آمراً رسوله أن يحكم بين الناس بما أنزله الله ولا يتبع أهوائهم في أي صورة من الصور: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله

---

(١) – حسن عبد الرؤوف بدوي وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية ، ص ٤٤٤.

(٢) – يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٥٨.

(٣) – انظر: ابراهيم بن عبد الله السماري، الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية، (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، رسالة غير منشورة،ص ٦٦.

(٤) – سورة المؤمنون، الآية: ٧١ . ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢/٢ .

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾[١]. بل نجد القرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى ويصرح بأن اتباع الأهواء يؤدي إلى فساد العالم، فيقول ﷻ: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾[٢] ولا ريب أن الشريعة جاءت لإخراج المكلفين عن دواعي أهوائهم، قال الله ﷻ: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[٣]، فكيف يتبع واقعهم المملوء بالأهواء[٤].

وحينما نؤكد واقعية الدعوة الإسلامية، فإننا نقرر أيضاً بأنها مثالية وواقعية في آن واحد، فهي مثالية لأنها تنشد الكمال الإنساني، وترسم له المنهج الذي يوصله إلى تلك المرتبة، وهذه المثالية ليست شيئاً مستحيلاً لا يمكن تحقيقه، بل إن في فطرة البشر القدرة على الصعود إلى مستواها والقرب منها، فغاية الدعوة أن ترتفع بالإنسان على غرائزه الحيوانية، وتجعله مسيطراً مهيمناً عليها، ولا تستعبده بأي لون من ألوان العبودية، ذلك أنه متى تحكمت فيه شهواته وغرائزه أردته إلى مرتبة الحيوانية، التي يشقى بها، ويشقى من خلالها المجتمع الذي يعيش فيه، وتلك المثالية بصورتها الوضيئة تعطي المجتمع الحيوية والحركة الدائبة، وتقضي على السكون المفضي إلى الانكماش، وتعطيل الطاقات المنتجة في

---

(١) - سورة المائدة، الآيتان: ٤٨ ، ٤٩ . انظر: محمد مصطفى شلبي، الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية، مجلة الحقوق، العدد الأول، ١٩٦٠ م، ص ١٥ - ١٧.

(٢) - سورة المؤمنون، الآية: ٧١ .

(٣) - سورة ابراهيم، الآية: ١ .

(٤) - انظر: الشاطبي، الموافقات، ج٢/٢٩، ١٢٨، وانظر: محمد مصطفى شلبي، الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية، ص ١٥-١٧.

الإنسان، والحركة التي تدعو إليها الدعوة حركة متزنة متناسقة مع طاقات الإنسان المادية والروحية[١]، بيد أن تلك المثالية مضبوطة بضوابط الحكمة، حتى لا تجنح النفس البشرية فتقع في الغلو المذموم، إذ إنها معرضة للوقوع فيه لعوامل كثيرة أهمها: غواية الشيطان كما قال شيخ الإسلام بن تيمية: " دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله ﷻ ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه"[٢]، من هنا نجد أن السنة لم تغفل التنبيه على هذا الجانب وبيان خطورته، حتى لايقع فيه أحد من المدعوين، كما في قوله ﷺ: فيما رواه عنه «**ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ-: الْقُطْ لِي حَصًى، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[٣]، قال شيخ الإسلام بن تيمية في شرحه: "وقوله:«**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"[٤]، كما أن تلك المثالية لا يقصد الإسلام من ورائها تعذيب الجسد وتحميله فوق طاقته[٥]، فإن

---

(١) - انظر: محسن عبد الحميد، محاضرات الثقافة الإسلامية لطلاب الدراسات العليا، جامعة الإمام محمد بن سعود لعام ١٤٠٢ هـ، بعنوان: منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ص ١٧ .

(٢) - مجموع الفتاوى، ج٣/٣٨١.

(٣) - أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، باب قدر الحصى، ج٢/١٠٠٨، رقم ٣٠٢٩، وأخرجه النسائي، أحمد ابن شعيب ابن علي النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، (ط: الثانية، دار البشائر، بيروت ١٤٠٩هـ)، ترتيب: عبدالفتاح أبوغدة، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ج٥/٢٦٨، رقم ٣٠٥٧، وأحمد في المسند، ج٣/٣٨٧، رقم ٣٢٤٨، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، انظر(: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (ط: الأولى، مطابع العبيكان، الرياض، ١٤٠٤ هـ)، تحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ج١/٢٨٩، وصححه الألباني، ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة،(ط:الأولى،مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض،١٤٠٨ هـ) ج٢/١٧٧، رقم ٢٤٥٥.

(٤) - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ج١/٢٨٩.

(٥) - للاطلاع على مزيد من أمثلة ما يقع على النفس من التعذيب بحجة التقرب إلى الله عند بعض الفرق. انظر: أبو إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الاعتصام، (ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ)، ج٢/٤٠.

السنة نهت عن ذلك واعتبرته ضرباً من الانحراف، « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ** (١)، **نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، ولاَ يَسْتَظِلَّ وَلاَ يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرْهُ** (٢) **فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»(٣)، قال الخطابي: " قد تضمن نذره نوعين الطاعة والمعصية، فأمره النبي ﷺ بالوفاء بما كان منها من طاعة وهو الصوم، وأن يترك ماليس بطاعة من القيام في الشمس وترك الكلام وترك الاستظلال بالظل، وذلك أن هذه الأمور مشاق تتعب البدن وتؤذيه، وليس في شيء منها قربة إلى الله تعالى، وقد وضع عن هذه الأمة الأغلال التي كانت على من قبلهم "(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث: " أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً والجلوس في الشمس، ليس هو من طاعة الله فلا ينعقد به النذر، فإنه ﷺ أمر أبا إسرائيل بإتمام الصوم دون غيره، وهو محمول على أنه علم أنه لا يشق عليه، وأمره أن يقعد ويتكلم ويستظل"(٥)، بل نجد رواية صريحة تبين أنه ليس لله حاجة في تعذيب عباده، وإنما الهدف الأسمى من العبادة تزكية نفوس الناس، وصبغها بصبغة التقوى، التي هي غاية كل مؤمن، وذلك لما اجتهد رجل في أن يحج ماشياً على قدميه، تقرباً إلى الله ﷻ في زعمه، نبهه النبي ﷺ إلى المنهج الصحيح الذي شرعه لأمته، والذي يقرر أن الواقعية التي تتصف بها هذه الدعوة تؤكد أن تعذيب النفس ليس قربة، وليس مشروعاً في حد ذاته، «**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى**(٦) **بَيْنَ ابْنَيْهِ،**

---

(١) - أبو إسرائيل: رجل من بني عامر بن لؤي من بطون قريش. شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٩/٨١، وانظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١١/٥٩٠.

(٢) - وفي رواية أبي داود، والموطأ « مروه » بالجمع .

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لايملك وفي معصية، ج١١/٥٨٦، رقم ٦٧٠٤.

(٤) - شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٩/٨٢.

(٥) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١١/٥٩٠.

(٦) - يهادى: من المهاداة، وهو أن يمشي معتمداً على غيره. ابن حجر، فتح الباري، ج٤/٧٩.

قَالَ: مَا بَالُ هَذَا ؟ قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَـذَا نَفْسَـهُ لَغَنِـيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ»(١)، ومع تلك الدعوة إلى المثالية المنضبطة، فإننا لا نغفل ولا ننسى أنها واقعية أيضاً، لأنها تتعامل مع واقع الناس ومشكلاتهم وقضاياهم، فهي لم تأت لملائكة مطهرين، بل نزلت على بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، تراعي فطرهم وطاقاتهم، ولا تكلّف نفساً إلا وسعها، ففيها العزائم والرخص، وفيها الواجبات والمندوبات، وفيها المحظورات والضرورات، ولهذه الواقعية جاءت توجيهات الدعوة ميسرة، قابلة للتطبيق في مجالات الحياة كلها، وفي كل زمان ومكان(٢).

وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تبين ما تتسم به الدعوة من واقعية نستعرضها فيما يلي:

ففيما يتعلق بمراعاة واقع الإنسان وضعفه أمام شهوته وغضبه، نجد أن الدعوة بشرائعها وأوامرها ونواهيها، راعت ضعفه في نفسه وهمته وعزمه، بالتخفيف والتيسير، قال الله تعالى: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾(٣) وإن كان بعض المفسرين جنح إلى تقييد الضعف المذكور في الآية بضعفه أمام شهوة النساء(٤)، بيد أن الأظهر تعميم ذلك إظهاراً لمزية هذه الدعوة، وأنها أليق بالناس في كل زمان ومكان(٥)، وفي قول الله ﷻ: ﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾(٦)، قال الفخر

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب كتاب جزاء الصيد، باب من نذر المشي إلى الكعبة، ج٤/٧٨، رقم ١٨٦٥، وفي كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لايملك وفي معصية، ج١١/٥٨٥، ٥٨٦، رقم ٦٧٠١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة، ج٣/١٢٦٣، ١٢٦٤، رقم ١٦٤٢، ١٦٤٣.

(٢) - انظر: محسن عبد الحميد ، محاضرات في الثقافة الإسلامية ، ص ١٧، ١٨ .

(٣) - سورة النساء، الآية: ٢٨ .

(٤) - انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥/٢٩، وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٠/٥٧٢، وانظر :محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٥/٣٧ .

(٥) - انظر حول تفسير الآية: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥/٢٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٤٥٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥/١٤٩ .

(٦) - سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .

الرازي: " واعلم أن هذه الآية تدل على الأصل في المضار أن لاتكون مشروعة، لأن كل ماكان ضرراً كان إصراً وغلاً، وظاهر النص يقتضي عدم المشروعية، وهذا نظير لقوله ﷺ: « لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ »(١) في الإسلام، وهو أصل كبير في الشريعة "(٢)، وفي قول الله ﷻ: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾(٣) قال الثعالبي: " خبرُجزمٍ، نصَّ على أنه لا يكلف الله العباد من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف، وفي مقتضى إدراكه وبنيته"(٤)، وقال أبو السعود: " سنته تعالى أنه لايكلف نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها، دون مدى الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى" (٥)، والشهوة الجنسية التي هي من أعنف الشهوات في النفس البشرية، ومجرد القرب من دواعيها كاف للضعف أمامها، نجد واقعية الدعوة تتمثل في كونها لم تلغ التمتع بما أحله الله من النكاح، الذي هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإنما عمدت إلى تنظيمه وتنسيقه بما يتفق وطبيعة الإنسان الذي كرمه الله على الحيوان، قال الله ﷻ: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم

---

(١) - أخرجه مالك بن أنس في الموطأ، (ط:الثالثة،دار إحياء العلوم،بيروت،١٤١٤ هـ)، تقديم:الشيخ عارف الحاج، ترقيم:سعيد محمد اللحام،مراجعة:مصطفى قصاص، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق، ص ٥٦٦، رقم ١٤٦١، وأخرجه ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ج٢/٧٨٤، رقم ٢٣٤٠ وأخرجه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ)، ج٤/٣٦٣، رقم ٧٩٣٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ، كتاب البيوع، ج٢/٦٦ ، رقم ٢٣٤٥، وقال الحاكم: صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وصححه الألباني، انظر:محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، (ط:الثالثة،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ) ، رقم ٢٥٠، ج١/٤٤٣.

(٢) - تفسير الفخر الرازي، ج١٥/٢٨.

(٣) - سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن والمعروف بتفسير الثعالبي، (ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان)، ج١/٢٣٧، ٢٣٨.

(٥) - أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم والمسمى تفسير أبي السعود، (ط:الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ ، ج١/٢٧٦.وسترد الإشارة إليه فيما بعد باسم تفسير أبي السعود.

العادون﴾[١]، بل جعلت التعدد في النكاح هو الأصل كما في قول الله ﷻ: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[٢]، والنفس البشرية لها ملذاتها وشهواتها، التي جعلها الله غرائز في النفوس لحكمة يعلمها المولى الكريم ﷻ، فلم ينكر الإسلام تلك الغرائز، بل اعترف بها ووجهها، انظر إلى قوله ﷻ:﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[٣]، فالواقعية تتمثل في الاعتراف بها وتقريرها، وأن تلك الشهوات ليست شراً بذاتها بل هي خير، وأن الإنسان فطر عليها لحكم عظيمة، ولكن الله تعالى جعل في فطرته القدرة على التسامي والارتفاع على متطلباتها، حتى لا تذل نفسه بتلك الشهوات، بل يصبح مستعلياً عليها يتحكم فيها ولا تتحكم فيه[٤]، وأن يطمح ببصره إلى ماهو أبقى وأكمل، والمتمثل في قوله ﷻ:﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾[٥]، وقال الله ﷻ: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٦]وقال الله ﷻ: ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾[٧]، وقال رسول الله

---

(١) - سورة المؤمنون، الآيات: ٥ - ٧.

(٢) - سورة النساء، الآية: ٣ .

(٣) - سورة آل عمران، الآيتان: ١٤ .

(٤) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣/٢٤٦، ٢٤٨، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/١٨٠، ١٨١، ١٨٣، وانظر:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٣٣٢.

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٦) - سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٧) - سورة المائدة، الآية: ٦ .

ﷺ: «**فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[1]، ويشير الإمام النووي إلى عظمة هذا الحديث، وأنه من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع كلمه ﷺ، ويدخل فيه جوانب لاتحصى من أحكام الطهارة، والعبادات، وغيرها من الواجبات، فمن عجز عن بعض ما يجب عليه، فعل الممكن المتيسر وترك المتعسر، وبهذا تتجلى الواقعية في أبهى حللها[2].

واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع تستدعي تقسيمه على النحو التالي:

المطلب الأول: واقعية العقيدة.

المطلب الثاني: واقعية العبادة.

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج١٣/٢٥١، رقم ٧٢٨٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ج٢/٩٧٥، رقم ١٣٣٧

(٢) - انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩/١٠٢، ابن حجر: فتح الباري، ج١٣/٢٦٢ .

المطلب الأول: واقعية العقيدة

تتجلى واقعية العقيدة في كونها لاتربط الإنسان بآلهة متعددة تختلف بخصائصها، وتتوزع في وظائفها، ومن هنا نجد القرآن الكريم ينكر ذلك التصور السخيف، يقول الله ﷻ: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشِرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾[2]، وفي حديث القرآن عن الإله الحق ﷻ تتجلى الواقعية في لفت النظر إلى ماحولهم من الظواهر في جولة واقعية في عالم الكون والخلق، والحياة والأحياء والجمادات، في مثل قول الله ﷻ: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون *وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون *يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون *ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون *ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون * وله من في السماوات والأرض كل له قانتون * وهو الذي

---

(١) - سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٢) - سورة الأنبياء، الآيتان: ٢١، ٢٢.

يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم * ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾(١)، وهو مثل منتزع من واقع المدعوين، يدل على ذلك قوله:﴿مثلاً من أنفسكم﴾، أي: ليس ببعيد عنكم(٢)، والمعنى: كما قال الطبري:" مثّل لكم أيها القوم ربُّكم مثلاً من أنفسكم، هل لكم من مماليككم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا ملك جميعكم؟"(٣).

وتتجلى واقعية العقيدة في تأكيد بشرية الرسول ﷺ، والذي جاء بالدعوة أنه بشر ليس إلهاً ولا ابن إله ولا ملكاً، إنما هو إنسان له خصائص البشر وطبيعة البشر، لايتميز عنهم في شيء إلا بالوحي إليه، كما قال ﷻ: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾(٤)، والحكمة ظاهرة بحمد الله، إذ لو لم يكن كذلك لاعتذروا بعدم اتباعه، لأنه ليس من جنسهم، فلا يستطيعون التأسي به، وفي ذلك برهان على واقعية هذه الدين، بل لما تعنت خصوم الدعوة وربطوا إيمانهم بمعجزات يأتي بها، رد الله عليهم بأنه بشر مثلهم، ليس له أن يعمل شيئاً إلا بإذن الله جل وعلا، وأن المعجزات ليست من شأنه هو، إنما هي

---

(١) - سورة الروم، الآيات: ١٧ - ٢٨ .

(٢) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١/٨٥.

(٣) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢١/٣٨، وانظر:محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، (ط: الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ)ج٣/٤٧٨، رتبه وصححه:مصطفى حسين أحمد ، وانظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (ط: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ)، ج١/٣٧ .

(٤) - سورة الكهف، الآية: ١١٠.

بأمر الله جل وعلا، كما في قول الله ﷻ: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾[1]، أي: سبحانه أن يتقدم أحد بين يديه في أي أمر، بل هو الفعال لما يريد، إن شاء أجابكم إلى ما سألتم وإن شاء لم يجبكم، وما أنا إلا رسول مرسل إليكم، أقوم بتبليغ الرسالة والنصح لكم، وقد فعلت، وأمركم فيما سألتم إلى الله ﷻ [2].

ومن ملامح تلك الواقعية الدعوة إلى الإيمان بالآخرة، التي يجازى فيها الناس على أعمالهم، وما فيها من جنة ونعيم حسي ومعنوي للمحسنين، ومن نار تلظى وما فيها من عذاب حسي ومعنوي للمسيئين، يطابق واقع الإنسان من حيث هو جسم وروح، لكل منهما مطالبه وحاجاته[3]، قال ابن القيم – مبيناً جانباً من واقعية العقيدة –: " فإنه ﷻ له الأسماء الحسنى، فمن أسمائه الغفور الرحيم العفو الحليم الخافض الرافع المعز المذل المحي المميت الوارث الصبور، ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء، فاقتضت حكمته ﷻ أن ينزل آدم وذريته داراً يظهر فيها أثر أسمائه الحسنى، فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء، ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وينتقم ممن يشاء، ويعطي ويمنع ويبسط، إلى غير ذلك من ظهور أثر أسمائه وصفاته"[4]، وتلك بلا ريب مقوم من مقومات تلك الواقعية التي تدفع الإنسان للعمل الجاد المثمر، بل لعل هذا تفسير

---

(١) – سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ – ٩٣ .

(٢) – انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٦٣.

(٣) – للاستزادة انظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٦٢؛ حسن عبد الرؤوف البدوي، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص ٤٤٨ .

(٤) – مفتاح دار السعادة، ج١/٣ .

لما نجد في سنة الرسول ﷺ من تأكيد لمعنى الواقعية في أسماء الله وصفاته، «**فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١)، قال الحافظ ابن حجر في معنى من أحصاها: " أي من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها"(٢)، وقال ابن بطال: " طريق العمل بها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها، كالرحيم والكريم، فإن الله يحب أن يرى حُلاَهَا على عبده، فليمَرِّن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله تعالى كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، فهذا معنى أحصاها وحفظها، قال الحافظ ابن حجر: والذي ذكره مقام الكمال"(٣)، وقال الأصيلي: " ليس المراد بالإحصاء عدُّها فقط، لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العمل بها"(٤).

وقال الإمام الشاطبي – مبيناً واقعية العقيدة –: " التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها، ليسعه الدخول تحت حكمها، أما الاعتقادية – بأن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور، من كان منهم ثاقب الفهم أو بليداً – فإنها لو كانت مما لايدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامة، ولم تكن أمية، وقد ثبت كونها كذلك ؛ ولو لم تكن كذلك لزم بالنسبة إلى الجمهور تكليف ما لايطاق، وهو غير واقع، ولذلك تجد الشريعة لم تعرِّف من الأمور الإلهية إلا بما يسع فهمه، وأرجأت غير ذلك فعرفته بمقتضى الأسماء والصفات، وحضت على النظر في المخلوقات،

---

(١) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الاقرار، ج٥/ ٣٥٤، رقم ٢٧٣٦، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، ج١١/ ٢١٤ رقم ٦٤١٠، كتاب التوحيد، باب أن لله مائة اسم إلا واحدة، ج١٣/٣٧٧، رقم ٧٣٩٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكروالدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ج٤/ ٢٠٦٢، رقم ٢٦٧٧.

(٢) – فتح الباري، ج١١/ ٢٢٥ .

(٣) – المصدر السابق، ج١١/ ٢٢٦ ، ج١٣/ ٣٧٨ .

(٤) – المصدر السابق، المدرك ذاته.

إلى أشباه ذلك، وأحالت فيما يقع فيه الاشتباه على قاعدة عامة، وهو قوله ﷻ: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[١]، وسكتت عن أشياء لاتهتدي إليها العقول"[٢].

إن وضوح هذه العقيدة وواقعيتها له أثر في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، فهذا رجل يدعى ركويل[٣] يقول: " لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها"[٤] ومهتد آخريقول:"إن ما أعجبني في الإسلام ومازال يعجبني هو أسلوبه المنطقي، فلا يطلب إليك الإيمان بشيء قبل أن تدركه وتعرف أسبابه"[٥]، وتلك الواقعية التي تتصف بها الدعوة، كشفت عوار المذاهب الباطلة، وبينت مافيها من انحراف عقدي لايقبله العقل السليم، يتضح ذلك من موقف أحد المهتدين الذين اقتنعوا بدعوة الإسلام، ولم يقبل بما يسمى بفكرة التثليث المقدس في الكنيسة، وهو الاعتقاد بأن الله ثالث ثلاثة هو الأب والابن وروح القدس، وأعجبه واقعية القرآن في تقرير هذه القضية كما في قوله ﷻ: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾[٦]، كما لفت نظره واقعية الإسلام في الجزاء، وأنه لاتزر وازرة وزر أخرى، ولا تكسب كل نفس إلا عليها، بخلاف ما في النصرانية المحرفة التي اختلط فيها بعض الحق بكثير من الباطل، إن تلك الرؤية المعتمدة على المقارنة والتحليل قوّتْ دوافع الاستجابة في نفسه، وجعلته يقبل على الدعوة إقبال الأرض الظامئة على الماء[٧].

---

(١) - سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) - الموافقات، ج٢/٦٧، ٦٨ .

(٣) - دونالد ركويل: محمد عبد الله من مواليد تيلور فيل، بالولايات المتحدة الأمريكية، تلقى تعليمه في مدرسة سبرنج فيلد العليا بواشنطن، ثم أتم دراسته في جامعات واشنطن وكولومبيا، ونال جوائز علمية كثيرة، وهو شاعر وأديب اعتنق الإسلام. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ١٨٢.

(٤) - عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ١٨٢ .

(٥) - لماذا أسلمنا، ص ٢٢٧ .

(٦) - سورة المائدة، الآية: ٧٥ .

(٧) - انظر: عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ٧/ ٣٦، ٣٧.

المطلب الثاني: واقعية العبادة

تتضح وتتجلى واقعية العبادة في الجمع بين أمور الدنيا وأمور الآخرة ، بين التمتع بما أحله الله من الطيبات وبين التطلع إلى ما عند الله من النعيم المقيم كل ذلك في واقعية تراعي طاقة الإنسان وتنفي عنه الحرج في القيام بالتكاليف دون إخلال بحاجات الجسم الضرورية، انظر إلى قول الله ﷻ في بيان طبيعة هذا الدين: ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**﴾[1]، وقال الله ﷻ: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[2]، وقد أشار محمد رشيد رضا إلى أن حذف المتعلق في الآية يؤذن بالعموم وهو نفي الحرج من الدين كله، وأن المقصود بالحرج هنا هو المشقة والضيق فيما ضرره أرجح أو أكبر من نفعه، كالامتناع من سد الرمق بلحم الميتة أو الخنزير أو الخمر لمن لا يجد غيرها، وليس مشقة الجهاد وما يستلزمه من جهد وبذل من الحرج المنفي، ذلك لأن الإنسان لايصعد إلى معالي الأمور ولا يبلغ مستوى كماله إلا على جسر من التعب والمشقة، بيد أنها مشقة تعود على الناس بالفائدة،[3] ويمكن تبيان مظاهر واقعية العبادة من خلال النقاط التالية:

أولاً: بناء أحكامها المعينة على التيسير، ومراعاة غالب الأحوال للمكلفين، فللإنسان ظروفه الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، وما يتطلبه ذلك من طلب المعيشة. فلم يفرض عليه الانقطاع في دير للعبادة، وترك السعي في الأرض، بل شرع له عبادات محددة في كيفيتها وزمنها، يؤديها على وجهها المشروع بحيث لا تقطعه عن دنياه.

ثانياً: بنيت الشريعة في أحكامها على التيسير، من الصعوبة إلى السهولة ومن العسر

---

(١) - سورة المائدة، الآية: ٦ .

(٢) - سورة الحج، الآية: ٧٨ .

(٣) - انظر: تفسير المنار، ج٦/٢٦٩، ٢٧٠ .

إلى اليسر، فيما يعرض للناس من أحوال عارضة، قال الله ﷻ: ﴿ **إلا ما اضطررتم إليه**﴾[١]، وقال الله ﷻ: ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**﴾[٢]، ومن هنا جاءت القاعدة المشهورة " المشقة تجلب التيسير"[٣].

ثالثاً: اعتماد القصد في العبادة ونبذ الغلو، مراعاةً للطبيعة الملولة في الإنسان، وتنويع العبادات وتعددها في صورها وألوانها، فمن عبادات قلبية كالإيمان وما يستلزمه من الأحوال كالخوف والرجاء، والخشية، والإنابة، والتوكل، إلى عبادات بدنية، كالصلاة والصيام، وإلى عبادات مالية كالزكاة والصدقات، وأخرى تجمع بين البدن والمال كالحج والعمرة، وتلك العبادات منها اليومي كالصلاة ومنها السنوي كالصيام والزكاة، ومنها مرة واحدة في العمر كالحج، وفتح باب التطوع للراغبين، والعبادات بتلك الصورة المذكورة علاج للملل في الإنسان،ودعوة لممارسة العبودية لله ﷻ على أي حال، قال حجة الله الدهلوي: " اعلم أن أدوأ الداء في الطاعات ملال النفس، فإنها إذا ملت لم تنتبه لصفة الخشوع، وكانت تلك المشاق خالية عن معنى العبادة"[٤]

---

(١) - سورة الأنعام، الآية: ١١٩ .

(٢) - سورة البقرة، الآية: ١٧٣ .

(٣) - انظر: محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (ط: الدار التونسية، للنشر والتوزيع)، ص ١٢٤. وانظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١/١١٥، وانظر: أحمد بن محمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية، (ط: الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٤١٤ هـ)، ص ١٥٧.

(٤) - أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، حجة الله البالغة، (ط: الثانية، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٣ هـ)، ج٢ ٥٣. وانظر: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٦٤.

ويشير الإمام الشاطبي إلى بعض مظاهر الواقعية في العبادة، ويضرب لذلك أمثلة تدلل على تلك المعاني، ومن أمثلة ذلك أن الله ﷻ حينما كلف عباده بالعبادات ربطها بعلامات تقريبية يعرفونها، وهي من المحسوسات المُشاهَدة لهم، فأوقات الصلوات عرفها "بالظِّلال، وطلوع الفجر، وغروبها، وغروب الشفق،.. ولم يطالبنا بحساب مسير الشمس مع القمر في المنازل، كما أجرى لنا غلبة الظن في الأحكام مجرى اليقين، وعذر الجاهل فرفع عنه الإثم، وعفا عن الخطأ، إلى غير ذلك من الأمور المشتركة للجمهور" (١)، والشريعة "وضعت العبادات على وجه لاتخرج المكلف إلى مشقة يملُّ بسببها، أو إلى تعطيل عاداته التي يقوم بها صلاح دنياه، ومن هنا كان نزول القرآن، نجوماً في عشرين سنة، ووردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً ولم تنزل دفعة واحدة ؛ وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة"(٢)، ومن شواهد واقعية العبادة في السنة النبوية ما جاء « **عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٣)، قال ابن حجر: " فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل، بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه"(٤)، ثم قال رحمه الله: " وطريقة

---

(١) - الموافقات، ج٢/٦٨، ٦٩.

(٢) - المصدر السابق، ج٢/٧١.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج٩/١٠٤، رقم ٥٠٦٣. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج٢/١٠١٨، رقم ١٤٠١.

(٤) - فتح الباري، ج٩/١٠٥، وانظر، شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،

=

النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل"(١)، وقد بين رحمه الله أن " الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة، وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط"(٢)، ومن الشواهد أيضاً أن الإنسان بطبيعته خطاء غير معصوم، فلم تتجاهل الدعوة هذا الواقع بل اعترفت به، كما في الحديث الذي رواه « **أَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(٣)، بل إن في وقوع العبد في المعصية ورجوعه إلى الله بعدها تأكيد لمعنى العبودية، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ** »(٤)، وليس معنى ذلك الدعوة إلى الاسترسال في الذنوب كما يفهم بعض المغترين، بل إن مهمة الأنبياء عليهم السلام تحذير الناس من ذلك، وإنما مقصود الحديث الترغيب في التوبة، وتأكيد معنى الواقعية المتمثل في عدم تجاهل واقع الإنسان، الذي خلقه الله بهذه الطبيعة الميالة إلى الهوى، ثم كلفه التوقي والحذر، وعرفه على التوبة بعد الابتلاء، فمن وفى فأجره على الله، وإن أخطأ فالتوبة بين يديه(٥)، ومن هنا كان من صفات المتقين الفائزين ما جاء في قول الله ﷻ - مبيناً صفات

=

(الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ)، ج٣٣٤/١١ .

(١) - فتح الباري، ج١٠٥/٩.

(٢) - المصدر السابق، ج١٠٦/٩.

(٣) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٤٩، ج٦٥٩/٤، رقم ٢٤٩٩ وابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ج١٤٢٠/٢، رقم ٤٢٥١وأحمد في المسند، ج٧٧/١١، رقم ١٢٩٨٣، قال حمزة الزين: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والانابة، ج٢٧٢/٤، ٢٧٣ ، وقال صحيح الاسناد و لم يخرجاه، وأخرجه الدارمي في سننه، باب في التوبة، ج٣٩٢/٢، رقم ٢٧٢٧. قال ابن حجر في بلوغ المرام: وسنده قوي، انظر: سبل السلام ج١٥٦٢/٤، رقم ١٣٩٠، (ط: دار الجيل، بيروت)، وحسنه الألباني . صحيح الجامع، ج٨٣١/٢ ، رقم ٤٥١٥. وانظر: صحيح سنن ابن ماجة، ج٤١٨/٢، رقم ٣٤٢٨.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، ج٢١٠٦/٤، رقم ٢٧٤٩.

(٥) - انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج١٩٣/٧.

المتقين -: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[١]، إن تلك النماذج تعبر عن واقعية هذه الدعوة، وإن ما جاءت به من عبادات واقعية كانت سبباً في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين، يدل على ذلك شواهد من الواقع، ومنها قصة امرأة مهتدية لما سُئِلت عن سبب إسلامها قالت: " ولو أن أحداً سألني عن أهم جانب في الإسلام اجتذبني، لأجبت: إنها الصلاة، لأن الصلاة في المسيحية لاتعدو أن تكون دعاءً لله بواسطة المسيح عيسى عليه السلام، أما في الإسلام فهي ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه"[٢]،وهذه مهتدية أخرى أدركت حقيقة الدعوة، وما تتضمنه من أحكام وعبادات واقعية، تهدف إلى تحقيق العبودية لله رب العالمين، وذلك بعد رحلة طويلة من البحث والمعاناة، حيث سارت إلى كثير من البلدان الإسلامية، استكشافاً لكثير من المعتقدات الدينية، فانضمت إلى قافلة المهتدين بعد أن اختلطت بالمسلمين ورأت واقعية هذه الدعوة، فقالت معبرة عن شعورها ذاك: "وجدت أن تعاليم الإسلام عبارة عن تعاليم واقعية إيجابية، لا تسعى إلى إيجاد صراع خاطىء بين الجسد والروح، أو تتخذ موقفاً معادياً من حياة الناس العادية، وما تحمله في طياتها من فرص كثيرة للاجتهاد والنظام الروحي، فالإسلام ينظر إلى الحياة بكل أجزائها على أنها فرصة لعبادة الله والتوجه الكامل إليه ﷻ "[٣]، ومهتدية أخرى تتحدث عن سبب إسلامها واستجابتها للدعوة، وتبين أن واقعية العبادة وإشباعها للجانبين المادي والروحي في حياة الإنسان هو ما قوى دوافع الاستجابة لديها، فتقول: "إن الإسلام يجعل المرء يشبع حاجاته الروحية والمادية على حد سواء، في توازن يضمن تطور عقلية ثقافية مبدعة"[٤]، وهذا طبيب فرنسي كان نصرانياً فتحول إلى الإسلام، لما رأى ما يتميز به الإسلام من واقعية تراعى فيها الطبيعة البشرية، يقول متعجباً - وهو يقارن بين الدعوة

---

(١) - سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦ .

(٢) - لماذا أسلمنا، ص ١٣٦.

(٣) - عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ٤/٧٤.

(٤) - المرجع السابق، ح٤/١٠٧ .

الإسلامية والنصرانية - " إن المسيحية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينفرد بمراعاة الطبيعة البشرية"[1]، وهكذا تبين لنا في هذا المبحث جوانب من واقعية العقيدة والعبادة في الدعوة، وأثرذلك في تقوية دوافع الاستجابة في نفوس المدعوين.

(١) - لماذا أسلمنا، ص ٨٠.

الفصل الثاني: دوافع الاستجابة في الداعية

المبحث الأول: إخلاص الداعية (الإخلاص).

المبحث الثاني: العلم

المبحث الثالث: مراعاة أحوال المدعوين.

المبحث الرابع: الحرص على هداية الآخرين.

المبحث الخامس: الدعوة المقرونة بالعمل.

المبحث السادس: حسن التعامل مع المدعوين.

المبحث الأول: إخـــلاص الداعية

الإخلاص هو لب العمل، وروحه، وهو الذي عليه مدار العمل، ومن شروط صحة العمل أن يتوافر فيه عنصرا الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ، والدعوة إلى الله ﷻ دعوة إلى سبيله يجب فيها إرادة وجه الله والدار الآخرة، إذ هي من أفضل الأعمال وأجل القربات، قال تعالى﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾(١)، وكان شعار الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين ما حكاه الله عنهم بقوله ﷻ: ﴿**وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين**﴾(٢).

ولعله يحسن قبل الدخول في الحديث عن هذا الأمر المهم تعريف الإخلاص في اللغة و الاصطلاح.

أولاً: في اللغة:

للإخلاص في اللغة معان عديدة منها: الإمحاض، وعدم الشوب، ومنها: النجاة والسلامة، ومنها: الوصول، يقال: خلص إلى الشيء: وصل إليه، قال في اللسان: خلصَ الشيء بالفتح يخلص خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم؛ وأخلص لله دينه: أمحضه.. والمخلِص الذي وحَّد الله تعالى خالصاً ؛ والمخلَص: الذي أخلصه الله وجعله مختاراً خالصاً من الدنس، والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء(٣)، "والإخلاص: الإمحاض، وعدم الشوب بمغاير، وهو يشمل الإفراد"(٤).

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩

(٣) ابن منظور: لسان، مادة، (خلص) ج ٧ /٢٦.

(٤) - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج٢٣ /٣١٦.

ثانيا: في الاصطلاح:

عرف ابن القيم الإخلاص بأنه: " إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة...وأنه تصفية العمل من كل شوب"(١)، وعرف الغزالي الإخلاص بأنه:"تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب " وقال: " الخالص ما صفا عن جميع الآفات"(٢)، وقال الرازي: " الإخلاص هو القصد في العبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده"(٣)، وقال الراغب الأصفهاني: " الخالص كالصافي، إلا أن الخالص هو مازال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه... وحقيقة الإخلاص التبرؤ عن كل ما دون الله"(٤).

وبالتأمل في المعنيين اللغوي والاصطلاحي يظهر التوافق بينهما، فالمعنى اللغوي للإخلاص: السلامة من الشوائب وهو الإمحاض، وفي المعنى الاصطلاحي: الإخلاص أن يتمحض العمل لوجه الله تعالى، ويتخلص من كل شائبة تعكر صفوه.

وللأستاذ عبد الرب نواب الدين تعريف للإخلاص قال فيه بأن الإخلاص:"أن يقصدوا - أي: الدعاة – بعملهم وأقوالهم ومواعظهم ومساعيهم وسائر تصرفاتهم وجه الله تعالى وحده، لا رياءً ولا سمعةً ولا مصانعةً ولا مداهنةً، ولا طلباً للعرض الزائل ولا توخياً للمصالح والمنافع الشخصية، والمطالب

---

(١) – ابن القيم، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ط: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ)، ج٢/٩١، ٩٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.

(٢) – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤/٥٨٠ –٥٨٣ (ط:دار الحديث، تحقيق: سيد ابراهيم القاهرة ١٤١٤هـ)، وانظر: محمد جمال الدين القاسمي، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ج٢/٣٥٦ (ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر)، وانظر:التحرير والتنوير، ج ٢٣ /٣١٦.

(٣) – فخر الدين محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي ج٢١ /٢٣٢.

(٤) – الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (خلص)، ص ١٥٤، ١٥٥، وانظر: محمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مختصرمنهاج القاصدين، ص٣٦٦، (ط:مكتبة البيان ١٣٩٨ هـ، تعليق شعيب الارنؤوط)

الدنيوية"[١].

وبالنظر في هذا التعريف يلاحظ أنه تعريف جامع غير أنه طويل، وعلى هـذا فإن ما أورده ابن القيم في تعريف الإخلاص يصلح اعتماده لأنه يعد جامعـاً مانعـاً، لاطول فيه حيث عرفه بأنه: " أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة...وأنه تصفية العمل من كل شوب"[٢].

حقيقة الإخلاص:

من خلال تعريـف الإخـلاص تبـين لنـا أن الإخـلاص هـو انصـراف القلـب إلى الله والتبرؤ عن كل ما سـواه. قـال ابـن القيـم متحدثـاً عـن المخلصـين " فأعمـالهم كلهـا لله، وأقوالهم لله، وعطـاؤهم لله، ومنعهـم لله، وحبهـم لله، وبغضهـم لله، فمعـاملتهم ظـاهراً وباطناً لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جـزاءً ولا شـكوراً، ولا ابتغـاء الجـاه عندهم، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هرباً من ذمّهم، بـل عـدُّوا النـاس بمنزلـة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً "[٣].

ويضيف ابن عاشور معنى جديداً حينما بَيَّن أن الإخلاص في أمر ما هو: " الإتيان به غير مشوب بتقصير ولاتفريط ولاهوادة"[٤]، ومعنى ذلك الاجتهاد والنصيحة فيه وأداؤه على الوجه الأكمل الذي يجلب مرضاة الله ويدفع سخطه، والإخلاص وضده محلـه القلـب، ويكـون ذلك في المقاصد والنيات، والنية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد[٥]، ومعنـى النية والإرادة والقصد: انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض، إما في الحال أو في المآل[٦].

ونخلص مما سبق إلى أن حقيقة الإخلاص هي ما يقوم بالقلب عند القيام بـالعمل وفي

---

(١) - عبد الرب نواب الدين،صفات الدعاة، ص٣٧ (ط: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ).

(٢) - ابن القيم ، مدارج السالكين ج٢/٩١،٩٢.

(٣) - ابن القيم، مدارج السالكين، ج١/٨٣.

(٤) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦/١٢٦.

(٥) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤/٥٨د.

(٦) - المصدر السابق، المدرك ذاته.

أثنائه، من إرادة وجه الله ﷻ دون الالتفات إلى المخلوقين، مع مراعاة الشعور بالمسؤولية، وبذل أقصى غاية الجهد لإتقان العمل وإحسانه.

والمتأمل في نصوص الكتاب و السنة يلحظ كثرة النصوص التي تناولت موضوع الإخلاص، وذلك لمكانته العظمى من الدين، فقد وردت مادة الإخلاص في القرآن الكريم في نحو عشرين مرة، يغلب عليها الأمر بالإخلاص والحث عليه، ومدح المخلصين واستثناؤهم من غواية الشيطان، على أن الإخلاص ورد في كتاب الله ﷻ في مواطن كثيرة جداً، وإن لم تستعمل مادته نفسها، وإنما تستعمل كلمة الإرادة والابتغاء، فقد وردت كلمة الإرادة بمعنى الإخلاص في أحد عشر موضعاً، وورد لفظ الابتغاء بمعنى الإخلاص في خمسة عشر موضعاً، والنية يتكرر ذكرها في كلام النبي ﷺ تارة بلفظها، وتارة بلفظ الإرادة، وتارة بلفظ مقارب لذلك، ويعبر عنها في القرآن بلفظ الابتغاء [١].

أما أحاديث الرسول ﷺ فقد أفاضت في الحديث عن أهمية النوايا والمقاصد في الأعمال، وبينت أن شأنها في الإسلام عظيم، كما جلّت بوضوح عواقب الإخلاص وثماره ونواقضه، أما نصوص القرآن التي تناولت موضوع الإخلاص فمنها قول الله ﷻ: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ [٢]، وقوله ﷻ: ﴿ **قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون** ﴾ [٣]، وقوله ﷻ: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [٤]، وقوله ﷻ: ﴿**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ [٥]، وقوله ﷻ: ﴿**إنا أنزلنا**

---

(١) - انظر: عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي المشهور بابن رجب. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. (ط: الاولى. بيروت، ١٤١١ هـ). ج:١،ص٦٦. تحقيق: شعيب الارنؤوط وابراهيم باجس .

(٢) - سورة البينة، الاية: ٥.

(٣) - سورة الاعراف، الاية: ٢٩.

(٤) - سورة الفاتحة، الاية:٤.

(٥) - سورة ص: الاية: ٨٣.

إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيماً﴾[٤]، وقوله ﷻ: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيماً﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون * إلا عباد الله المخلصين﴾[٦]، وقوله ﷻ: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[٧]، وقوله ﷻ: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[٨]، وقوله ﷻ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾[٩]، وقال ﷻ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[١٠]، وقال ﷻ: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾[١١]، وقال ﷻ: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

---

(١) - سورة الزمر، الاية: ١، ٢.

(٢) - سورة الزمر، الاية: ١١.

(٣) - سورة غافر، الاية: ٦٥.

(٤) - سورة النساء، الاية: ١١٤.

(٥) - سورة النساء، الاية: ١٤٦.

(٦) - سورة الصافات، الاية: ٤٠.

(٧) - سورة الكهف، الاية: ١١٠.

(٨) - سورة هود، الاية: ٧.

(٩) - سورة الشورى، الاية: ١٣.

(١٠) - سورة ص، الاية: ٨٦.

(١١) - سورة المؤمنون، الاية: ٥٩

فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾[١].

أما أحاديث الرسول ﷺ ففي الصحيحين والسنن وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:« **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** »[٢]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع:« **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ، إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ** »[٣] وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: « **إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلاازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً..**»[٤]، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»[٥].

---

(١) -سورة الاسراء،الاية:١٩

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخارى مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ج١/٩ حديث رقم: ١، كتاب الايمان، باب ماجاء أن الاعمال بالنيه والحسبه ولكل امرىء مانوى، ج١/١٣٥، رقم: ٥٤، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه ج٥/ ١٦٠ رقم:٢٥٢٩. كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينه ج٧/٢٢٦. رقم: ٣٨٩٨. كتاب النكاح، باب من هاجر أوعمل خيرا لتزويج امرأة فله مانوى ج٩/ ١١٥. رقم: ٥٠٧٠. كتاب الايمان والنذور، باب النية في الايمان، ج١١/٥٧٢، رقم:٦٦٨٩ كتاب الحيل، باب في ترك الحيل وأن لكل امرىء مانوى في الايمان وغيرها، ج١٢/٣٢٧، رقم: ٦٩٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الامارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الاعمال بالنيه وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الاعمال ج٣ / ١٥١٥، رقم: ١٩٠٧.

(٣) - أخرجه الترمذى في سننه ،ج٥ / ٣٤ رقم:٢٦٥٨، وأخرجه الامام أحمد، في مسنده، ج١١/١٥٥، رقم ١٣٢٨٣، قال حمزة الزين: إسناده حسن، وانظر الفتح الرباني بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبدالرحمن البنا ج٢٣/ ٤٥ ط:دار الشهاب القاهرة وأخرجه البزار باسناد حسن وصححه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ج١/٥ (ط:الثانية، المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ).

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ج ٣/١٢٥١، رقم: ١٦٢٨.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الاقامة. ج ٦/ ١٣٦، رقم ٢٩٩٦.

وقالﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**»(١)، وقالﷺ:« **إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ** »(٢)، وعن معاذ ﷺ قَالَ: «**كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** »(٣)، وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: « **إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا إِلا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(٤)، وعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:« **إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»(٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** »(٦).

واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع ستكون على النحو الآتي:

المطلب الأول: مكانة الإخلاص في الدعوة.

المطلب الثاني: ثمار الإخلاص.

المطلب الثالث: نواقض الإخلاص.

المطلب الرابع: آثار ترك الإخلاص.

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، ج ٤/٢٢٧٧، رقم: ٢٩٦٥.

(٢) - أخرجه النسائي، سنن النسائي ج٦ /٤٥، رقم ٣١٧٨، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح، ج٦/٨٨، رقم ٢٨٩٦.

(٣) -أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، ج٦/٥٨، رقم: ٢٨٥٦ وأخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الايمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ج١/٥٨، رقم ٣٠.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، ج٦/ ٤٦، رقم ٢٨٣٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الامارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، ج٣/ ١٥١٨، رقم:١٩١١.

(٥) - أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب النية، ج٢/١٤١٤، رقم: ٤٢٢٩، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجة، ج٢/٤١٤.

(٦) - صحيح مسلم ج٤/١٩٨٦ حديث رقم:٢٥٦٤ وانظر: سنن ابن ماجة ج٢/ ١٣٨٨حديث رقم: ٤١٤٣.

المطلب الأول: مكانة الإخلاص في الدعوة

لأهمية الإخلاص البالغة؛ أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتحقيقه في حياته كلها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[١] ولايقبل الله من العمل إلا ما أريد به وجهه، قال الحافظ بن كثير في قوله: ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ " أي: ماكان موافقاً لشرع الله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وهو الذي يراد به وجه الله تعالى وحده لاشريك له، وهما ركنا العمل المتقبل فلابد أن يكون خالصاًلله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ "[٢]، والعمل الدعوي الذي تكون له ثمرته في الدنيا والآخرة هو ماتحقق فيه الإخلاص والمتابعة، وهذا يفرض على الدعاة تحقيق صلاح النية في توجههم ومقاصدهم، وأن يتحروا الأساليب المشروعة في تبليغ دعوتهم، وقد جلّت الآيات الكريمة حقيقة مهمة هي أن الميزان ليس بكثرة العمل وتنوعه، ولابكثرة صنوفه وألوانه ؛ ولذا لم يقل سبحانه:ليبلوكم أيكم أكثر عملاً[٣]، وإنما قال: ﴿ أحسن عملاً ﴾، أي: أخلصه وأصوبه[٤]، ومن هنا كان الإخلاص وصية الله لعباده كما ذكر أبو العاليه في قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً ﴾[٥] قال: " وصاهم با لإ خلاص في عبادته"[٦].

والإخلاص فرقان مابين المؤمنين والمنافقين، وطريق للتخلص من النفاق، وشرط

---

(١) - سورة الزمر، الاية: ١١.

(٢) - تفسير القرآن العظيم ج٣/١٠٦، وانظر: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفى ج٣/٢٧ ط: دار الكتاب العربي بيروت.

(٣) - انظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٣ /١١ ط:عالم الكتب بيروت.

(٤) - انظر: تفسير ابن كثير ج٤ /٣٩٦، وانظر: جامع العلوم والحكم ج١/٧٢

(٥) - سورة الشورى، الاية: ١٣.

(٦) - فتح الباري، ج١/١١.

لصحة الإيمان ورسوخه[١]، قال الله ﷻ: ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾[٢].وفي قوله ﷺ: " **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** " تأكيد على أهمية النوايا والمقاصد؛ إذ هي لب العمل، وروحه التي إذا غابت عنه و لم تقارنه فقد الحياة وذهب نوره وتلاشت بركته. قال الإمام النووي:"إنما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفي ماسواه، فتقدير هذا الحديث أن الأعمال تحسب بنية ولاتحسب إذا كانت بلانية"[٣] وقد دلت الجملة الأولى على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية على أن ثواب العامل وعقابه بحسب نيته إن خيراً فخير وإن شراً فشر[٤]، وهذا الحديث من أعظم ماورد عنه ﷺ حيث عدَّه بعض أهل العلم ثلث الإسلام، وأنه يدخل في سبعين باباً من الفقه[٥]؛وذلك لأن أعمال المكلفين لاتتحقق ولاتكون إلا بالنية[٦].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي أنه قال في حجة الوداع:« **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ، إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ** »[٧]،قال الإمام ابن القيم – معلقاً على تلك الصفات الثلاث –: " إنها تنفي الغل والغش وهو فساد القلب وسخايمه، فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة ؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى

---

(١) – انظر: عبد الرب نواب الدين، صفات الدعاة ص٣٨ .

(٢) – سورة النساء، الايتان:١٤٥،١٤٦.

(٣) – صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣/٥٤، ٤٩.

(٤) – انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم ج١/٦٥.

(٥)– ابن حجر، فتح الباري ج١/١١، وانظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ج١/٦١.

(٦) – سنن النسائي ج١/٥٨ .

(٧) – انظر: تخريج الحديث، ص ١٠٣.

مرضاة ربه، فلم يبق فيه موضع للغل والغش كما قال ﷻ: ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾[١]، ولاشك أن طهارة قلب الداعية يعد مرحلة ضرورية في الصياغة التربوية له، إذ إن القلب هو الموجه للسلوك، وهو المرآة الصافية التي تعكس حقائق الإسلام وأخلاقه على الجوارح؛ وسر نجاح الداعية في مهمته إخلاصه لله تعالى، وتجرده عن المطامع الدنيوية، وطهارة قلبه، وبتحقيقه لتلك الصفات تغزو دعوته القلوب، وتقوى دوافع الاستجابة لدى المدعوين، والداعية " إنما يكون مقبول القول إذا كان خالياً عن الأغراض الدنيوية، فإذا كان لشيء من الأغراض لم ينجع قوله في القلب"[٢].

وا ستمرارالداعية ومثابرته وثباته على الدعوة، وعدم تركها لأي سبب من الأسباب دليل على إخلاصه وتجرده، كما كان نوح عليه السلام يواصل جهوده في دأب وإخلاص كما قال الله ﷻ عنه: ﴿ **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ** فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ** وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ** ثم إني دعوتهم جهاراً **ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . الآيات** ﴾[٣].

ومن مقتضى الإخلاص أن يفرح الداعية بهداية الناس ولو تحقق ذلك على يد غيره، أما إذا أحس في نفسه الغيرة ونوازع الأثرة فإن حرارة الإخلاص تنطفئ، وأثره يضمحل، ويصبح الداعية عاملاً لنفسه وهواه لا لوجه الله ﷻ الذي لا يقبل من العمل إلاما ابتغي به وجهه[٤].

---

(١) - مفتاح دار السعادة لابن القيم ج١/٧٢، سورة يوسف الاية:٢٤.

(٢) فخر الدين الرازي، تفسير الفخرالرازي ج٤/٩٧.

(٣) -سورة نوح الايات: ٥ - ٩.

(٤) - انظر: محمد الغزالي، خلق المسلم ص ٧٢ (ط: دار القلم دمشق ١٤٠٥هـ).

ومن مقتضى الإخلاص اختيار الأسلوب الأمثل في الدعوة، وذلك نابع من حرص الداعية على استجابة المدعوين، فيختار من الأساليب أرفقها، ومن الكلام أطيبه، حتى يؤلف القلوب النافرة، ويجمع النفوس الشاردة. قال ﷻ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"[٢]، والإخلاص شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة الإخلاص في الدنيا كذلك[٣]، ومن هنا كان على الداعية إخلاص النية حتى يجعل الله في عمله البركة والقبول، ويكون اليسير من أعماله أفضل من الكثير الذي لا تصاحبه نية صالحة[٤]، وألا يغتر بكثرة غدوه ورواحه فإنها ستكون هباء ً منثوراً إذا فقدت عنصر الإخلاص، وعمل الإنسان عند الله ﷻ محسوب لا يضيع " فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد، كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياءً، وإن تكلم لأجل الله ﷻ مخلصاً له الدين، كان من المجاهدين في سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل"[٥]، ولقد كان السلف رحمهم الله حريصين على الإخلاص والوصية به لأنه روح العمل. قال الإمام الذهبي: "ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه فليصمت، وأن أعجبه

---

(١) - سورة آل عمران الاية:١٥٩.

(٢) - شيخ الإسلام ابن تيميه، الفتاوى ج١٠/٤٩.

(٣) - انظر: ابن القيم فى الفوائد ص ١٨٤ (ط: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ بيروت).

(٤) - انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدى، الحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، (ط: الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)،ص ٢٠٩.

(٥) - ابن تيمية فى الفتاوى ج ٢٨/٢٣٥.

الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه فإنها تحب الظهور والثناء"[١]، وقال: " علامة المخلص الذي قد يحب شهرة ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك لايحرد[٢]ولا يبرئ نفسه بل يعترف"[٣].

وإذا كانت تلك نظرة السلف الصالح إلى الإخلاص فإن الدعاة اليوم هم أحوج الناس إلى تحقيق هذا المعنى في نفوسهم، ذلك أن واقع المسلمين اليوم وما أصاب الحياة الإسلامية من اعوجاج، يستدعي من الدعاة إخلاصاً ينقلهم من التعلق بمتاع الأرض إلى التطلع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، كما كان الصحابة ﷺ الذين كانت انطلاقة هذا الدين الأولى على أيديهم رضي الله عنهم، ومما يعيق تحقيق الإخلاص في حياة الداعية ركونه إلى الحظوظ الدنيوية التي تميل إليها النفس، وبالتالي يتكدر صفو العمل ويضعف إخلاصه، والإنسان مرتبط بحظوظ نفسه وشهواته لا ينفك عنها، وتحقيق الإخلاص يكون بكسر تلك الحظوظ، ومجاهدتها حتى يغلب على القلب حب الآخرة[٤]، ومن ثَمَّ يسهل الإخلاص.

وخلاصة هذا المطلب أن الإخلاص ذو أهمية كبيرة، وأنه صفة المرسلين والدعاة الصادقين، وأنه ضروري للدعاة في كل جيل إذا أرادوا النجاح في تبليغ الدعوة.

---

(١) - انظر: محمد بن أحمد الذهبي، سيرأعلام النبلاء (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي)ج٤/٤٩٤. وانظر: الحافظ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ط: مكتبة المعارف الرياض تحقيق محمود الطحان ١٤٠٣ هـ)ج١/ ٣٣٨.

(٢) - حرد الرجل، فهو حرد: إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهم به، والحَرد: الغيظ والغضب.
ابن منظور، اللسان، مادة (حرد)، ج٣/١٤٥.

(٣) - الذهبي، سير أعلام النبلاء (تحقيق شعيب الأرنؤوط وعلي ابو زيد)ج٧/٣٩٣.

(٤) - انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ج٤/٥٨١.

المطلب الثاني: ثمار الإخلاص

لتتبين ثمار الإخلاص أعرض النصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فمن النصوص القرآنية ما قصه الله من خبر امرأة العزيز مع نبي الله يوسف ﷺ لما راودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وألحّت عليه إلحاحاً شديداً بفعل الفاحشة فعصمه الله بإخلاصه، قال الله ﷻ: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾(١)، ومن الآيات المجلية لثمار الإخلاص قول الله ﷻ: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين﴾(٢)، وقوله ﷻ: ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾(٣)، وقوله ﷻ: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾(٤)، وقال ﷻ: ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى﴾(٥).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « **انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ(٦) قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلا مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ**

---

(١) - سورة يوسف، الآية:٢٤.

(٢) - سورة الصافات، الآية:٧٤.

(٣) - سورة ص، الآية: ٨٣ .

(٤) - سورة النحل، الاية:٩٩، ١٠٠.

(٥) - سورة طه، الايتان:٦١ - ٦٢.

(٦) - الغبق والتغبق والاغتباق: الشرب بالعشي والغبوق بفتح الغين: مااغتبق حاراً من اللبن بالعشي. اللسان ج/١٠ مادة (غبق).

لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئُ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ« إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأرض. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره، ج٤ /٤٤٩، ٤٥٠، رقم ٢٢٧٢، وأخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الاعمال، ج٤/٢٠٩٩، رقم ٢٧٤٣.

فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأرض»[١]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: بلغ النبيﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالَ فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ »[٢]، « وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا. وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالأمور الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[٣].

وانطلاقاً من تلك النصوص فإن ثمار الإخلاص هي:

١ – قبول العمل والنجاة من عذاب الله:

سبق القول بأن الله لايقبل من العمل إلا ما ابتغي به وجهه وكان صواباً، وهذه الحقيقة هي أول ثمرات الإخلاص، فإن الداعية وهو يدعو الناس بدافع محبتهم ورحمتهم والحرص عليهم وعلى نجاتهم من عذاب الله ينبغي له أن يسعى لإنقاذ نفسه التي بين جنبيه أولاً، ولو ربح الداعية استجابة الناس لدعوته و لم ينج نفسه من العذاب لكان هو الخاسر في الحقيقة قال الله ﷻ: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد

---

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والاداب، باب إذا أحب الله عبداً، حببه إلى عباده، ج٤/٢٠٣٠، رقم٢٦٣٧.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لاضرورة إليه ج٤/١٨٣٢، رقم ٢٣٥٩.

(٣) – أخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج١/١٥، رقم:٤٢، ٤٣. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الاخذ بالسنة واجتناب البدع، ج٥/٤٤، رقم٢٦٧٦. قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن ابن ماجة، ج١/١٣، ١٤، رقم ٤٢.

﴿فاتقون﴾(١).

وفي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فانسدَّت عليهم الصخرة من الفوائد: أن عمل الداعية الخالص لله تعالى فيه نجاة له في الدنيا قبل الآخرة، وأنه هو الباقي معه والنافع، وهو لسان الحال الذي ينطق ويشهد بصدق اليقين، وقوة التوكل على الكبير المتعال(٢)

٢ – حفظ الله للداعية:

ومن ثمار الإخلاص حفظ الله للداعية المخلص والحفظ الرباني للداعية نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، والآخر: وهو أشرف النوعين: حفظه له في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من فتن الشبهات والشهوات ويحفظ عليه دينه عند موته(٣). ومن أنواع الحفظ الذي يحتاجه الداعية حفظه من مكائد الشيطان العدو المتربص بالإنسان قال ﷻ: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾(٤)،وقال رسول الله ﷺ: "**ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة. قالوا: وإياك؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**"(٥)، ومن وسائل تحقيق ذلك الحفظ: الإيمان والتوكل والإخلاص " وهؤلاء الجامعون بين الإيمان والتوكل هم الذين قال فيهم إبليس فيما حكاه الله عنه: ﴿**إلا عبادك منهم المخلَصين**﴾"(٦).

---

(١) – سورة الزمر الآيتان:١٥،١٦.

(٢) – انظر: أحمد عمر هاشم، قصص السنة (ط: دارثابت ١٤٠٤هـ)ص١٠٥.

(٣) – انظر: جامع العلوم والحكم ج١/٤٦٥،٤٦٨.

(٤) – سورة فاطر. الاية:٦.

(٥) – الألباني. صحيح الجامع ج٢/١٠١٠ حديث رقم:٥٨٠٠.

(٦) – فتح القدير الشوكاني ج٣/١٩٤، سورة الحجر، الآية: ٤٠.

وقد حفظ الله نبيه يوسف عليه السلام من الفتن التي تعرض لها، ومن أعظمها فتنة امرأة العزيز، قال الله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾[١].

إن يوسف عليه السلام تجمَّعَت عليه إغراءات متعددة للوقوع في الفحشاء، ومنها: كونه شاباً عزباً حسن المنظر، بعيداً عن رقابة الأهل والغرباء، ومنها: الأمْن من العقوبة، ومع ذلك ثبت ثباتاً عجيباً بفضل الله تعالى ثم بفضل الإخلاص[٢]. و في قصة أهل الغار المتقدمة حينما انسدَّت عليهم الصخرة، نجد أنهم لم يجدوا ملجأً بعد الله إلا أن يدعوه بأعمالهم الصالحة، ومما يستفاد منها فضل الإخلاص في العمل[٣].

وقد يبرز سؤال مفاده: هل من مقتضى حفظ الله للداعية أن لا يقع عليه بلاء ومحنة؟ والحق أن هذا سؤال له ما يبرره، وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نقرر ابتداءً أن سنة الله التي قد خلت في عباده أن يبتليهم، فهم لا يمكنون إلا بعد طول تجربة وتمحيص يتعرض الدعاة خلالها لصنوف من الإبتلاء ؛ومن قلب تلك المحن وشدائدها تظهر معادن الرجال وأقدارهم، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم

---

(١) - سورة يوسف الآيتان ٢٣،٢٤.

(٢) - انظر: حسين العوايشه، الإخلاص (ط: الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية عمّان ١٤٠٣هـ)ص١٣،١٤.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري ج ٦/٥١٠.

قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾[١]، وقال ﷻ: ﴿**الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾[٢]، بيد أن ثمة حكماً أخرى يريدها الله للداعية منها: تمحيص ذنوبه، ورفع درجته، وإظهار فضله ومكانته عند الله، وقد يكون البلاء " ليكثر رجوعه إلى الله تعالى، وينقطع تعلق فكره عن الدنيا، فيصل إلى درجة عالية في العبودية لايمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة"[٣].

ومن نماذج حفظه ﷻ ما كان من خبر الدعاة الذين بعثهم النبي ﷺ، وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت[٤] فغدر بهم المشركون، وأحاطوا بهم، وأعطوهم العهد والميثاق ألا يقتلوا منهم أحداً إن استسلموا، فاستسلم ثلاثة منهم ؛ أما عاصم فإنه أبى، وقال: " **أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر**"[٥]، وكان يدعو: " **اللهم إني أحمي لك اليوم دينك، فاحمي لي لحمي**"[٦]، وقتل رضي الله عنه فكان من حفظ الله له أن المشركين بعثوا من يأتيهم برأسه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فلما أتوا ليأخذوا رأسه حيل بينهم وبينه، وكان من قدره ﷻ أن" **بعث الله عليه مثل الظُّلَّة** [٧] **من الدبر فحمته من رسلهم، فلم**

---

(١) - سورة الصافات، الآيات١٠١ـ١٠٧.

(٢) - سورة العنكبوت، الآيات:١،٢،٣.

(٣) - فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٨/١٠٣.

(٤) - عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح صحابي أنصاري بدري وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمّه قتل شهيداً في غزوة الرجيع. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابه ج٣/٧ .

(٥) - فتح الباري ج٧/٣٧٨ حديث رقم:٤٠٨٦

(٦) - المصدر السابق، ج٧/٣٨١

(٧) - الظلة: السحابة. والدبر: الزنابير، وقيل: ذكور النحل. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٧/٣٨٤.

يقدروا منه على شيء"[١]، وكان عمر ﷺ لما بلغه خبره يقول: " **يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته**"[٢]. وفي ذلك عزاء للداعية وهو يكابد في سبيل الله الشدائد التي تعترضه.

٣ – وضع القبول له في السماء والأرض:

ومن ثمار الإخلاص اكتساب الداعية لمحبة الله، والتي يترتب عليها القبول، وقبول الداعية لدى المدعو يعني الحب له والرضا عنه وميل القلوب إليه[٣] قالﷺ:« **إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأرض. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأرض**»[٤] وهذا القبول هو الأصل الذي تقوم عليه شخصية الداعية، وهو من مستلزمات الانتفاع به، ذلك أن الداعية المبغض ينفضُّ الناس من حوله، وبالتالي لايستمعون إليه، ومن هنا كان حث الدعاة على الحلم والرفق والمداراة وغيرها من مكارم الأخلاق لما في حسن الخلق من تحقيق المصالح الشرعية.

٤ – التأثير التلقائي بإذن الله:

ومن ثمار الإخلاص أن من أخلص النية لله " أثر كلامه في القلوب القاسية فليَّنها"[٥]

---

(١) – ابن حجر، فتح الباري، ج٧ /٢٧٩، وانظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج٣/١٨٠ وذكر أن المشركين لما حيل بينهم وبين عاصم قالوا: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه –أي الزنابير– فأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به.

(٢) – ابن حجر، فتح الباري، ج٧/٣٨٤.

(٣) – انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/١٨٤ وانظر: الأبي،إكمال إكمال المعلِّم، ج٨/٦١٢.

(٤) – انظر تخريجه: ص١١٢.

(٥)– أحمد بن ابراهيم بن النحاس الدمشقي. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين (ط: دار الكتب العلمية،تحقيق: عماد الدين عباس سعيد بيروت)ص ٦٨.

قال الله ﷻ: ﴿ **قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى**﴾[١] قال ابن عاشور في تعليقه على الآية: "تفرع على موعظة موسى تنازعهم الأمر بينهم، وهذا يؤذن بأن منهم من تركت فيه الموعظة بعض الأثر"[٢] وكلما كانت مشاعر الداعي حول ما يدعو إليه أعمق وأقوى كان تأثيره في سامعيه أشد[٣]، إن الكلمة التي يقولها الداعية من قلبه الفياض بمعاني الإخلاص يبارك الله بها، ويفعل بها أشياء لاتخطر على البال، فكم من تائه نفعه الله بكلمة سمعها من داعية مخلص فغيرت مجرى حياته، وكم من غافل أيقظه الله بموعظة خالصة، خالطت شغاف قلبه فسقاها بدموع الندم، فأنبتت الإيمان ودبَّت فيه الحياة، ومن هنا كان على الداعية أن لا يسيء الظن باستجابة المدعو، ولا أن يدخر وسعاً في القيام بأي جهد دعوي مادام يبتغي وجه الله، فإن النية الصالحة تبارك في العمل وتثمره وهو مأجور على كل حال.

وقد كان النبي ﷺ ذا أثر في أصحابه حين يعظهم أو يوجههم، وقد قال لهم ذات يوم «**لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» فما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا أن سالت دموعهم متأثرين بإخلاصه ﷺ، ومستجيبين لأمر الله ورسوله، فقد قام عمر رضي الله عنه وقال:« **رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً**»[٤]، ومما يؤكد هذا المعنى حديث العرباض رضي الله عنه حين وصف موعظة النبي ﷺ بأنها: موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع.

إن في وجل القلوب وذرف الدموع من تلك الموعظة درساً دعوياً في أهمية الموعظة والكلمات الخالصة، وفي ذلك إرشاد للدعاة ألا يحقروا من المعروف شيئاً، ولو كلمة توجيه أو إرشاد حكيم يولد لدى المدعويين دافعاً للاستجابة، وفيه تنبيه للدعاة على أثر الإخلاص

---

(١) - سورة طه الآيتان: ٦١ - ٦٢.

(٢) - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج١٦/٢٥٠.

(٣) - انظر: عبد الرحمن بن حسن حبنكه الميداني. مبادىء في أدب الدعوة. (ط: الاولى دار القلم بيروت ١٤٠٢هـ) ص٧٧.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفضائل. باب توقيره ﷺ، ج٤/١٨٣٢. رقم ٢٣٥٩.

وضرورته في الدعوة.

ولايكون أثر الداعية المخلص بقوله فحسب بل بعمله وسلوكه ومنظره، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه:« **لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله وقيل: قد قدم رسول ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال:« أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»**[١].

وكان الخزرج[٢] الذين لقوا رسول الله ﷺ عند العقبة[٣] قد تأثروا برؤيته ﷺ لما "**رأوا أمارات الصدق عليه لائحة**"[٤]، إن صدق الداعية وإخلاصه يظهر على وجهه ويعرفه الناس ويتأثرون به، وظهور أثر الصدق مما يقوي دوافع الاستجابة لدى المدعو ويكسبه احترامه إلا إذا كان عمى القلب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً[٥].

وهكذا تبين لنا ثمار الإخلاص في هذا المطلب وكيف يكون سبباً في تحقيق دوافع الاستجابة.

---

(١) - أخرجه الترمذي في سننه ج٤/٦٥٢، كتاب صفة القيامة، باب ٤٢، رقم:٢٤٨٥ وأخرجه ابن ماجة في سننه. ج٢/١٠٨٣. كتاب الاطعمة، باب إطعام الطعام. رقم: ٣٢٥١، قَالَ التِّرمذي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني انظر: صحيح سنن الترمذي ج٢/٣٠٣.

(٢) - وهم قبيلة قحطانية مشهورة أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ومن بطونهم: بنو النجار أخوال رسول الله ﷺ ومنهم كعب بن الحارث وجشم وعوف بنو الخزرج. انظر: عبد الله بن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الأنصار، (ط دار الفكر تحقيق: عبدالله نويهض)ص٢٩، ٣٠.

(٣) - العقبة: هي الجبل الطويل بين منى ومكة وبينهما نحو ميلين ومنها ترمى جمرة العقبة، ياقوت الحموي، معجم البلدان. ج٤/١٣٤ (ط: دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ).

(٤) - علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون (ط: بيروت ١٤٠٠هـ)ج٢/١٥٩.

(٥) - انظر: عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة، ص ٣٣٥.

المطلب الثالث: نواقض الإخلاص

للإخلاص نواقض كما أن للوضوء ما ينقضه، وهذه النواقض قد تكون اعتقادية وقد تكون ممارسات عملية، فمن الأمور التي تنقض الإخلاص ما يلي:

أولاً: رياء الداعية.

الرياء هو الشرك الأصغر الذي حذر منه الله ﷻ والرسول ﷺ، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾(١) وقوله: ﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾(٢)، وقوله: ﴿فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون﴾(٣) وقوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾(٤) وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء(٥) قال القرطبي:"أي: من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئاً في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا"(٦)، وقال ﷺ: « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي**

---

(١) - سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) - سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٣) - سورة الماعون، الآية: ٤ ـ ٦.

(٤) - سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٥) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٤٢١.

(٦) - القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج٩/١٤.

الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[١] وقوله ﷺ:« قَالَ اللَّـهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٢]، وقوله ﷺ:« إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأن يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[٣]، وقوله ﷺ:« مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّـهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ»[٤]، قال النووي في معنى الحديث: "من راءى بعمله وسمّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمّع الله به يوم القيامة الناس وفضحه.. وقيل: أسمعه المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل: معناه من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه"[٥].

والمتصدون لدعوة الناس وإرشادهم أشدتعرضاً لخطر الرياء، وخاصة إذا صار لهم قبول ومكانة عند الناس، فإن الشيطان حريص على إفساد أعمالهم، وذلك بإيقاعهم في هوة الرياء السحيقة ليكونوا على خطر من حبوط أعمالهم.

---

(١) - أخرجه الامام أحمد في المسند، ج١٧/٥٩، رقم ٢٣٥٢١، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ج٤/٢٢٨٩، رقم: ٢٩٨٥

(٣) - أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب من قاتل لرياء والسمعة استحق النار، ج٣/١٥١٣، رقم: ١٩٠٥.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ج٤/٢٢٨٩، رقم:٢٩٨٦.

(٥) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨/١١٦.

ومدخل الرياء إلى الدعاة بابه واسع، فالدعوة احتكاك بالناس وتواصل معهم، وقد فطروا على حب أهل الخير والصلاح، وتبجيلهم وتقديمهم في المجالس والمحافل، والإشارة لهم بالبنان، مما يشكل خطراً على الداعية من الرياء إذا استأنست نفسه، وألفت مشاعره ذلك التبجيل والاحترام، وهو مسلك خفي يخفى على الكثيرين، وقد يوهم الشيطان الداعية بأن هذا من نوع الفرح المترتب على قبولهم لكلامه وإقبالهم على الدعوة، وهذا من تلبيس الشيطان الماكر.

ومن صور الرياء التي يقع فيها كثير من الدعاة اليوم الحرص على الألقاب العلمية، كصاحب الفضيلة، أوالإمام الأكبر، أوالعلامة الشهير، أوالخطيب المصقع، وغيرها مما يجري على ألسنة العامة والخاصة اليوم، وهذا فضلاً عن طلبه لها، وضيق صدره إن لم يوصف بها، يعد علامة وظاهرة من ظواهر الرياء المقيته.

وهناك جانب آخر من جوانب الرياء هو جانب المنجزات والمكتسبات في الدعوة، كبناء المساجد، ومراكز التعليم، وحلق العلم، والخطب، والمحاضرات، والندوات، مما يتوجب على الداعية ألايتحدث بها على سبيل المفاخرة وطلب المحمدة من الخلق، وإنما يحرص على أن يرضى بثواب الله عليها الذي وعد به عباده المخلصين[1].

ومن شأن الرياء أن يثمر صدود المدعو عن الداعية المرائي، والاستخفاف به، وعدم الاكتراث بما يقول، فتزل موعظته عن القلوب، وتكرهها النفوس ولاتنتفع بها، وتذهب بركتها.

ثانياً: عجبه بنفسه وبجهوده الدعوية واستكثارها.

ومما يناقض الإخلاص إعجاب الداعيةبعمله، والمن به، قال الله ﷻ: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم**﴾[2] وقد نادى الله نبيه ﷺوهو يستنهض للقيام بعبء الدعوة الكبير

---

(١) - عبد الرب نواب الدين. صفات الدعاة. ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) - سورة التوبة. الآية: ٢٥.

ينادى﴿ولا تمنن تستكثر﴾[١]

وقد جاء ذمُّ المنّ في آيات كثيرة منها: قول الله ﷻ: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[٢]، والآية تبين حال قوم يمنون بانتمائهم إلى الدعوة التي لم يصلوا بعد إلى حقيقة الإيمان بها والإخلاص لها، وما علموا أن مصلحة ذلك عائدة إليهم بالدرجة الأولى، وقوله ﷻ:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾[٣]،وقوله ﷻ:﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىً ﴾[٤]،ومع أن هاتين الآيتين فيها نهي عن المن بالنفقه المالية إلا أنهما تدلان كذلك على أن المن بما يبذله المرء من الجهد الدعوي محرم إذ إنهما من الأمور التي يوفق الله بهما عباده فلا ينبغي أن يمن أو يتعالى على الناس. وقال ﷺ« **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[٥]وذهب النووي إلى حمل هذا النهي على من قاله معجباً بنفسه وعمله ومحتقراً للناس[٦]، والمعجب بنفسه متعرض لسخط الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأرض فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأرض حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٧]. ويقرر ابن القيم بأن: " الصادق لا إعجاب له"[٨]،ومقتضى هذا الكلام أن إعجاب الداعية بعمله يناقض إخلاصه، وقد يعجب الإنسان بالعمل وهو مخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب

---

(١) - سورة المدثر، الآية:٦.

(٢) - سورة الحجرات، الآية:١٧.

(٣) - سورة البقرة، الآية:٢٦٤.

(٤) - سورة البقرة، الآية:٢٦٢.

(٥) - أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول: هلك الناس، ج٤/٢٠٢٤، رقم:٢٦٢٣.

(٦) - انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦.١٧٥.

(٧) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، ج٣/١٦٥٣رقم:٢٠٨٨.

(٨) - عبدالمنعم صالح العزي، تهذيب مدارج السالكين، (ط:دار الكتب العلمية) ص٣٢٢.

فيه[١].

ومن مساوىء العجب أنه يولد الكبر والتعالي على الناس مع نسيان ذنوبه، ويضاف إلىذلك الغرور والأمن من مكر الله تعالى، وقد يجره العجب إلى الثناء على نفسه [٢] مما يقلل ثقة المدعو في إخلاصه، وكفى بذلك صداً للناس عن الدعوة وتنفيراً. والحق أن إبداع الداعية في تواضعه لربه كما كان النبي ﷺ يبذل الكثير ولايزيده ذلك إلا تواضعاً، لأنه يعرف أن فضل الله أعظم، وهو أعلم الخلق بالله وأعلمهم بنفسه وقدرها، وقد أنزل عليه قول الله ﷻ: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[٣]،وقوله عز وجل: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبد اً ولكن الله يزكّي من يشاء والله سميع عليم﴾[٤].

وهكذا ظهر لنا في هذا المطلب نواقض الإخلاص وآثارها على الدعوة .

---

(١) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، ج٣/٥٧١.

(٢) - المصدر السابق، ج٣/٥٧٢ - ٥٧٣.

(٣) - سورة النحل، الآية:٥٣.

(٤) - سورة النور، الآية:٢١.

المطلب الرابع: آثار ترك الإخلاص

لعدم الإخلاص آثار سلبية تتعلق بالداعية، وأخرى تتعلق بالدعوة، وهي آثـار سلبية يترتب عليها نتائج خطيرة تعيق الداعية في دعوته وتحرمه النجاح، كما أنها تسهم في إيجـاد عقبات في طريق الدعوة تمنعها من التقدم، والتمكين في المحيط الدعوي.

وقبل الحديث عن تلك الآثار أستعرض النصوص الواردة في الكتاب والسنة والتي لها علاقة بالموضوع، فمن الآيات قول الله ﷻ: ﴿ إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾[١]، وقوله عز وجـل: ﴿ قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾[٣]، وقولـه ﷻ: ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾[٤]، وقوله عز وجل: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[٥]. وقوله عز وجـل: ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعداً ﴾[٦] وقوله: ﷻ: ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾[٧]، وقوله ﷻ: ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾[٨]، وقولـه عـز وجـل: ﴿ ألم تـر أن الله يعلـم مـا في

---

(١) - سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) - سورة الرعد، الآية:٢٧.

(٣) - سورة الشورى، الآية:١٣.

(٤) - سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٥) - سورة:طه، الآية:١٢٤.

(٦) - سورة الجن، الآية:١٧.

(٧) - سورة الحج الآية:١٨.

(٨) - سورة النساء الآية:١٠٨.

السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾(١)، وقوله ﷻ: ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾(٢) وقوله ﷻ: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾(٣)

وأما الأحاديث « فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا »(٤).

واستناداً إلى تلك النصوص سأقسِّم تلك الآثار إلى قسمين:

أولاً: آثاره على الداعية.

ثانياً: آثاره على الدعوة.

---

(١) - سورة المجادلة، الآية:٧.

(٢) - سورة النساء، الآية:١٤٢.

(٣) - سورة النور، الآية:٥٥.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب قوله ﷺ « أحلت لكم الغنائم»، ج٦/ ٢٢٠، رقم ٣١٢٤، والخلفات: الإبل الحوامل، ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٢٢٢.

أولاً: آثاره على الداعية

١ – الحرمان من الهداية والتوفيق:

لقد جعل الله ﷻ بفضله الهداية والتوفيق من شأن الدعاة المخلصين الصادقين في توجههم، الذين يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، ولايريدون من الناس جزاءً ولاشكوراً، هؤلاء هم الذين ترعاهم عناية الله، ويكلّل النجاح مساعيهم عاجلاً وآجلاً قال الله ﷻ: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾[١]، أي: من رجع إلى الله بالتوبة والإقلاع عماكان عليه[٢]، ويدخل في ذلك من باب أولى التوبة من الشرك وتوابعه،وملازمة الإخلاص. وقال الله ﷻ: ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾[٣]. وإنَّ نصر الداعية، وتوغله بدعوته، وكسب مواقع جديدة لها، منوط بتوفيق الله أولاً، ثم بصلاح نيته ثانياً، قال ﷻ: ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾[٤] "ومعنى الإرادة: خلوص نيتهما لصلاح الحال بين الزوجين"[٥]، والآية تدل على أن صلاح النيات سبب لنيل التوفيق. والله ﷻ هو الذي يملك الهداية، وبيده أزمة الخيرومقاليد الأمور، لاراد لقضائه، ولامعقب لحكمه، وقد اقتضت سنته أن يمنح المخلصين من عباده الهداية والسداد، ومن فاته الإخلاص فاتته تلك الأمور[٦].

٢ – الضيق والاضطراب النفسي:

المرائي مشغول بمراقبة الناس، مترقب لمدحهم، حريص على تجنب قدحهم وذمهم، لأنه لا يعمل لوجه الله، كمن يتنازعه شركاء متشاكسون، فهو أسير هوى نفسه ومصالحه

---

(١) – سورة الرعد، الآية:٢٧.

(٢) – الشوكاني، فتح القدير ج٣/٨١، وانظر: القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ج٩/ ٣١٥، وانظر: ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم،ج٢/٤٩٢ وانظر: فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٩/٥٠.

(٣) – سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٤) – سورة النساء الآية: ٣٥.

(٥) – الشوكاني، فتح القدير ج١/٤٦٣.

(٦) – انظر: السيد محمد نوح، آفات على الطريق، (ط: الثانية دار الوفاء ١٤٠٩هـ)ج٢ /١٥.

الذاتية المتمثلة في تدعيم مكانته في قلوب الناس، ولفت انتباههم ونظرهم له بالقبول والتبجيل، ومن شأن هذا أن ينعكس على حالته النفسية، فيصاب بالضيق والاضطراب النفسي لأنه لم يحصل الثمرة المرجوة التي يريدها، فليس ممن عمل لله فيثاب، وليس ممن عمل للناس فيحصل ماعندهم من ثناء؛ لأن ذلك لايتم إلا بإذن الله، والمرائي معرض عن ربه لايذكر الله إلا قليلا، قال الله ﷻ: ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾[١]، وقال الله ﷻ: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ﴾[٢] وقال الله ﷻ: ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ﴾[٣] والرياء شجرة في القلب تثمر في الدنيا الخوف والهم والقلق وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم الذي ينتظر صاحبه[٤].

٣ – نزع الهيبة من قلوب الناس:

إن الله وحده له الأمر كله، وهو الذي يملك تلك الهيبة، ويضع في قلوب من يشاء من عباده مكانة الداعية، ولكن ذلك مرهون بخلوص النية لله وحده لاشريك له، ومن ضيع الإخلاص فقد أضاع هيبته، وبالتالي يسقط من عين الله، ويمقته الناس ويصير هيناً عليهم. قال الإمام ابن القيم:" ومن عقوباتها ـ أي المعاصي ـ سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق، وهان عليهم؛ عاملوه على حسب ذلك، فعاش بينهم أسوأ عيش خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال، لاحرمة له ولاسرور، فإن خمول الذكر، وسقوط القدر والجاه، معه كل غم وهم وحزن، ولاسرور

---

(١) – سورة النساء، الآية: ٣٨.

(٢) – سورة طه، الآية:١٢٤.

(٣) – سورة الجن، الآية:١٧.

(٤) – ابن القيم: محمد بن أبي بكر، الفوائد ، ص١٨٤، وانظر: السيد محمد نوح، آفات على الطريق، ص ١٦.

معه ولافرح" [١].

قال الله ﷻ: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ [٢] ولذلك كان كثير من السلف يحرصون على النية الصالحة.

قال يحي بن أبي كثير: " تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل"[٣]. وقال سفيان بن زبيد: " يسرني أن يكون لي في كل شيئ نِيَّةٌ حتى في الأكل والنوم"[٤]. والداعية وهو يعمل لايقصد بعمله تحصيل الجاه والمكانة في قلوب الناس فإن ذلك محبط للعمل، " إلا إذا طلب الجاه للأمربالمعروف،والنهي عن المنكر، وتنفيذ الحق، وإعزاز الدين، لا لنفسه وهواه، فيجوز ذلك بقدر مايقيم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٥]

قال أبو سفيان الدراني رحمه الله تعالى: " سمعت بعض الخلفاء يقول كلاماً فأردت أن أنكرعليه، وعلمت أني أقتل، و لم يمنعني القتل، ولكن كان في ملإٍ من الناس، فخشيت أن يعتريني التزين للناس فأقتل من غير إخلاص في الفعل"[٦].

ودخل مالك بن دينار[٧] على أمير البصرة فقال: أيها الأمير، قرأت في بعض الكتب: من أحمق من السلطان ؟ ومن أجهل ممن عصاني؟ ومن أعز ممن اعتز بي ؟ أيها الراعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم، ولبست الصوف، وتركتها عظاما تتقعقع[٨] .

قال له والي البصرة: أتدري ماالذي يجرئك علينا ويجبننا عنك؟ قال:لا.قال: قلة

---

(١) – ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٧١ط مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٢هـ.

(٢) – سورة الحج، الآية:١٨.

(٣) – ابن رجب، جامع العلوم والحكم ج١/٧٠.

(٤) – عبد الله بن المبارك، الزهد (ط: دار الكتب العلمية تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)ص ٦٤.

(٥) – برهان الإسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم. (ط:الأولى المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ)،تحقيق: مروان قباني. ص ٦٨.

(٦) – ابن النحاس، تنبيه الغافلين ص ٥٤.

(٧) – مالك بن دينار البصري أبو يحي من رواة الحديث ورع تقي توفي سنة ١٣١ هـ. خير الدين الزركلي. الأعلام. (ط: السادسة. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤ م)،ج٥/٢٦٠.

(٨) – تقعقع الشيئ: اضطرب وتحرك. ابن منظور، اللسان، مادة: قعع، ٨ ص ٢٨٦.

الطمع إلينا، وترك الإمساك لما في أيدينا[١].

وصدق النية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الداعية مهيباً في قلوب ذوي الجاه والملأ، قال ابن النحاس مبيناً هذا المعنى: "فانظر كيف حفظه الله من سطوتهم، وردَّ عنه كيدهم ببركة الإخلاص والتقوى"[٢]

٤ – عدم إتقان العمل:

من وقع في الرياء ارتبط إحساسه بمن يرائيهم، فهو ينشط عند رؤية الناس، ويكسل إذا غابت أعينهم عنه، وبالتالي ينعكس ذلك على جميع أعماله الدعوية، فلا يتقن الأعمال المنوطة به على الوجه الأكمل، لأنه يراقب الناس ولا يراقب الله المطلع عليه وعلى ما ينطوي عليه صدره، قال الله ﷻ: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً**﴾[٣].

وعلى الداعية أن يخشى ربه لا الناس ويخلص له في سره وعلانيته، كما يجب عليه الحذر من الدخول فيمن عناهم الله بقوله ﷻ: ﴿**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً**﴾[٤]، وحين يسعى الداعية لإتقان عمله، ويتساوى في حسه وشعوره اطلاع الناس عليه، وعدمه؛ يترقى في مقام الإخلاص، ويصبح جندي دعوة لا جندي مصلحة، إذ إنه لا يراقب إلا الله القائل: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**﴾[٥].

---

(١) – ابن النحاس، تنبيه الغافلين، ص٤٤.

(٢) – المصدر السابق ص٤٧، وانظر: السيد محمد نوح، آفات على الطريق، ص ١٧.

(٣) – سورة النساء، الآية:١٤٢.

(٤) – سورة النساء، الآية:١٠٨.

(٥) – سورة المجادله، الآية: ٧.

واصطناع الرجل من أجل الناس دليل على فراغ فؤاده من قصد الله، وانتباهه إلى صلات الناس دليل على أن دعوى الإيمان مكذوبة، والعمل الخالص هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض، وابتغاء وجه الله دون اكتراث بنظر الناس أو مدحهم أو ذمهم(١).

والدعوات إنما تنتصر بإذن الله بالرجال الذين يقبلون على دعوتهم وليس في ذواتهم إلا همُّ هذه الدعوة وانتصارها. وقد مر معنا قول النبيﷺ: « **غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لايتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها،ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها..**»(٢) قال الحافظ ابن حجر: " والغرض هنا من ذلك أن يتفرغ قلبه للجهاد ويقبل عليه بنشاط، لأن الذي يعقد عقده على امرأة يبقى متعلق الخاطر بها، بخلاف ما إذا دخل بها فإنه يصير الأمر في حقه أخف غالباً، ونظيره الاشتغال بالأكل قبل الصلاة"(٣)، وقال مبيناً مافي الحديث من الفوائد:"إن الأمور المهمة لاينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ البال لها؛ لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته، وقلت رغبته في الطاعة، والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوي"(٤).

ثانياً: آثاره على الدعوة

١ – إعراض المدعوِّ وعدم تأثره.

. مصدر تأثير الداعية بإذن الله قلبه الفياض بمعاني الإخلاص، والانعكاسات الإيجابية لما يقوله الداعية ثمرة من ثمار الإخلاص، وإنما تتفتح القلوب بمفتاح صدق النية والاحتساب، وإذا أقفر القلب من الإخلاص أو ضعف، أو أراد الداعية بقوله غير وجه الله قل انتفاع الناس بدعوته، ونزعت البركة من أقواله وأفعاله، وأصبح كغيره من أهل الدنيا الذين

---

(١) – انظر: محمد الغزالي، مع الله، (ط:الأولى، دار القلم دمشق ١٤٠٩هـ)، ص١٩٦.

(٢) – انظر تخريجه: ص١٢٥..

(٣) – ابن حجر، فتح الباري، ١٢٢/٦.

(٤) – المصدر السابق،ج٦/٢٢٣،٢٢٤ .

تهمهم مصالحهم الذاتية قبل التفكير في مصالح الدعوة، وهـذا الحـوار العجيـب بـين عـالمٍ ربانيٍ وبين أمير من الأمراء يوضح تلك المعـاني الآنفـة الذكـر، ويجلـي أثـر الإخـلاص في المدعو وكيف أن انعدام الإخلاص سبب رئيس في إعراض المدعو عـن الدعـوة والداعيـة.

كان عمر بن هبيرة الفزاري[١] أحد ولاة الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك، وكان يزيـد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب، ويأمره بإنفاذ مافي هذه الكتب، ولـو كـان مجافيـاً للحـق أحيانـاً، فدعـا ابـن هبـيرة كـلاً مـن الحسـن البصـري[٢] وعـامر بـن شـراحيل الشـعبي[٣] يستفتيهما في ذلك، وهل له من مخرج في ديـن الله ؟ فأجـاب الشـعبي جوابـاً فيـه ملاطفـة للخليفة، ومسايرة للوالي، والحسن ساكت، فـالتفت عمـر بـن هبـيرة إلى الحسـن، وقـال: ماتقول أنت ياأباسعيد ؟ فقـال: يـاابن هبـيرة خـف الله في يزيـد، ولاتخـف يزيـد في الله، واعلم أن الله ﷻ يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، ياابن هبيرة إنه يوشـك أن ينزل بك ملك غليظ شديد لايعصي الله ماأمره، فيزيلك عـن سـريرك هـذا، وينقلـك مـن سعة قصرك، إلى ضيق قبرك، حيث لاتجد هناك يزيد.. ياابن هبـيرة إنـك إن تـك مـع الله ﷻ وفي طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك في الدنيا والآخرة، وإن تـك مـع يزيـد في معصية الله ﷻ فإن الله يكلك إلى يزيد.

واعلم ياابن هبيرة أنه لاطاعة لمخلوق كائنامن كان في معصية الخالق.فبكى عمـر بـن هبيرة حتى بللت دموعه لحيته، ومال عن الشعبي إلى الحسـن، وبـالغ في إعظامـه وإكرامـه فلما خرج من عنده توجها إلى المسجد فاجتمع عليهمـا النـاس، وجعلـوا يسـألونهما عـن خبرهما مع الأمير، فالتفت الشعبي إليهم، وقال: أيها الناس، من اسـتطاع منكـم أن يؤثـر الله ـ عز وجل ـ على خلقه في كل مقام فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما قال الحسـن لعمـر

---

(١) – عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري من الدهاة الشجعان، ولي إمارة العراق وخراسان في خلافة يزيد بن عبد الملك ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٥/٦٨.

(٢) – الحسن بن يسار البصري تابعي جليل ولد سنة ٢١ هـ، وتوفي سنة ١١٠ هـ، وكـان أحـد الفقهـاء الفصحـاء الشـجعان العبـاد. وكان إمام أهل البصرة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ٢/٢٢٦.

(٣) – عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أحد التابعين الأجلاء وكان فقيهاً شاعراً ولد سنة ١٩ هـ في الكوفة وتوفي بها سنة ١٠٣ هـ. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٣/٢٥١.

بن هبيرة قولاً أجهله ولكني أردت فيما قلته وجه بن هبيرة، وأراد فيما قاله وجه الله فأقصاني الله من ابن هبيرة وأدناه منه وحببه إليه.(١)

فانظر إلى هذا التبجيل والإكرام للحسن البصري الذي كان ثمرة من ثمار إخلاصه، قال شيخ الإسلام بن تيمية - متحدثاً عن سبب هيبة الداعية - وأن سببها بعد توفيق الله تعالى هو: " قوة المعاملة الباطنة وصفاؤها وخلوصها من شهوات النفوس وأكدار البشرية"(٢).

٢ - تأخر التمكين للدعوة

كما أن ترك الإخلاص له أثره السلبي على الداعية فكذلك على مجموع الدعاة، إذ إنهم كالجسد الواحد إذا تأثر بعضه تأثر كله، وأعظم أثر يتركه عدم الإخلاص هوطول الطريق، وكثرة التضحيات، وتأخر النصر، لأن الله ﷻ وعد بنصر عباده المؤمنين المخلصين وذلك في قوله ﷻ: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾(٣)، فقد جعل الله ﷻ الإيمان والعمل الصالح شرطاً للاستخلاف والتمكين، ومن المعلوم أن العمل لايكون صالحاً حتى يكون خالصاً صواباً كما تقرَّر " وإذا حل الإهتداء في النفوس نشأت الصالحات فأقبلت مسبباتها تنهال على الأمة"(٤)، ولايزال هذا الوعد إلى قيام الساعة متى قاموا بالإيمان والعمل الصالح (٥)، فإن النصر

---

(١) - جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (ط: الرابعة مؤسسة الرسالة بيروت)، ج٦/١١٣-١١٤، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ط: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ هـ)، ج٢/١٥٠.

وانظر: محمد السيد نوح، آفات على الطريق، ص ١٨، ١٩.

(٢) - ابن تيمية، الفتاوى، ج١٦/٤٩ .

(٣) - سورة النور، الآية: ٥٥ .

(٤) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٨/٢٨٢.

(٥) - عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥/٤٣٩.

والتمكين مضمون لهم بإذن الله﴿وعد الله لايخلف الله الميعاد﴾[١]ومن خلال الصبر على البذل والمصابرة تتخلص النفوس من خبثها. والأمة التي استشرى في حياتها الرياء لا يمكن أن يمكن لها إلا بعد طول تجربة وتمحيص، حتى تؤتمن على حمل هذا الدين فتلك سنة الله[٢] قال الله ﷻ:﴿ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾[٣]، وقال الله ﷻ: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٤] ومن هنا كان شرط النصر تحقق الإيمان والإخلاص، كما فعل الصحابة مع الرسول ﷺ حينما مكن الله لهم ونصرهم على عدوهم.

وهكذا تبين لنا من خلال هذا المبحث فضل إخلاص الداعية وثماره وآثاره على استجابة المدعوين.

---

(١) - سورة الزمر، الآية: ٢٠.

(٢) - انظر: محمد السيد نوح، آفات على الطريق، ص٢٥،٢٦.

(٣) - سورة آل عمران، الآية:١٧٩.

(٤) - سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ - ٣ .

المبحث الثاني: العلم

لما للعلم من المكانة السامية في الإسلام جاء ت النصوص الكثيرة في الأمر به والحث عليه، وبيان منزلة أهله وفضلهم، والإنكار على من لايعلم، وإرجاع الأمور إلى الحكيم العليم، ونحو ذلك حتى ورد ت مادة «علم» في القرآن مايقارب سبعمائة وسبع وعشرين مرة[١]وبالنظر إلى كتب السنة نجد أنه لايخلو أي منها من كتاب موضوعه العلم، وقد ذكر الحافظ بن حجر[٢]: أن كتاب العلم في صحيح البخاري اشتمل من الأحاديث المرفوعة على مائة حديث وحديثين، منها ستة عشر حديثاً مكرراً، وفيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم اثنان وعشرون أثراً، وفي صحيح مسلم عن العلم والسنن الأربع والموطأ أبواب للعلم تضم أحاديث كثيرة، وقد ضم مسند الإمام أحمد في كتاب العلم واحداً وثمانين حديثاً، وفي المستدرك للحاكم النيسابوري بلغت الأحاديث المتعلقة بالعلم أربعة وأربعين حديثاً، وبلغت في مجمع الزوائد للهيثمي أربعة وثمانين حديثاً، وفي الترغيب والترهيب للحافظ المنذري مائة وأربعين حديثاً، ومن المؤكد أن هذا العدد ليس هو كل ما يتعلق بالعلم، بل هناك أحاديث كثيرة مبثوثة في مظان أخرى، حيث يستفاد من الحديث الواحد أكثر من حكم[٣].

وقد ورد بشأن العلم جملة نصوص قرآنية ونبوية سأستعرضها فيما يلي:

قال الله ﷻ: ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير**﴾[٤] وقال الله ﷻ: ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن**

---

(١) - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٥٩٦ - ٦١١ (ط: الثانية، دار الحديث، القاهرة ١٤٠٨).
وانظر: الحوارآدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، يحي محمد حسن زمزمي، ص٢٨٠، (ط: الأولى، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ).

(٢) - فتح الباري، ج١/٢٣١-٢٣٢.

(٣) - انظر: يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ط: دار الصحوة، ص٤.

(٤) - سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

الظالمين﴾[١]، وقال الله ﷻ: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[٢]، وقال الله ﷻ: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً﴾[٥]، وقال ﷻ: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾[٦]، وقال ﷻ: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾[٧]، وقال ﷻ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾[٨]، وقال ﷻ: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾[٩]، وقوله ﷻ: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[١٠]، وقال ﷻ: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ إن الله عزيزٌ غفور﴾[١١]، وقال ﷻ: ﴿قل هل يستوي

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٤٥.

(٢) - سورة يوسف، الآية:١٠٨.

(٣) - سورة الرعد، الآية: ٣٧.

(٤) - سورة النحل، الآية:٤٣.

(٥) - سورة الكهف، الآية:٦٥.

(٦) - سورة مريم، الآية:٤٣.

(٧) - سورة طه، الآية:١١٤.

(٨) - سورة النمل، الآية:١٥.

(٩) - سورة القصص، الآية:١٤

(١٠) - سورة العنكبوت، الآية:٤٣.

(١١) - سورة فاطر، الآية:٢٨.

الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. . . الآية ﴾[٢]، وقال ﷺ: « إن الله لم يبعثني معنّتاً ولا متعنّتاً[٣]ولكن بعثني معلّماً ميسّراً[٤]، وقال ﷺ:«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[٥]، وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٦]، وقد بوّب الإمام البخاري بَاب الاغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَقَالَ عُمَرُ: تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ[٧]. وقالَ النَّبِيُّ ﷺ:« لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[٨]. وقَالَ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ

---

(١) - سورة الزمر، الآية:٩.

(٢) - سورة محمد، الآية:١٩.

(٣) - (معنتاً ولا متعنتاً)أي مشدداً على الناس وملزماً إياهم ما يصعب عليهم، ولا متعنتاً أي طالباً زلتهم. وأصل العنت التعب والمشقة. والمعنّت هو الذي يوقع العنت بغيره، والمتعنّت هوالذي يحمل غيره على العمل بها. انظر:الأبي، إكمال إكمال المعلّم، ج٥ ٢١٠، وانظر: تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ج٢/١١٠٥، وانظر:اللسان،ج٢/٦١، مادة: (عنت).

(٤) - أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأ لايكون طلاقاً إلا بالنية، ج٢/١١٠٥، حديث رقم: ١٤٧٨.

(٥) - سنن ابن ماجة ج١/٨١، حديث رقم:٢٢٤، قال عنه الألباني: صحيح،انظر: صحيح سنن ابن ماجة ج١ ٤٤، وانظر: صحيح الجامع، ج٢/٧٢٧، حديث رقم:٣٩١٣.

(٦) - صحيح البخاري مع الفتح الباري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج١/١٦٤، حديث رقم:٧١.

(٧) - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم و حكمة، ج١/١٦٥.

(٨) - المصدر السابق، لمدرك ذاته، وأخرجه مسلم، انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها،ج١/٥٥٨، حديث رقم:٨١٥.

فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١)، وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ»(٢)، وعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٣) وسنعالج الموضوع استناداً إلى تلك النصوص في مطلبين هما:

المطلب الأول: أهمية العلم للداعية.

المطلب الثاني: أنواع العلوم التي يحتاجها الداعية.

---

(١) - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم. ج١/١٧٥.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، ج١/١٨٥.

(٣) - المصدر السابق، المدرك ذاته، باب كيف يقبض العلم. وانظر: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان. ج٤/٢٠٥٨. حديث رقم:٢٦٧٣.

المطلب الاول: أهمية العلم للداعية

قبل الحديث عن أهمية العلم للداعية، يحسن تعريف العلم بصفة عامة،حتى يتبين لنا المقصود من كلمة العلم،ويتضح مدلولها.

فالعلم هو: " نقيض الجهل، عِلِم، علماً، عَلُمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً "(١).

وقال الراغب الأصفهاني في العلم بأنه: " إدراك الشيء على حقيقته"(٢).

والعلم: هو الاعتقاد الجازم، ومنه قولهم: الخبر المتواتر يوجب العلم.

وهو: أصول كلية في موضوع واحد كعلم الفقه الذي موضوعه الحلال والحرام(٣).

ويطلق العلم على: " مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيات، وعلم الآثار"(٤).

إن أول شيء نادى به القرآن الكريم هو القراءة، والحث على طلب العلم، قال الله ﷻ: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق *اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾(٥)،وتكرار كلمة «اقرأ » ذات المدلول الضخم تدعو الإنسان وتأمره بطلب العلم والمعرفة بجميع أنواعها،لأن دعوة اقرأ لم تحدّد بعلم معين سوى التأكيد على أن تكون باسم الله الكريم، كما نجد حشداً كبيراً من الآيات تحث على التأمل والتدبر، بغية الوصول إلى العلم الصحيح، وتتجلى حقيقة اهتمام القرآن بالعلم في اقتران التعليم بالقلم(٦) الذي كان وما يزال أعظم وسائل التعلم.

---

(١) - ابن منظور، لسان، مادة(علم)، ج١٢/٤١٧.

(٢) - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن،ص٣٤٣.

(٣) - محمد رواس قلعه جي وصاحبه، معجم لغة الفقهاء، (ط: الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ٣٢٠.

(٤) - براهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، (ط: الثانية، القاهرة، ١٣٩٢ هـ)، ج٢ ٦٢٤، مادة:علم.

(٥) - سورة العلق، الآيات:١-٥.

(٦) - انظر: عبدالله المشوخي، موقف الإسلام والكنيسة من العلم، ص١٢ (ط: الأولى، مكتبة المنار،١٤٠٢هـ).

والعلم من أهم الأمور الضرورية التي تمكن الداعية من أداء مهمته على الوجه الأكمل،ولا تكون دعوته صالحةً إن لم تكن بعلم وفقه.(١) وتكمن ضرورة العلم للداعية في أمرين:

الأول: في تنظيم شأن الدعوة التي تواجه اليوم حرباً مدروسة منظمة تتخذ العلم سلاحاً للإجهاز على المسلمين، وعزلهم عن التأثير في الحياة.

الثاني: في إعداد الأفراد وتنميتهم،فالعلم وسيلة إلى العمل، ولاخير في تربية تقوم على الجهل والتخلف ؛ فلا بد للدا عية من الإلمام بالعلم الذي يكشف له الطريق، ويوصله إلى الغاية، ويستطيع من خلاله أن يعرف حاجة الأفراد فيعطيهم على قدر حاجتهم،ويراعي طاقاتهم، ويعدهم إعداد اً متكاملا بعيداً عن الإفراط والتفريط.(٢).

قال ابن القيم: " العلم إمام العمل، وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لايكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه"(٣) ولأهمية العلم قدمه ا لله على العمل في قوله ﷻ: ﴿**فاعلم أنه لاإله إلاالله**﴾(٤)، وترجم البخاري في جامعه الصحيح " باب العلم قبل القول والعمل "وقال ابن المنير: " أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلابه، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لايسبق إلى الذهن من قولهم: - إن العلم لاينفع إلا بالعمل- تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه."(٥) وإذا كان سبق العلم على أي عمل ضرورياً، فإنه للداعي أشد ضرورة، لأن مايقوم به من الدين منسوب إلى ا لله، فإذا فقد العلم المطلوب وقع في الخلط والجهل والقول على ا لله بغير علم، فيكون ضرره حينئذ

---

(١) - انظر: شيخ الإسلام بن تيمية، الحسبة في الإسلام، (ط: مكتبة دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ الكويت.) ص٨٣

(٢) - انظر: أحمد عز الدين البيانوني، الدعوة إلى الإسلام، (ط: الثانية، ١٤٠٥هـ، دار السلام، القاهرة)ص٧٨.

(٣) - مفتاح دار السعادة، ج١/٨٢.

(٤) - سورة محمد، الآية: ١٩.

(٥) - ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٩٠.

أكثر من نفعه[١]. وقد يأمر بمنكر وينهى عن معروف نتيجة الجهل بالأمرين، وقد يبدأ بما حقه التأخير، أو يؤخر ماحقه التقديم، ويقول أحد السلف:" لايأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه..."[٢] " والعلم يعرف صاحبه بمنازل الأشياء، ومراتب الأعمال، حتى يميز بين النفل والفرض، وبين المهم وغير المهم، وبين الأصول والفروع، فلا يقدم نافلة على فريضة، ولا يقدم غير المهم على المهم، ولايضيع أصلا من أجل فرع"[٣] كما أن العلم هو الذي يكشف الطريق،ويريه الحق من الباطل، فالحماسة المجردة من العلم تقود دائماً إلى أسوأ العواقب،[٤]وقد اشترط بعض أهل العلم ضرورة كون الدعوة على بصيرة استناداً إلى قوله ﷻ: ﴿ **على بصيرة** ﴾،قال الرازي: " وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع الشرط، وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدىً ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور"[٥]،وجاء في تفسيرالبصيرة بأنها هي: البرهان العقلي والشرعي[٦] والعلم واليقين[٧]، والحجة الواضحة[٨]، وبالنظر في هذه المعاني لانجد بينها تنا قضاً، وإنما نجد التكامل، والتنوع في معاني البصيرة، ويدخل في معنى البصيرة التبصر بموضوع الدعوة وهو الدين بمراتبه الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، فيقف على حدودها وأركانها وواجباتهاعلماً وعملاً ودعوةً[٩]، كما يدخل فيها الفهم العميق للدعوة وواقعها، ومشكلاتها، ومعرفة خصومها، وطرائقهم في منازعتها، ومعرفة أساليبها وفنونها، والعلم بظروف الزمان،

---

(١) - انظر: عبدالكريم زيدان. أصول الدعوة. ص٣١٥. وانظر: محمد بن لطفي الصباغ. خواطر في الدعوة إلى الله. (ط: الأولى. المكتب الإسلامي. ١٤١١ هـ). ص٥٩.

(٢) - شيخ الإسلام بن تيمية. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ص٥٧ (ط: دار العلوم ١٤٠٩هـ القاهرة. تعليق: أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان). وانظر: ابن قدامة المقدسي. مختصرمنهاج القاصدين. ص١٢٩.

(٣) - يوسف القرضاوي. الرسول والعلم. ص٢٤.

(٤) - عبد الحميد البلالي. المصفى من صفات الدعاة. (ط: الأولى. دار الدعوة. الكويت. ١٤٠٧ هـ) ص٢٨.

(٥) - تفسير الفخر الرازي. ج١٨/٢٢٩.

(٦) - ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.ج٢/٤٧٧.

(٧) - عبد الرحمن السعدي. تيسير الكريم المنان. ج٤/٦٣. وانظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.ج٩/٢٧٤

(٨) - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٣/٦٥

(٩) - انظر: عبد الرب نواب الدين، صفات الدعاة ،ص٩٧.

والمكان،والحال،والبيئة،وأحوال الناس[١]،وبالجملة معرفة مايتعلق بجوانبها العلمية والعملية، ويدخل في البصيرة أيضاً الإلمام بأحوال المدعوين،وتشخيص أمراضهم حتى يكون على بينة من أمره في تقديم العلاج النا جع لكل طائفة، ومن هنا كان تفاوت الدعاة وارتفاع أقدارهم كما قال ا لله ﷻ:﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير**﴾[٢]، ورفعة الدرجات تكون بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وعلوّ المنزلة في الآخرة[٣]وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى:﴿**نرفع درجات من نشاء**﴾[٤]، قال:بالعلم[٥]،ومما يدل على فضل العلم قوله ﷻ: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾[٦]وفي الآية بيان لفضل العلم والعلماء من وجوه:

١- استشهادهم دون غيرهم من البشر.

٢- اقتران شهادتهم بشهادة ا لله .

٣- اقترانها بشهادة الملائكة.

٤- تزكيتهم وتعديلهم فإن ا لله لايستشهد من خلقه إلا العدول[٧].

قال الغزالي:" فانظر كيف بدأ ﷻ بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً "[٨]، وقد أدرك السلف رحمهم ا لله هذا المعنى جيداً،حيث **رَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ**[٩] ﷺ **مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِاللَّهِ بْنِ**

---

(١) - انظر: عبد الرب نواب الدين. صفات الدعاة. ص٩٨.

(٢) - سورة المجادلة، الآية:١١.

(٣) - انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ج١/٢٢٥، وانظر: ابن حجر، فتح الباري. ج١/١٤١.

(٤) - سورة الأنعام. الآية:٨٣.

(٥) - فتح الباري.ج١/١٤١.

(٦) - سورة آل عمران. الآية:١٨.

(٧) - انظر: ابن القيم. مفتاح دار السعادة. ص٤٩.

(٨) - إحياء علوم الدين. ج١/١٥، وانظر: ابن القيم. مفتاح دار السعادة. ص٤٩.

(٩) - جابر بن عبدالله بن بن عمرو بن حرام الأنصاري. شهد العقبة الثانية وهو صغير، وتوفي سنة أربع وسبعين. وقيل: سنة سبع

=

أُنَيْسٍ(١) **فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ**(٢). والداعية إن لم يكن على درجة من الفقه لا يمكن أن يكون قدوةً يأتم به الناس،ولا يستطيع إقناع غيره بدعوته،فالعلم والفقه يمكنان الداعية من مخاطبة الناس على قدر عقولهم،كما أن العلم المرتكز على نصوص الكتاب والسنة يولد عنصر الثقة بأهلية الداعية لما هو بصدده من العمل الدعوي، وهذه الثقة شرط لحصول التفاعل بين المدعو والداعية إضافة إلى ارتفاع مكانته وهيبته، وذلك ضروري لانتفاع المدعوين بعلمه، ومن ثم تقوية دوافع الاستجابة في ذاته، قال الله ﷻ: ﴿**لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾(٣) قال قتاده ﷺ: " أمر الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود"(٤)، وهي لفتة ضرورية للدعاة، فإن توقير المدعوين للداعية ينبع من هيبتهم له ووقاره في نفوسهم، وهو مقدمة لسماعهم منه، ومن مصلحة الدعوة أن يقنع الداعية من أمامه بفقهه حتى لا ينفر الناس من دعوته، وليس ذلك من الرياء في شيء، ومن المصلحة كذلك مراعاة تجنب مواطن التهم وكل ما يضعف الثقة في الداعية(٥).

فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب(٦) - رضي الله عنها - قالت:«**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ**

=

وسبعين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٣٠٩.

(١) - عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري مهاجري أنصاري عقبي شهد أحداً وما بعدها، وتوفي سنة أربع وسبعين. المصدر السابق، ج٣/٧٥،٧٦.

(٢) - أخرجه البخاري، فتح الباري مع صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم ج١ ،١٧٤.

(٣) - سورة النور، الآية:٦٣.

(٤) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٢٩٦.

(٥) - انظر: مفيد خالد عيد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة، (ط: الأولى مكتبة دار البيان، الكويت،١٤١٦ هـ)ص١٣٦،١٣٧.

(٦) - صفية بنت حيي بن أخطب، الإسرائيلية، أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد غزوة خيبر، وماتت سنة ست وثلاثين من الهجرة، وقيل سنة خمسين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/١٧٠،١٧١.

فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي[١] وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلان مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإنسان مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا»[٢] قال ابن حجر:"فمراعاة نفي التهمة عنه ﷺ مع عصمته،تقتضي مراعاة نفي التهمة عمن دونه"[٣].

وتشبيه النبي ﷺ علم النبوة بالغيث لاشتراكهما في وظيفة الإحياء، فالغيث يحيي الأرض بعد موتها، والعلم يحيي القلوب بعد جهلها وموتها، والناس مع العلم والهدى كشأن الأرض مع المطر، فهناك أرض طيبة تشرب الماء وتنتفع به وتنبت عشباً كثيراً، وهو مثل للعلماء الدعاة الذين جمعوا بين الرواية والدراية، فهم ينتفعون وينفعون غيرهم.

وهناك أرض تشبه الأحواض في حفظها للماء لينتفع به الناس، ويشبهها من العلماء الرواة الحفظة النقلة، الذين ينقلون العلم للناس دون أن يكون لهم كبير جهد في الاستنباط.

وهناك أرض ثالثة سبخة رديئة لاتنبت عشباً، ولاتحفظ ماءً، ويشبهها من أعرض عن الهدى والعلم، فليس لهم انتفاع في ذواتهم، ولانفع لغيرهم [٤]، وهكذا تبين لنا من خلال هذا المطلب أهمية العلم للداعية وضرورته، وأثره في تقوية دوافع الاستجابة لدى المدعوين.

---

(١) - قلب المعلم الصبيان، يقلبهم: أرسلهم، ورجعهم إلى منازلهم. اللسان، ج١/٦٨٦، مادة: (قلب).

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج٦/٣٣٦. وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجة أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، ج٤/١٧١٢، حديث رقم:٢١٧٥.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج١٣ ١٦٢.

(٤) - انظر: الرسول والعلم، ص١١١، ١١٢، وللإمام ابن القيم كلام طيب حول هذا الحديث. انظر: مفتاح دار السعادة، ج١/٦٠، ٦١. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٧٧.

المطلب الثاني: أنوا ع العلوم التي يحتاجها الداعية

العلم أبوابه واسعة ولا يستطيع أحد أن يزعم الإحاطة بها، ولما كان الأمر الذي يتصدى له الداعية أمراً عظيماً،كان الاستعداد له عظيماً أيضاً، ولكي ينجح الداعية في مهمته بإذن ا لله فإنه محتاج لأنواع من العلوم ذات صلة بمهمته وبميدانه الذي يعمل فيه، والعلوم التي يحتاجها الداعية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي:

١- العلم الشرعي.

٢- الثقافة العامة.

٣- العلم بأحوال المدعو[١].

أولا: العلم الشرعي

من المهم جداً أن يتزود الداعية بالعلوم الشرعية التي تمكنه من أداء مهمته على الوجه الأكمل، فإن فاقد الشيء لايعطيه، ويعرف الحافظ بن حجر العلم الشرعي في تعليق له على قول ا لله ﷻ: ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾ قائلا: "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة مايجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بأسماء ا لله وصفاته، ومايجب له من القيام بأمره،وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه"[٢]

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قسم العلم الشرعي إلى ثلاثة أقسام هي:

أولا: العلم با لله وأسمائه وصفاته.

ثانياً: العلم بما أخبر ا لله به،مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة.

ثالثاً: العلم بما أمر ا لله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح، ويدخل فيه العلم

---

(١) - انظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، هشام يوسف بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية.

(٢) - فتح الباري، ج١/١٤١.

بأحوال القلوب والجوارح، والعلم بأصول الإيمان ونحوه[١].

وإذا أطلقت النصوص الواردة في الكتاب والسنة وعلى ألسنة أئمة الدين فيما يتعلق بفضل العلم والحث على طلبه فإنما يراد بها العلوم الشرعية. أما غيرها فيحسن تقييدها عند الإطلاق، فيقال مثلا: علم الحساب وعلم الطب وغيره[٢].

والعلم الشرعي الذي يحتاجه الداعية أنواع متعددة منها:

أ _ القرآن وعلومه:

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، لاتنقضي عجائبه، ولاتنتهي حججه وهو النور، والحياة، والشفاء من كل داء، والعصمة من كل ضلال وفتنة،ووصفه الله بالبركة والهدى والبيان والإحكام والتفصيل قال الله ﷻ: ﴿هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين﴾[٣] وقال الله ﷻ: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[٤] وقال الله ﷻ: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٥]وقال الله ﷻ: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورًا مبينا﴾[٦]،وقال الله ﷻ: ﴿الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[٧]وقال الله ﷻ: ﴿أفغير

---

(١) - انظر: مجموع الفتاوى،ج١١/٣٩٦،٣٩٧.

(٢) - انظر: ناصر العقل، الفقه في الدين، (ط: الأولى،دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤١٣ هـ)ص١٢.

(٣) - سورة آل عمران، الآية:١٣٨.

(٤) - سورة الأنعام، الآية:١٥٥.

(٥) - سورة يونس، الآية:٥٧.

(٦) - سورة النساء، الآية:١٧٤.

(٧) - سورة هود، الآية:١،٢.

﴿ الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾[١]، إلى غير ذلك من الآيات التي وصفت القرآن الكريم أوصافاً عديدة، ويجب على الداعية أن يكون أوثق الناس صلةً بكتاب الله قراءةً ودراسةً وتدبراً وتأملا،وقد كان النبي ﷺيحرك نفوس المدعوين بهذا القرآن العظيم[٢]،قال الله ﷻ: ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾[٣] ومن شأن القراءة الخاشعة أن تحي في نفس الداعية معاني الخير والهدى؛ لأن القرآن روح ومن شأن الروح الحياة والنمو والقوة[٤].

وقد ضم هذا الكتاب المعجز بين ثناياه " من حقائق الغيب،وحقائق النفس،وحقائق الحياة، وحقائق الاجتماع الإنساني،وبين من سنن الله تعالى،ومن آياته في الأنفس والآفاق مالايستغني بشر عن معرفته، والاهتداء به"[٥]، وعلى الداعية أن يحفظ القرآن كاملا إن تيسر له ذلك، وإن لم يتيسر فلا بد من حفظ ما تيسر منه حتى يتسنى له استحضار الشواهد على كلامه من نصوصه.

ومما تنبغي العناية به وهو يتلو القرآن أن يتحسس أساليب الدعوة، ومفاتيح النفوس البشرية،ففي محاورة الرسل لأقوامهم وعرض الحق عليهم بصور مختلفة كنوز من المعاني الدعوية التي لايستغني عنها الداعية.

ومن المهم جداً العناية بقصص القرآن، وما اشتمل عليه من عبر وأسرار وعظات، دون التفات للتفصيلات التي لايترتب على ذكرها كبير فائدة، فالقرآن يحكي تأريخ الأمم وتجاربها مع الدعوة والدعاة، فيتكون لديه ثروة من التجارب

---

(١) - سورة الأنعام، الآية:١١٤.

(٢) - انظرقصته مع عتبة بن ربيعة حين عرض على النبي ﷺعدة أمور مقابل تخليه عن الدعوة فلما انتهى من كلامه قال له: أفرغت ياأبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، فتلى عليه أول سورة فصلت انظر:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤ ٩٢. ٩٣. وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣١٣

(٣) - سورة الأنعام، الآية:١٩.

(٤) - انظر: البهي الخولي، تذكرة الدعاة، (ط:السادسة، مكتبة الفلاح،١٣٩٩ هـ)، ص٣٠٢.

(٥) - يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية،(ط:الثانية عشر، مؤسسة الرسالة،١٤١٢ هـ) ص١٠.

تفيده في ممارسة الدعوة، وتكوِّن لديه حصانةً ومنعةً ضد اليـأس، فيمضـي متوكـلاً على ربه، لاتفجأه المواقف والأحداث[١]. وتجدر الإشـارة إلى أهميـة إلمـام الداعيـة بعلوم القرآن من مكي ومدني،ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخـاص وعـام، ومطلق ومقيد،كمالايقل علم التفسير أهميةً عن غيره من علوم القـرآن،فهـو المعـين على فهم المراد من كلام الله عز وجل، وعلى الداعية أن يعنى به سواء ما كان منه بالمأثور أو بالرأي[٢].

ومما يجب على الداعية أن يحسن تلاوة القرآن كما أنزله الله، وأن يتلقاه مـن أفواه المشايخ المتقنين كما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم عن الرسولﷺ.

ب _ السنة وعلومها:

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصـادر التشـريع الإسـلامي، والموضحـة والمبينة لآيات القرآن الكريم قال الله ﷻ:﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[٣]،فهي شارحة للقرآن،مفسرة لمبهمه، ومفصلة لمجمله،مقيدة لمُطْلَقِه،مخصِّصَةٌ لعامه،كما جاءت بأحكام لم ينص عليهـا القـرآن الكريـم، ولكنهـا موافقة لمقاصده وأهدافه[٤] قـال الله ﷻ: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[٥] فعلى الداعية الاعتناء بالسنة، والاسترشاد بالأحاديث الـتي تعنـى بتربيـة

---

(١) - المرجع السابق، ص٢٤. وانظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، الرسالة- الوسيلة - الهدف (ط:الأولى، مكتبة الفلاح،الكويـت، ١٤٠٦ هـ)، ص٨٦.

(٢) - انظر: هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، (ط:الأولى، دار المجتمع، جدة، ١٤١٣ هـ)ص ٦٤. وانظر:محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن،(ط:الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤١٠هـ)،ص١٤١ ومابعدها، وانظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص٣٧. وانظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن،(ط:التاسعة، دار العلم للملايين، ١٩٧٧ م)ص١٦٧.

(٣) - سورة النحل، الآية:٤٤.

(٤) - محمد لقمان السلفي، السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها،(ط:الأولى،دار البشائر، بيروت،١٤٠٩ هـ) ص٢٠.

(٥) - سورة النجم، الآية:٣،٤.

النفوس وبذر الخلق الكريم[١]،وأن يكون له معرفة بعلوم السنة كمصطلح الحديث ورواته،وأن يهتم بالحديث الصحيح وشروطه،وأن يفرق بين الصحيح والحسن، والضعيف والموضوع والمنكر وغيرها، وأن يعرف الرواية وآدابها، وكيفية ضبطها، والإسناد وما يتعلق به من لطائف[٢]،وأن يحذرمن الاستشهاد بالضعيف والموضوع في خطبه، ومواعظه، وأحاديثه، وكتب السنة كثيرة جداً ولكن ينبغي للداعية تقديم الأهم منها مثل: الكتب الستة[٣]، ومسند الدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومما ينبغي للداعية الاهتمام به، كتب الشروح التي تفتح مغاليق ما أشكل من الأحاديث، أو بدا تعارضه في الظاهر، وعلى رأسها فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، وشرح الإمام النووي لصحيح مسلم، وغيرهما من كتب الشروح التي تناولت تبيين معاني أحاديث الرسول ﷺ[٤].

ج - علم العقيدة:

ومن أهم العلوم للداعية علم العقيدة، الذي يكون مصدره الكتاب، والسنة، وماجاء عن السلف الصالح، في عقيدة أهل السنة والجماعة، دون التفات إلى شطحات المتقدمين وفلسفة المتأخرين الذين شابوا العقيدة النقية بكثير من الاجتهادات الخاطئة،كما أن عليه أن يهتم بقضايا العقيدة الكبرى وهي:التوحيد، وإثبات وجود الله، والنبوة، والبعث والجزاء، والقضاء والقدر، وعليه الاهتمام بأدلة القرآن التي سيقت لإقناع المدعو، والرد على شبهاتهم،وإفحامهم بالحجج العقلية، وهي مبثوثة في ثنايا آياته.

---

(١) - انظر:حسن مسعود الطوير، الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة، (ط:الأولى، بيروت،١٤١٣ هـ)ص٩٥.

(٢) - هشام بنان، المنهج الدعوي، ص٦٥، وانظر: أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (ط: الثالثة، دار التراث، ١٣٩٩ هـ)، ص١٥، ومابعدها.

(٣) - ويقصد بالكتب الستة صحيحا البخاري ومسلم، والسنن الأربع وهي: سنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة. انظر: محمد بن عثيمين، مصطلح الحديث، (ط:الثانية، دار طيبة، ١٤٠٦ هـ)، ص٥٤.

(٤) - انظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص ٥٣ - ٥٥.

ومن المهم للغاية الاستفادة من علوم العصر الحديث، كعلم الفلك والطب والفيزياء، وغيرها لتأييد قضايا العقيدة، وتثبيتها، والدعوة إليها بكل أمانة وإخلاص، وخاصة لغير المسلمين، لكي يقدم هذا الدين بصورة علمية تعتمد على مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، مع مراعاة عدم الخوض في القضايا الشائكة التي لايترتب على مناقشتها كبير فائدة للدعوة،إلا لدفع شبهة، أو معالجة مشكلة[١].

د - الفقه وأصوله:

قال الله ﷻ: ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[٢] فهو توجيه للأمة لتعرف أهمية التفقه في الدين الذي هو:" آلة الجهاد بالحجة والبرهان، الذي عليه مدار الدعوة إلى الإيمان"[٣]، وإنكار لتوجه المسلمين جميعاً إلى ساحة الجهاد - وما أقدسها من ساحة - مغفلين ساحة أخرى لاتقل قداسة عن الجهاد، وربما زادت عليه في بعض الأحيان، لأنها هي التي تهيء له وتذكر به، وتحذر من إضاعته، وهي ساحة التفقه في الدين[٤]، وقَد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين**»[٥] ويفهم من الحديث أن من لم يتفقه في الدين فهو محروم من الخير[٦]،ومعرفة الأحكام الشرعية في العبادات، والمعاملات، والآداب مهمة للداعية من عدة نواح:

أولا: لأنه طبيب في بيئته، إمام للناس يقصدونه عند أي سؤال واستفسار،

---

(١) - انظر: القرضاوي، ثقافة الداعية، ص ٩٣ - ٩٤، وانظر: هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص ٦٥.

(٢) - سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) - محمدرشيد رضا، تفسير المنار،ج١١/٧٧.

(٤) - يوسف القرضاوي، "أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة"، (ط:الأولى،مكتبة وهبة،١٤١١ هـ) ص١٨.

(٥) - انظر تخريجه: ص ١٣٦.

(٦) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٦٤.

فلا بد أن يكون مستعداً للإجابة على أسئلتهم وإلا انصرفوا عنه وتركوه،وفي ذلك إضعاف لتأثيره.

ثانياً: أن الفقه يمكنه من تصحيح الأخطاء في ضوء الأحكام الشرعية، فعند معالجته لأي من المخالفات والمنكرات فإنه يعالجها بعلم لابمجرد عاطفة فحسب، ومن مقتضيات هذا ألا ينكر منكراً يترجح لديه أنه يترتب على إنكاره ماهو أنكر وأعظم،أو يفوّت مصلحة متيقنة،كما يمكّنه ذلك الفقه من التحقق بفقه الأولويات فلايقدم نافلةً على فريضة، ولاجزئياً على كلي.

ثالثاً:الداعية الناجح هو الذي يمزج بين الموعظة وتعريف الناس بالأحكام التي يحتاجون إليها، فإن ذلك منهج سليم يستنير الناس من خلاله، ويتعلمون أحكام دينهم بكل يسر وسهوله وهذا هو المطلوب[1].

ومن المهم جداً حرص الداعية على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة،وأن يتعلم أصول الفقه فيعرف ما اتفق عليه من الأدلة وما اختلف فيه كالأدلة الثابتة من الكتاب والسنة، وغيرها من الأدلة كالإجماع، والقياس، والاستحسان، والا ستصلاح، والاستصحاب وغيرها.

هـ – السيرة النبوية:

السيرة النبوية هي التطبيق العملي للإسلام، وهي التي تحكي قصة الدعوة منذ انطلاقها من مكة، ففي دراسة الداعية لها دراسةً واعية،تمكين له من أن يقف على الجهود المبذولة من الرسول ﷺوصحابته في سبيل تبليغ الرسالة، ومالاقوه من أذىً، فيستهين الداعية بما يلاقيه من نصب وتعب،ويندفع إلى البذل والتضحية اقتداءً بهم،وتفيده تلك الدراسة في معرفة سَيْرْ الدعوة ومراحلها، وخطواتها التي سلكتها لهدم الجاهلية، كما يشاهد مواقف الأعداء، ومدى التشابه بين أعداء الأمس واليوم. قال الله ﷻ:﴿ **ما يقال**

---

(١) – انظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص٨٠.

لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾[١] وقوله ﷻ: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾[٢]، ومما تجدر الإشارة إليه الاهتمام بالجانب العملي في السيرة لمعرفة هديه ﷺ في الأمور العامة والخاصة[٣]، ومن المهم للداعية أن يركز على فقه السيرة دون أن ينشغل بالقضايا الجزئية، وأن يستلهم العبر والدروس التي تحفل بها أحداثها، مع الحرص على الصحيح منها، وقد خدمت السيرة خدمة عظيمة تمثلت في كثرة ماألف عن الرسول ﷺ[٤]؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن اتجاهات الكتابة في السيرة تعددت، فمنها ماسلك مسلك العناية بتمحيص الروايات،ومعرفة صحيحها من سقيمها[٥]، ومنها ماسلك المنهج الذي يقوم على جمع أكبر قدر من الروايات دون تمحيصها[٦]، وفي العصر الحديث وجد اتجاه جديد في كتابة السيرة يقوم على الدراسة التحليلية التي تعنى بالعبر والدروس،ودراسة السيرة دراسةً تقوم على التقسيم الموضوعي[٧]، وينبغي للداعية أن يهتم بها جميعاً، ويعد محمد بن إسحاق إمام هذا الفن بلا منازع، فهو أستاذ لمن بعده على اختلافهم، وكل من كتب في السيرة بعده فهو عيال عليه[٨] وهو من أوائل من كتب ودوَّن في هذا الفن، قال الإمام الشافعي: " من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على

---

(١) - سورة فصلت، الآية:٤٣.

(٢) - سورة البقرة، الآية:١١٨.

(٣) - انظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص٥٧.

(٤) - انظر: صلاح الدين المنجد، معجم مألف عن رسول الله ﷺ.

(٥) - انظر على سبيل المثال لاالحصر: أبواب السيرة في الصحيحين، والبداية والنهاية لابن كثير، القسم الخاص بالسيرة، وعيون الأثر في المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس، وتأريخ الإسلام للذهبي وفي العصر الحاضرانظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، وانظر: تعليقات المحدث ناصرالدين الألباني على فقه السيرة لمحمد الغزالي.

(٦) - انظر: السيرة النبوية لابن هشام، وتاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري.

(٧) - انظرعلى سبيل المثال: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، فقه السيرة، محمد رمضان البوطي، دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، في ظلال السيرة، محمد أبو فارس.

(٨) - فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، (ط:الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ) ص٥٠.

محمد ابن إسحاق"[١]،وقد قال عنه الحافظ ابن حجر: " ما ينفرد به وإن لم يبلغ الصحيح فهو في درجة الحسن إذا صرح بالتحديث... وإنما يصحح له من لايفرق بين الصحيح والحسن"[٢] وقال عنه الإمام الذهبي:" وكان أحد أوعية العلم حبراً في معرفة المغازي والسير...والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية"[٣].

ثانياً: الثقافة العامة:

أ – الثقافة اللغوية والأدبية:

يحتا ج الداعية إلى قدر كبير من الزاد الأدبي واللغوي يمكنه من إيصال رسالته الدعوية بصورة تبعث في النفس التشويق والإثارة، يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"وإذا كانت الثقافة الدينية لازمة للداعية في الدرجة الأولى، فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك. ولكن الأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات"[٤]، ويقول في موضع آخر مبيناً أهمية اللغة والأدب:" واللغة – بمفرداتها ونحوها وصرفها – لازمةٌ لسلامة اللسان، وصحة الأداء، فضلا عن حسن أثرها في السامع. فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد يمجها الطبع، وانظركم يتأذى سمعك حين تسمع داعيةً يقول:التُبْعة وهو يريد: التَّبِعَة. ويذكر الأهُبّة وهو يريد: الأهْبَة... وكثيراً مايؤدي اللحن إلى إفساد المعنى، وإخراجه إلى ماينا قض الشرع والعقل.وشر ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله كمن يقرأ ﴿**وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن**﴾ [٥] يقرأها: إبراهيمُ ربَّه، وغير خاف على المتأمل فساد المعنى بهذه الصورة، حيث رفع المفعول به ونصب الفاعل.ثم يبين أثر الأدب فيقول: "والأدب بشعره ونثره،

---

(١) – أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط:(المكتبة السلفية، المدينة)، ج٢١٩/١، بدون تاريخ.

(٢) – ابن حجر، فتح الباري، ج١٦٣/١١.

(٣) – أبوعبدالله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ)، ١ ١٧٣.

(٤) – ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، ص١١٤.

(٥) – سورة البقرة، الآية:١٢٤.

وأمثاله وحكمه، ووصاياه وخطبه، مهم للداعية، يثقّف به لسانه،ويجوّد أسلوبه،ويرهف حسه،ويقفه على أبواب من العبارات الرائقة، والأساليب الفائقة، والصور المعبِّرة،والامثال السَّائرة، والحكم البالغة،..ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها،فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه"[١]، ولقد كان القرآن في غاية الجمال والأسلوب في عرضه لقضايا الدعوة والعقيدة، وكان معجزةً بيانيةً، وآيةً أدبيةً أثَّرت في خصومها وأنصارها على السواء، مما حدا بأعدائه البلغاء الذين أوتوا مقاليد البيان أن يعلنوا عجزهم عن الإتيان بسورة أو آية مثله، وفي قول الرسول ﷺ:« **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»[٢] تبيان لأثر الأدب والبيان في النفس البشرية، وأنه يعمل عمل السحر.

والقراءة في كلام البلغاء يعطي الداعية ثروة لغوية تمده بالتعابير الكثيرة ؛ لأنه يحتاج إلى أن يعبر عن المعنى الواحد بأساليب متغايرة؛ لئلا تذهب جدة المعنى، ويصيب السأم النفوس، وخير مايحقق ذلك حفظ القرآن الكريم ودوام قراءته، والتأمل في نصوص السنة النبوية وحفظ ماتيسر منها، ثم حفظ كثير من أقوال المتقدمين،[٣] فإن ذلك يمكنه من إيصال رسالته الدعوية بأسلوب بياني راقٍ يثير خيال النفس، ويهز مشاعر الوجدان، فتنشط الأسماع، وتشرئب الأعناق، وتتفتح القلوب للمعاني المتقنة والعبارات المحكمة، ومن أمثلة الكتب الأدبية القديمة التي تتميز بالعبارات الجزلة،البيان والتبيين للجاحظ، وصبح الأعشى للقلقشندي، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، فالصناعة اللفظية فيها عالية، والأسلوب متميز، ومن الكتب الحديثة: وحي الرسالة لمحمد حسن الزيات، ووحي القلم، وتحت راية القرآن، وإعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي، والنظرات والعبرات، لمصطفى لطفي المنفلوطي، ومؤلفات الخضر حسين، ومحمد محمد حسين،

---

(١) - المرجع السابق، ص١١٤،١١٥.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب الخُطْبَة. ج٩/ ٢٠١. رقم ٥١٤٦. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة،ج٢/ ٥٩٤. حديث رقم:٨٦٩.

(٣) - انظر: محمد أبوزهرة،الخطابة أصولها تأريخها في أزهى عصورها عند العرب (ط:الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٣٤ م)ص٢٤، ٢٥.

والسيد أحمد الهاشمي وأمثالها[١].

ب - الثقافة التأريخية:

التأريخ تجارب الأمم، وذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان أعمالها،والشاهد العدل لها أوعليها، وأصح وقائع التأريخ ماجاء في الكتاب والسنة عن الأمم السابقة، فلقد حوى هذان المصدران أخباراً وأحداثاً لها علاقة بالأمم التي قد خلت، سيقت لتثبيت الرسول ﷺوتثبيت أصحابه على الحق، قال ا لله ﷻ: ﴿**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**﴾[٢]، ولقد كان لأسلافنا المتقدمين اهتمام بهذا العلم الغزير، حيث جمع بعضهم بين التفسير والحديث وبين التأريخ أمثال: الحافظ ابن كثير، والإمام الطبري، والذهبي، وينتقد ابن الأثير من يزدري التاريخ ودراسته، ويبين أن لها منافعها الدنيوية والأخروية ؛ فأما الدنيوية: فمنها وقوف الملوك على سير أهل الجور، ورؤية العواقب الوخيمة لجورهم، وسير أهل العدل وما يخلفون من ذكر جميل بعد ذهابهم، فيرغبون في العدل ويخافون من الظلم، إضافة إلى ما يحصل لهم من التجارب، فإنه لايحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا.وأما الفوائد الأخروية فمنها: أن العاقل اللبيب إذا رأى تقلب الدنيا بأهلها زهد فيها وأعرض عنها، ومنها التخلق بالصبر، فإن العاقل إذا رآى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ولا ملك معظم، بل ولا أحد من البشر، علم أنه يصيبه ما أصابهم[٣].

ويحتاج الداعية للتأريخ لعدة أمور منها:

١- أن رؤيته لتأريخ الأمم، وتقلبات الأيام،يوسِّع آفاقه،وينمي مداركه،ويرى بعين بصيرته، أيام ا لله في أهل طاعته وأهل معاصيه،ويرى سنن ا لله تعمل في المجتمعات، ويعرف

---

(١) - انظر: صالح بن حميد، المنهج الأمثل لخطبة الجمعة،(من أعمال الملتقى الأول للأئمة والخطباء في الرياض، ١٤١٤ هـ)ص٢٤، ٣٠.

(٢) - سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) - انظر: علي بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، (ط: دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ)ج١ ٩.

كيف ترقى الأمم وكيف تهبط ؟ ويرى مداولة الله للأيام بين الناس،وكيف تسقط الدول؟ وكيف تقوم ؟ ويرى تأريخ الدعوات والعقائد وكيف ينجح قادتها ؟ وكيف يفشلون ؟ يقول الله ﷻ: ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبُ يعقلون بها أو آذانُ يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[١].

٢- التأريخ يشهد على صدق القيم والمعاني التي يدعو إليها الدين،ففي سير الناس تتبين عاقبة الفجور والتقوى، والاستقامة والاعوجاج،ولهذا عني القرآن الكريم بقصص الأولين والتنويع في عرضها تبعاً للغرض الذي سيقت لأجله،قال الله ﷻ: ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[٢] كما نشاهد في الآيات تعقيبات تبرز العبر والدروس، وتلفت الأنظار إلى التأمل المطلوب، والمؤدي إلى الانتفاع كما في قوله ﷻ: ﴿ **فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا إن في ذلك لايةً لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾[٣].

٣- في تماثل الظروف وتشابه الدوافع، دليل على فهم الواقع المماثل، وكانت العرب تقول: ماأشبه الليلة بالبارحة! بل إن كثيراً من القضايا التي يعاصرها الداعية، والعقبات التي تقع في طريقه، لايمكن فهمها بمعزل عن جذورها التأريخية المرتبطة بها، ففي قول الله تعالى: ﴿ **كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون**﴾[٤]،بيان للطبيعة الواحدة للمكذبين على مر الأعوام والدهور.

٤- هناك صلة وثيقة بين بعض جوانب التأريخ وبين عمل الداعية واهتماماته مثل:

---

(١) - سورة الحج، الآية:٤٦.

(٢) - سورة ق، الآيتان:٣٦، ٣٧.

(٣) - سورة النمل، الآيتان:٥٢، ٥٣.

(٤) - سورة الذاريات، الآيتان: ٥٢،٥٣.

تأريخ الفرق والأديان ونشأتها وتطورها، وتأريخ الحضارات ومصيرها[١].

ج - العلوم الإنسانية:

وهي العلوم التي يكون موضوعها الإنسان، وتأتي أهمية هذه العلوم في كونها تعين على فهم الناس، وخاصة الذين درسوا هذه العلوم وتأثروا بها، وأصبحت جزءاً لايتجزأ من تكوينهم الفكري والثقافي، فإن الداعية مأمور بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، وغزوهم بمثل سلاحهم، ولن يستطيع الدخول معهم مالم يكن ثمة جسر مشترك من الثقافة يقرب المسافة ويزيل الهوة[٢]، ويستفيد الداعية من هذه العلوم من جوانب ثلاثة هي:

أولاً: التعرف على أحوال المدعومن جمع الجوانب النظرية والعملية.

ثانياً: كيفية التأثير في نفسياتهم.

ثالثاً: كيفية عرض الدعوة عليهم[٣].

ومن أهم تلك العلوم مايلي:

١- علم النفس:

ويستفيد منه الداعية في التأثير في نفس المدعو ومعرفة ميوله، وطريقة الوصول إلى إقناعه، ولايتم ذلك دون معرفة نفسيته وما يجذبها وماينفرها، " وعلم النفس التربوي والسلوكي يمد - الداعية - بينبوع فياض من المعاني، ويمنحه القدرة على لمس قلوب السامعين، وتحريك عواطفهم، وإثارة مشاعرهم"[٤]، وقد تقدمت الدراسات النفسية الحديثة، وأصبح بإمكان الداعية أن يطلع عليها، وخاصة مايعتمد منها على أساس الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار، وعلم النفس بهذا المفهوم يفيد الداعية في جوانب مهمة تتعلق بمهمته الدعوية، ومن تلك الجوانب مايلي:

---

(١) - انظر: يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص١٠٢ - ١٠٤، وانظر: هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) - يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص ١٢١.

(٣) - انظر: هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص٧٣.

(٤) - عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، (ط: الثانية، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢ هـ)، ص٤٥

أولا:أثبتت الدراسات النفسية أن المتدين أقوى شخصية، وفي هذا بيان للثمار النافعة للإيمان.

ثانياً: أنه يعينه على استيعاب النصوص الشرعية، ويبينها تبييناً يلائم عقلية العصر فقول الله ﷻ:﴿قل إنما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾[١] يدل على أن التفكير النافع والحري بدفع صاحبه إلى الحق هو تفكير الإنسان مع رفيق له، أو وحده خالياً بعيداً عن تأثيرات العقل الجمعي، وإيماءاته التي كثيراً ما تحرف صاحبها عن الصواب، وهذا ما يقرره علم النفس[٢]. وقوله ﷺ: « **لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ** »[٣]، يبين أثر الانفعال في صحة الحكم وهو ماقرره علم النفس.

٢- علم الاجتماع:

وهو العلم الذي يعنى بدراسة المجتمع البشري في مختلف جوانبه، ويعمل على تحليل ظواهره، والكشف عن القوانين التي تحكم مسيرته[٤]، ويفيد الداعية لأنه يصف صلة المرء بغيره، كما يبين الأفكار والرغبات المسيطرة على الجماعات، ومايلين قيادها وما يعسره[٥].

وعلى الداعية أن يلم بالظروف الاجتماعية للإنسان، حتى يكون لديه رصيد معرفي عن اختلاف الناس من حيث البيئات الاجتماعية فيما يتعلق بعاداتهم، وتقاليدهم، وأحوالهم، وأصولهم العرقية، ومشكلاتهم الاجتماعية، وتحيزاتهم الثقافية، وكذلك معرفة أثر النظم والأنماط الاجتماعية في حياة المدعو[٦]، إن ذلك يفيده وهو يختط منهجاً دعوياً يناسب أحوالهم،ومن الأمور التي يحتاجها الداعية في دراسة علم الاجتماع: دراسة الظواهر

---

(١) - سورة سبأ، الآية:٤٦.

(٢) - يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص١٢٤ . ١٢٥ .

(٣) - أخرجه البخاري، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ج١٣/١٣٦.

(٤) - المرجع السابق، ص١٢٦.

(٥) - عبد النعيم محمد حسنين، الدعوة إلى الله على بصيرة،(ط: الاولى، دار الكتاب المصري، القاهرة) ص٨٢.

(٦) - حسن مسعود الطوير، الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة، ص١٠٠.

الاجتماعية والاستفادة منها لمعرفة المشكلات وتقديم الحلول الناجعة لها،والإلمام بسياسة الناس، وما يجب لكل صنف من المعاملة والخطاب، حسب القضايا الاجتماعية التي تحيط بكل فرد وأسرة، أو مجتمع وأمة[١]

٣- علم التربية:

إن علم التربية من العلوم الإنسانية الحديثة التي يحتاجها الداعية، وقد أصبح لهذا العلم أهميته في ميادين الحياة العلمية، وهنالك ارتباط وثيق بين علم الدعوة وعلم التربية؛ لأن كليهما يسعى ويهدف إلى الرقي بالمخاطب، وتربيته من خلال إحداث التأثير في نفسيته، وتركيز مفاهيم الأخلاق والسلوك، ومهمة الداعية مهمة تربوية بالدرجة الأولى، تقوم على عمليتي الهدم والبناء في آن واحد، ويتمثل الهدم في القضاء على الممارسات العقدية الخاطئة، والسلوكيات المنحرفة، وبناء عقيدة التوحيد الخالصة كما أنزلها المولى الكريم ﷻ، وغرس العادات والقيم الإسلامية، والتربية عليها، وتعديل السلوك البشري المنحرف، ومما ينبغي أن ينبه عليه عند الحديث عن أهمية علم التربية كفرع من فروع المعرفة له نظرياته، واتجاهاته، التزام اتجاهات المنهج الإسلامي، ودراستها من منظور إسلامي، ووعي دعوي، وعدم التأثر بالنظريات الوضعية المخالفة للإسلام، وعلى الداعية أن ينظر إليها بعين الناقد البصير[٢].

وهكذا تبين لنا أهمية العلوم الإنسانية، وعلاقتها بثقافة الداعية وأهمية الاستفادة منها.

ثالثاً: العلم بأحوال المدعو.

أ-: معرفة الأنساب والقبائل والأفراد:

كان رسول الله ﷺ مهتماً بدراسة أوضاع القبائل والمجتمعات، فهو يشير إلى بعض القبائل، ويثني على قبيلة، ويدعو على أخرى،ويزن كلا بميزان الدعوة،

---

(١) - هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص٧٥، وانظر: محمد أبوزهرة، الخطابة، ص١١.

(٢) - هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص ٧٦.

فيقول:«**أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا**»(١)، ويقول: « **قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»(٢)، ويقول:«**خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ. فَقَالَ سَعْدٌ: مَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلا قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا. فَقِيلَ: قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ**»(٣)، وفي الوقت ذاته نراه ﷺيدعو على آخرين فيقول في صلاته: « **اللَّهُمَّ الْعَنْ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلا وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ**»(٤)، ويقول:« **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَغِفَارُ وَأَسْلَمُ وَمُزَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ قَالَ جُهَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ مُزَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَسَدٍ وَطَيِّئٍ وَغَطَفَانَ**»(٥)، إن تلك النصوص يمكن أن تكون أصلا ينطلق منه في دراسة أحوال الناس، الذين هم ميدان الدعوة المهم، ووطنها الذي تتعامل معه، بل كان ﷺيسأل عن أشراف الناس وأقدارهم، يتضح ذلك في سؤاله لأحد أشراف عبد القيس وهو يبحث عمن يؤيده حتى يبلغ رسالة ربه: « **كيف جميع هيئتك وقومك، ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل يسميهم بأسمائهم**»(٦)، «**وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ؟ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: الرَّجُلُ مِنْ هَمْدَانَ. قَالَ: فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟ قَالَ:**

---

(١) - أخرجه مسلم، صحيح مسلم، ج٤/ ١٩٥٢، حديث رقم: ٢٥١٥.

(٢) - المصدر السابق، حديث رقم: ٢٥٢٠.

(٣) - المصدر السابق، حديث رقم:٢٥١١.

(٤) - المصدر السابق، حديث رقم: ٢٥١٧.

(٥) - المصدر السابق، حديث رقم:٢٥٢١.

(٦) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١/١٨١، وانظر: الأبي، إكمال إكمال المعلّم،ج١/١٤٧، وانظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى،ج١/٣١٤.

نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخْفِرَهُ قَوْمُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ آتِيهِمْ فَأُخْبِرُهُمْ ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ قَالَ: نَعَمْ »[١] وفي هذا النص يتجلى الاهتمام والحرص من قبل النبي ﷺعلى معرفة المدعو، ومعرفة أحوال قبيلته ودرجتها من القوة والقدرة على الحماية، لارتباط ذلك بالمرحلة التي تعيشها الدعوة في مكة، وهي مرحلة الضعف والمطاردة، وما تتطلبه من إيواء ونصرة، ولما التقى النبي ﷺ بالأنصار قال لهم: « **من أنتم ؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود ؟ قالوا: نعم**»[٢] ؛ وهذا يدل على إلمامه بأحوال أهل المدينة وما فيها من ارتباطات سياسية.

أما معرفته بالأشخاص فيلاحظها كل متأمل في سيرته ﷺ، ففي غزوة الحديبية لما منعت قريش المسلمين من دخول مكة، وبعد مداولات ومراجعات ليعرفوا هدف مجيئه ﷺأرسلوا مكرز بن حفص بن الأخيف، فلما رآه النبي ﷺ قال:« **هذا مكرز، وهو رجل فاجر**»[٣]. ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، فلما رآه النبي ﷺ قال:« **هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون. فلما رآى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت**»[٤]،ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده،ج١٢/٩٤، رقم ١٥١٣٠، وقال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح. وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب فضائل القرآن، باب: ٢٤، ج٥/١٨٤ رقم ٢٩٢٥.وقال: حديث غريب صحيح، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد. وقال: رجاله ثقات. انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ط: دار الفكر، ١٤١٢)ج٦ ٣٨، تحقيق:عبد الله محمد الدويش، و وقال الذهبي: أخرجه أبو داود، عن محمد بن كثير، عن إسرائيل وهو على شرط البخاري، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ط: دار الكتاب العربي، بيروت)، ص٢٨٢.

(٢) - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٧٠، قال عنه الألباني: إسناده حسن، انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، (ط:الدوحة)، حقق أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٥٤، هامش رقم ١.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، ج٥/٣٣١، وانظر: سيرة بن هشام، ج٣/٧٧٧.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، ج٥/٣٣١، وانظر: سيرة بن هشام، ج٣/٣٢٦.

ليفاوض النبي ﷺفلما رآه قال:« **قد سهل لكم من أمركم**»(١)، إن هـذه الأقـوال في الرجال تدل على معرفته بالرجال معرفة دقيقة، كمـا تـدل علـى فهمـه العميـق للأشخاص وطبيعتهم،ولانقول إنه كان يعلم الغيب،بل يعلم منـه مـا علمـه الله عـز وجل، ولكنها دراسة الرجال وأحوالهم ومعرفة طبيعتهم ومشاربهم، ومخاطبـة كـل واحد منهم بما يناسبه ويؤثر عليه(٢).

ب -: معرفة النفوس البشرية:

إن الجهد الدعوي المبذول إذا أريد أن يكتب له النجاح لابـد أن ينطلـق مـن معرفة دقيقة بالنفس البشرية،وقـد تضمـن القـرآن الكريـم كثيراً مـن الآيـات الـتي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان، ووصفت أحوال النفس المختلفة، وبينـت أسباب الانحراف وطرق العلاج، وذلـك أمـر طبعـي في كتـاب أنزلـه الله لهدايـة الإنسـان؛ وتوجيهه إلى الصراط المستقيم(٣)، والسنة النبوية والسيرة العطرة من جانب آخر لم تغفلا هذا الجانب؛ لأن السنة شارحة للقـرآن الكريـم وموضحـة لمعانيـه، والسـيرة تطبيق لتوجيهات الوحي الكريم، ويدخل في معرفة النفوس معرفة الفروق الفرديـة، فالمدعوون مختلفون: فمنهم من يُسّرَت له بقايا وحي صالح، فهو يعمل بهـا مخلصـاً ولو عرف غيرها لسارع إليها، وفيهم من نضجت فطرته فهو يحترم العقـل،ويرعـى الحقوق، ويتجنب الدنايا. وفيهم الغُفْلُ الذي يعطي قياده من امتلكه، ويسير خلف غيره، ولايحسن إلا التقليد. وفيهم الذي يسخر بجزء من الديـن أو كلـه إذا عـرض عليه،وفيهم من ينكر عالم الغيب جملة وتفصيلا، ويقر بعالم الشهادة وحده، وفيهـم من يملـك القـدرة علـى التحليـل والتفكـير ولكنـه يعطلهـا كسـلا(٤)،ولذلـك فـإن

---

(١) - المصدر السابق، المدرك ذاته. وفي سيرة بن هشام أنه ﷺ لما رآى سهيلا قال: (قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هـذا الرجـل). سيرة بن هشام، ج٣/٣٣١.

(٢) - انظر: عبدالحميد زين الدين رضا خوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، (رسالة دكتوراه مقدمة لشعبة الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ)، ص١٠١.

(٣) - محمدعثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، (ط: الخامسة، دار الشروق، بيروت، ١٤١٤هـ)ص٢٣.

(٤) - محمد الغزالي، مع الله، ص٧٠.

المدعوين ليسوا على درجة واحدة في الاستجابة للدعوة، فمنهم السريع في الاستجابة، ومنهم البطيء جد اً، ومنهم من بين هذين الحدين في درجات كثيرة جد اً إضافةً إلى أصحاب الحرف، والمتعلمين، والأمِّيين، والمنحرفين، والمبتدعين، وقصيري النظر، فالتعامل مع تلك الأصناف يحتاج إلى علم تام بأحوالهم، ودراية بواقعهم، وتوجهاتهم[١]، **وعند الإمام البخاري رحمه الله تعالى / بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لا يَفْهَمُوا وَقَالَ عَلِيٌّ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟**[٢] فتخصيص علم لأناس دون أناس يدل على أن الدعوة لاتكون على مستوى واحد لجميع الشرائح،[٣] فغير المتعلمين من عامة الناس لهم أسلوب معين، " وحالهم كحال المبتدىء في تعلم القراءة والكتابة، وكل صعوبة أو تعقيد قد يصرفهم عن الدعوة...وهؤلاء تحركهم العاطفة أكثر مما يحركهم العقل"[٤]، وهؤلاء بعكس المتعلمين ومن في مستواهم، فيبحثون عن التحليل والاستنتاج والمعنويات ودلائل الإعجاز، مما يقتضي من الداعية مراعاة منزلتهم العلمية عند مخاطبتهم ودعوتهم[٥]، ودعوة الملأ من الأمراء، والأشراف تقوم على اللين والرفق فقد وجه الله ﷻ موسى حين بعثه إلى فرعون بقوله: ﴿ **اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾[٦] وقوله ﷻ: ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى**﴾[٧] قال الإمام ابن القيم: " فأخرج الكلام معه مخرج السؤال

---

(١) - عبد الحميد زين الدين رضا خوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، ص٩٦.

(٢) - صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، ج١ ٢٢٥.

(٣) - انظر: عبدالحميد خوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، ص٤٤.

(٤) - همام عبد الرحيم سعيد، قواعد الدعوة إلى الله،(ط: الأولى،دار العدوي، عمّان-الأردن١٤٠٣ هـ) ص٧٣.

(٥) - المرجع السابق، المدرك ذاته.

(٦) - سورة طه، الآيتان:٤٣،٤٤.

(٧) - سورة النازعات، الآيات:١٧،١٨،١٩.

والعرض، لامخرج الأمر وقال: ﴿ إلى أن تزكى ﴾ ولم يقل: إلى أن أزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره، لما فيه من البركة والخير والنماء... فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب عقلا وشرعاً، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل"[١]. وإن كان المدعوون مثقفين فإنهم يدعون بالأدلة العلمية الموضوعية الهادئة، لابالمهاترات، وبالدلائل القطعية بينهم،لا الأقوال الخطابية، بمعنى أن تكون طبيعة دعوتهم إلى الحق قائمة على مخاطبة عقولهم وعواطفهم معاً، وإن كانوا من أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام وشدة الحاجة إليه[٢]،ومجادلتهم بالتي هي أحسن، بخلاف المعاندين الذين يجادلون مشاغبة ومغالبة فلا جدال معهم؛ لأنه لا فائدة في جدالهم [٣] كما قال الله ﷻ: ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ وهكذا لاحظت الدعوة الإسلامية طبائع المدعوين واختلاف مشاربهم، ووضعت في الحسبان الأمور التالية:

١) المناقشة الهادئة لواقعهم العقدي.

٢) التدرج في الدعوة، وعدم الاستعجال.

٣) عدم الاستنكاف عن تكرار الدعوة.

٤) توضيح وبيان أهداف الدعوة والغاية منها.

٥) اختيار المنهج الملائم والقائم على معرفة طبيعتهم[٤].

---

(١) - ابن القيم، بدائع الفوائد، (ط: دار الكتاب العربي، بيروت) ج١٣٢/٣.

(٢) - انظر: يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ص٤٩. وانظر: عبد الحميد حوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، ص١٠٢.

(٣) - انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٩٣/٦.

(٤) - انظر: أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص٤٢٩، ٤٣٠.

ج -: معرفة الواقع:

إن الداعية وهو يؤدي رسالته الدعوية، لابد له من الإلمام بواقع المدعوين حتى يكون على بينة من أمره؛ لأن المجتمع هو ميدانه الدعوي، وهو يتكون من نسيج من الميول والاتجاهات والرغبات والارادات، فالداعية الناجح هو الذي يفهم الجماهير فهماً يعينه عل سلوك الطريق الأقوم لإقناعهم بدعوته،[١] قال الله ﷻ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[٢] وفي الآية تنبيه على ضرورة وجود لسان مشترك بين الداعية والمدعو، واللسان المشترك أوسع دلالة من اللغة المشتركة، بل لابد من معرفة بما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته، وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات، وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد، حتى يستطيع غزو نفوس المدعوين[٣].

والاهتمام بدراسة المدعو وفهمه ضرورة تحتمها حكمة الدعوة، وهو مكمل من مكملات البصيرة التي يحتاج إليها الداعية، فكم من داعية تجاهل هذا الأمر ولم يعطه حقه من العناية، فاصطدم بالواقع الذي كان يجهله، ولم يوفق في دعوته، وترتب على ذلك خسارة كبيرة، وتفويت لفرصة من فرص النجاح المتاحة بإذن الله، وعندما ندعو لفهم أحوال المدعو فإننا ندعو إلى ضرورة شرعية، وحاجة ملحة أخذت تبرز أهميتها يوماً بعد يوم،فإن ظهور كثير من الأخطاء والانحرافات في حياة المسلمين يعود في كثير من أحواله إلى عدم فهم واقع المسلمين، وإلى عدم تقدير الظروف المحيطة بهم،أو عدم تقدير نشاط أعدائهم، أو للإعراض عن منهج

---

(١) - انظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، الرسالة- الوسيلة - الهدف، ص٤٣٢.

(٢) - سورة ابراهيم، الآية: ٤.

(٣) - محمد حسين الذهبي، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، (من أعمال المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في العصر الحديث، الجامعة الإسلامية بالمدينة)، ص٢.

الحق القويم الذي أنزله الله[١]، وكل متتبع للنصوص في الكتاب والسنة والسيرة النبوية، يلفت نظره وضوح هذا المعلم الدعوي المهم في العملية الدعوية،فنجد في القرآن الكريم الآيات التي تنزل لتكشف للمؤمنين واقعاً قائماً في حادثة حين غزا الفرس الروم وانتصروا عليهم،ويكشف غيباً لايعلمه إلا الله وهو انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وربط ذلك كله بمنهج الله ﷻ ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[٢] قال ﷻ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٣] فكيف تكون هذه الأمة وسطاً وشهيدة على الناس وهي غافلة لاهية،لاتقوم برسالتها،ولاتدرك واقعها، وهل تصح الشهادة من غافل؟[٤].

وحينما يقص الله ﷻ في سورة النمل قصة الهدهد الذي يخبر سليمان ﷺ أنه وقف على أولئك المدعوين، وخبر حالهم، وجاء ليعطي سليمان صورة عن الواقع الذي رآه في تقرير مفصل، فإنما هو تنويه بقيمة ما تعارف عليه الناس اليوم بالتخطيط[٥] الذي يبنى على دراسة معطيات الواقع، بل إن تلك الدراسة قاعدة أساسية في تخطيط الدول القوية التي تولي هذا الأمر اهتماماً كبيراً[٦]، انظر إلى قول الله ﷻ: ﴿وتفقد الطير فقال مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذاباً

---

(١) - انظر: عدنان النحوي، دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية،(ط: الأولى، مكتبة الاعتصام،١٣٩٩هـ، القاهرة)ص٢١٣.

(٢) - سورة الروم، الآيات: ١-٥ .

(٣) - سورة البقرة، الآية:١٤٣.

(٤) - انظر: عدنان النحوي، دور المنهاج الرباني في الدعوة، ص٢١٧.

(٥) - انظر: عبد الرب نواب الدين، الدعوة إلى الله في ضوء سورة النمل، (ط:الأولى، دار القلم، ١٤١٠ هـ) ص٣٠٥.

(٦) - انظر: عدنان النحوي، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص٢٢١.

شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين* فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين* إني وجدت امرأةً تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم *وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون *ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون *الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾[1] وبالتأمل في هذا النص الكريم نلاحظ عدة أمور:

١ ـ لقد قام الهدهد ببيان نظام الحكم في الدولة، وأنه ملكي ﴿ إني وجدت امرأةً تملكهم ﴾ بيد أنهاتعتمد الشورى كما دلت الآيات التي تليها، ومن ثم فإن إسماع عامة الناس صوت الدعوة فضلا عن خاصتهم موضع توقع بل تحقق؛ لأن أهل الشورى في الغالب يصطلحون على تحري المصلحة لهم ولرعاياهم.

٢ – بيّن الرخاء المادي الذي تعيش فيه تلك المملكة، ﴿ وأوتيت من كل شيءٍ ولها عرشٌ عظيم﴾ وهي كناية عن عظمة ملكها، وماهم فيه من ترف، وموقف المترفين من الدعوة موقف جلاه القرآن الكريم في مواضع متعددة من آياته، حيث بين أن موقفهم على الدوام يقوم على العناد، والتكذيب إلا من رحم الله. قال الله ﷻ:﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون *وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين﴾[2]

٣ ـ تحدث عن عبادتهم، وأنها تقوم على الوثنية المتمثلة في سجودهم للشمس،

---

(١) – سورة النمل، الآيات: ٢٠– ٢٦.

(٢) – سورة سبأ، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ وأن هؤلاء الذين يعبدون بعض مظاهر الكون حريون أن يوقفوا على عظيم قدرة الله الخالق والمسخر للشمس.

٤ - لم ينس الهدهد وهو في موقف التبيان لحالهم أن يشير إلى سبب انحرافهم العقدي حين قال:﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ ويستغرب إعراضهم عن خالقهم المستحق وحده للعبادة فيقول: ﴿ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون *الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ " وهذا التحليل البارع لنفسية القوم ينم عن مقدرته العلمية الاستدلالية"(١).

ومما يؤكد أهمية دراسة واقع المدعو، مانلمسه في آيات القرآن الكريم من تفصيل لمواقف البشر أمام الحق، حيث يقترب منه الضعفاء، ويعارضه المستكبرون استعلاءً وعناداً، وبيان موقف المعارضين والمستجيبين للدعوة، وأن المستجيبين في الغالب هم الفقراء. والدعوة الإسلامية عامة ودائمة، وعليها أن تهتم بالتعرف على طبائع المدعوين،والتفهم لاهتماتهم ؛ لكي تتمكن من لفت النظر عند كل جماعة على حدة، لكي تستطيع إبلاغ الدعوة إلى الجميع(٢)، بل يقدم الكتاب العزيز تفصيلا دقيقاً يقوم على التحليل الدقيق لموقفهم من الدعوة ؛ ويمكن حصر النماذج البشرية في المنهج الرباني بصفة عامة في أقسام ثلاثة وهي:(٣)

المؤمنون.. الكافرون.. المنافقون..

وتلك الأصناف الثلاثة قد بين القرآن الكريم ملامحها وصفاتها بياناً يتجاوز الوصف الظاهر؛ لينفذ إلى دخائل النفوس وطبائعها من خلال دراسة المواقف العملية لكل صنف، وهذه أمثلة عن الصنف الأول المؤمنين:

---

(١) - عبد الرب نواب الدين. الدعوة إلى الله، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) - انظر: أحمد غلوش. الدعوة الإسلامية، ص٤٢٤.

(٣) - انظر: عدنان النحوي. دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص٢٢٢ وما بعدها.

قال الله ﷻ: ﴿ الم *ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون *والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾(١)

ويصف المحسنين:

﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾(٢)

ويصف الصابرين:

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾(٣)

ويصف الصادقين:

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾(٤)

هذا عن المؤمنين، وأما أعداء الدين من الكافرين ومواقفهم من الدعوة فيكشف القرآن شدة عداوتهم، ويعرضها عرضاً شافياً، ومن أمثلة ذلك مايلي:

قال الله ﷻ: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو

---

(١) - سورة البقرة، الآيات: ١ - ٤

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) - سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٤) - سورة الحجرات، الآية: ١٥.

الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾[١]

وقوله ﷻ: ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾[٢]

أما المنافقون فيقرر كتاب الله خطرهم على الصف الإسلامي فيقول ﷻ: ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[٣]، و قال الله ﷻ: ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[٤]

وفي تأملنا في سيرة النبي ﷺ وسنته يتبين معرفته بواقع المدعوين وعاداتهم، ولعل هذا النص يكشف لنا مظهرا منها « **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا حَيٌّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلا نَقْدِرُ عَلَيْكَ إِلا فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ؛ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْغَنَائِمِ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الدُّبَّاءِ،[٥] وَالْحَنْتَمِ،[٦] وَالْمُزَفَّتِ،[٧]**

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٣) - سورة البقرة، الايتان: ١١، ١٢.

(٤) - سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٥) - الدباء: هو القرع اليابس، أي الوعاء منه. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١/١٨٥ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٣٤.

(٦) - الحنتم: الواحدة حنتمه. وقد اختلف فيه. فأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خضر. والثاني: أنها الجرار كلها. والثالث: أنها جراريؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف. والرابع: جرار حمر أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر. والخامس: أفواهها في جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف. والسادس: جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم.المصدر السابق، المدرك ذاته، و انظر: فتح الباري، ج١/١٣٤.

(٧) - المزفت: المزفت نوع من القار، وهو إناء يطلى بالزفت أو القار، ابن حجر ، فتح الباري، ج١/١٣٤.

وَالنَّقِيرِ،(١). **قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا عِلْمُكَ بِالنَّقِيرِ ؟ قَالَ: بَلَى جِذْعٌ تَنْقُرُونَهُ فَتَقْذِفُونَ فِيهِ مِنَ الْقُطَيْعَاءِ** (٢). **قَالَ سَعِيدٌ: أَوْ قَالَ: مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ تَصُبُّونَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا سَكَنَ غَلَيَانُهُ شَرِبْتُمُوهُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَضْرِبُ ابْنَ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ »**(٣)

وفي هذا الحديث دليل على علم النبي ﷺبأحوال المدعوين، من جانبين:

الأول: حيث استغرب المدعوون علم النبي ﷺبأشياء يعملونها في بلادهم ولم تكن موجودة في أرضه(٤).

الثاني: حيث اقتصر في النهي على" الانتباذ في الأوعية مع أن في المناهي ماهو أشد في التحريم من الانتباذ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها"(٥).

بل إنه ﷺ كان يعرف بلاد المدعوين وأماكنهم التي يقيمون فيها، فقد سأل وفد عبد القيس وسمى لهم بعض قراهم حتى قال أحدهم: « **بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَسْمَاءِ قُرَانَا مِنَّا**»(٦) ولقد فقه الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى جيداً، فلم يكن الخلفاء الراشدون ليفتحوا أرضاً دون معرفتها، وقد نقل الكِتّاني: أن الخلفاء صدر الإسلام أمروا أمراء جيوشهم وعمالهم أن يرسم كل منهم خطط البلاد التي افتتحها واستولى عليها(٧)، وفي وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر تأكيد لذلك، حيث وصف تربتها وأشجارها ونيلها وجبالها، وكيفية استخدام الناس للمواصلات عند زيادة النيل، ووصف النبات، واجتهاد الناس في الزراعة، وقد أعجب أمير المؤمنين عمر بهذا الوصف الدقيق، حتى قال: لله درك يابن العاص، لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده(٨). ومن هنا كان حقاً

---

(١) - النقير: جذع ينقر وسطه فيتخذ منه وعاء، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي،ج١/١٨٥، فتح الباري، ج١/١٣٤.

(٢) - القطيعاء: نوع من التمر يقال له الشهريز، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١/١٩١.

(٣) - أخرجه مسلم، في صحيحه، ج١/٤٨-٤٩، حديث رقم:٢٦، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح ، ج١/١٢٩، حديث رقم:٥٣

(٤) - الأبي، إكمال إكمال المعلم،ج١/١٥٩.

(٥) - فتح الباري،ج١/١٣٤.

(٦) - أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٣/٥١٤، رقم ١٧٧٥٨، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٧) - عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (ط: دار الكتاب العربي، بيروت) ج٢/٢٦٦.

(٨) - انظر: المرجع السابق، المدرك ذاته، وقد جاء فيه مانصه: " وقد ترجم هذا التقرير ونشره إلى عدة لغات أجنبية الكاتب

=

على الدعاة أن يتعرفوا على واقع المدعوين بكل شموله وجوانبه ؛ ليخرجوا بدراسة تكون سبيلا واعياً لتطبيق شرع الله في الواقع البشري، وأساساً لحسن النهج والتخطيط، ووسيلة لتجنب كيد الأعداء، والحذر منهم، والدفاع عن حمى الإسلام. وهكذا رأينا في هذا المبحث، أهمية العلم للداعية وضرورته، وأنه ذو أثر كبير في تحقيق دوافع الاستجابة لدى المدعوين.

=

الفرنسوي الشهير اكتاف اوزان في جريدة الفيجارو الفرنسية، ووصفه بقوله: إنه من أكبر آيات البلاغة في كل لغات العالم. وقال عنه: إنه من الفرائد في إيجازه وإعجازه. واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المعمورة، حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم على الأشياء، وكيفية تنظيم الممالك ".أ. هـ. وانظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ط: الرابعة، دار النفائس، بيروت١٤٠٣ هـ)ص٥٠٠. وانظر: عبد الحميد خوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، ص١٠٣، ١٠٤.

المبحث الثالث: مراعاة أحوال المدعوين

إن الداعية كي ينجح في مهمته، لابد أن يضع في ذهنه مراعاة أحوال المدعوين بشتى أنواعهم، فهم ليسوا على وتيرة واحدة، بل يختلفون اختلافاً نوعياً من جميع الجوانب، في تفكيرهم، وفي مستوى عيشهم، وفي تركيبهم المزاجي، وفي كافة القدرات الحسية والمعنوية، وهم مختلفون كذلك في نوع الاحتياج إلى الدعوة، وتبعاً لذلك الاختلاف، يرسم الداعية خطته في مخاطبة كل صنف بما يناسبه، وهذا واضح من هديه ﷺ في الدعوة، فقد كان ﷺ يراعي أحوال المدعوين، ويخاطبهم على قدر عقولهم وإدراكهم، كما كان يراعي أحوالهم من جميع الجوانب، وينزلهم منازلهم، ولعل هذين النصين يجليان المعنى واضحاً «**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ** »[١]، وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه:«**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟**»[٢]والأنبياء عليهم السلام "يخاطبون الفطرة السليمة والعقل العام بأسلوب فطري غير ذي عوج، لايتوقف فهمه على ذكاء نادر، وعلم فائق، وألمعية بارعة، ودراسة واسعة للعلوم، وإحاطة بالمصطلحات العلمية، ومعرفة المنطق والفلسفة، والرياضيات والفلكيات وعلوم الطبيعة، يفهمه العوام كما يتذوقه الخواص، وينتفع به الجهلاء،كما ينتفع به العلماء، كل على قدر فهمه وطاقته، ويطابق حال الأمم التي تعيش على فطرتها وسذاجتها، كما يطابق حال الأمم المتمدنة المثقفة العالية، ولا يثيرون الأسئلة الدقيقة ولا يفترضونها،إنما كلامهم كالماء الزلال السلسال الذي يسيغه كل واحد، ويحتاج إليه كل واحد"[٣] انظر إلى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف منطقه ﷺ « **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

---

(١) - أخرجه مسلم في المقدمة. ج١/٦.

(٢) - انظر تخريجه: ص ١٦٢.

(٣) - أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، (ط: السادسة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٤هـ)، ص ٨١.

وَسَلَّمَ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ»[١]وقالت:« **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»**[٢]،«**وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ»**[٣]،ومعنى ذلك كما ذكر الحافظ ابن حجر:أنه لايتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلا يلتبس على المستمع،[٤]ولا شك أن هذا من الأمور الضرورية للداعية لينجح في تبليغ دعوته؛ وليتمكن من إقامة الحجة تامة غير منقوصة كما أقامها النبي صلى الله عليه وسلم.

تعريف المراعاة:

لعل من المهم جداً معرفة معنى المراعاة حتى يتبين لنا المقصود بها،فبالرجوع إلى قواميس اللغة العربية نجد أن مادة« رعى» فيها أصل يدل على:المراقبة،والحفظ،قال ابن فارس:رَعَيْتُ الشيء: رَقَبْتُه، وَرَعَيْتَه إذا لاَحَظْتَه، وَرَاعَيْتُ الأمر:نَظَرْتُ إلامَ يصير. ورعيتُ النجوم:رقَبْتُهَا[٥]، والإرْعَاءُ: الحفظ.

وقال الأزهري:المراعاة:المحافظة والإبقاء على الشيء، والمراعاة: المناظرة، والمراقبة، يقال:راعيتُ فلاناً مراعاة ورعاء إذا راقبتُه وتأملتُ فعلَه[٦].

وجاء في اللسان:"رعى الأمير رعيته رعايةً.. أي حفظه، وراعى أمره: حفظه وترقبه. والمراعاة: المناظرة والمراقبة. يقال: راعيت فلاناً مراعاةً ورعاءً إذا تأملته

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج٦/٥٦٧، رقم ٣٥٦٧.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج٦/٥٦٧، رقم ٣٥٦٨.

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٨/١٦١، رقم ٢٦٠٨٧، قال حمزة الزين: إسناده حسن، وأخرجه أبوداود في السنن، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، ج٤/٢٦١، رقم ٤٨٣٩، قال عنه الألباني:صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩١٧،٩١٨، رقم ٤٠٥١، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺج٥/٦٠٠، رقم ٣٦٣٩.

(٤) - فتح الباري، ج٦/٥٧٨، وانظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج١٠/٨٥.

(٥) - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢/٤٠٨.

(٦) - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، (ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة)، تحقيق: عبد الحيم النجار ومحمد علي النجار، ج٣/١٦٣.

وراقبت فعله وراعيت الأمر: نظرت إلام يصير، وراعيته لاحظته"[١]،ومن معاني المراعاة أن يجمع بين الشيء وما يناسبه[٢].

فخلاصة المعاني اللغوية للمراعاة هي: أنها تقوم على المراقبة، والحفظ، والملاحظة، والجمع بينه وبين ما يناسبه، وعلى هذا فالمعاني اللغوية للمراعاة ذات صلة وثيقة بالمعاني المستخدمة فيها الكلمة في الدراسات الدعوية، فالداعية يراقب أحوال المدعو، ويهدف من ذلك إلى المحافظة عليه، ويمكن أستخلاص تعريفٍ لمراعاة أحوال المدعو هو:" **مايتخذه الداعية تجاه المدعو من سلوك مشروع قولي أو عملي دون إغفال لواقعه** ".

وقد وردت نصوص تبين مشروعية تلك المراعاة نستعرضها فيمايلي: قال الله ﷻ: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [٤]، وقوله ﷻ: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [٦]، وقوله ﷻ: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها ﴾ [٧]، وقوله ﷻ: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[٨]، وقوله ﷻ: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾[٩] وأما نصوص السنة فمنها ما جاء « **عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

---

(١) – ابن منظور، اللسان، ج١٤/٣٢٧، مادة (رعي).

(٢) – إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١/٣٥٦، مادة: (المراعاة).

(٣) – سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) – سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) – سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٦) – سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٧) – سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٨) – سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٩) – سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»(١). «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ، تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ»(٢) ،«وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ لَوْلا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ»(٣). وسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ: « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ:«حَجٌّ مَبْرُورٌ »(٤)، وسأله ابن مسعود رضي الله عنه السؤال ذاته أي

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى مايقاتلون عليه ؟ وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال، ج٦/١٠٨، رقم ٢٩٣٨، وفي كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ج١/١٥٥، رقم ٦٥، وفي كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ج١٠/٣٢٣، رقم ٥٨٧٢، وباب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب إلى أهل الكتاب وغيرهم، ج١٠/٣٢٤، رقم٥٨٧٥، وراه مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم، ج٣/١٦٥٧، رقم ٢٠٩٢.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ج٢/٣٢٥، رقم ٨٤٣، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ج١١/١٣٢، رقم ٦٣٢٩، وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، ج١/٤١٦، رقم ٥٩٥، وفي كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج٢/٦٩٧، رقم ١٠٠٦.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، ج١/٢٢٤، رقم١٢٦، وفي كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج٣/٤٣٩، رقم١٥٨٣، ورقم ١٥٨٤، ورقم ١٥٨٥، ورقم ١٥٨٦، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، ج٦/٤٠٧، رقم٣٣٦٨، وفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت)١٢٧ البقرة، ج٨/١٧٠، رقم٤٤٨٤، وفي كتاب التمني، باب مايجوز من اللّو ج١٣/٢٢٥، رقم٧٢٤٣، وأخرجه مسلم، في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ج٢/٩٦٨، رقم١٣٣٣.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، ج١/٧٧، رقم ٢٦. ومعنى مبرور: أي لايخالطه شيء من المأثم. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/٧٤.

العمل أفضل ؟ قال: « **الصلاة لوقتها** » قال: ثم أي ؟ قال:« **بر الوالدين** ». قال: ثم أي ؟ قال:« **الجهاد في سبيل الله**»[١]. وسأله رجل من خثعم فقال: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: « **إيمان بالله**» قال: قلت: يارسول الله ثم مه ؟ قال: « **ثم صلة الرحم**».

قال: قلت: يارسول الله، ثم مه؟ قال: « **ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[٢].

ومعالجة الموضوع في نظري تستدعي تقسيمه على النحو التالي:

المطلب الأول: مراعاة أحوالهم النفسية.

المطلب الثاني: مراعاة أحوالهم الاجتماعية.

المطلب الثالث: مراعاة سنة التدرج مع المدعوين.

المطلب الرابع: مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين.

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج١/٨٨، رقم ٨٥.

(٢) - انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وقطعها، ج٨/٢٧٧. وقال عنه الحافظ الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة انظر: المصدر السابق، ج٨/٢٧٧.

المطلب الأول: مراعاة أحوالهم النفسية

أولاً – مراعاتهم بالاهتمام بقضاياهم ومحاولة الترقي بهم:

كل ناظر متفحص في السنة النبوية يلحظ مدى العناية الفائقة التي يوليها النبي ﷺ أحوال المدعوين النفسية محاولة للتخفيف عنهم، وحل مشكلاتهم، فقد« **جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمان** »[1]وفي رواية « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ لأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ قَالَ: فَقَالَ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**»[2] وهذا أصل في اهتمام الداعية بالمدعوين، ومراعاة أحوالهم، وإجابة تساؤلاتهم، وإعطاء كل واحد منهم ماينا سبه، وفي الحديث تغليب جانب التيسير والتبشير على جانب التعسير، حيث طمأنهم ﷺ، وبيّن لهم أن ذلك علامة كاملةُ على الخير واكتماله، ولما جاء ه الفقراء يشتكون بأن قلة ذات اليد منعتهم من اللحاق بإخوانهم الأغنياء في الفضل، وقالوا: إنهم«**يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ** » راعى النبي ﷺ أحوالهم، وذلك بتوجيههم إلى عمل إيجابي يستدركون به ما فاتهم، وهو الذكر والتسبيح، بأسلوب تربوي رفيع، حيث لم يقل: نعم هم أفضل منكم بذلك وإنما دلهم على ما يساوونهم به من الخير، قال ابن حجر: " وفي الحديث من الفوائد أن العالم إذا سأل عن مسألة يقع فيها الخلاف أن يجيب بما يلحق به المفضول درجة الفاضل، ولا يجيب بنفس

---

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ج١/١١٩، رقم ١٣٢.

(٢) – أخرجه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ج٢/٥١٨، رقم ٢٠٩٧، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود، في سننه،كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، رقم ٥١١٢، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩٦٢، رقم ٤٢٦٤.

الفاضل لئلا يقع الخلاف"[١]، فقد وجههم ﷺ بقوله:« **أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**»[٢] وهو منهج يرسمه ﷺ للدعاة بعده ليكونوا رسل خير، يقودون الناس إلى حظيرة الإيمان، بالرفق والمحبة، وبهذا تنمو دوافع الاستجابة في نفوسهم، ويقبلون على الداعية بنفوس متلهفة.

والدعوة عملية بناء تتطلب المراقبة والمتابعة والتوجيه، كما كان يفعل النبي ﷺ مع أصحابه، في تفقد أحوالهم، وتوجيه سلوكهم، وتقويم أخطائهم، ففي معالجته ﷺ للغلو في العبادة، نراه يغرس المنهج الوسط من خلال التوجيه المباشر، « **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[٣]وفي المقابل نشهد حرصه ﷺ في التأكيد على تجنب وقوع المدعوين في جانب التفريط المتمثل في الانهماك في الدنيا والتعلق بها، والمفضي إلى هلاكهم، فقد مر ﷺ ذات يوم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو يصلح بيتاً له من قصب فقال له: « **مَا هَذَا ؟ ! فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى[٤] فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ. قَالَ: مَا أَرَى الأمر إِلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ**»[٥] قال المباركفوري في شرحه:"قيل: الأجل أقرب من تخرب هذا البيت، أي: تصلح بيتك خشية أن ينهدم، فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك"[٦].

---

(١) - فتح الباري، ج٢/٣٣١.

(٢) - انظر تخريجه: ١٧٥.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التهجد، باب مايكره من التشديد في العبادة، ج٣/٣٦، رقم ١١٥٠.

(٤) - (وهى)أي ضعف، محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٦/٥١٧، وجاء في اللسان: (وهى): خرب أو كاد، ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/٤١٧، مادة (وهي).

(٥) - أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، ج٤/٥٦٨، رقم ٢٣٣٥، وأخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء، ج٤/٣٦٠، رقم ٥٢٣٥، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب في البناء والخراب، ج٢/١٣٩٣، رقم ٤١٦٠، قال عنه الألباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي، ج٢/٢٧٢، رقم ١٩٠٤.

(٦) - تحفة الأحوذي، ج٦/٥١٨، وانظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٤/١٠٠.

ومن شواهد اهتمامه ﷺ بحل مشكلاتهم وحمل همومهم ما جاء في الحديث التالي:«**عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ: قَالَ قُلْتُ! نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ[1] فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ»**[2] إن نشوة الحماس والرغبة في الطاعة قد تدفع المرء إلى التحليق في أجواء المثالية ؛ لينسى أنه بشر مكون من عنصر الطين الذي يهبط به أحياناً، ومن عنصر الروح الذي يرتقي به أحياناً أخرى، وفي خوف حنظلة من النفاق دليل على المستوى الإيماني الذي بلغه هذا الصحابي الجليل، وهاهو الرسول يطمئنه قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث: " فأعلمهم أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك[3].

ثانياً – مراعاتهم باختيار الظرف المناسب للدعوة

ومن مراعاة أحوالهم النفسية اختيار الظرف الزماني المناسب، فليس كل وقت صالحاً للدعوة، فالمدعوون تتعاورهم فترات من الضعف، والعجز، هنالك إقبال، وإدبار، وهناك

---

(١) - (الضيعات)جمع ضيعة وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧/٦٦.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا، ج٤/٢١٠٦، رقم ٢٧٥٠.

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧/٦٧.

نشاط، وفتور، وبالتالي فالداعية مدعو لاستثمار الفرص المتاحة لممارسة مهمته، ومن الضروري جداً إلمام الداعية بظروف المدعو، فقد يكون مُعْرِضاً بسبب انشغاله بلقمة العيش أوبمشكلة تؤرقه وتستحوذ على فكره، فتصرفه عن الاستماع، وبالتالي فإن مخاطبته في مثل هذا الظرف أمر مناف للحكمة،وما يقال في اختيار الوقت المناسب لمخاطبة المدعو، يقال أيضاً في ضرورة اهتمام الداعية بتقدير الناحية الكمية والكيفية المناسبه للمدعو حتى لا يحدث الملل والسآمة، والتخول بالموعظة منهج دعوي متوافق مع طبيعة النفس البشرية والتي سرعان مايدب إليها الملل، مما يقتضي التنويع في الأساليب الدعوية، وقد كان ﷺيتخير الأوقات المناسبة لموعظة أصحابه، « **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**»(١)، قال الإمام الخطابي: "المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم، ولا يفعله كل يوم خشية الملل، والتخول: التعهد"(٢)، كما أنه ﷺ كان ينوع في أساليب الدعوة «**عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ: عَبْدُاللَّهِ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ**»(٣) ففي هذا الحديث لفتات مهمة للداعية، وقد أشار ابن حجر إلى بعض منها فقال: " وفي

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب ماكان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لاينفروا. ج١/١٦٢، رقم ٦٨، وفي كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، ج١١/٢٢٨، رقم ٦٤١١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، ج٤/٢١٧٢، رقم ٢٨٢١.

(٢) - ابن حجر، فتح الباري، ج١١/٢٢٨.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا، ج١/١٤٤، رقم ٦١، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج١/١٤٧، رقم ٦٢، باب الفهم في العلم، ج١/١٦٥، رقم ٧٢، باب الحياء في العلم، ج١/٢٢٩، رقم ١٣١، كتاب البيوع، باب بيع الجُمَّار وأكله، ج٤/٤٠٥، رقم ٢٢٠٩، كتاب التفسير، باب ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾، ج٨/٣٧٧، رقم ٤٦٩٨، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، ج٩/٥٦٩، رقم ٥٤٤٤، باب بركة النخلة، ج٩/٥٧٢، رقم ٥٤٤٨، كتاب الأدب، باب ما لايستحيا من الحق للتفقه في الدين، ج١٠/٥٢٣، رقم ٦١٢٢، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، ج١٠/٥٣٦، رقم ٦١٤٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ج٤/٢١٦٤، رقم ٢٨١١.

هذا الحديث من الفوائد امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه... وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصويرالمعاني لترسخ في الذهن"[١] ومعنى ذلك أن النبي ﷺ كان يستخدم وسائل الإيضاح لإفهام المدعوين حقائق العلم، فقد ضرب للمؤمن مثلاً بالنخلة في بركتها وعموم نفعها، والانتفاع بجميع أجزائها، منذ طلوعها إلى أن تيبس، فكلها نافعة، فنواها علف للدواب، وليفها للحبال، وكذلك المسلم بركته عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر، في حياته، وبعد موته[٢]، ومن جانب آخر يؤكد الحديث اهتمام السنة بمراعاة أحوال المدعوين، وقد تربى على هذا المنهج أصحابه الكرام، حيث نجد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود[٣] ﷺ يسلك هذا المسلك الدعوي القويم «**فَعَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**»[٤]، وخطب عمار بن ياسر ذات يوم فأوجز، ففي صحيح مسلم قَالَ أَبُو وَائِلٍ: « **خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ. فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ! لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ. فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ [٥] مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»[٦] بل يحدد ابن عباس رضي الله عنهما مقداراً تقريبياً في الموعظة على مدى الأسبوع حتى لايمل الناس فيقول:« **حَدِّثِ**

---

(١) - فتح الباري، ج١/١٤٦، ١٤٧.

(٢) - المصدر السابق، ج١/١٤٥، ١٤٦.

(٣) - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي صحابي جليل من السابقين للإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ، وهاجر الهجرتين جميعاً، وشهد المشاهد مع النبي ﷺ توفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة بالمدينة. انظر: ابن حجر، أسد الغابة، ج٣/٢٨٠.

(٤) - انظر تخريجه: ص ١٨٠.

(٥) - (مئنة)بفتح الميم، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة، أي علامة. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦ ١٥٨.

(٦) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج٢/٥٩٤، رقم ٨٦٩.

النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلاثَ مِرَارٍ، وَلا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ فَانْظُرِ السَّجْعَ (١) **مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لا يَفْعَلُونَ إِلا ذَلِكَ الاجْتِنَابَ»**(٢) إن من الأمور المهمة للداعية أن يدرك أهمية إقبال المدعوين عليه وهو يتحدث إليهم أو يخطب فيهم، ومن هنا كانت مشروعية قِصَرِ الخُطْبَةِ وطول الصلاة، ولعل ابن عباس كان مدركاً لما يعتور النفوس البشرية من حب الاستئثار بالحديث والتطويل فيه، فيوجه إلى عدم الزيادة في تحديث المدعوين عن مرة واحدة في الأسبوع، وإن كان ولابد فمرتين، مع مراعاة انتظار وقت فراغهم من المشاغل، والحذر من الهجوم عليهم بحديثه وهم في حديث آخر، فإن ذلك مدعاة لانصرافهم وإعراضهم، كما حذر من التكلف المذموم الذي يصرف الحديث عن غايته السامية، كمن يتكلف السجع ويتقعر في حديثه، وهذا لايعني إهمال الداعية للأخذ بوجوه البيان والبلاغة التي تزيد الفكرة وضوحاً وجمالاً، فهذا مطلوب شرعاً، وقد استنبط ابن حجر فوائد جمة من الأثر السابق ومنها:"كراهة التحديث عند من لايقبل عليه؛ والنهي عن قطع حديث غيره، وأنه لا ينبغي نشر العلم عند من لايحرص عليه، ويحدث من يشتهي بسماعه لأنه أجدر أن ينتفع به"(٣) ومن بعد الصحابة رضي الله عنهم جاء التابعون فورثوا هذا المنهج، وراحوا يتواصون بضرورة مراعاة أحوال المدعوين في الموعظة، فقد روى الحافظ البغدادي عن مسروق قال: " لا تنشر بَزَّكَ(٤) إلا عند من يبغيه"(٥). وكذلك الداعية ينبغي له أن يحافظ على

---

(١) - (السَّجْعُ) بفتح المهملة وسكون الجيم هو موالاة الكلام على روي واحد، ومنه سجعت الحمامة إذا رددت صوتها. وهو الكلام المقفى من غير مراعاة وزن. ابن حجر، فتح الباري، ج١١/١٣٩.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الدعوات، باب مايكره من السجع في الدعاء، ج١١/١٣٨، رقم ٦٣٣٧.

(٣) - فتح الباري، ج١١/١٣٩.

(٤) - البَزُّ: ضرب من الثياب. ابن منظور، لسان العرب، مادة:بزز. والمعنى لاتعرض ثيابك إلا عند من يرغب فيها. وكأنه صار مثلاً. فاستعير هنا لمعنى للمحدث. وذلك ألا يحدث عند قوم لايرغبون فيه. الجامع لأخلاق الراوي، ج١/٣٢٧، هامش رقم: ١.

(٥) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١/٣٢٧.

قيمة مامعه من العلم، وذلك بصيانتــه والاعتزاز بـه ومنعـه عمـن لايريـده، وعـن مطـرف قال:"لاتطعم طعامك من لايشـتهيه " أي:" لاتحـدث بـالحديث مـن لايريـده"[١] وهكـذا الداعي أو الخطيب لايحدث إلا من يرغب في حديثـه[٢]، ويبـين الخطيـب البغـدادي أهميـة الحديث عند نشاط الناس والإعراض عنه عند فتورهم فيقول:"حق الفـائدة أن لاتسـاق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها. فإذا رأى المحـدِّث بعـض الفتورمـن المسـتمع فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع"[٣]، وقـد بـين أهـل العلم السابقون ضرورة الاهتمام بأحوال المدعو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا بد مـن العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي"[٤].

---

(١) - المصدر السابق، ج١/٣٢٨.

(٢) - فضل الهي، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، (ط:الاولى، دار الفرقان، ١٤١٧ هـ)، ص١٣٠.

(٣) - الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ج١/٣٣٠.

(٤) - الحسبة في الإسلام، ص ٨٣.

المطلب الثاني: مراعاة أحوالهم الاجتماعية

أولاً – مراعاة أحوالهم باعتبار البيئة الاجتماعية:

في ممارسة الداعية للدعوة يواجه بيئات مختلفة، فمعرفته للبيئة التي يعمل فيها خطوة مهمة لتحديد جوانب المراعاة المطلوبة، وإذا تأملنا ما قصه القرآن الكريم في قصة قارون مع قومه ستبدو لنا جوانب دعوية مهمة في مراعاة أحوال المدعوين، قال الله ﷻ: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين *وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظٍ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾[1]، أول الجوانب التي تطالعنا في تلك القصة مراعاة الدعاة – وهم المعبر عنهم بأولي العلم – لبيئة الدعوة، فهي بيئة غنية، تتسم بالأخذ بأسباب الرفاهية، في المطعم، والملبس، والمسكن، وهذا التنعم والرفاهية، كثيراً ما ينسي

---

(١) – سورة القصص، الآيات: ٧٦ – ٨٢.

صاحبه ويوقعه في مغبة البطر والطغيان، قال الله ﷻ: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[١] إن هذا الصنف من المدعوين، يحتاج إلى الموعظة، والتذكير، بصورة أكبر، وهو ما فعله أولو العلم عندما أدركوا أن الغناء أوقعه في هوة الإعجاب والتكبُّر، ونكران أصل النعمة وجحد واهبها، كما قال ﷻ حكاية عنه: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾[٢] فسلك معه قومه أولو العلم مسلكاً يقوم على التكرار بتذكيره بأصل النعمة، وتنويع الأدلة والشواهد، وسرد القصص، حتى يستجيب، أو يعرف الناس أن ماهو عليه أمر غير محمود العواقب، ذلك أن بهرج الزينة قد يستهوي بعض القلوب وضعاف النفوس، وأصحاب النظرة العجلى الذين لايتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها، وخاصة إذا سلك مثل هذا الصنف مسلك الدعاية لنفسه، كما فعل قارون، الذي بغى، وتطاول، وأعرض عن النصح، وأصر على الفساد، والاغترار بالمال: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾[٣] وقد فعلت الموعظة المتكررة فعلها، وأثمرت ثمرتها، بعد رؤية المشهد البائس للمتكبر ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾[٤] فندم أصحاب قارون المعجبون به كما قال الله ﷻ: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح

---

(١) - سورة العلق، الآيتان: ٦- ٧.

(٢) - سورة القصص، الآية: ٧٨.

(٣) - السورة ذاتها، الآية: ٧٩.

(٤) - السورة ذاتها، الآية: ٨١.

الكافرون﴾[١] لقد هوت معه تلك الفتنة الطاغية التي جرفت الضعفاء، وردهم ذلك المشهد إلى معرفة قيمة المال وقيمة الإيمان[٢]

أما الدعوة في البيئة الفقيرة، فيحسن بالداعية أن يعيش هموم المدعوين وآلامهم، وأن يقرن بالوعظ حل مشكلاتهم، فإقامة المشاريع الخيرية، ذات المردود المادي الذي يلمسون آثاره عليهم، كبناء المدارس، والمستشفيات، ودور الأيتام لها أثرها الكبير. واللجوء لمثل هذا الأسلوب في الدعوة في تلك البيئة، أمر تحتمه طبيعة المراعاة لأحوالهم، فهم أساساً مشغولون بأمر لقمة عيشهم، وواقعهم المادي لايساعدهم على إدخال أبنائهم في المدارس وتعهدهم بمصاريف الدراسة، ولا على توفير العلاج لأبنائهم، فإذا وجد المدعوون من يتكفل لهم بذلك، أو بجزء منه، قد يقبلون عليه ويأخذون منه، وفي ذلك كسب للدعوة لايعدله أي كسب آخر، ولقد كسبت منظمات الضلال، كثيراً من المدعوين بهذه الطريقة، إذ إن النفس البشرية، تستجيب تحت ضغط المسغبة، والحاجة، والفاقة[٣].

ثانياً – مراعاة المكانة الاجتماعية للمدعوين:

ومن المهم جداً أن يعرف الداعية تفاوت المدعوين في مكانتهم وأقدارهم وضرورة مراعاتها في الدعوة، فالمدعوون مختلفون في مكانتهم، ففيهم الملوك والرؤساء المتبوعون، والأشراف المطاعون، وفيهم الضعفاء والسوقة، فلو نظرنا إلى دعوة النبي ﷺ للملوك لوجدناه يخاطبهم بألفاظ التعظيم كما في كتابه إلى هرقل عظيم الروم وغيره، فقد ورد في كتابه إلى هرقل ما نصه:« **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسلام**

---

(١) – سورة القصص، الآية:٨٢.

(٢) – انظر: محمد زين الهادي العرمابي، فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً، (ط:الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩ هـ)، ٤٧.

(٣) – المرجع السابق، ص ٤٣.

أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ (١) وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢)، وهذا يدل على حكمته في مراعاة مكانتهم الاجتماعية، واختيار ألفاظ بعيدة عن الكذب والمبالغة تشعرهم بمكانتهم عند أقوامهم، وربما تكون مدخلاً مناسباً لنفسياتهم، فتقوى دوافع الاستجابة في نفوسهم(٣)، قال الحافظ ابن حجر: " قوله:« عَظِيمِ الرُّومِ » فيه عدول عن ذكره بالملك أو الأمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف"(٤) وقد كان النبي ﷺ يسأل عن الوفود القادمة عليه للتعرف عليهم،ومعرفة منزلتهم،حتى يتسنى له التعامل معهم مراعياًلأحوالهم(٥) «**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَكْبًا(٦) بِالرَّوْحَاءِ(٧) فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ**»(٨)، قال ابن أبي جمرة تعليقاً على قوله ﷺ لوفد عبد القيس:« **من القوم؟**» فيه "دليل على استحباب سؤال القاصد – أي القادم – عن نفسه ليُعرف فينزل منزلته"(٩)، فللناس أقدارمتفاوته، وليسوا

---

(١) -انظر: معناه ص ٥٤ .

(٢) – صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج١/ ٣٢، رقم ٧. وفي كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ج٦/ ١٠٩، رقم ٢٩٤٠. صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٣/ ١٣٩٣، رقم ١٧٧٣.

(٣) – انظر:محمد عبد القادر أبو فارس،في ظلال السيرة النبوية،(ط:الأولى، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان،١٤٠٤ هـ)، ص ٢٤٤.

(٤) – فتح الباري، ج١/ ٣٨.

(٥) – فضل إلهي، مراعاة أحوال المخاطبين، ص٣٩.

(٦) – ركباً:الركب أصحاب الإبل خاصة، وأصله أن يستعمل في عشرة فما دونها، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩/ ٩٩.

(٧) – الرَّوْحَاء:قرية لمزينة، على ليلتين من المدينة، بينهما واحد وأربعون ميلاً، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط: عالم الكتب، بيروت)، ج١/ ٦٨١، تحقيق: مصطفى السقا. وهي – اليوم – محطة على الطريق بين المدينة وبدر، على مسافة أربعة وسبعين كيلاً من المدينة. محمد محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ١٣١.

(٨) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب صحة حجة الصبي وأجر من حج به، ج٢/ ٩٧٤، رقم ١٣٣٦.

(٩) – ابن حجر، فتح الباري، ج١/ ١٣١.

بمنزلة واحدة، فلكل قوم منزلة، ومعرفة منزلتهم وإكرامهم مما يفتح صدورهم بإذن الله لسماع كلمة الحق، فهذا عدي بن حاتم[١] لما قدم على النبي ﷺ بالغ في إكرامه وأنزله منزلته وكان ذلك من هديه ﷺ «**فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[٢]، وقد كان عدي ذا مكانة رفيعة، فأبوه حاتم الطائي مشهورٌ في الجاهلية، ويضرب به المثل في الجود، فعامله النبي ﷺ معاملة تليق به، وهذه المعاملة يوضحها قصة قدومه التي يرويها بنفسه «**عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. وَجِئْتُ بِغَيْرِ أَمَانٍ وَلا كِتَابٍ، فَلَمَّا دُفِعْتُ إِلَيْهِ أَخَذَ بِيَدِي وَقَدْ كَانَ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ يَدَهُ فِي يَدِي. قَالَ: فَقَامَ فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيٌّ مَعَهَا فَقَالا: إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَامَ مَعَهُمَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي حَتَّى أَتَى بِي دَارَهُ، فَأَلْقَتْ لَهُ الْوَلِيدَةُ وِسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ؟ قَالَ قُلْتُ لا قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا تَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَتَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: لا قَالَ: فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلالٌ. قَالَ: قُلْتُ فَإِنِّي جِئْتُ مُسْلِمًا. قَالَ: فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ تَبَسَّطَ فَرَحًا قَالَ ثُمَّ أَمَرَ بِي فَأُنْزِلْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ جَعَلْتُ أَغْشَاهُ آتِيهِ طَرَفَيِ النَّهَارِ**»[٣]وفي سيرة ابن هشام عن عدي أيضاً: " ثم مضى بي

---

(١) - عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي وفد على النبي ﷺ سنة تسع وقيل عشرفأكرمه وأسلم وكان نصرانياً، وكان له مواقف مشهودة، فقد شهد فتوح العراق والشام، ولما توفي النبي ﷺ قدم على أبي بكر بصدقات قومه، وثبت على الإسلام أيام الردة، وتوفي سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/٥٠٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٦٢.

(٢) - انظر تخريجه: ص ١٧٢.

(٣) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، ج٥/٢٠٢، رقم ٢٩٥٣، قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، قال عنه الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٣/٢٠، رقم ٢٣٥٣، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٤/٤٥٦، رقم ١٩٢٧٣، ورقم ١٩٢٧٦، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وانظر: ابن هشام السيرة النبوية، ج٤/٢٢٧، ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٦/٣٢٢، إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، (ط:الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨ م)، ج٥/٦٣ وما بعدها، وانظر: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير

=

رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إليَّ فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ؛ قال: قلت في نفسي، والله ما هذا بأمر ملك!!"[١].

ثالثاً – مراعاة العادات الاجتماعية لدى المدعوين:

ومن مراعاة الأحوال الاجتماعية ما فعله النبي ﷺ حينما أراد مراسلة ملك الروم، وأشير عليه بأنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً فا تخذ خاتماً من فضة، « **عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»[٢]

وفي اتخاذه صلى الله عليه وسلم للخاتم من الفضة إشارة إلى ما اعتادوا عليه في حياتهم الاجتماعية، وما تتطلبه عملية البلاغ من تألف للناس وتحبب إليهم بما لايضر[٣]، وبالتالي فإن موافقة الداعية للمدعوين فيما لايخالف نصاً شرعياً يعد أمراً مشروعاً، وكل ذلك من المراعاة لأحوالهم.

رابعاً – مراعاة فارق اللهجات لدى المدعوين:

ومن مراعاة الأحوال الاجتماعية مراعاة فارق اللهجات بين الشعوب، فإن الله بعث أنبياءه بألسنة أقوامهم قال الله ﷻ: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾[٤] «**عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ بِلُغَةِ**

=

العباد.(ط:القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠٢ هـ)، ج٦/٥٧٧، تحقيق: إبراهيم الترزي وعبد الكريم العزباوي.

(١) – السيرة النبوية، ج٤/٢٢٧.

(٢) – انظر تخريجه: ص ١٧٥.

(٣) – الأبي، إكمال إكمال المعلم، ج٧/٢٤٠.

(٤) – سورة ابراهيم، الآية: ٤.

قَوْمِهِ»[١]، والحكمة في ذلك واضحة، وهي تمكن المدعوين من التلقي عنهم بفهم وإدراك، فلو كان المُرسَل ملكاً لتعللوا بأنه ليس من جنسهم، فقطعت عليهم الحجة بذلك، ولابد للداعية من الاختلاط بالناس ومحادثتهم إذا أراد تبليغهم الرسالة، وتبعاً لذلك لابد من معرفة لهجاتهم، ليتمكن من مخاطبتهم، وكان ذلك من هدي الرسول ﷺ فلم تكن مخاطبته مع قريش والأنصار كمخاطبته لأقيال حضرموت وملوك اليمن[٢]،فقد استعمل ألفاظاً يستعملونها في لغتهم، لدرجة أن بعض الصحابة كانوا يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه ﷺ. ومن أمثلة مخاطبة النبي ﷺ لأقوام بلغاتهم ما رواه عروة بن محمد بن عطية قال: حدثني أبي أن أباه أخبره قال: قدمت على رسول الله ﷺ في أناس من بني سعد بن بكر وكنت أصغر القوم فخلفوني في رحالهم ثم أتوا رسول الله ﷺ فقضى من حوائجهم ثم قال:« **هل بقي منكم من أحد** » ؟ قالوا: نعم غلام معنا خلفناه في رحالنا، فأمرهم أن يبعثوا إلي فأتوني فقالوا: أجب رسول الله ﷺفأتيته فلما رآني قال:«**ما أغناك الله فلاتسأل الناس شيئاً، فإن اليد العليا هي المنطية وإن اليد السفلى هي المنطاة، وإن مال الله تعالىلمسؤول ومنطي قال: فكلمني رسول الله ﷺ بلغتنا**»[٣].

وهذا الحديث يدل على أن من مستلزمات تأهيل الدعاة تعليمهم لغات من يُرْسَلُون إليهم ليكون أبلغ في إقامة الحجة.

خامساً – مراعاة أحوالهم باختيار الداعية المناسب لهم:

إن شخصية الداعية لها علاقة كبيرة بنجاح الدعوة، ومن المهم جداً التحقق والتدقيق في اختيار الدعاة ليكونوا منسجمين مع الوسط الذي يعيشون فيه، حتى يحققوا الثمرة

---

(١) – أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٥/٥١٧، رقم ٢١٣٠٤. قال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٢) – انظر: القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، (ط: الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٦هـ)، ج١/٦٣.

(٣) – أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٤/٣٦٣، رقم ٧٩٣٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبي: صحيح، وانظر: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب بيان اليد العليا واليد السفلى. (ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان)ج٤/١٩٨.

المرجوة، وفي السيرة النبوية نرى هذا المعنى جلياً واضحاً، فاختيار جعفر بن أبي طالب ﷺ ليكون أميراً على مهاجري الحبشة مبنياً على علم وفقه ومراعاة لأحوال من يدعوهم فإنه ابن عم رسول الله ﷺ أي أنه من أهل بيت النبوة، ومعلوم ما لذلك من الأثر في بيئة تقدر مثل هذه الأمور، وعامة أهلها من أهل الكتاب، يضاف إلى ذلك مايتمتع به هذا الصحابي من خصائص لاتوجد عند غيره، فقد قال ﷺ له: « **أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»(١) قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: " أما الخَلْقُ فالمراد به الصورة،... وأما شبهه في الخُلُقِ فخصوصية لجعفر ﷺ.. وهي منقبة عظيمة لجعفر، قال الله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾»(٢)(٣)

ولما كان الملوك وأهل الدنيا يعظمون الزينة ويحفلون بالمظاهر كثيراً راعى النبي ﷺ أحوالهم في اختيار من يدعوهم، فقد أرسل النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام واختارالصحابي الجليل دحية ابن خليفة الكلبي(٤) الذي كان من أحسن الناس وجهاً، حيث كان جبريل عليه السلام ينزل على صورته كما في حديث عمر بن الخطاب الطويل: « **يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(٥) ويؤخذ من تمثل جبريل بصورة دحية الكلبي مشروعية مراعاة حسن الوجه في البريد والرسول، ويؤيده قوله ﷺ:«**إذا أبردتم إليّ بريداً فابعثوه حسن**

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ج٧/٤٩٩، رقم ٤٢٥١. كتاب النصح، باب كيف يكتب ((هذا ماصالح فلانٌ بن فلان فلانَ بنَ فلان)) وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، ج٥/٣٠٤، رقم ٢٦٩٩. كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي ﷺ ج٧/٧٥.

(٢) - سورة القلم، الآية: ٥.

(٣) - فتح الباري، ج٧/٥٠٧.

(٤) - دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صحابي جليل أسلم قبل بدر و لم يشهدها وشهد غزوة أحد والمشاهد كلها بعد بدر وبقي إلى خلافة معاوية ﷺ وبعثه النبي ﷺ إلى هرقل. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢/٦، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٢٤٩.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج١/٣٦، رقم ٨، ٩، ١٠.

الوجه، حسن الاسم»[١].

كما أن اختيار مصعب بن عمير ﷺ ليكون معلّماً وداعيةً للأنصار لما أسلموا[٢] وطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم من يفقههم في دينهم، يدل على مراعاة أحوال المدعوين من عدة نواح أهمها:

١ - إدراكه العميق لواقعهم وماهم عليه من تقطّع حبال المودّة، وفساد العلاقات الاجتماعية، وشيوع العداوة والبغضاء في مجتمع المدينة، يدل على ذلك قول الأنصار لما بايعوا النبي ﷺ: " إنا قد تركنا قومنا، ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك"[٣].

٢ - وانطلاقاً من معرفة ذلك الواقع وظروفه، فإنه من المهم جداً اختيار شخصية جذابة، يتوافر فيها مجموعة من الصفات المعينة على كسب تلك القلوب وتأليفها على الإسلام، وهذا ما نجده في مصعب بن عمير ﷺ الذي كان يتمتع بمجموعة من الصفات التي تؤهله ليكون رجل المرحلة المناسب، ولعل مما يبين سجايا مصعب وأدبه ما جاء عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال:" كان مصعب بن عمير لي خدناً[٤] وصاحباً منذ يوم أسلم إلى أن قتل بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة، وكان رفيقي من بين القوم فلم أر رجلاً قط كان أحسن خلقاً ولا أقل خلافاً منه"[٥].

٣ - الثمار التي تحققت على يديه ﷺ من إقبال الناس على الإسلام، وتهيئة المدينة لهجرة الرسول ﷺ، كانت بفضل الله ثم بفضل مراعاة أحوال المدعوين باختيار الرجل

---

(١) - صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، (ط: الأولى، الدار السلفية، الكويت، ١٣٩٩ هـ)،ج٣/١٨٢، رقم ١١٨٦، وحسنه شعيب الأرنؤوط، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٥٤، هامش رقم ١.

(٢) - كان بدء إسلام الأنصار في رجب من العام الحادي عشر للبعثة. أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/١٩٤، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٧٠.

(٣) - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٧١، قال عنه الألباني: إسناده حسن. انظر: تعليق الألباني على كتاب فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٤، هامش رقم: ١.

(٤) - (خدناً)أي صديقاً. ابن منظور، اللسان، ج١٣/١٣٩، مادة:خدن.

(٥) - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/١١٧.

المناسب للمكان المناسب، فقد أسلم على يديه كثير من قيادات الدعوة من الأنصار، وعمد إلى غرس معاني الأخوة الإسلامية في تلك النفوس التي مزقتها سنون طوال من الحرب الضروس، فعاش المجتمع الإسلامي الجديد تظلله روح الأخوة في الله بعد تلك الشحناء والبغضاء، وهكذا تبين لنا من خلال ما مَرّ العلاقة بين اختيار الداعية المناسب ومراعاة أحوال المدعوين.

المطلب الثالث: مراعاة سنة التدرج مع المدعوين

إن التدرج في الدعوات أمر مقرر شرعاً وعقلاً، وإدراك ذلك من الأمور المهمة للدعاة، حتى يسيروا بدعوتهم في طريق مأمون يحفظهم من العثار والزلل، وتتبين أهمية هذا الإدراك في كون إعطاء المدعوين جرعة الإصلاح دفعة واحدة له نتائجه العكسية، الأمر الذي يؤكد أهمية التعرف على مداخلهم، والتدرج في دعوتهم، وهذه سنة الله في خلقه، ولذا فإن الرسالة الخاتمة جاءت مراعية للحكمة والمصلحة، ومراعية لطبائع الناس واستعدادهم، وذلك من مقتضيات هذا الدين الحق الذي أنزله الله للهداية الإنسانية[١] قال الله ﷻ: ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**﴾[٢] إن الله قادر على إنزال القرآن بتلك الصورة المقترحة، بيد أن المنهجية السليمة – التي سلكها القرآن، والقائمة على المعرفة بحقيقة الإنسان وما ركب فيه من سنة التشبث بالموروث – تسير وفق منهج محكم، يهدف إلى بناء الإنسان، والارتقاء به رويداً رويداً من خلال التوجيهات المصاحبة للأحداث، مع مراعاة عدم الاستعجال،والأخذ في الحسبان أن ذلك يحتاج إلى زمن في ظل المنهج التربوي الإلهي الدقيق[٣]، وقد كان النبي ﷺ يراعي أحوال المدعوين " ويرجي تطبيق شيء فيه مصلحة جزئية لأجل مصلحة كلية هي أعظم وأهم منها"[٤]. فقد« **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ لَوْلا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ**

---

(١) – انظر: جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، (ط: الثانية، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٤٠٩ هـ)، ص ١٧٩. محمد الغزالي، مع الله، ص ١٧، ١٨.

(٢) – سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٣) – انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥/٤٧٧، ٤٧٨، وانظر: الدعوة الإسلامية الوسائل، الخطط، المدخل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ط: الثانية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ)، ص ٢٠٢.

(٤) – أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء، ص ٤٩، ٥٠.

وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ»[١] وذلك "مراعاةً لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها، وحذراً من نفار قلوبهم لذلك، وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله"[٢] ويستفاد من الحديث ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولا مالم يكن محرماً[٣] قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:« **إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ**[٤] **فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا لَقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»**[٥] قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على ماذكرته رضي الله عنها: " أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول مانزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار. فلما أطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: « **وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا** » وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف"[٦] ومن التدرج مخاطبة المدعو بما يفهمه ويعقله، لأن ذلك من الحكمة المأمور بها، ومن مقتضيات البلاغ المبين الذي يوصل إلى المقصود.

إن صياغة النفوس البشرية وتربيتها على أحكام الإسلام من أشق الأمور، وما ذاك إلا لأن الداعية لايتعامل مع نفوس يحكمها قانون محدد وتنتهي القضية، بل كل نفس لها تفكيرها الخاص، بل هي عالَمٌ مستقل بذاته، ومن ثم فلكل إنسان وسيلة خاصة

---

(١) - انظر تخريجه: ص ١٧٥.

(٢) - القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ج٢/١٧٥.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج١/٢٢٥.

(٤) - (المفصل)من سورة ق إلى آخر القرآن على الصحيح، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة على الصحيح. فتح الباري، ج٢/٢٥٩.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٩/٣٨. حديث رقم: ٤٩٩٣.

(٦) - ابن حجر، فتح الباري، ج٩/٤٠.

لمعالجته[١]، وعند الإمام البخاري رحمه الله تعالى / **بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لا يَفْهَمُوا. وَقَالَ عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»**[٢] وقد كان النبي ﷺ يوجه أصحابه للمنهج الأسلم للدعوة، وما ينبغي الاهتمام به، وما حقه التقديم، وما حقه التأجيل، كل ذلك مراعاة لأحوال المدعوين، **فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»**[٣]،قال الحافظ بن حجر معلقاً على الحديث:"هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا يكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان"[٤] والمقصود هو البداية بالأهم والتدرج معهم في التكاليف حتى لاينفروا[٥]، وعلى الداعية أن لايكون بعيداً في تعبيراته ومصطلحاته، عن واقع المدعوين، كما أنه لايعيبه أن يتحدث بالمصطلحات التي يعرفونها ويتداولونها بينهم إن لم يكن ثمة مانع شرعي « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[٦] **وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**[٧]**خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا**

---

(١) - انظر: جمعة أمين عبد العزيز. الدعوة قواعد وأصول. ص ١٧٩.

(٢) - انظر: تخريجه: ص ١٦٢.

(٣) - انظر تخريجه: ص١٩.

(٤) - فتح الباري، ج٣/٣٥٨.

(٥) - انظر: المصدر السابق، ج٣/٣٥٩.

(٦) - سورة الشعراء، الآية:٢١٤.

(٧) - قال الإمام النووي: والظاهر أن ذلك كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته و لم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري. صحيح مسلم بشرح النووي ج٣/٨٢، ٨٣.

إِلَيْهِ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ قَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»[1] إن كلمة«ياصباحاه » ! مصطلح متداول في البيئة الجاهلية قبل الإسلام، ومع ذلك استعمله النبي ﷺ، وجعله وسيلة لجمع الناس ليسمعهم كلمة الإسلام، وهذا يدل أيضاً على إدراكه ﷺ لعوامل التأثير في بيئته، وفي ذلك إرشاد للدعاة من بعده إلى تحري كل أسلوب مشروع في تبليغ الدعوة، والاستفادة من معطيات الواقع الذي يعيشه المدعوون، لأن ذلك أحرى في استجابتهم بإذن الله، وأقوى حجة، وأقرب إلى نفوسهم، فإنه ﷺ صعد قمة جبل الصفا، وقداعتاد العرب حين الإحساس بالخطرأن يرتقي أحدهم قمة جبل أو ربوة ويصرخ بأعلى صوته: «ياصباحاه»! فيفزع القوم ويجيبون النداء سراعاً، ويأخذون، عدتهم ويخرجون عن بكرة أبيهم، لمواجهة الخطر الداهم والعدو المهاجم[2] ومن هنا كان على الدعاة مخاطبة المدعوين من حيث يستجيبون؛ لأن ذلك أمر مطلوب شرعاً وعقلا،« **عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**»[3] والداعية طبيب معالج، يجب عليه معرفة الداء قبل تشخيص الدواء، وكما ينكر على الطبيب تيئيس مرضاه بإدخال الفزع على قلوبهم، كذلك ينكر على الداعية تغليب التعسير على التيسير، والتنفير على التبشير، لأن ذلك مما يضع العقبات في طريق الداعية، وبالتالي لايستطيع الإيغال بدعوته في المجتمع، وتجاوز تلك العقبات، وقد كان منهجه ﷺ قائماً على التيسير والتبشير، بل إن من صفاته ﷺ ماجاء في

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة تبّت يدا أبي لهب، ج٨/٧٣٧، رقم ٤٩٧١، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾، ج١/١٩٤، رقم ٢٠٨.

(٢) - انظر: أبو الحسن علي الحسني الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص١٩، وانظر: حمد العمار، أساليب الدعوة المعاصرة، ص ٦١٧.

(٣) - أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع، ج١/١١، رقم ٥.

قوله ﷻ: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾[١] والمبشِّر: المخبر بالبشرى وقدمت البشارة على النذارة؛ لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير،[٢] وكان ﷺ يأمر أصحابه بالتزام هذا النهج القائم على التيسير« **فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا**»[٣]، قال الحافظ ابن حجر: " وفي الحديث: الأمر بالتيسير في الأمور، والرفق بالرعية، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة، لئلا تنفر قلوبهم، ولاسيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام، أو قارب حد التكليف من الأطفال، ليتمكن الإيمان من قلبه، ويتمرن عليه. وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لايشدد عليها، بل يأخذها بالتدريج والتيسير، حتى إذا أنست بحالة ودامت عليها، نقلها لحال آخر، وزاد عليها أكثر من الأولى، حتى يصل إلى قدر احتمالها، ولا يكلفها بما لعلها تعجز عنه"[٤] وكان النبي ﷺ يدرك ضعف النفوس البشرية، فيراعيه بالتدرج في التكاليف رغبة في التأليف على الإسلام، كما فعل مع قبيلة ثقيف لما اشترطت بعض الشروط التي تعفى بموجبها عن بعض التكاليف، فعن جابر رضي الله عنه« **قَالَ:اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا صَدَقَةَ عَلَيْهَا وَلا جِهَادَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا**»[٥] وهذا القرار من النبي ﷺ لم يكن قراراً دائماً، بل هو إجراء مؤقت يرجى من ورائه الاستعداد للقيام ببقية الواجبات

---

(١) - سورة الاحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢/٥٣.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ج٦/١٦٢، رقم ٣٠٣٨، وباب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ج٨/٦٠، رقم ٤٣٤١، ٤٣٤٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج٣/١٣٥٨، رقم ١٧٣٣.

(٤) - فتح الباري، ج١٣/١٦٣.

(٥) - أخرجه أبوداود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ماجاء في خبر الطائف، ج٣/١٦٣، رقم ٣٠٢٥ قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٢/٥٨٧، رقم ٢٦١٤.

المفروضة[١]، وقد أثمر ذلك التدرج ثمرته، حيث أصبحت ثقيف من أشد القبائل ولاءً للإسلام وتضحية في سبيله، وثباتاً عليه حتى بعد أن تأرجح كثير من ضعفاء الإيمان من العرب بعد وفاة الرسول ﷺ، وارتداد كثير ممن كان قد أسلم، ويبين المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فضل قبيلة ثقيف بقوله:" فدخلوا في الإسلام، فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم"[٢].

---

(١) - انظر: فضل إلهي. مراعاة أحوال المخاطبين. ص ٨٨.

(٢) - محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. ج١/٣١٣ - ٣١٤.

المطلب الرابع: مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين

إن الداعية وهو يتحرك بدعوته في المجتمع ينبغي له أن يدرك وجود تفاوت بين الناس، في سماتهم، وألوانهم، وألسنتهم، في قدراتهم على الفهم والإدراك، والتعلم، وتلك سنة الله في خلقه، ولعل مما يؤكد هذا المعنى ما جاء في هذا الحديث « **عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**»(١)، وقد أدرك علماء النفس المحدثون هذا وقاموا بوضع مقاييس دقيقة لقياسها، حيث يمكن من خلال معرفة تلك الفروق توجيه الفرد لما يناسبه من أنواع التعلم(٢) ؛ وذلك لأننا لايمكن أن نعلم الناس كلهم بنمط واحد نظراً للاختلاف بينهم، فليس ما يصلح لشخص يصلح لآخر، وليس كل ما يصلح لبيئة يصلح لأخرى، وليس كل ما يصلح لجنس أو فئة يصلح لغيرها، وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لزمن آخر(٣). إن تعامل الداعية مع الناس ينبغي أن يكون مبنياً على اعتبار الاختلافات بينهم، فالفروق الفردية بين المدعوين موجودة ولايجوز إهمالها بحال " فإن إغفال ما بين الأفراد.. كبارهم وصغارهم من فوارق جسمية وعقلية ومزاجية واجتماعية... له أسوأ الأثر بالفرد نفسه، وبالمجتمع الذي يعيش فيه"(٤) والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يتكيف مع المحيط الذي يعمل فيه، ويتعامل مع النفوس بما يناسبها، فلا يزيد عليها فوق حاجتها، ولا ينقصها عن القدر المطلوب، وهذا هو الحكمة

---

(١) – أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ٣ من سورة البقرة، ج٥/٢٠٤، رقم ٢٩٥٥ وقال هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، ج٤/٢٢٢، رقم ٤٦٩٣. وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٤/٥١٩، رقم ١٩٤٧٣. قال حمزة الزين: إسناده صحيح. وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع، ج١/٣٦٢، رقم ١٧٥٩. وانظر: السلسلة الصحيحة للمؤلف. (ط:الأولى، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٣ هـ). ج٤/١٧٢، رقم ١٦٣٠.

(٢) – انظر: محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، ص ٢٥٣. وانظر: سعد جلال، المرجع في علم النفس. (ط: خامسة عشرة، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ١٩٨٥م)، ص ٥٢٥.

(٣) – يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص ١٣٤.

(٤) – أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، (ط: العاشرة، المكتب المصري، الاسكندرية، ١٩٧٦ م) ص ٣٥٤.

التي أُمِر بها، والتي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً.

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة على الاعتراف بتلك الفروق وتقديرها في التشريع، وفي الأمر بالتكليف، ومن ذلك على سبيل المثال قوله ﷻ: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾[١]، فإن استطاعة الناس ليست بمستوىً واحد، وجاء التخفيف عن المسلمين في كل ما يشق عليهم، حيث وردت آيات تنص على التخفيف عن المسلمين في الجهاد كقوله ﷻ: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[٢] كما وردت آيات تنص على التخفيف عن المؤمنين في قيام الليل لأسباب معينة، كما في قوله ﷻ: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسَّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسَّر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾[٣]، لقد كان الله يخاطب الأمة وهو يعلم الظروف والأحوال التي يمر بها الإنسان، كالمرض، والاشتغال بطلب الرزق، وأنه سوف يشرع القتال لمن ظلمهم، فخفف الله عنهم مراعاةً لأحوالهم فأصبح القيام تطوعاً في حق المسلمين لا فريضة، ومن أبرز مظاهر مراعاة الفروق الفردية ما يلي:

---

(١) - سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) - سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

(٣) - سورة المزمل، الآية: ٢٠. وانظر: طلال بن سعد الحربي، القواعد الأساسية للتعامل مع الفروق الفردية في القرآن الكريم، (مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع عشر، ١٤١٦هـ)ص ٤٣٢.

أولاً - مراعاة الحاجة الحاضرة للفرد:

ومن مراعاة الفروق الفردية في السنة أنه كان الفرد إذا احتاج إلى تعليم من نوع خاص بذله ﷺ له في رفق وحلم، « **قال أبو رفاعة: انتهيت إلىالنبي ﷺ وهو يخطب قال: فقلت: يارسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه ؟. قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأُتِي بكرسي حسبت قوائمه حديداً قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتمَّ آخرها**»[١] ففي أثناء التلقي الجماعي نرى النبي ﷺ يترك الخطبة ليفي بغرض التعليم الفردي، ويعلّمَ غريباً لايدري ما دينه بطريقة تناسبه، ومن فوائد هذا الحديث أن على الداعية إعطاء المدعوين حقهم من الاهتمام، وتقديم الأهم فالأهم، حيث سأل الرجل عن أصول الإيمان وقواعده المهمة. قال النووي: " وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور"[٢]، ويتجلى هذا الحرص على المدعو في قطع تلك الخطبة التي كان النبي ﷺ يمارسها عند دخول الرجل الغريب، وهنا موضع إشكال يرد لأول وهلة حول قطع تلك الخطبة والتحدث مع الرجل الغريب كما في الحديث، ويجيب الإمام النووي قائلاً:" ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيهاخطبة أمر غير الجمعة ؛ ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقاً بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشي في أثنائها "[٣].

ثانياً - مراعاة اختلاف الجواب باختلاف أحوال السائل:

المتأمل في كثير من نصوص السنة يجد مراعاة النبي ﷺ لحال السائل، ويتمثل هذا في

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة، ج٢/٥٩٧، رقم ٨٧٦.

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦/١٦٥، وانظر: محمد رأفت سعيد، الرسول المُعَلِّم ومنهجه في التعليم، (ط: الأولى، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٠ هـ)، ص ١١٠.

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦/١٦٥، ١٦٦.

كون السؤال واحداً والجواب متعدداً، انظر إلى قوله ﷺ في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ: « **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: « **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ:«**حَجٌّ مَبْرُورٌ** »[١]، وسأله ابن مسعود رضي الله عنه السؤال ذاته أي العمل أفضل ؟ قال: « **الصلاة لوقتها** » قال: ثم أي ؟ قال:«**بر الوالدين** ». قال: ثم أي ؟ قال:« **الجهاد في سبيل الله**»[٢]. وسأله رجل من خثعم فقال: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: « **إيمان بالله**» قال: قلت: يارسول الله ثم مه ؟ قال: « **ثم صلة الرحم** ». قال: قلت: يارسول الله، ثم مه ؟ قال: « **ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[٣] ولا تفسير لهذا الاختلاف في الأجوبة رغم اتحاد السؤال إلا مراعاة أحوال السائلين، وما بينهم من فروق يجب اعتبارها[٤]، وقد أجاب علماء السلف عن سر هذه المسألة فقال القاضي عياض:" أَعْلَمَ كلَّ قوم بما لهم إليه حاجة، وترك ما لم تدعهم إليه حاجة، أو ترك ما تقدَّم علم السائل إليه، أو علمه بما لم يكمله من دعائم الإسلام ولا بلغه عمله. وقد يكون للمتأهل للجهاد الجهاد في حقه أولى من الصلاة وغيرها. وقد يكون له أبوان لو تركهما لضاعا، فيكون برهما أفضل لقوله عليه السلام «**ففيهما فجاهد** ». وقد يكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال عند استيلاء الكفار على بلاد المسلمين"[٥]. وقال العلماء: " اختلاف الأجوبة باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين، وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه"[٦] .

---

(١) - انظر تخريجه: ص ١٧٥.

(٢) - انظر تخريجه: ص ١٧٦.

(٣) - انظر تخريجه: ص ١٧٦.

(٤) - انظر: يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص ١٣٦، وانظر: فضل إلهي، مراعاة أحوال المخاطبين، ص ٦٠.

(٥) - بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ)، ج١/١٨٩.

(٦) - ابن حجر، فتح الباري، ج١/٧٩.

ثالثاً ـ مراعاة المواهب وتوجيهها:

ومن مراعاة الداعية لأحوال المدعوين، المحافظة على المواهب وتنميتها، فالمدعوون من جملة الناس، و يمتلكون قدرات إبداعية ولكن بقدر يتفاوت من فرد لآخر في مواهبهم، وهذا التفاوت هو من تمام حكمة الخالق القدير ﷻ، وتبرز مراعاة الداعية لأحوالهم باكتشاف مواهبهم وتوجيهها نحو الطريق السوي، كما كان النبي ﷺ يملك القدرة على ذلك، فتصبح الموهبة متفاعلة مع المجتمع، فهذا أحد الصحابة كان ذا صوت عذب جميل، وموهبة فذة بيد أنها موهبة ضائعة، ولكن النبي ﷺ لم يكن يعيش بمعزل عن الناس، بل نزل معهم، وأكل معهم، ومشى معهم، وآسى معهم، وعاد مريضهم، وجاهد معهم، واكتشف المواهب بنفسه ووضعها في إطارها الصحيح، ومن أمثلة ذلك قصة أبي محذورة[1] مؤذن النبي ﷺ التي يقول فيها:« **خرجت في نفر فكنا ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعنا صوت المؤذن ونحن عنه متنكّبون[2]، فصرخنا نحكيه نهزأ به، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلينا قوماً فأقعدونا بين يديه فقال:أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟ فأشار إلي القوم كلهم وصدقوا، فأرسل كلّهم وحبسني وقال لي: قم فأذّن.فقمت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمت بين يدي رسول الله ﷺ، فألقى علي التأذين هو بنفسه فقال:قل الله أكبر الله أكبرالله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال لي: ارفع من صوتك أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله،**

---

(١) - هوأوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن سعد بن جمح، وقيل إن اسمه سمرة بن معير توفي سنة تسع وخمسين، وكان أبو محذورة يؤذن للنبي ﷺ إلى أن توفي وبقي الأذان في ذريته مدة طويلة. انظر: ابن الأثير، أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥/٢٧٨. وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١١٧. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي.

(٢) - أي: معرضون، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: نكب، ج٥/٩٨.

أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبرلا إله إلا الله. ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة. ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، ثم أمَرَّهَا على وجهه، ثم على ثدييه، ثم على كبِده، ثم بلغت يد رسول الله ﷺ سرةَ أبي محذورة، ثم قال رسول الله ﷺ: بارك الله لك وبارك عليك. فقلت: يارسول الله أمَرْتَني بالتأذين بمكة ؟ قال: نعم قد أمَرْتُك.فذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهية وعاد ذلك كله محبةً لرسول الله ﷺ.فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ بمكة، فأذَّنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ »(١)

ومن ذلك اكتشاف موهبة الحفظ لدى الفرد وتوجيهها لما يفيد، ومن الأمثلة على ذلك الصحابي الجليل زيد بن ثابت(٢) رضي الله عنه الذي أدرك النبي ﷺ نبوغه المبكر وقدرته الذهنية، فأشار عليه بما يتوافق مع مواهبه وقدراته، « **عَنْ خَارِجَةَ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: يَا زَيْدُ تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي. قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ**

---

(١) – أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأذان والسنة فيه، باب الترجيع في الأذان، ج١/٢٣٤، رقم ٧٠٨، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الأذان، باب كيفية الأذان، ج٢/٤، رقم ٦٣٢، ٦٣١، ٦٢٩، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب كيفية الأذان، ج١/١٣٦، رقم ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٣ وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الترجيع في الأذان، ج١/٣٦٦، رقم ١٩١، ١٩٢، وقال حديث صحيح وأخرجه أحمد في مسنده،ج١٦/١٥١، رقم ١٥٣١٦، قال حمزة الزين: إسناده صحيح. وانظر: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. (ط:دار الفكر. بيروت،بدون تاريخ).ج٤/١١٤. وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً. كتاب الصلاة، باب صفة الأذان، ج١/٢٨٧، رقم ٣٧٩.

(٢) – زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي من بني النجار. أسلم لما هاجر النبي ﷺ وشهد الخندق وغيرها، وكان أعلم الصحابة في الفرائض. ومن كتبة الوحي. توفي سنة خمس وأربعين. ابن الأثير. أسد الغابة. ج٢/١٢٦. وانظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٢٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

إِذَا كَتَبَ»[١] وفي رواية أخرى « **عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا قَالَ: فَتَعَلَّمْهَا فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا** »[٢] فقد كان ﷺ سريع الحفظ، متوقد الذهن، قوي الذاكرة، قال عنه الإمام الذهبي:"وكان أحد الأذكياء"[٣] اختاره النبي ﷺ أولاً ليكون من كتاب الوحي لأنه جيد القراءة حسن الخط، ثم وجهه ثانياً ليتعلم بجانب اللغة العربية لغة اليهود ليكون مترجماً أميناً للنبي ﷺ[٤].

ومن الأمثلة أيضا قصة عبد الله بن مسعود ذي الجسم النحيل الذي لم يمنعه ذلك من أن يكون يحمل في داخله عقلاً مفكراً، وذكاء موفوراً، اكتشفه النبي ﷺ حين حاوره في أول أمر الإسلام، ولندع الحديث لابن مسعود وهو يروي تلك القصة حيث قال:«**كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا** [٥] **أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**[٦] **فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ:ا يَا غُلامُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا، قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا، فَحَفَلَ الضَّرْعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقْلِصْ. فَقَلَصَ فَأَتَيْتُهُ**

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٦/٤١، رقم ٢١٥١٠، وقال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، ج٢/٣١٨، رقم ٣٦٤٥، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعلم السريانية، ج٥/٦٧، رقم ٢٧١٥، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الألباني عنه: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٢/٣٤٩، رقم ٢١٨٣، وانظر: السلسلة الصحيحة، ج١/٣١٤، رقم ١٨٧.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٦/٣٠، رقم ٢١٤٧٩، قال حمزة الزين:إسناده صحيح، وانظر: تعليق شعيب الأرنؤوط على الحديث في سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٢٩، هامش رقم ٢.

(٣) - سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٢٧، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٤) - انظر: عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، (ط: الأولى، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٤٠١هـ)، ص ١٧١.

(٥) - غلام يافِعٌ، ويفَعَةٌ، ولُفَعَةٌ، ويَفَعٌ: أي شاب. انظر: ابن منظور، اللسان، ج٨/٤١٤، مادة (يفع).

(٦) - عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من مقدمي قريش في الجاهلية. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة. قتل يوم بدر كافراً وكنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٤/٢٤٠.

بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ. قَالَ: إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ. قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ»[1] لقد كان ﷺ حسن الإصغاء للعلم، فهيماً يستطيع التعلم، اكتشف النبي ﷺ تلك الموهبة فوجهه إلى تعلم القرآن ليأخذ من فيه ﷺ سبعين سورة[2]، ولذا فإن اكتشاف الموهبة وتوجيهها جانب من جوانب مراعاة أحوال المدعو، كما أنه مقوم من مقومات نجاح الدعوة ونجاح الداعية،وهوفن ينبغي للداعية أن يتقنه كما أتقنه المصطفى ﷺ.

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في المسند. ج٤/٢٤٩، رقم ٤٤١٢، ٣٥٩٨. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) - انظر: محمد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ص ١٧٥.

المبحث الرابع: الحرص على هداية الآخرين

الحرص على الدعوة من صفات الدعاة الصادقين، وهو بإذن الله تعالى سبب من أسباب استجابة المدعوين وتفاعلهم مع الدعوة، ذلك أن الداعية الحريص على الدعوة يغار عليها ويبذل في سبيلها الكثير دون منّ أو أذى، كما كان رسول ﷺ حريصاً على الدعوة يفكر فيها في يقظته ومنامه، بل إنه ﷺ إذا نام تنام عيناه ولا ينام قلبه[١]، والحريص على الدعوة هو المتأثر بها حقيقة،الذي يدرك ما فيها من خير وجمال يدفعه ذلك إلى إهداء هذا الخير للعالمين بكل تجرد وإخلاص، أما الداعية غير الحريص على دعوته، فتفوته الفرص، ولا يهمه مصلحة دعوته، لأنها ليست هي التي تحركه، وتقض مضجعه، وفي الكتاب والسنة نصوص تبين أهمية الحرص على هداية الآخرين، وأن الدعاة السابقين من المرسلين وأتباعهم كانوا من أحرص الناس على هداية الآخرين، مما يعطي هذه الصفة الأهمية والأولوية في حياة الدعاة، ومن تلك النصوص ما يلي: قال الله ﷻ: ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[٢] وقال الله ﷻ: ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين** ﴾[٣]وقال الله ﷻ: ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾[٤] وقال الله ﷻ: ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً** ﴾[٥] وقال الله ﷻ: ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون** ﴾[٦] و

---

(١) - انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، ج١/٢٣٨، رقم ١٣٨، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ج١/٥٢٥، رقم ٧٦٣.

(٢) - سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٣) - سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٤) - سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٥) - سورة الكهف، الآية:٦.

(٦) - سورة فاطر، الآية: ٨.

قال الله ﷻ: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾(١) وقال الله ﷻ: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾(٢) وقال الله ﷻ: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٣) وقال الله ﷻ: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون * إني إذا لفي ضلال مبين * إني آمنت بربكم فاسمعون *

---

(١) - البقرة، الآيتان: ١٣٢، ١٣٣.

(٢) - سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) - سورة يوسف، الآيات: ٣٦ - ٤٠.

قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾[١] وقال الله ﷻ: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾[٢] وقال الله ﷻ عن نوح عليه السلام أيضاً: ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . الآيات﴾[٣]،وقال حكاية عن نوح ﷺ في رده على قومه لما قالوا: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون﴾[٤]، وقال عن هود عليه السلام ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾[٥] .

أما نصوص السنة فمنها « عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[٦]، « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْخَلاءِ فَلا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلا يَسْتَدْبِرْهَا، وَلا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ»[٧].

---

(١) - سورة يس، الآيات: ٢٠ - ٢٧.

(٢) - سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٣) -سورة نوح الآيات: ٥-٩.

(٤) -سورة الأعراف، الآيات: ٦٠،٦١،٦٢

(٥) -سورة الأعراف، الآية ٦٨

(٦) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقة النبي ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ج٤/١٧٩٠، رقم ٢٢٨٥.

(٧) - أخرجه النسائي، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، ج١/٣٨، رقم ٤٠. وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة، ج١/١١٤، رقم ٣١٣. وأخرجه أحمد في المسند،

=

واستناداً إلى تلك النصوص يمكننا تقسيم الموضوع كما يلي:

المطلب الأول: حرص السابقين على هداية الآخرين.

المطلب الثاني: مظاهر حرص النبي ﷺ على هداية الآخرين.

المطلب الثالث: حرص الصحابة والسلف على هداية الآخرين.

المطلب الخامس: حرص النساء المسلمات على هداية الآخرين.

=

ج٧/١٨٣، رقم ٧٣٦٢. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال عنه الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجة. ج١/٥٧، رقم ٢٥٢.

المطلب الأول: حرص السابقين على هداية الآخرين:

إن الدعاة السابقين من الأنبياء وغيرهم لم يدخروا وسعاً في دعوة الناس إلى الله، ومع ذلك يواجهون بالأذى والتكذيب، لا يسألون الناس أجراً على هدايتهم، والأنبياء هم القدوة الذين يقتدي بهم الداعية، وسأعرض صوراً من حرصهم على هداية أقوامهم.

أولاً: نوح عليه السلام وحرصه على هداية قومه.

أرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فظل ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم في جهد دؤوب كماقال الله ﷻ: ﴿ **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . الآيات**﴾[1] لقد نوَّع لهم في أساليب الدعوة لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً، قال الزمخشري في معنى ﴿ **ليلاً ونهاراً**﴾: "دائباً من غير فتور مستغرقاً به الأوقات كلها"[2] والحق أن نوحاً عليه السلام بلغ الغاية في نصيحتهم بالليل والنهار، ثم جاهرهم بالدعوة، ثم جمع بين السر والإعلان[3] وقال ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿ **وأسررت لهم**

---

(١) -سورة نوح الايات: ٥ - ٩.

(٢) - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤/٦١٦، وانظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٩/٣٧، وانظر: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط، (ط: مكتبة النصر)، ج٨/٣٣٨، وانظر: محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ط:الأولى، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤١٥ هـ)، ج٢٩/٨٠.

(٣) - انظر: محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، (ط: دار الكتب الحديثة، مصر)، ج٤/٢٨٢، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض، وانظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، (ط: دار صادر، بيروت)، ج٥/١٥٢، وانظر: محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، (ط: الثانية، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ)، ج١٦/٢٩٤، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

﴿إسراراً﴾: " يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سراً بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك"[١]، ولم يدع نوح الدعوة لهم حتى في اللحظات التي يودع فيها الدنيا « **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي قَاصِرٌ عَلَيْكُمَا الْوَصِيَّةَ آمُرُكُمَا بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ عَلَيْهَا لَفَصَمَتْهَا أَوْ لَقَصَمَتْهَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ**»[٢].

ومما يلفت النظر في قصص الأنبياء عليهم السلام ظاهرة الحرص على هداية الآخرين، والتي بسطها القرآن الكريم في آيات متعددة، ففي قصة نوح ﷺ نجد رده على قومه لما اتهموه بالضلال﴿ **ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[٣] وفي قصة هود نجد رده ﷺ على قومه لما اتهموه بالضلالة قال: ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين**﴾[٤]، والنصح والأمانة والبلاغ صفات يتصف بها الرسل عليهم السلام[٥] قال الإمام القرطبي: " النصح إخلاص النية في

---

(١) - أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، (ط: دار طيبة، الرياض، ١٤١٢ هـ)، ج٨/٢٣٠، تحقيق: محمد النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، وانظر: الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٤/٢٨٢، وانظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (ط: محمد دمج، بيروت)، ج٦/٢٦٨

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٦/١٥٧، رقم ٦٥٨٣، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

(٤) - سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

(٥) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٢١٥.

المعاملة بخلاف الغش. قال الأصمعي:الناصح الخالص من العسل وغيره"[١] والنصح كلمة جامعة يعبر بها عن حسن النية في القول والعمل[٢]، والحرص على تحقيق مصلحة المدعو وأي مصلحة له أعظم من هدايته إلى الصراط المستقيم، ويلاحظ في قوله ﷻ:﴿ **وأنصح لكم** ﴾[٣] التعبير بالمضارع الذي يفيد التجدد والحدوث والتكرار، وفيه دلالة على حرصه على هدايتهم، يتمثل ذلك في تكرار النصح وعدم تركه مع كراهتهم له، وفي التعبير في قصة هود بقوله: ﴿ **وأنا لكم ناصح أمين**﴾[٤] دلالة على أن نصحه لهم وحرصه على هدايتهم وصف ثابت فيه متمكن منه[٥]. وفي قصة موسى ﷺ يقول الله ﷻ حاكياً مقولة موسى لفرعون: ﴿**حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق**﴾[٦] قال ابن كثير:" وقال بعض المفسرين: معناه حريص على ألا أقول على الله إلا الحق"[٧] وفي قصة شعيب عليه السلام يقول:﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[٨] أي: مأريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به أوأنهى عنه، وليس لي هوى ولا منفعة شخصية[٩]،منهجه في ذلك منهج الأنبياء في حرصهم على هداية أقوامهم، واهتمامهم

---

(١) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧/٢٣٤، وانظر: محمد علي الشوكاني، فتح القدير، ج٢/٢١٦.

(٢) - انظر: بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج٨/١٩٤ .

(٣) - سورة الأعراف، الآية:٦٢.

(٤) - سورة الأعراف الآية:٦٨.

(٥) - ابن عاشور، التحرير والتنويرج٨/١٩٤، ٢٠٣ .

(٦) - سورة الأعراف، الآية: ١٠٥.

(٧) - تفسير القرآن العظيم، ج٢/٢٢٦، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩/٣٩، وانظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٩/٤٢.

(٨) - سورة هود، الآية:٨٨.

(٩) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار ج١٢/١٤٥، وانظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣/٤٥٠.

بالدعوة، كل يقول لقومه ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾[١] فهو مقتد بالرسل الذين يطمئنون أقوامهم على مصالحهم الدنيوية، ولايطلب منهم أجراً مقابل هدايتهم إلى الدين الحق، وإنما أجره على الله في حرص كامل ونصح أمين، ومحبة تصحبها شفقة على أولئك الحيارى الذين ضلوا عن الصراط المستقيم يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ويا قوم لاأسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله . .الآية﴾[٢]:"كأنه عليه السلام قال لهم: إنكم لما نظرتم إلى ظواهر الأمور وجدتموني فقيراً، وظننتم أني إنما اشتغلت بهذه الحرفة لأتوسل بها إلى أخذ أموالكم، وهذا الظن منكم خطأ، فإني لاأسألكم على تبليغ الرسالة أجراً إن أجري إلا على رب العالمين، فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد"[٣]

ثانياً: حرص إبراهيم عليه السلام على هداية قومه:

وفي قصة ابراهيم الخليل ﷺ نلاحظ الحرص على هداية أبيه، يقول الله ﷻ:﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً . . الآيات﴾[٤]،لقد خاطب إبراهيم عليه السلام أباه بلهجة كلها أدب وحرص على هدايته، فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره، و لم يسمه

---

(١) - سورة الشعراء الآية:١٠٩.

(٢) - سورة هود الآية:٢٩.

(٣) - الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٧ /٢٢٣.

(٤) - سورة مريم، الآيات ٤١ - ٤٥.

باسمه وقال لـه: ﴿ يا أبت﴾[١] وفي ذلك تلطف به، ودليل على شدة الحب والرغبة والحرص في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب. وختم الكلام بقوله ﴿ إني أخاف﴾ لشدة تعلق قلبه بمصالحه[٢] وفي قوله ﴿ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ نجد أن إبراهيم الخليل عليه السلام " لم يَسِمْ أباه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولا نفْسَهُ بالعلم الفائق، وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيق له"[٣]، وانظر كيف حذَّر أباه عبادة الشيطان بهذه الصورة استمالة له وتنفيراً من فعله، و لم يكن أبوه يعبد الشيطان ويؤلهه، بل كان يعبد الأصنام، وفعله هذا طاعة للشيطان لأنه هو الداعي لذلك والراضي به، فكأنه بعبادته لها عابد له[٤]، وانظر كيف نسب الخوف إلى نفسه وليس إلى أبيه، كما يفعل الشفيق الحريص على من يشفق عليه، وقال ﴿يمسُّك﴾ دون غيره من الألفاظ؛ لما فيه من اللطف، ثم ذكر الرحمن و لم يذكر القهار والجبار، فأي خطاب ألين من هذا الخطاب؟، بل أي حرص على هداية المدعو أشد من هذا؟[٥]

وفي قوله ﷻ: ﴿ ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[٦] قال الفخر الرازي عن إبراهيم عليه السلام: " إنه خصَّصَ بنيه بذلك، وذلك لأن شفقة

---

(١) - انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج٣/ ١٣٢، عفيف طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، (ط: السابعة عشرة، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٩ م،)، ص ١٠٩.

(٢) - انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢١/٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) - أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٥/٢٦٧.

(٤) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/١٢٠، عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥/ ١١١، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧/١١٦، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١/١١١.

(٥) - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج٣/١٣٢.

(٦) - سورة البقرة، الآيتان: ١٣٢، ١٣٣.

الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصهم بذلك في آخر عمره علمنا أن اهتمامه بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره"(١)، وقال: " الآية دالة على أن شفقة الأنبياء عليهم السلام على أولادهم كانت في باب الدين، وهمتهم مصروفة إليه دون غيره"(٢).

ثالثاً: حرص يوسف عليه السلام على هداية قومه:

وفي قول الله ﷻ: ﴿**ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله. . .الآيات**﴾ إشارة إلى أن يوسف عليه السلام وهو في السجن اتصف بالحرص على هداية الآخرين، وأنه لم يترك الدعوة بسبب ظروف السجن، بل أراد ألاّ تضيع هذه الفرصة الثمينة في دعوتهم، وهو شأن الداعية اللبيب في استثمار أي لحظة لهداية الآخرين، ومما يدل على ذلك الحرص أنه عدل عليه السلام عن تعبير رؤياهما ابتداءً، وأجَّل الجواب عن سؤالهما ليستميلهما إلى تقرير التوحيد والدعوة إليه أولاً؛ لأن هذا هو المهم، قال ابن عاشور:"أراد بهذا الجواب أن يفترض إقبالهما عليه وملازمة الحديث معه، إذ هما يترقبان تعبير الرؤيا، فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان الصحيح"(٣).

ومن حرصه على هدايتهم أنه تدرج في دعوتهم وساق الحُجَجِ لإقناعهم، ومن تلك الحجج، **الحجة الأولى:** في قوله ﷻ: ﴿**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾ وقد بين الله ﷻ أن تعدد الآلهة يوجب الفساد والخلل كما في قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾(٤) وكون الإله واحداً يقتضي النظام والترتيب، وبعد تقرير تلك الحقيقة جاء

---

(١) - تفسير الفخر الرازي، ج٤/٨٠.

(٢) - المصدر السابق. ج٤/٨٢. ٨٣.

(٣) - التحرير والتنوير. ج١٢/٢٧٠، وانظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج٤/٢٥.

(٤) - سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

الاستفهام هنا على سبيل الاستنكار.

الحجة الثانية: وصف الأرباب بأنهم ﴿ **متفرقون** ﴾ يشير إلى أنها مقهورة لاتأثير لها، وجعل في مقابلته كونه تعالى قهاراً قادراً كماقال ﴿ **أم الله الواحد القهار** ﴾.

الحجة الثالثة: أن كونه واحداً يوجب عبادته، لأنه لو كان له ثان، لم نَعْلَم من الذي خلقنا ورزقنا فيقع الشك في أيهما يُعْبَد[١].

رابعاً: حرص رجل صالح من السابقين على هداية قومه:

قال الوزير العباسي ابن هبيرة[٢]، في قوله ﷻ: ﴿ **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . . . الآيات** ﴾: " تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا الرجلان جاءا من بعد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعدا لبعد الطريق"[٣]، ويقول الفخر الرازي: في قوله ﷻ: ﴿ **ياقوم اتبعوا المرسلين** ﴾: " قوله: ياقوم ينبيء عن إشفاق عليهم وشفقة"[٤] فهذا الرجل الذي سمع الدعوة فاستجاب لها مثال واضح وجلي على الحرص على الدعوة، وذلك بعدما رأى ما فيها من حق وصدق، ودفعته تلك القناعة للحرص على إنقاذهم من الضلال المبين. وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحرك ولم يطق السكوت ؛ وهو يرى القوم في ضلال مبين ؛ فجاء من أقصى المدينة ليقوم بواجبه في الدعوة، ولينهاهم عن البغي، وقد كانت قوة الإيمان هي سلاحه الوحيد الذي دفعه لإعلان هذا الموقف

---

(١) - انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٨/١٤٣، ١٤٤.

(٢) - يحي بن هبيرة بن سعد بن الحسن بن أحمد الذهلي الشيباني، عالم بالفقه والأدب، له معرفة بالنحو واللغة والعروض، وهو من كبار وزراء الدولة العباسية، في ولاية المقتفي والمستنجد، ولد في عام ٤٩٩ هـ، وتوفي في عام ٥٦٠ هـ. انظر: عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، (ط: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢ هـ)، تصحيح: محمد حامد الفقي، ج١/٢٨٥. وانظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/١٧٥.

(٣) - ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ج١/٢٦٩ .

(٤) - تفسير الفخر الرازي، ج٢٦/٥٥.

الشجاع[١]، ومع ذلك لم ينتفعوا بنصحه، بل وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وهو يدعو لهم بالهداية والتوفيق، ﴿قيل ادخل الجنة * قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: " نصح قومه في حياته وبعد مماته"[٢]، وقال الحافظ ابن كثير: "فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه"[٣].

خامساً: حرص الغلام المؤمن على هداية قومه:

إن حرص الداعية على هداية الآخرين نابع من قناعته بالحق الذي يعتنقه ويؤمن به، وبالتالي لايكترث بما يصيبه في سبيل تبليغ الدعوة لأن الجزاء الموفور ينتظره عند ربه، وهذا ما نلمسه جلياً في قصة الغلام المؤمن الذي تعرض لكثير من البلايا والمحن، فأنجاه الله بحرصه وإخلاصه، ووقاه من كل مكروه، وفي ذلك توجيه للدعاة بألا يجزعوا ولا يهنوا ولا يحزنوا بما يصيبهم في سبيل الله تعالى. « **عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا، يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ**

---

(١) - انظر: عبد الرحمن السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج٦/٣٤٠.

(٢) - ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج٣/٥٤٦.

(٣) - المصدر السابق، ج٣/٥٤٦.

الأَدْوَاءَ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ، فَجِيءَ بِالْغُلامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[1] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي

---

(١) - القرقور بضم القافين السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة.صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨/ ١٣٠.

صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ؟ قَدْ آمَنَ النَّاسُ! فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ[١] فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ[٢] أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[٣]

في قصة الغلام المؤمن الآنفة الذكر معانٍ دعوية جدير بالدعاة أن يقفوا أمامها طويلا، لقد كان الغلام مثالاً حياً للداعية الحريص على هداية الناس، والذي يهمه بالدرجة الأولى نجاح دعوته، فلما بلغ تلك المرتبة العالية من الإخلاص نجاه الله من المخاوف[٤] ويتجلى ذلك حينما ضاق به الملك ذرعاً وحاول أن يثنيه عن دعوته فأبى، وعندئذ أمر زبانيته ليأخذوه ويطرحوه من قمة جبلٍ عالٍ، فما كان منه إلا أن دعا الله بإخلاص«**اللهم اكفنهيم بما شئت**» فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، لقد نجَّاه الله وقتل أعداءه بالإخلاص للدعوة والحرص عليها ثم أخذوه في السفينة ليلقوه في البحر، فلما توسطوا به البحر دعا الله تعالى قائلا:«**اللهم اكفنيهم بما شئت**» فكفأ الله السفينة ونجا الداعية بتوفيق الله، ويتجلى الحرص على هداية الآخرين بصورة أقوى وأشد حينما يبيع الغلام نفسه لله، ويعلن للملك «**إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به**» فيسأله الملك بشوق شديد(وما هو) فيجيبه الغلام المؤمن بلهجة الواثق من حسن العاقبة: «**تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتن**» ترى! لم حرص الداعية على جمع الناس ليشهدوا هذا المشهد؟ الذي يبدو والله أعلم أن الغلام كان

---

(١) - أي اطرحوه فيها من قولهم حميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى.صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨ /١٣٣.

(٢) - أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار. المصدر السابق المدرك نفسه.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ج٤ ٢٢٩٩ حديث رقم ٣٠٠٥.

(٤) – انظر: حسين العوايشة، الإخلاص، (ط: الثانية، المكتبة الإسلامية، عمّان، ١٤٠٣ هـ)ص ١٦.

حريصاً على حضور الناس حتى يتبينوا الحق من الباطل، ذلك أن معرفة الناس للحق وللباطل على حقيقتهما وتبين تلك الحقيقة على هذا النحو مما يقوي دوافع الاستجابة عند المدعوين، وإذا مضينا مع القصة يتبدى لنا عواقب الحرص على الدعوة في نتائجه الباهرة، لقد قتل الملك الداعية فكانت النتيجة أن قال الناس: «**آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام**» قال الأبّي معلقاً على هذا الحديث: "سعيه في قتل نفسه إنما هو ليشتهر أمر الإيمان في الناس، ويروا برهانه كما وقع"[١]، وهذه ثمرة الاهتمام بالدعوة والحرص عليها، استجابة شعب بكامله للدعوة، وإيمانه بها إيماناً جعلهم يثبتون بفضل الله تعالى للتحريق الذي هددهم به الملك[٢]، حتى أن طفلاً لما ضعفت أمه عن الاقتحام أنطقه الله قائلا: «**يا أمه !اصبري فإنك على الحق**»[٣].

---

(١) - إكمال إكمال المعلّم، ج٩/٤٧٣.

(٢) - حسين العوايشه. الإخلاص، ص١٧.

(٣) - انظر: صحيح مسلم ج٤/٢٢٩٩ حديث رقم:٣٠٠٥.

المطلب الثاني: مظاهر حرص النبي ﷺ على هداية الآخرين:

وصف الله نبيه ﷺ بالحرص على الدعوة فقال ﷻ: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[١] قال الأندلسي:" أي:حريص على إيمانكم وهداكم"[٢] وهو لفت لأنظار العرب الذين أنزل عليهم القرآن إلى ما يحمله ﷺ في قلبه لهم من حب مفعم، وحرص وحدب لايوجد مثله حتى في الآباء لأبنائهم، وهذا الحدب والحرص على هدايتهم حمله ﷺ على أن يبيت مؤرقاً موجعاً لخلاف قومه عليه وتفلتهم بين يديه، وهو يدعوهم إلى النجاة والخلاص من الضلال، حتى لقد نبه الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ أن يتخفف من تلك الحسرات التي تملأ قلبه وتملك مشاعره[٣] قال ﷻ: ﴿ **لعلك باخع نفسك ألاَّ يكونوا مؤمنين * إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها خاضعين**﴾ [٤] وفي التعبير ما يشبه العتب على شدة ضيقه وهمه بعدم إيمانهم، وهو يعاني ما يعاني من تكذيبهم وإعراضهم مع يقينه بما ينتظرهم من العذاب، فتذوب نفسه عليهم حسرات - وهم قومه وأهله وعشيرته وأحق من استجاب لدعوته - فيواسيه ربه الرؤوف الرحيم ويقول له: بأن إيمانهم ليس مما كلفت به، ولو شئنا أن نكرههم عليه لأنزلنا عليهم من السماء آية قاهرة تضطرهم للإيمان، ولكنه ﷻ لا يريد من أحد إلا الإيمان الاختياري[٥]، لقد كان النبي ﷺ يبذل وهو صابر محتسب، ويعظم على نفسه

---

(١) - سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسيرالكتاب العزيز، (ط:الأولى، الدوحة، ١٤٠٤ هـ)، ج٧/٩٠تحقيق: عبد الله الأنصاري وعبد العال السيد إبراهيم.

(٣) - انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ)، ج١١/٩٢٥، ج١٤/٢٩٦. وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج٢/٣٢٥.

(٤) - سورة الشعراء، الآيتان: ٣، ٤.

(٥) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٣٢٠، عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج١٤/٢٩٦.

الإعراض والتكذيب لحرصه على هداية قومه، ويشق عليه التكذيب ثم الإعراض المتعمد الذي يدفع أصحابه إلى الافتراء والبهتان[١]. ويجيء التوجيه الرباني مواسياً لنبيه ﷺ ولكل داعية بعده في قوله ﷻ: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾[٢] وقوله ﷻ: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾[٣]، و قوله ﷻ: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[٤] وهواستفهام إنكاري، وفيها لفتة عجيبة طريفة حيث نزَّل النبيَّ ﷺ - لحرصه على إيمان أهل مكة - منزلة من يحاول إكراههم على الإيمان،[٥]، وفي قوله ﷻ: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾[٦] تعريض بالثناء على النبي ﷺ في حرصه على هدايتهم مع ما يواجهونه به من تكذيب وعناد[٧].ومما يؤكد حرصه ﷺ على هداية الآخرين مظاهر سأذكرها كالآتي:

١ - شفقته ورحمته بأمته:

« عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا: وَأَنَا آخِذٌ

---

(١) - محمد عبي الهاشمي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، (ط: الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ)، ص ١٠٨.

(٢) - سورة الأنعام، الآية:٣٥ .

(٣) - سورة فاطر، الآية: ٨.

(٤) - سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٥) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢/٢٩٣.

(٦) - سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٧) - المرجع السابق، ج١٤/١٥١.

بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[١] قال الإمام النووي: " شبه ﷺ تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله"[٢]. ومن هذا المنطلق كان النبي ﷺ لايسمع بأحد إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى، مما يؤكد حرصه الشديد على الدعوة، فكان يمر على أماكن القبائل قبيلةً قبيلةً يطلب منهم الاستجابة للدعوة وحماية الداعي حتى يبلغ رسالة ربه[٣].

٢- حرصه ﷺ على دعوة عمه أبي طالب:

وقد عرف ﷺ بحبه لإسعاد الآخرين، البعيدين والأقربين، فهاهو عمه أبو طالب وهو في آخر يوم من أيام الدنيا يريد النبي ﷺ أن يرد له جميل صنعه معه، بأن يدله على الإسلام ويستنقذه من الكفر حرصاً على نجاته وهدايته، ولكن الله لم يقدر له ذلك لحكمة يعلمها ﷻ« **فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبِ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي طَالِبٍ: يَا عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ. يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»**[٤].

---

(١) - انظر تخريجه: ص ٢١٠ .

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥/٥٠.

(٣) - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٣ - ٧٠، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٣٨- ١٤٦.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ج٣ ٢٢٢، رقم ١٣٦٠.

٣ – حرصه على دعوة الأنصار:

« عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ (١) مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ (٢) يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُمْ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ لاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ كِتَابٌ، ثُمَّ ذَكَرَ الإسلام وَتَلا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ غُلامًا حَدَثًا: أَيْ قَوْمِ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ. قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الحيسر أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَضَرَبَ بِهَا فِي وَجْهِ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ»(٣)

وهذا هو أول وفد من أهل المدينة يلتقي به النبي ﷺ، ولم يكن موقفه تجاه الدعوة إيجابياً باستثناء ما أبداه الغلام إياس بن معاذ الذي كوفىء على ذلك من ذويه بحفنة من التراب في وجهه، وإذا تتبعنا الأحداث نجد النبي ﷺ لم ييأس من أهل المدينة، ففي الموسم الذي لقي فيه ذلك الوفد لقي النبي ﷺ نفراً من الخزرج فسألهم: «**من أنتم ؟**» قالوا: نفر من الخزرج، قال: « **أمن موالي يهود؟**» قالوا: نعم. قال: « **أفلا تجلسون أكلمكم ؟** » قالوا: بلى! فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن(٤)؛ فكان ذلك فتحاً جديداً تقدمت به الدعوة إلى الأمام، وهذا النجاح كان بتوفيق الله تعالى أولاً ثم بالحرص

---

(١) – أنس بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل انظر:ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١/١٤٧.

(٢) – إياس بن معاذ الأنصاري الأوسي الأشهلي، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١/١٨٦.

(٣) – أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٧/٥٥، رقم ٢٣٥١٠. قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٦٩، وانظر: السهيلي، الروض الأنف، ج٢/١٨٣، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/٤٣٧، ٤٣٨.

(٤) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٧٠، انظر تخريجه: ص١٦٠.

الشديد على هداية الآخرين،وتبليغهم الدعوة التي بعث بها ﷺ.

٤ – حرصه على دعوة اليهود:

ومن أمثلة حرصه ﷺ على الدعوة هذا الحديث الذي يصور الحرص والدأب على الدعوة والاجتهاد في القيام بتبليغها، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ. فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ،(١) فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَاهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ: ذَلِكَ أُرِيدُ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: اعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** »(٢)، لقد قصد النبي ﷺ اليهود في منازلهم ليدعوهم إلى الإسلام ويبلغهم الرسالة، ولكنهم لم يكترثوا بدعوته، بل حاولوا صرفه عن مهمته بقولهم " قد بلغت " قال ابن حجر: " وهي كلمة مكر ليدافعوا بما يوهمه ظاهرها"(٣) ولذلك رد عليهم ﷺ بأن إقرارهم بتبليغه إياهم هو في حد ذاته مكسب؛ لأنه ﷺ ليس عليه إلا البلاغ المبين.

٥ – حرصه على دعوة الغلام اليهودي:

ولم يكن اهتمامه ﷺ مقتصراً على أناس دون آخرين، بل كان دعوته شاملة عامة لكل الناس، فقد كان يتحين الفرص لتبليغ الدعوة، ويهيء جميع ظروفه لخدمة الدعوة، ومن شواهد ذلك ما رواه البخاري « **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ**

---

(١) – سبق تعريفه ص ٦٧ .

(٢) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، ج١٢/٣١٧، رقم ٦٩٤٤، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ج٦/٢٧٠، رقم ٣١٦٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾، ج١٣/٣١٣، رقم ٧٣٤٣. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود والحجاز، ج٣/١٣٨٧، رقم ١٧٦٥.

(٣) – انظر: فتح الباري، ج٦/٢٧١، ج١٣/٣١٥.

يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: لَهُ أَسْلِمْ. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

٦ – حرص النبي ﷺ على الدعوة في كل الأحوال:

لم يكن النبي ﷺ يلزم حالة واحدة في الدعوة بل كان يدعو إلى الله تعالى في كل أحواله، في سلمه وحربه، في بيته وسوقه، في المسجد، وفي الطرقات، فهذا هو دأبه عليه الصلاة والسلام، يوضح هذا ابن عباس الذي كان رديفاً للنبي ﷺ ذات يوم فلم يدع ﷺ هذه الفرصة تفوت دون استثمار « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢)، ويجلي هذا المعنى زيادة حينما تتكرر الحادثة مرات أخرى، مما يؤكد حرصه ﷺ على هداية الآخرين « عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»(٣).

---

(١) – صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟، وهل يعرض على الصبي الإسلام. ج٣/٢١٩، رقم ١٣٥٦ ١٢٩٦٢.

(٢) – انظر تخريجه: ص٥٤ .

(٣) – انظر تخريجه: ص١٠٤.

٧ – حرصه على الدعاء للمدعوين بالهداية للإسلام:

وبلغ من حرصه ﷺ على هداية الناس أنه كان يدعو للضالين بالهداية، وهذا عين الشفقة والحرص على الدعوة، « **عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي، هُرَيْرَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلا يَرَانِي إِلا أَحَبَّنِي** »(١).

بل لما اقترح عليه أحد أصحابه أن يدعو على المدعوين لعنادهم لم يرض بذلك، ودعا لهم بدلاً من الدعاء عليهم، فهل هنالك حرص على هداية الناس أعظم من هذا الذي كان منه ﷺ « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ** »(٢).

---

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ، ج٤/١٩٣٨، رقم ٢٤٩١.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء. ج٤/١٩٥٧، رقم ٢٥٢٤، وأخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين ليتألفهم. ج٦/١٠٧، رقم ٢٩٣٧، كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ج٨/١٠١، رقم ٤٣٩٢. كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، ج١١/١٩٦، رقم ٦٣٩٧.

المطلب الثالث:حرص الصحابة والسلف على هداية الآخرين

ولقد كان الجيل الأول من الصحابة ﷺ حريصاً على الدعوة، لدرجة أنهم يحزنون ويبكون حينما تفوتهم المشاركة في أمر من الأمور التي تؤدي إلى هداية الآخرين، كما في قوله ﷻ: ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لاأجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون**﴾[١] والآية نزلت في بني مقرن من مزينة[٢]، قال القرطبي:" وعلى هذا جمهور المفسرين"[٣] وقوله:﴿ **تفيض من الدمع** ﴾ أبلغ من القول:"يفيض دمعها"، لأن العين جعلت كأنها دمع فائض امتلأت به فأصبح يتدفق من جوانبها تدفقاً[٤]، ومن نماذج الحرص على الدعوة أبوبكر الصديق ﷺ يضربه المشركون بنعلين مخصوفتين حتى تغيرت ملامح وجهه، وكادت عيناه تبرزان من شدة ما لقي في سبيل الله لم يترك الحرص على الدعوة، فعندما أفاق من غفوته كان أول سؤال له عن أحوال الرسول ﷺ، بل أقسم ألا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يرى رسول الله ﷺ، فلما رآه طلب منه ﷺ أن يدعو لأمه بالهداية للإسلام، فدعا لها فأسلمت ببركة دعائه ﷺ [٥] ولم يدع الصحابة الكرام الحرص على الدعوة، فقبيل معركة اليرموك طلب قادة المسلمين الاجتماع بأمير الفرس، فلما تم لهم ذلك دعوه إلى الإسلام قبل القتال فلم يستجب،[٦] وورث السلف الصالح هذا السمت، وكانوا يعطون هذا المعنى حقه في الحياة الدعوية، يتعرفون على المدعوين ويسألون عن أحوالهم، ويحرصون على تمتين العلاقات معهم

---

(١) – سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٢) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٣٦٥.

(٣) – الجامع لأحكام القرآن، ج٨/٢٢٨.

(٤) – انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٦/١٦٦، وانظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٠/٢٩٦، وانظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١٠/٥٨٩.

(٥) – انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/٣٠، ٣١. وانظر: ابن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦/٣٢٦.

(٦) – للاستزادة انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٩، ١٠.

لمصلحة الدعوة. فهذا الإمام أحمد - رحمه الله - يقول عنه ابن الجوزي وهو يتحدث عن سيرته:" وكان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله"(١)، فالإمام أحمد على جلالة قدره يسأل عن المدعو ويحرص على التعرف عليه، لالشيء إلا للحرص على إيصال الخير له، وفي هذا فائدة للداعية تتمثل في ضرورة أن يفقه ما تتطلبه الدعوة من حرص يتمثل في غدوٍ ورواح وسؤال واتصال بالناس لدعوتهم، أما الداعية الذي يجلس في مكتبه أو بيته وينتظر من الناس أن يسألوا عنه، فهيهات أن يحظى بشرف العمل لهذه الدعوة المباركة

وهذا عمر بن عبد العزيز الذي آلت إليه الخلافة وقد تغير كثير من الأمور على الناس، وظهر الانحراف في بعض جوانب الحياة الإسلامية، يدرك بعد توليه الخلافة أهمية العقيدة والدعوة إليها، فيولي الدعوة المكانة الأولى من مهام الدولة الإسلامية، فيكون همه الحرص على الدعوة وكسب القلوب لا كسب الأموال، حتى استغرب بعض الولاة من هذا التوجه الذي يرمي إلى إسقاط الجزية عمن أسلم، فيتقدم أيوب بن شرحبيل الأصبحي(٢) ليستأذنه في إعادة فرض الجزية على من أسلم على الأقل في مصر ولايته التي تحت يده، ولكن عمر يصدع بالحق في وجهه؛ ليعلم أن هذا مبدأ إسلامي أصيل قبل أن يكون وجهة نظر رآها فيقول له: " إن الله بعث محمداً ﷺ هادياً، ولم يبعثه جابياً"(٣) وأرسل عمر إلى واليه على خراسان بأن يضع الجزية عمن أسلم، ولما كثر دخول أهل الذمة في الإسلام قال بعض أشراف أهل خراسان لأميرهم: إن الناس أقبلوا على الإسلام نفوراً من الجزية، واقترحوا عليه أن يمتحنهم بالختان، فكتب بذلك إلى عمر بن عبد العزيز الذي غضب وقال: " إن الله بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه خاتناً"(٤)، ومن البصرة تأتيه

---

(١) - عبد الرحمن ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، (ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣هـ)، ص ٢١٨.

(٢) - أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الأصبحي من بني الصيَّاح: أمير من النبلاء الصلحاء ولي مصر لعمر بن عبد العزيز أول سنة ٩٨ هـ وحسنت أحوالها في أيامه. واستمر إلى أن توفي فيها. ومدة إمارته سنتان ونصف. الزركلي. الأعلام. ج٢ ٣٨.

(٣) - ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج٥/٣٨٤.

(٤) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك، (ط: الثانية. دار سويدان. بيروت ١٣٨٧ هـ). ج٦/٥٥٩.

رسالة من عدي بن أرطأة[١] يقول فيها: " إن الناس قد كثروا في الإسلام. وخفت أن يقل الخراج "، فرد عليه عمر قائلاً: " والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين"[٢].

والداعية الحريص على هداية الناس لايعرف السكون والراحة، بل تراه في دأب وجد لا يعرف الملل، بل يحب النشاط والحيوية والعمل، كما عاش الرسول ﷺ وعاش السلف الصالح حياتهم بجد واجتهاد في الدعوة إلى الله، مما جعلهم يكرهون البطالة وكل ما يشغل عن الدعوة، حتى قال عطاء بن أبي رباح: " **لأن أرى في بيتي شيطاناً خير من أرى فيه وسادة، لأنها تدعو إلى النوم**"[٣] ويقول طلحة بن عبيد الله: " **إن أقل العيب على الرجل جلوسه في داره**"[٤] قيل لعمر بن عبد العزيز:" **لو تفرغت لنا ؟ فقال عمر: وأين الفراغ ؟ ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله**"[٥]، بل يبالغ الإمام الشافعي في توضيح هذا المعنى فيقول في ذم السكون:

إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

والأسد لولا فراق الأرض ماافترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفُلْكِ دائمةً ... لمَلَّهَا الناس من عُجْمٍ ومن عرب[٦].

---

(١) - عدي بن أرطأة الفزاري. كان شجاعاً عاقلاً. ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة ٩٩ هـ. فاستمر إلى أن قتله معاوية بن المهلب. بواسط سنة: ١٠٢ هـ. خير الدين الزركلي. الأعلام. ج٤/٢١٩.

(٢) - ابن الجوزي. سيرة عمر بن عبد العزيز. (ط: الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٤ هـ)، ص ١١٩، ١٢٠. للاستزادة: انظر: عماد الدين خليل. ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز. (ط: السابعة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٥ هـ)، ص ٨٤.

(٣) - ابن كثير. البداية والنهاية. ج٩/٣٠٨

(٤) - ابن سعد. الطبقات. ج٣/٢٢١.

(٥) - ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج٥/٣٩٧.

(٦) - انظر: ديوان الشافعي. (ط: الثالثة. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٦ هـ)، ص ٥٥. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي.

المطلب الرابع: حرص النساء المسلمات على هداية الآخرين

وهذا الأمر لم يقتصر على الرجال فحسب بل شمل النساء والرجال معاً، فهذه أم سليم الصحابية الجليلة(١) تشترط على زوجها الذي تقدم لخطبتها الإسلام صداقاً لها «**عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا. قَالَ: ثَابِتٌ فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الإسلام فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ**»(٢) لقد كانت المرأة المسلمة تمارس واجبها وتستشعر مسؤوليتها في الدعوة إلى الله، لدرجة العزوف عن المصالح الشخصية، والتنازل عن المهر الذي هو حق من حقوقها في سبيل الدعوة، وما ذاك إلا لأن الهم الذي يشغل البال هو هم الدعوة ومصلحتها، وهذه أم حكيم(٣) زوجة عكرمة(٤) ﷺ لما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً فر فيمن فر جهة اليمن، فاستأمنت له زوجته ولحقت به تدعوه إلى الإسلام وإنقاذه من الكفر، فلم تزل به حتى عاد مسلماً بفضل الله ﷻ ثم بفضل تلك الجهود الحثيثة التي بذلتها أم حكيم(٥). يقول عكرمة ﷺ: " بلغني أن رسول

---

(١) - يقال اسمها: سهلة، ويقال: رميلة، ويقال: أنيفة، بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخزرجية. أسلمت، وبايعت، وشهدت أحداً، وحنيناً، وكانت يوم أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وهي أم الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٤٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٠٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/٤٢٤.

(٢) - أخرجه النسائي في سننه، ج٦/١١٤، رقم ٣٣٤١، قال عنه الألباني: صحيح، انظر: ناصر الدين الألباني،صحيح سنن النسائي، (ط:الأولى،مكتب التربية العربي لدول الخليج،الرياض،١٤٠٩ هـ)،ج٢/٧٠٢، رقم ٣١٣٢، ٣١٣٣، وانظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨/٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٧، وانظر: أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٢/٢٧.

(٣) - أم حكيم بنت الحارث بن هشام القرشية المخزومية زوجة عكرمة بن أبي جهل، أسلمت يوم الفتح، وقتل زوجها في اليرموك، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٢١، ابن سعد، الطبقات، ج٨/٢٦١.

(٤) - عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن مخزوم القرشي المخزومي، أسلم بعد الفتح بقليل، وأبلى بلاءً حسناً أيام الردة، وقتل في فتوح الشام عام ١٤ هـ. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣/٥٦٧.

(٥) - انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٢١.

الله ﷺ نذر دمي يوم الفتح... فهربت أريد أن ألقي نفسي في البحر.. وكانت زوجتي أم حكيم امرأة لها عقل فَدَخلَتْ على رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن ابن عمي قد هرب يلقي نفسه في البحر فأمِّنه"(١) لقد دفعها الحرص على الدعوة أن تطلب من النبي ﷺ إعطاء زوجها فرصة للتفكير في خير الإسلام، ولعله يكون فيما بعد جندياً من جنود الدعوة وقد كان،حيث أسلم ووهب حياته للإسلام، وأصبح من جنود الدعوة محمود البلاء في الإسلام. ومن شجاعته ما ذكره ابن الأثير: أن عكرمة قال للمشركين يوم اليرموك: "قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايعني على الموت ؟ فبايعه أربعمائة من فرسان المسلمين فقاتلوا – الروم – حتى قتلوا جميعاً إلا واحداً"(٢) وكان منهم عكرمة رضي الله عنه قاتل حتى استشهد مجاهداً في سبيل الله، فوجدوا به بضعاً وسبعين من طعنة ورمية وضربة، وما ذاك إلا لإقباله على الجهاد في سبيل الله(٣)

وهذه أم شريك(٤) مثل حسن للمرأة الداعية الحريصة على الدعوة، لما أسلمت لم تقصر في أداء واجب الدعوة، فأخذت تدعو بنات جنسها وتتصل بهن سراً دون علم قريش، ونجحت في ذلك نجاحاً باهراً لدرجة أنها لفتت الأنظار بنشاطها البارز، مما جعلهم يأخذونها ويسيرونها إلى قومها، وقد تركت آثاراً بارزة في الدعوة(٥) (٦).

---

(١) – محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (ط: القاهرة، ١٤٠٤هـ). ج٥/٣٧٧، تحقيق: فهيم محمد شلتوت وجودة عبد الرحمن هلال.

(٢) –أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/٥٦٩.

(٣) – انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٣٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٢٤.

(٤) – أم شريك قيل الدوسية وقيل العامرية، للاستزادة من أخبارها انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٢/٦٦، رقم ١٤٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦/٣٥١.

(٥) – انظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢/٦٦.

(٦) – للاستزادة انظر: فضل إلهي، الحرص على هداية الناس، (ط: الثانية، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٢ هـ). ص ٦٣ – ٦٧.

المبحث الخامس: الدعوة المقرونة بالعمل

وردت نصوص في الكتاب والسنة تبين أهمية الدعوة المقرونة بالعمل، وضرورتها قال الله ﷻ ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[١] وقال الله ﷻ حكاية عن شعيب: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[٢] وقال الله ﷻ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[٣].

أما نصوص السنة « فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ[٤] أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[٥] و« عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) - سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) - سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) - تندلق: أي تخرج بسرعة والأقتاب: جمع قتب بكسر القاف هي الأمعاء. ابن حجر، فتح الباري، ج١٣/٥٢، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨/١١٨.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولايفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، ج٤/٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٩، وأخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ج٦/٣٣١، رقم ٣٢٦٧، وفي كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ج١٣/٤٨، رقم ٧٠٩٨.

فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ[١] عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»[٢] و« عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ اتَّخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وَقَالَ: إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ»[٣] واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع في نظري تستدعي تقسيمه على النحو التالي:

المطلب الأول: أهمية الدعوة المقرونة بالعمل.

المطلب الثاني: اقتران القول بالعمل في حياة الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: اقتران القول بالعمل في حياة السلف.

---

(١) - التبر: الذهب الذي لم يصف ولم يضرب. ابن حجر. فتح الباري. ج٢/٣٣٧.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم. ج٢/٣٣٧. رقم ٨٥١. وفي كتاب العمل في الصلاة. باب يُفْكِرُ الرجلُ الشيءَ في الصلاة، ج٣/٨٩، رقم ١٢٢١، وفي كتاب الزكاة. باب من أحب تعجيل الصدقة من يومها، ج٣/٢٩٩، رقم ١٤٣٠، وفي كتاب الاستئذان، باب من أسرع في مشيه لحاجة أو قصد. ج١١/٦٧، رقم ٦٢٧٥.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ. ج١٣/٢٧٤. رقم ٧٢٩٨. وأخرجه مسلم. صحيح مسلم. كتاب اللباس والزينة. باب تحريم خاتم الذهب على الرجال. ونسخ ما كان من إباحة في أول الإسلام. ج٣/١٦٥٥، رقم ٢٠٩١

المطلب الأول: أهمية الدعوة المقرونة بالعمل

إن عمل الداعية بعلمه يجعله صادقاً مخلصاً في دعوته، ولا يخفى ما لذلك من الأثر الإيجابي في التأثير على المدعوين، حيث يوقنون بصدقه، ويقتنعون بدعوته، قال الحافظ بن حجر معلقاً على نبذ الصحابة خواتيم الذهب اقتداءً بالرسول ﷺ:" فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"(١) وما من ريب أن تطبيق الداعية أحكام الإسلام على ذاته، يخرج "نظريات الدعوة من حيز التجريد إلى حيز الواقع المشاهد الملموس، ومن الكلام إلى التنفيذ، وهي في الوقت نفسه دعوة مصحوبة بالدليل والبرهان على إمكان التطبيق"(٢)، ولا شيء يعدل تأثير القدوة في المدعو، إذ إن صنعة الكلام صنعة سهلة يتقنها المخلصون كما يجيدها المنافقون(٣) قال الله ﷻ: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾(٤)، وقد عاب القرآن على أقوامٍ يدعون الناس إلى الخير وهم أبعد الناس عن الانتفاع به، ووسمهم بخفة العقل قال الله ﷻ: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾(٥) قال الفخر الرازي معلقاً على الآية: "والتغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه،

---

(١) - فتح الباري، ج١٣/٢٧٥.

(٢) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة الفردية، (ط: الأولى، دار الوفاء، مصر، ١٤١٢ هـ)، ص ١٤٠،

(٣) - انظر: عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، (ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، ص١١٧.

(٤) - سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٥) - سورة البقرة، الآية: ٤٤.

فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام"[١]، ولما كان ذلك مستقبحاً في العقول، رأينا شعيباً عليه السلام يتبرأ من هذا السلوك المشين فيما حكى الله ﷻ حين قال: ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** ﴾ وهذا ما يفعله الجبابرة حين ينهون الناس عن أعمال وهم يأتونها، لعدم نصحهم التام فيما يقولونه؛ لأنهم لو نصحوا لكانوا أولى الناس بالتحقق بما يقولون[٢]، بل جاء النهي القاطع في كتاب الله ﷻ للمؤمنين عن قول ما لايفعلون وذلك في قوله ﷻ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾[٣] وهاتان الآيتان ترسمان منهجاً أصيلاً في شخصية المسلم، منهجٌ قوامه الصدق والاستقامة، وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق فعلُه قولَه، قال ابن عباس: « كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه ﷺ أن أحب الأعمال إيمان به لاشك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله ﷻ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾»[٤]، وهو اختيار ابن جرير الطبري[٥] ووافقه ابن عاشور بقوله: "وهذا المروي عن ابن عباس هو أوضح وأوفق بنظم الآية"[٦].

وتكمن أهمية الدعوة المقرونة بالعمل في أنها سبب للنجاة من المصير البائس، ففي الحديث « **عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:**

---

(١) - تفسير الفخر الرازي، ج٣/٤٨.

(٢) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢/١٤٤.

(٣) - سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/٣٥٨.

(٥) - انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٨/٨٥.

(٦) - التحرير والتنوير، ج٢٨/١٧٢.

يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ(١) أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»(٢) إنها صورة رهيبة تقشعر منها النفس، صورة الرجل الملقى في النار وقد خرجت أمعاؤه من بطنه وأصبح شبيهاً بالحمار في دورانه بها، أوليس من العجب أن يكون العلم وبالاً على الإنسانية؟(٣)، بلى إن العلم ما لم يتحول بالعمل إلى طاقة معمرة، فإنه سيؤدي بلا شك إلى تخمة معطلة، ومن هنا كان توجيه الإسلام إلى اقتران القول بالعمل.

ولأهمية الدعوة المقرونة بالعمل كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أهمية االقدوة فيسألهم متابعاً لأحوالهم:« **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤)** إنه حث وترغيب وتبيين لأهمية التطبيق العملي، وعنوان لشخصية الداعية حين يكون ذا طبيعة تنفيذية تتحرى أحكام الإسلام في كل ما يفعل ويذر، وهل آفة الدعوة ومشكلاتها اليوم إلا نتيجة لكثير من الممارسات الخاطئة التي تجعل المدعوين يسمعون كلاماً جميلاً ويرون سلوكاً خاطئاً، وفي مثل هذا الصنف من الدعاة **يقول ابن القيم:" علماء السوء جلسوا على با ب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم:**

---

(١) - الأقتاب: جمع قتب بكسر القاف هي الأمعاء، واندلاقها خروجها بسرعة. ابن حجر، فتح الباري، ج١٣/٥٢. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨/١١٨.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٢٣٥.

(٣) - انظر: محمد علي الصابوني، من كنوز السنة دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، (ط: مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١ هـ)، ص٤٩.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ج٢/٧١٣، رقم ١٠٢٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ج٤/١٨٥٧، رقم ١٠٢٨.

لاتسمعوا منهم. فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين لـه، فهـم في الصـورة أَدِلاَّء وفي الحقيقة قطاع طرق"(١)، والتأريخ حافل بنماذج كثيرة تدل على أهميـة السـيرة الحسنة للداعي، وأثرها في الثقة بالداعية وقبوله، فمن ذلك أن خديجـة رضـي الله عنهـا لمـا أخبرها النبي ﷺ بما حدث له في غار حراء قالت له:«**كـلاَّ وَاللَّـهِ مَـا يُخْزِيـكَ اللَّـهُ أَبَـدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِـبُ الْمَعْـدُومَ، وَتَقْـرِي الضَّيْـفَ، وَتُعِينُ عَلَـى نَوَائِبِ الْحَقِّ**»(٢) فذكرت له خصالاً جميلة تصديقاً وإعانة له على الحق(٣). ولعل مما يؤكد أهمية القدوة في الدعوة قصة هند بنت عتبة(٤) وتأثرها بعبادة المسلمين لربهم يوم الفتـح إذ قالت:" إني أريد أن أبايع محمداً، فقال لها أخوها حذيفـة بـن عتبـة: قـد رأيتـك تكفريـن، قالت: إني والله ما رأيت الله تعالى عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً"(٥)، وكان رؤيتها لمنظر المسلمين في صلاتهم سبباً بعـد توفيق الله في تقوية دوافع الاستجابة في نفسها، وفي صلح الحديبية لما صالح النبيﷺ قريشـاً قال « **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُـمْ مِنْهُـمْ أَحَـدٌ دَخَـلَ عَلَـى أُمِّ سَـلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِـكَ؟ اخْـرُجْ ثُـمَّ لاَ تُكَلِّـمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَـدًا مِنْهُـمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؟ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَـهُ، فَلَمَّـا رَأَوْا ذَلِـكَ قَـامُوا فَنَحَـرُوا وَجَعَـلَ**

---

(١) – الفوائد، ص ٧١.

(٢) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب ٣، ج١/٢٢، رقم٣، كتاب تفسير القرآن، باب سـورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، ج٨/٧١٥، رقم ٤٩٥٣، كتاب التعبير، بـاب أول مـا بـدىء بـه الرسـول ﷺ مـن الوحـي الرؤيـا الصالحة، ج١٢/٣٥١، رقم ٦٩٨٢.

(٣) – انظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٦٧.

(٤) – هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الهاشمية، زوجة أبي سـفيان وأم الصحـابي معاويـة رضـي الله عنـه. أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سـفيان وحسـن إسـلامها، وهـي ذات رأي وعقـل شـهدت أحـداً كـافرة، وشـهدت اليرموك، وحرضت على قتال الروم مع زوجها وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضـي الله عنـه. ابـن الأثـير، أسـد الغابـة، ج٦/٢٩٢.

(٥) – رواه ابن مندة كما عند الحافظ بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابـة، (ط: دار صـادر، بيروت، بـدون تـاريخ)، ج٤/٤٢٥. وانظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦/٢٩٣.

بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا»[١] لقد دخل على النبي ﷺ هم عظيم من عدم استجابتهم، وقد عرف منهم الطاعة والانقياد، ولكن الأمر هذه المرة يبدو أنه فوق طاقتهم، فقد رأوا في شروط الصلح إجحافاً وظلماً بحق المسلمين، ولم تتضح لهم الحكمة في جريان الصلح على هذا المنوال مما جعل النبي ﷺ يستغرب موقفهم ذاك، ولما شكى ذلك إلى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أشارت عليه برأي حكيم يقوي دوافع الاستجابة في نفوسهم، حيث قالت: «**اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ**» «**فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا**»، إن القول إذا اقترن بالفعل يقود الناس إلى الاستجابة للدعوة بإذن الله تعالى، قال ابن حجر: " وفيه أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد"[٢]،والدعوة المقرونة بالعمل مهمة للأسباب التالية:

١- الرؤية الحسية تدعو إلى الإعجاب والاستحسان ، وتدفع إلى التقليد.

٢- أن القدوة الحسنة تقنع الآخرين بإمكانية الاقتداء .

٣- أن المدعوين يراقبون تصرفات الداعية، فإذا وقع في الزلل سقط من أعينهم وانعكس ذلك على تلقيهم منه، وكل هذا يجعل مركز القدوة دقيقاً، وقد قيل: "**إذا زلَّ العالِم زلَّ بزلته عالَم كثير**"[٣].

وهكذا تبين لنا أهمية الدعوة المقرونة بالعمل وعلاقتها بتقوية دوافع الاستجابة من خلال هذا المطلب.

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، ج٥/٣٢٩، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) - فتح الباري، ج٥/٣٤٧.

(٣) - انظر: ، الزهد لابن المبارك، ص ٥٢٠، وانظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (ط: الأولى، دار العلم، بيروت، ١٣٩٩ هـ)، ص ٢٠٣، ٢٠٤، وانظر: عبد الحميد البلالي، المصفى من صفات الدعاة، (ط: الأولى، دار الدعوة، ١٤٠٢ هـ)، ص١٥، ١٦.

المطلب الثاني: اقتران القول بالعمل في حياة الرسول ﷺ

إن من يجيل النظر في سيرته ﷺ يرى اتساع دائرة الاقتداء به، فهو قدوة للبشرية في كل جوانب الحياة، فلقد كان أباً وزوجاً ورئيس دولة وقائداً للجيش، وقد أقامه الله مقام من نشأ يتيماً، ومن ماتت زوجته، ومن مات عياله، ومن جاهد فأوذي وصبر، وإذا تأملنا هذا تبين لنا أنه من مستلزمات البلاغ المبين، فالحياة البشرية متعددة الجوانب، ففيهم الأب وفيهم الابن وفيهم الزوج، وفيهم السياسي والاقتصادي، والمحارب والمسالم، والمبتلى والمعافى، وقد فرض على البشرية التأسي به في كل شأن فكان طبيعياً أن تكون شخصيته بهذا الخصب والشمول لتتسع لكل مساحة الجوانب البشرية[1] قال الله ﷻ: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[2]، أما مظاهر اقتران القول بالعمل في سيرته فهي كثيرة جداً، وحسبنا أن نشير إشارات تبين هذا المعلم الدعوي في حياته ﷺ:

أولاً: في مجال العبادة

لئن كان النبي ﷺ يحث الناس على الاتصال بالله وعبادته، فهو من أعظم الخلق تعبداً لله، لقد حقق قول الله ﷻ: ﴿ **بل الله فاعبد وكن من الشاكرين** ﴾[3] وقوله ﷻ: ﴿**فاعبده واصطبر لعبادته**﴾[4] و« **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا.**

---

(١) - انظر: سعيد حوّى، الرسول ﷺ (ط: الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ)، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) - سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) - سورة الزمر، الآية: ٦٦.

(٤) - سورة مريم، الآية: ٦٥.

فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»[١] ففي هذا الحديث وصف لشدة اجتهاده في العبادة، لدرجة تَتَشَقَّقُ فيها قدماه من طول القيام، وفيه توجيه للدعاة في تحقيق الاقتداء به ﷺ مع مراعاة عدم إملال النفس وتجنب سآمتها[٢]، وفي مجال الجمع بين الصوم والصلاة يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته**»[٣]، وفي مجال ملازمة الذكر والتخلص من الغفلة تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[٤].

ثانياً: في مجال الخلق:

أما في مجال الخلق فيكفينا قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[٥] في التعبير عن شخصية الرسول ﷺ الخلقية ؛ ففي مجال حسن العشرة مع المدعوين يقول أَنَسٌ رضي الله عنه: « **مَا رَأَيْتُ رَجُلاً الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ وَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ**

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾، ج٨/٥٨٤، رقم ٤٨٣٦، ٤٨٣٧، وفي كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل، ج٣/١٤، رقم ١١٣٠، وفي كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، ج١١/٣٠٣، رقم ٦٤٧١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ج٤/٢١٧١، رقم ٢٨١٩، ٢٨٢٠.

(٢) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٣/١٥، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧/١٦٢.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ من نومه وما نسخ من قيام الليل، ج٣/٢٢، رقم ١١٤١، وفي كتاب الصيام، باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، ج٤/٢١٥، رقم ١٩٧٢، ١٩٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان واستحباب ألا يخلي شهراً عن صوم، ج٢/٨١٢، رقم ١١٥٨.

(٤) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، ج١/٢٨٢، رقم ٣٧٣،وانظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه هاهنا وهاهنا وهل يلتفت في الأذان، ج٢/١١٤.

(٥) - سورة القلم، الآية: ٤.

الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ»[١] أما في مجال الصبر، فقد صبر على الأذى والاضطهاد، والتكذيب والتجويع،والسخرية، والاستهزاء، والسردود القبيحة، والإهانات المتوالية التي تحملها بصبر جميل، إضافة إلى الأذى النفسي الذي يلحقه حينما يرى أصحابه يفتنون في دينهم وهو لايملك لهم شيئاً، وإذا علمنا أن ذلك استغرق من حياة الدعوة ثلاثة عشر عاماً تبين لنا مدى الصبر العظيم الذي تحلى به ﷺ، ينضم إلى ذلك صبره العظيم في مواطن البأساء والضراء وحين البأس، ولعل من أبرزها ما حصل له في يوم غزوة أحد والخندق[٢].

وأما العدل ففي مثل موقف الرسول ﷺ وهو يعلن حزمه القاطع، في التمسك بمبدأ العدالة ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين، « **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**[٣] قال ابن حجر:" وفي الحديث من الفوائد ترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر، وفيه جواز

---

(١) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، ج٤/٢٥١، ٢٥٢، رقم ٤٧٩٤، قال عنه الألباني: حديث حسن. صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩١٠، رقم ٤٠٠٩،وانظر السلسلة الصحيحة، (ط: الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢ هـ)، ج٥/٦٣٥، رقم ٢٤٨٥.

(٢) - انظر تفصيل ذلك في: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٠٨ - ٣١٠ / ٣٨٠ - ٣٨٨، ج٣/ ٨٤-٩١ - ٢٣٢ - ٢٣٣. وانظر: سعيد حوّى، الرسول ﷺ ص ١٣٧.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤، ج٦/٥١٣، رقم ٣٤٧٥، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أسامة بن زيد، ج٧/٨٧، رقم ٣٧٣٢، ٣٧٣٣. وفي كتاب المغازي، باب ٥٣، ج٨/٢٤، رقم ٤٣٠٤. وفي كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ج١٢/٨٦، رقم ٦٧٨٧، وفي باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ج١٢/٨٧، ٦٧٨٨. باب توبة السارق، ج١٢/١٠٨، رقم ٦٨٠٠. وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج٣/١٣١٥، رقم ١٦٨٨، ١٦٨٩.

ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل"[١] وهكذا لو استعرضنا جميع جوانب شخصيته لبدا لنا التكامل في تلك الشخصية النبوية العظيمة، وإنما كان ذلك لأن الله ﷻ جعل الإسلام منهجاً شاملاً ؛ وجعل حياة نبيه ﷺ نموذجاً لدينه كله في كل جوانبه ؛ لتقوم الحجة على البشرية مرتين: مرة بالبيان النظري، وأخرى بالبيان العملي المتمثل في سيرته ﷺ[٢].

ثالثاً: مجال التعليم

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه أمور دينهم من خلال الأمثلة العملية التي يشرح لهم فيها كيف يقتدون به، ففي تعليمهم الصلاة يقول: « **عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ. قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ** »[٣] بل ثبت أنه ﷺ يصعد المنبر ليرى الناس كيفية الصلاة « **عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنُ دِينَارٍ أَنَّ رِجَالاً أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ وَقَدِ امْتَرَوْا فِي الْمِنْبَرِ مِمَّ عُودُهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْرِفُ**

---

(١) - فتح الباري، ج١٢/٩٦.

(٢) - انظر: سعيد حوّى، الرسول، ص ١٣٣.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد ج٢/١١٠، رقم ٦٢٨. وباب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، ج٢/١١١، رقم ٦٣١، وباب اثنان فما فوقهما جماعة، ج٢/٦٥٨، وباب من صلى بالناس وهو لايريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي ﷺ وسنته، ج٢/١٦٣، رقم ٦٧٧، وباب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم، ج٢/١٧٠، رقم ٦٨٥، وباب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع، ج٢/٢٨٨، رقم ٨٠٢، وباب المكث بين السجدتين، ج٢/٣٠٠، رقم ٨١٩، وباب من استوى قاعداً في وتر من صلاته ثم نهض، ج٢/٣٠٢، رقم ٨٢٣، وباب كيف يعتمد على الأرض إذا قام من الركعة، ج٢/٣٠٣، رقم ٨٢٤، وفي كتاب الجهاد والسير، باب سفر الاثنين، ج٦/٥٣، رقم ٢٨٤٨. وفي كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج١٠/٤٣٧، رقم ٦٠٠٨، وفي كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، ج١٣/٢٣١، رقم ٧٢٤٦. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة ؟ ج١/٤٦٤، رقم ٦٧٤.

مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فُلانَةَ امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَـدْ سَـمَّاهَا سَهْلٌ: مُرِي غُلامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ. فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ،(١) ثُمَّ جَاءَ بِهَا فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَـأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُـوا صَلاَتِـي»(٢)

قال ابن حجر: " وعرف منه أن الحكمة في صلاته في أعلى المنبر ليراه مـن قـد يخفـى عليـه رؤيته إذا صلى على الأرض، وفيه جواز قصد تعليم المأمومين بالفعل"(٣).

رابعاً: في مجال الفداء والتضحية:

والنبي ﷺ يضرب المثل في تحمل تكاليف الدعوة وأعبائها، وذلك حينمـا جعـل ثقـل المعركة يصلاها أقاربه قبل الناس ليحقق التفاعل مع دعوته، ويقدمها سـلوكاً وواقعـاً يـراه الناس قبل أن تكون كلاماً، ففي غزوة بدر طلب المشركون المبارزة قبل بدء المعركـة، ولمـا خرج الأنصار لملاقاتهم، طلب المشركون بني عمهم فانتدب النبي ﷺ بني عمهم بناءً علـى طلبهم « عَنْ عَلِيٍّ ﷺ: قَالَ تَقَدَّمَ يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَـةَ وَتَبِعَـهُ ابْنُـهُ وَأَخُـوهُ فَنَـادَى: مَـنْ يُبَارِزُ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: مَـنْ أَنْتُـمْ ؟ فَـأَخْبَرُوهُ فَقَـالَ: لاَ حَاجَـةَ لَنَـا

---

(١) – طرفاء الغابة: قال في القاموس: الطرفاء شجر. وهي أربعة أصناف. منها الأثل. الواحدة طرفاء. والغابة: غيضة ذات شجر كثير، من عوالي المدينة. مجد الدين محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط،(ط:دار الجيل،بيروت، لبنـان) ج٣/١٧٢. مـادة: (الطُّرُفُ)صحيح مسلم بشرح النووي، ج٥/٣٥.

(٢) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، ج٢/٣٩٧ رقـم ٩١٧، كتـاب الصـلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، ج١/٤٨٦، رقم ٣٧٧، وباب الاستعانة بالنُّجار والصُّناع في أعواد المنبر والمسجد، ج١/٥٤٣، رقم ٤٤٨، كتاب البيوع، باب النَّجَّار، ج٤/٣١٩، رقم ٢٠٩٤، كتاب الهبة، بـاب مـن استوهب مـن أصحابـه شيئاً، ج٥/ ٢٠٠، رقم ٢٥٦٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطـوة والخطوتين في الصلاة، ج١/٣٨٦، رقم ٥٤٤.

(٣) – فتح الباري، ج٢/٤٠٠.

فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ»(١)، وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ لم يبدأ بأقاربه هنا وإنما بدأ بالأنصار، فلما طلب المشركون بني عمهم أمر أقاربه بالمبارزة، فنقول بأن سيرته ﷺ تدل على تأكيد معنى الإنصاف والتطبيق على ذاته في كل ما يدعو إليه، ولا سيما في مجال التضحيات والفداء، فهو ﷺ يؤكد هذا المعنى في غزوة أحد مرة أخرى « **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ**(٢) **قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»**(٣) فهو لما رأى الأنصار يتساقطون أمامه واحداً إثر آخر، وقتلوا جميعاً، اعتبر عدم تقدم ومسارعة الرجلين من قومه للقتال عيباً يلامون عليه، فقال حاثاً لهما على تقديم مزيد من التضحية: « **مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا** » قال النووي:"ومعناه ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشِيَّيْن لم يخرجا للقتال بل خرجت الأنصار واحداً بعد واحد"(٤)وقال الأُبِّيُّ: "يخاطب بذلك القرَشِيَّيْن أي: قدَّمناهم حتى قتلوهم خاصة"(٥).

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في المبارزة، ج٣/٥٢، رقم ٢٦٦٥، قال الحافظ بن حجر: وهذا أصح الروايات، فتح الباري، ج٧/٢٩٨. وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٢/٥٠٧، ٢٣٢١. وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٢/١٧، رقم ٩٤٨، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) - رهقوه بكسر الهاء: أي غَشُوْه وقربوا منه. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢/١٤٧.

(٣) - أخرجه مسلم في الصحيح، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج٣/١٤١٥ رقم ١٧٨٩.

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢/١٤٧، ١٤٨.

(٥) - إكْمال إكْمَالِ المعلِّم، ج٦/٤٣٥.

خامساً: في مجال البذل والجود:

كان ﷺ يغرس في أصحابه حب البذل والجود وألا يستعبدهم حب المال، فيمنعهم من الجود به حين تقتضي المصلحة ذلك، وذلك من خلال المثال الحي الشاخص الذي يرونه بأعينهم كما يبينه هذا الحديث « **عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**»[1] لقد لفت انتباههم أولاً بهذه السرعة غير المعتادة حتى عجبوا وفزعوا، فلما أحدث هذه الحركة النفسية في ذواتهم وتهيؤا لقبول التوجيه جاء بيان سبب قيامه، وهو شيء من الذهب الذي أحب ألا يمكث عنده فيشغله عن طاعة الله تعالى،[2] ولا شك أن عجب الصحابة من سرعة قيامه إنما كان من خلال رؤيتهم للمنظر العملي، وهو في الوقت ذاته درس عملي يرسخ في أذهان المدعوين أهمية اقتران الدعوة بالعمل، وضرورتها للدعاة ؛ ذلك لأن إسراع الداعية في فعل الخير من شأنه أن يدفع المدعوين إلى الاقتداء به، بإذن الله تعالى، وحينما يضرب الداعية المثل من ذاته في تطبيق مبادئه التي يدعو إليها، فإنه يقدم برهاناً على جديته في دعوته، وتأكيداً لجدارة المبادىء التي يؤمن بها ويدعو إليها.

---

(١) - انظر تخريجه: ص ٢٣٦ .

(٢) - انظر: فتح الباري، ج٢/٣٣٧.

المطلب الثالث: اقتران القول بالعمل في حياة السلف

المتأمل في حياة كثير من السلف الصالح من الصحابة وغيرهم يجد هذا المعنى راسخاً في سيرهم وأحوالهم، قال الحسن البصري في صفتهم: " **ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدي والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، ومشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطائِهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين رضىً للخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين. حسنت أخلاقهم، وهانت مؤونتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم**"[1] بل إنهم يعدون من أسس شخصية المسلم اقتران القول بالعمل، ووضوح هذا المعنى لديهم جعل عمر بن الخطاب ﷺ يزن الرجال بأعمالهم، ويختبرهم بأفعالهم قبل أن يوليهم، كما فعل مع الأحنف بن قيس الذي كان متكلماً لبقاً، حيث أبقاه معه في المدينة سنة كاملة يراقبه، ثم قال: " **يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيراً، ورأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، فإنا كنا نتحدث: إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم.**

وكتب إلى أبي موسى الأشعري: " **أما بعد فأدنِ الأحنف بن قيس، وشاوره واسمع منه**"[2] وكان عمر ﷺ يقول: " **لايعجبنكم من الرجل طنطنته، ولكنه من أدى الأمانة، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل**"[3]، ولم يكن ذلك كلاماً جزافاً يقال دون رصيد

---

(١) - أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٢/ ١٥٠.

(٢) - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/ ٩٤.

(٣) - عبد الله بن المبارك، الزهد، ص ٢٤٣.

من الواقع في سيرة الخليفة الفاروقﷺ بل كان واقعاً عاشه مع ذاته، وتطبيقاً عملياً في حياته العامة والخاصة، رآه أنس بن مالك ﷺ فروى قصته قائلاً: «**سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! بَخٍ بَخٍ. وَاللَّهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ**»[1] وفي تعامله الخاص مع أسرته وذويه كان إذا نهى الناس عن شيء قال لأهله:"**إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة**"[2] وفي الجهاد والتضحية كان الصحابة ﷺ نماذج حية معبرة للدعوة التي يحملونها، لقد حدث ذلك في معركة اليمامة حينما اجتاح المسلمين هجوم مباغت من عدوهم، فضعف البعض، فأراد الصحابي الجليل ثابت بن قيس[3] أن يضرب المثل العملي في الثبات والصمود، فما كان منه إلا أن لبس ثياب الموت« **عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ قَالَ: أَتَى أَنَسٌ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ وَقَدْ حَسَرَ عَنْ فَخِذَيْهِ وَهُوَ يَتَحَنَّطُ**[4] **فَقَالَ: يَا عَمِّ مَا يَحْبِسُكَ أَنْ لاَ تَجِيءَ ؟ قَالَ: الآَنَ يَا ابْنَ أَخِي. وَجَعَلَ يَتَحَنَّطُ يَعْنِي مِنَ الْحَنُوطِ ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ، فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ انْكِشَافًا مِنَ النَّاسِ فَقَالَ: هَكَذَا عَنْ وُجُوهِنَا حَتَّى نُضَارِبَ الْقَوْمَ، مَا هَكَذَا كُنَّا نَفْعَلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ** »[5] وفي رواية ذكرها ابن الأثير أنه قال:" بئس ما عودتم أقرانكم، وبئس ما عودتم أنفسكم ؛ اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به

---

(١) - أخرجه مالك ، الموطأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في التقى،ص ٧٥٤، رقم:١٨٦٧، وقال عنه عبد القادر الأرنؤوط: إسناده صحيح، وانظر:الإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ،جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. (ط: الثانية، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ)، ج١١/١٩، رقم ٨٤٨٨.

(٢) - الطبري، تأريخ الأمم والملوك، ج٤/٢٠٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/٣١.

(٣) - ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ شهد أحداً وما بعدها وقتل يوم اليمامة شهيداً. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٢٧٥.

(٤) - استحنط فلان: أي احتزّ على الموت وهانت عليه الدنيا، والحنوط هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى، والمقصود أنه أراد الاستعداد للموت وتوطين النفس بالصبر على القتال. ابن منظور، اللسان، ج٧/٢٧٩، مادة: (حنط).

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب التحنط عند القتال، ج٦/٥١، رقم ٢٨٤٥.

هؤلاء، يعني الكفار، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل"[١] وهذا عبد الله بن حذافة لما أسره الروم قال له ملك الروم: هل لك أن تَتَنَصَّرَ وأعطيك نصف مُلْكِي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذاً أقتلك. قال: أنت وذاك. فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من بدنه، وهو يَعْرِضُ عليه، ويأبى، فأنزله. ودعا بقدر، فصب فيه ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى. ثم بكى. فقيل للملك: إنه بكى. فظن أنه قد جزع، فقال: ما أبكاك ؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلقى الساعةَ فتذهب، فكنت أشتهي بعدد شعري أنفساً تلقى في النار في الله"[٢] لقد أعجب الملك بهذا النموذج الحي الذي يفدي دعوته بحياته بهذه الصورة العجيبة، وأحب أن يطلقه، واشترط عليه تقبيل رأسه فأبى، وعرض عليه أن يقبل رأسه ويطلقه ويطلق معه ثمانين من أسرى المسلمين، فقبل لمصلحة الإسلام والمسلمين وقال: "أما هذه فنعم"[٣] فقبل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبَّل رأسه [٤].

وهذا الحسن البصري[٥] قال فيه الإمام الذهبي: " وكان من الشجعان الموصوفين"[٦] وكان المهلب بن أبي صفرة[٧] يقدمه في المعارك لما عرف من شدة بأسه

---

(١) - أسد الغابة، ج١/٢٧٥.

(٢) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٤، وانظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/١٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٢١، وانظر: محمد بن علي بن حديدة الأنصاري، المصباح المضيّ في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، (ط:الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، ص٢٢٠. تصحيح وتعليق: محمد عظيم الدين.

(٣) - ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/١٠٩.

(٤) - المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٥) - الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١١٠ هـ. الزركلي، الأعلام، ج٢/٢٢٦.

(٦) - سير أعلام النبلاء، ج٤/٥٧٢.

(٧) - المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، ولد سنة ٧ هـ في دبا ونشأ بالبصرة، وولي البصرة لعبد الله بن الزبير، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان وتوفي سنة ٨٣ هـ. الزركلي، الأعلام، ج٧/٣١٥.

وشجاعته، وقد شارك في غزوة كابل مع عبد الرحمن بن سمرة [١] وقال يونس بن عبيد: "أمَّا أنا فلم أر أحداً أقرب قولاً من فعل من الحسن"[٢] وكان الحسن يقول: " إن فضل الفعال على الكلام مَكْرُمَةٌ، وإن فضل الكلام على الفعال عار"[٣] .

وهذا أسد بن الفرات[٤] يضرب المثل للداعية المجاهد، الذي صدقت أفعالُه أقوالَه، فبالإضافة إلى جهاده في طلب العلم و نشره وتبليغه، نراه من المبادرين إلى الجهاد في سبيل الله، فلقد كان أحد المرابطين على ثغور المسلمين في سرقوسية[٥]، جمع له الروم مائة وخمسين ألفاً لقتاله فلم يهن و لم يحزن، بل ثبت ثبات الشجعان، قال الإمام الذهبي: "وكان مع توسعه في العلم فارساً بطلاً شجاعاً مقداماً، زحف إليه صاحب صقلية في مئة ألف وخمسين ألفاً. قال رجل: فلقد رأيت أسداً وبيده اللواء يقرأ سورة﴿يس﴾، ثم حمل بالجيش، فهزم العدو، ورأيت الدم وقد سال على قناة اللواء وعلى ذراعه"[٦]، إن رؤية الدم تسيل على ذراعه ولوائه لأبلغ من ألف خطبة في الحث على الجهاد، لما للتطبيق من أثر كبير على المدعوين، وإن مواقف الداعية العملية تبقى في نفوس المدعوين على مر الأجيال، حيث يمنحها الصدق في العمل، الحيوية والاستمرار، إن كلمات الداعية تستمد قوة أثرها بعد فضل الله من سيرة الداعية وواقعه الذي يبرهن على صحة ما يقوله للمدعوين، وكان الإمام أبو حنيفة[٧] يمر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه،

---

(١) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٥٧٩، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/١٧٥.

(٢) - المصدر السابق، ج٤/٥٧٤، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/١٧٦.

(٣) - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/١٧٠.

(٤) - أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، ولد بحران سنة ١٤٢ هـ ورحل أبوه إلى القيروان في جيش الأشعث فأخذه معه وهو طفل فنشأ بها ثم بتونس، رحل إلى المشرق في طلب الحديث، كان أميراً على الجيش الذي فتح صقلية، وتوفي سنة ٢١٧ هـ من جراحات أصابته، وهو محاصر سرقوسة. الزركلي، الأعلام، ج١/٢٩٨.

(٥) - أكبر مدينة في جزيرة صقلية، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/٢١٤.

(٦) - سير أعلام النبلاء، ج١٠/٢٢٧، ٢٢٨، حقق هذا الجزء: محمد نعيم العرقسوسي، وشعيب الأرنؤوط، وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥/١٨٦.

(٧) - أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، إمام الحنفية الفقيه المجتهد أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة ونشأ بها، كان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقاً، رفض تولي القضاء في عهد ابن هبيرة، وفي عهد الخليفة المنصور العباسي فأبى

=

فإن كان محتاجاً وصله، وإن مرض عاده، ورأى ذات يوم على بعض جلسائه ثياباً رثة، فأمره بالانتظار ليكلمه وحده تجنباً للإحراج فجلس فقال له: ارفع المصلى وخذ ما تحته، فوجد تحته ألف درهم، فقال له: خذ ها فغير بها من حالك، فقال الرجل: إني في نعمة ولا أحتاج إليها، فقال له: أما بلغك الحديث: « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»[1] ؟ وأمره أن يغيِّر من حاله حتى لايغتم به صديقه[2] فانظر إلى أخلاق الداعية في ثنايا هذه القصة، وأول ما يلفت النظر فيها تفقد الإمام أبي حنيفة لأصحابه، وممارسة الدعوة معهم سلوكاً وعملاً من خلال التلمس لحاجات المدعوين، وقضائها بأسلوب بعيد عن الإحراج لمشاعرهم، يتضح ذلك من طلبه لجليسه أن ينتظر حتى يتفرق الناس، فلما تفرقوا قضى حاجته، ونبهه إلى الأدب اللائق به.

وهذا عبد الله بن المبارك[3] إذا جاء وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يطعمهم أطيب الطعام، وينفق عليهم حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من طرف المدينة ؟ فيقول كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول كذا وكذا فيقضي حوائجهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو أصلح بيوتهم وتفقدها، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا شبعوا دعا بالصندوق ففتحه وأعطى كل واحد

=

تورغاً. وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ. الزركلي. الأعلام، ج٨/٣٦.

(١) - أخرجه الترمذي. كتاب الأدب. باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. ج٥/١٢٣، ١٢٤. رقم ٢٨١٩. قال الترمذي: حديث حسن، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٢/٣٦٨، رقم ٢٢٦٠.

(٢) - انظر: الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج١٣/٣٦٠، ٣٦١.

(٣) - عبد الله بن المبارك بن واضح الحنبلي ولد سنة ١١٨ هـ أحد الحفاظ الكبار. وكان مجاهداً تاجراً فقيهاً مات سنة ١٨١ هـ وله تصانيف عديدة منها الجهاد. والزهد. والرقائق. الزركلي. الأعلام. ج٤/١١٥. وانظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج٨/٣٧٨. وانظر: الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد. ج١٠/١٥٢.

منهم صرته وعليها اسمه[١]. إن تلك النفس التي طابت بكل هذا لهي نفس تجردت لله، وخلصت لدعوته، فلم يعد يهمها غير الدعوة ومصلحتها، فانطبعت بأخلاق الدعوة، فلم يعد الرائي يفرق بين الدعوة والداعية، لما يرى من دعوة مقرونة بالعمل، وليس كل أحد يستطيع الجود وقد قال الله ﷻ: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٢] ولم يكن ابن المبارك إماماً في الجود والكرم فحسب بل كان إماماً أيضاً في الشجاعة والجهاد، يحدث أحد من شهد المعارك مع ابن المبارك فيقول: " كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا"[٣] لقد كان رحمه الله تعالى مثالاً حياً للدعوة التي يحملها، جمع بين العلم، والجهاد، والكرم والجود، فأصبحت سيرته الحسنة منارة للناس في حياته وبعد موته حتى أن رجلاً مر على قبره فقال:

مررت بقبر ابن المبارك غدوةً ... فأوسعني وعظاً وليس بناطق

وقد كنت بالعلم الذي في جوانحي ... غنياً وبالشيب الذي في مفارقي

ولكن أرى الذكرى تنبه عاقلاً ... إذا هي جاءت من رجال الحقائق[٤]

وهكذا تبين لنا قيمة الدعوة المقرونة بالعمل وأثرها في تقوية دوافع الاستجابة.

---

(١) - انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/٣٨٥، وانظر: الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج١٠/١٥٨.

(٢) - سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) - الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج١٠/١٦٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/٣٩٤، وانظر: عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، صفة الصفوة، (ط: الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٩٢ هـ)، ج٤/١١٨.

(٤) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨/٤١٩، ٤٢٠.

المبحث السادس: حسن التعامل مع المدعوين

ورد في الكتاب والسنة نصوص تبين أهمية حسن التعامل مع المدعوين قال الله ﷻ: ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾[١] وقال الله ﷻ: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[٢] وقال الله ﷻ: ﴿ خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[٣]. أما نصوص السنة « فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[٤] « وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا[٥] مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلاً[٦] مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٧].

وفي قصة أسامة بن زيد ﷺ حين قَتَل متأولاً رجلاً نطق بالشهادتين، نرى النبي ﷺ

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المساقاة، باب من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوماً كان أو غير مقسوم، ج٥/٢٩، رقم ٢٣٥١، ج٥/٤٢، رقم ٢٣٦٦، كتاب المظالم والغصب، باب إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، ج٥/١٠٢، رقم ٢٤٥١، كتاب الهبة، باب هبة الواحد للجماعة، ج٥/٢٢٥، رقم ٢٦٠٢، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة والمقسومة وغير المقسومة، ج٥/٢٢٥، رقم ٢٦٠٥، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، ج١٠/٨٦، رقم ٥٦٢٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن، ونحوهما، عن يمين المبتدىء، ج٣/١٦٠٤، رقم٢٠٣٠.

(٥) - ذَنُوباً: الدلو ملأى ماء، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب. ابن حجر، فتح الباري، ج١/٣٢٤.

(٦) - سجلاً:بفتح المهملة وسكون الجيم الدلو الواسعة الضخمة الملأى ماءً. المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٧) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ « يسروا ولا تعسروا»، ج١٠/٥٢٥، رقم ٦١٢٨.

يحسن التعامل معه، فلم يعاقبه، واكتفى بتشنيع هذا الفعل، وإنكاره، وتأكيد حرمة المسلم حتى لايستهين بها أحد « **عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ! قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**»[1] «**وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ[2] يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»[3] وقوله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لَكُمْ شَجَرَ تِهَامَةَ نَعَمًا قَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لَمْ تَلْقَوْنِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَانًا وَلاَ كَذُوبًا، ثُمَّ أَتَى بَعِيرًا فَأَخَذَ مِنْ سَنَامِهِ وَبَرَةً بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ: هَا إِنَّهُ لَيْسَ لِي مِنَ الْفَيْءِ شَيْءٌ وَلاَ هَذِهِ إِلاَّ خُمُسٌ وَالْخُمُسُ**

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ج٧/٥١٧، رقم ٤٢٩٦، وكتاب الديات، باب قول الله تعالى ﴿ ومن أحياها ﴾، ج١٢/١٩١، رقم ٦٨٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ج١/٩٦، رقم ٩٦.

(٢) - العضاه: هي كل شجرة ذات شوك. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥/٤٤.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج٧/٤٢٦، رقم ٤١٣٥، ٤١٣٦، ٤١٣٩، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ج٦/٩٦، رقم ٢٩١٠، ٢٩١٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ج١/٥٧٦، رقم ٨٤٣، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى، ج٤/١٧٨٦، رقم ٨٤٣.

مَرْدُودٌ فِيكُمْ»[١]، « وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً تَقَاضَى رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ[٢] فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً [٣] وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ. وَقَالُوا: لاَ نَجِدُ إِلاَّ أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ قَالَ: اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[٤]، واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع على النحو التالي:

المطلب الأول: أهمية حسن التعامل مع المدعوين.

المطلب الثاني: حسن التعامل مع المدعوين بالقول.

المطلب الثالث: حسن التعامل مع المدعوين بالفعل.

---

(١) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الهبة، باب هبة المشاع، ج٦/٢٦٢، رقم ٣٦٨٨، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ج٣/٦٣، رقم ٢٦٩٤، وأخرجه أحمد في المسند،ج٦/٢٧٦، رقم ٦٧٢٩، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول،ص ٣٤١، رقم ٩٩٤ ،وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي، ج٢/٧٨٦، رقم ٣٤٤٩.

(٢) - فهم به أصحابه: أي أرادوا أن يؤدوه بالقول والفعل. ابن حجر، فتح الباري، ج٥/٥٦.

(٣) - أي: صولة الطلب وقوة الحجة، ولكن مع مراعاة الأدب. ابن حجر: فتح الباري، ج٥/٥٧.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب استقراض الإبل، ج٥/٥٦، رقم ٢٣٩٠، باب هل يعطى أكبر من سنه ؟، ج٥/٥٨، رقم ٢٣٩٢، باب حسن القضاء، رقم ٢٣٩٣، باب لصاحب الحق مقال، ج٥/٦٢، رقم ٢٤٠١، كتاب الهبة، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، والمقسومة وغير المقسومة، ج٥/٢٢٦، رقم ٢٦٠٦، باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق، ج٥/٢٢٧، رقم ٢٦٠٩، كتاب الوكالة، باب وكالة الشاهد والغائب جائزة، ج٤/٤٨٢، رقم ٢٣٠٥، باب الوكالة في قضاء الديون، ج٤/٤٨٣، رقم ٢٣٠٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه، ج٣/١٢٢٥، رقم ١٦٠١.

المطلب الأول: أهمية حسن التعامل مع المدعوين

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة يرى التطبيق العملي لحسن التعامل مع المدعوين بشتى أنواعهم، ومستوياتهم، منطلقاً في ذلك من قول الله ﷻ: ﴿**خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[١] وفي تعليق على هذه الآية يقول ابن القيم - مبيناً ما يجب أن يكون عليه الداعية في معاملته للمدعوين وأنه-: "**يقيم لهم المعاذير ما استطاع، ويحضهم بجهده وطاعته، سائراً فيهم بعينين: عين ناظرة إلى الأمر والنهي. بها يأمرهم وينهاهم ويواليهم ويعاديهم، ويؤدي لهم الحقوق ويستوفيها عليهم. وعين ناظرة إلى القضاء والقدر، بها يرحمهم ويدعو لهم ويستغفر لهم، ويلتمس وجوه المعاذير فيما لايخل بأمر ولا يعود بنقض شرع، وقد وسعهم بسلطته ورحمته ولينه ومعذرته، وقفاً عند قوله ﷻ: ﴿خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ متدبراً لما تضمنته هذه الآية من حسن المعاشرة مع الخلق، وأداء حق الله فيهم، والسلامة من شرهم. فلو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفتهم، فإن العفو ما عفى من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم، ووسعهم بذله من أموالهم وأخلاقهم... فلو فكر الرجل في كل شر يلحقه من العالم - أعني الشر الحقيقي الذي لايوجب له الرفعة والزلفى من الله - وجد سببه الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها**"[٢] و« **عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ فِي أَخْلاقِ النَّاسِ. وَقَالَ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ. أَوْ كَمَا قَالَ**»[٣] خذ العفو: أي عامل به واجعله

---

(١) - سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) - زاد المهاجر إلى ربه المسماة بالرسالة التبوكية. (ط: مكتبة المدني، جدة)، ص ٥٩، ٦٠، تقديم: محمد جميل غازي.

(٣) - أخرجه البخاري: صحيح البخاري مع الفتح. كتاب تفسير القرآن. باب ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾. ج٨/٣٠٥رقم ٤٦٤٣، ٤٦٤٤.

وصفاً ولا تتلبس بضده. والعرف اسم مرادف للمعروف من الأعمال، وهو الفعل الذي تعرفه النفوس ولا تنكره إذا خلّيت وشأنها[١]، وعرفه الجرجاني بأنه: مااستقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول[٢]. والإعراض: إدارة الوجه عن النظر للشيء، وجمعت الآية مكارم الأخلاق لأن فضائل الأخلاق لاتعدو هذه الثلاثة، فهي إما عفو عن اعتداء فتدخل في ﴿خذ العفو﴾، أو إغضاء عما لايلائم فتدخل في ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾، أو فعل خير فيدخل في ﴿وأمر بالعرف﴾[٣]، وقال جعفر الصادق[٤] في هذه الآية:"وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها"[٥] وفي قول الله ﷻ:﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظَ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[٦] إشارة إلى ما حبا الله نبيه ﷺ من رحمة ائتلفت بسببها حوله القلوب، إذ الناس لا يصبرون على معاشرة خشن الطبع وإن كثرت فضائله، بل ينفرون فتفوتهم الهداية، مما يؤكد حسن التعامل مع المدعوين بلين الجانب، وترك الغلظة، والاستغفار لهم، ومشاورتهم[٧]. والعرب معروفون بالأَنَفَة، وإباء الضيم، وهم المتلقون الأولون لهذا الدين، فلم تكن تليق بهم الشدة، فهم محتاجون إلى مزيد من حسن التعامل يأخذ بنفوسهم إلى تشرب هذه الدعوة[٨]، وقد كان

---

(١) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) - التعريفات، ص ١٤٩.

(٣) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩/٢٢٩.

(٤) - جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي، سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية، من أجلاء التابعين، له منزلة في العلم والفضل والصدع بالحق، ولد سنة ٨٠ هـ بالمدينة وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ. الزركلي، الأعلام، ج٢/١٢٦.

(٥) - ابن حجر، فتح الباري، ج٨/٣٠٦، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩/٢٢٩.

(٦) - سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٧) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٣٩٦، وانظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٤/١٩٩.

(٨) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤/١٤٥.

ﷺ يتودد إلى المدعوين بكل وسيلة ممكنة، ويشعرهم بمحبته لهم، بل يصل الأمر به لأن يقسم مؤكداً محبته لأحد أصحابه، فأي تعامل أعظم من هذا ؟« **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١)وفي سنته كذلك نجد الحث على تطبيق هذا المبدأ العظيم، وهو إظهار مشاعر المحبة في الله للمحبوب ؛ وفي ذلك استلالٌ لسخائم القلوب، وتصفيةٌ للمودة من كل شوب « **عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(٢) وحسن تعامله ﷺ شمل الصغار والكبار والمسلمين والكفار، والعدو والصديق، وفي ذلك إشارة لأهمية هذا الخلق وأثره في تقوية الاستجابة يتضح ذلك من خلال الاستعراض الآتي:

أولاً: حسن تعامله ﷺ مع الأعداء:

لم يكن حسن تعامله ﷺ قاصراً على أصحابه المؤمنين فحسب، بل امتد واتسع ليلقي بظله على الأعداء من الكفار والمنافقين، بيد أن ذلك مضبوط بضابط الحكمة التي تقتضي وضع الشيء في موضعه « **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ج٢/٨٦، رقم ١٥٢٢، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، ج٣/٥٣، رقم ١٣٠٣، وأخرجه الإمام أحمد في المسند،ج١٦/٢٠٤، رقم ٢٢٠١٨، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج١/٢٨٤، رقم ١٣٤٧.

(٢) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه، ج٤/٣٣٢، رقم ٥١٢٤، وأخرجه الإمام أحمد في المسند،ج١٣/٢٩٠، رقم ١٧١٠٥، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩٦٥، رقم ٤٢٧٣.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ: اللَّهُ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[١] قال ابن حجر:" فمنّ عليه لشدة رغبة النبي ﷺ في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، و لم يؤاخذه بما صنع"[٢] وقد أدى حسن التعامل معه إلى أعظم نتيجة، فهو وإن لم يسلم، إلا أنه أخذ فكرة عن المسلمين، واطمأن إلى حسن تعامل نبيهم ﷺ حيث ذهب إلى أصحابه،« وَقَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»[٣] وفي تعامله مع الكافرين الذين أساؤا إليه نراه ﷺ يؤثر الرحمة على الانتقام، ويستبدل العقوبة مع قدرته عليها بالدعاء لهم[٤] « عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ[٥] فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٦]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[٧]. فَقَالَ لَهُ

---

(١) - انظر تخريجه:ص ٢٥٦ .

(٢) - فتح الباري، ج٧:٤٢٧، ٤٢٨.

(٣) - أخرجه أحمد في المسند، ج١٢/٩٣، رقم ١٥١٢٨، ١٤٨٦٧، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٤) - انظر: محمد رواس قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ، (ط:الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ص ٢٦٥.

(٥) - عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عبد كُلاَل من أكابر أهل الطائف من ثقيف. ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٣١٥.

(٦) - قَرْنُ الثَّعَالِب: ميقات أهل نجد، ويقال له قرن المنازل وهو على يوم وليلة من مكة. ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٣١٥. وهو اليوم على طريق الطائف من مكة، يبعد عن مكة ثمانين كيلاً، وعن الطائف ثلاثة وخمسين كيلاً. انظر: محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٢٢٦.

(٧) - الأخشبان: جبلان عظيمان في مكة وهما: أبو قبيس وقعيقعان. انظر: محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٢٣.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[١] وفي الحديث بيان لشفقته ﷺ ومزيد صبره وحلمه مع جهلهم[٢]، إنه ﷺ على استعداد أن يستمر في تبليغ الدعوة مع وجود المحنة التي تدمي قدميه وغيرها من العقبات، إلى متى ؟ إلى أن يفنى هذا الجيل، وينشأ الجيل الآخر من أصلابهم، يقول لاإله إلا الله[٣].

أما تعامله مع أعدى أعدائه وهم اليهود فلم يكن معهم فاحشاً بل أحسن معهم التعامل، و لم يرض من أقرب الناس إليه زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تخل بمبدأ حسن التعامل و ذلك حينما «**قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأمر كُلِّهِ. قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ: قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**»[٤] إن الرجال الكبار يترفعون عن ساقط القول وقبيح الرد؛ لأن لديهم من المسؤوليات العظام ما يشغلهم عن هذا السلوك المعوج.

أما المنافقون فسلك معهم مسلكاً يقوم على حسن التعامل والحذر منهم في آن واحد ؛ لأنهم لا تؤمن غائلتهم، « **عَنْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج٣/١٤٢٠، رقم ١٧٩٥، وأخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ج٦/٣١٢، رقم ٣٢٣١، كتاب التوحيد، باب ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾، ج١٣/ ٣٧٢، رقم ٧٣٨٩.

(٢) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٣١٦.

(٣) - منير محمد غضبان، فقه السيرة، (ط: الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠ هـ)، ص ٢٦٣.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرَّض الذمي أو غيره بسب النبي ﷺ و لم يصرح، نحو قوله: السام عليكم، ج١٢/٢٨٠، رقم ٦٩٢٧، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج١٠/٤٤٩، رقم ٦٠٢٤، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ج١٠/٤٥٢، رقم ٦٠٣٠، كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، ج١١/٤١، رقم ٦٢٥٦، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ج١١/١٩٤، رقم ٦٣٩٥، باب قول النبي ﷺ: (يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا)، ج١١/١٩٩، ٦٤٠١ كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة أو الزلزلة، ج٦/١٠٦، رقم ٢٩٣٥ على وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، ج٤/١٧٠٦، رقم ٢١٦٥.

يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ[1] أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَاللأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ. وَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. فَقَالَ عُمَرُ: أَلا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِاللَّهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[2] قال الإمام النووي:"وفي الحديث من الفوائد ما كان عليه ﷺ من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه. وكان ﷺ يتألف الناس، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين، وتتم دعوة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة، ويرغب غيرهم في الإسلام. وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام"[3].

ثانياً: حسن تعامله ﷺ مع الجاهل:

أما حسن تعامله مع الجاهلين فقد كان غاية في الرفق والرحمة، ولعل أعظم دليل على ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد « **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ**

---

(١) - أي ضربه على دبره، فتح الباري، ج٦/٥٤٧، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/١٣٨.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ج٦/٥٤٦، رقم ٣٥١٨، وفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. ج٨/٦٤٨، رقم ٤٩٠٥، وباب قوله تعالى: ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ولله العزة ولرسوله ولكن المنافقين لايعلمون ﴾. ج٨/٦٥٢، رقم ٤٩٠٧، وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ج٤/١٩٩٨، رقم ٢٥٨٤.

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/١٣٩.

فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَـجْلاً مِـنْ مَـاءٍ، فَإِنَّمَـا بُعِثْـتُمْ مُيَسِّـرِينَ وَلَـمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[1] قال ابن حجر في قوله « **فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ** »:" إسناد البعث إليهـم على طريق المجاز لأنه هو المبعوث ﷺ بما ذكـر، لكنهـم لمـا كـانوا في مقـام التبليـغ عنـه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك، إذ هم مبعوثون مـن قبلـه بذلـك أي مـأمورون"[2] وفي الحديث الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن معانداً، وفيه بيان لرأفـة النبي ﷺوحسن تعامله مع المدعوين[3]، وتبين روايـة ابـن ماجـة أن هـذا الأعرابـي، بعدمـا أسلم وتفقه في الإسلام دعا للنبي ﷺ، وذكر إعجابه بحسن تعامل النبي ﷺ، حيث يصـف معالجته لهذا الخطأ بقوله: فَقَامَ إِلَيَّ، بِأَبِي وَأُمِّي فَلَـمْ يُؤَنِّـبْ وَلَـمْ يَسُـبَّ. فقـال:« **إِنَّ هَـذَا الْمَسْجِدَ لاَيُبَالُ فِيهِ**»[4] ولم يكن ﷺ يحب مواجهة الناس بما يكرهون، بل يكتفي بالتنبيـه على الخطأ لتجنبه دون إحراج، أو تعنيـف لأن المقصـود معالجـة الخطـأ والمنكـر لا تعنيـف المخطىء، ذلك لأن التثريب العلـني مـن شـأنه أن يـؤدي إلى نتـائج عكسـية، تنفـر المدعـو وتحول بينه وبين الانتفاع بالحق « **عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِـأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْـهُ، فَوَاللَّـهِ مَا كَهَرَنِي[5] وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَـيْءٌ مِـنْ كَـلاَمِ**

---

(١) - انظر تخريجه:٢٥٥.

(٢) - الفتح، ج١/٣٢٤.

(٣) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١/٣٢٥.

(٤) - سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول كيـف تغسل، ج١/١٧٦ رقـم٥٢٩، وقال الألبـاني: حسن صحيح، صحيح سنن ابن ماجة، ج١/٨٦، رقم ٤٢٨.

(٥) - أي ما انتهرني. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٥/٢٠.

النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ »[١] قال النووي:" فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه"[٢].

ثالثاً: حسن تعامله مع المتأوِّل وحسن النية:

وكان النبي ﷺ يتعامل مع الناس حسب نياتهم، فلم يعاقب أسامة بن زيد على قتله رجلاً كافراً متأولاً « **عَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**»[٣] "في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد"[٤] لقد عذره النبي ﷺ، وقد علل العلماء سبب عدم إيجاب النبي ﷺ على أسامة دية ولا كفارة فقالوا: " لعله سكت لعلم السامع، أو كان ذلك قبل نزول آية الدية والكفارة، وقال القرطبي: يحتمل أنه لم يجب عليه شيء لأنه كان مأذوناً له في أصل القتل، فلا يضمن ما أتلف من نفس ولا مال كالخاتن والطبيب، أو لأن المقتول كان من العدو ولم يكن له ولي من المسلمين يستحق ديته"[٥]، وذكر النووي أن المانع من ذلك وجود الشبهة عند أسامة رضي الله عنه، فإنه ظنه كافراً، وأن قوله في هذه الحالة لايجعله

---

(١) - أخرجه مسلم في الصحيح. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب تحريم الكلام في الصلاة. ونسخ ما كان من إباحته. ج١/٣٨١، رقم ٥٣٧.

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي. ج٥/٢٠.

(٣) - انظر تخريجه: ص ٢٥٦.

(٤) - ابن حجر. فتح الباري. ج١٢/١٩٥.

(٥) - المصدر السابق. ج١٢/١٩٦.

مسلماً[١].

وكذلك ما حصل مع الصحابي حاطب بن أبي بلتعة ﷺ فقد عفا عنه النبي ﷺ لما علم حسن نيته وتأكد من إخلاصه للدعوة، فلم يؤاخذه بما بدر منه على الرغم من شدته « **عَنْ عَلِيٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[٢] فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[٣] وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا. فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا،[٤] فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسلام. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** »[٥] إن الماضي المشرق لايطمسه خطأ واحد، ولو

---

(١) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١/١٠٦.

(٢) - روضة خاخ: بخاتين معجمتين هذا هو الصواب بين مكة والمدينة بقرب المدينة. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٥٥.

(٣) - الظعينة هنا الجارية وأصلها الهودج وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٥٥.

(٤) - عقاصها: أي ضفائرها وهو شعرها المضفور جمع عقيصة، انظر: ابن منظور، لسان العرب ج٧/٥٦، مادة عقص، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٥٥.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ج٦/١٤٣، رقم ٣٠٠٧، باب إذا اضطُرَّ الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله، وتمريدهن، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ج٧/٣٠٤، رقم ٣٩٨٣، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، ج٧/٥١٩ رقم ٤٢٧٤، كتاب التفسير، باب ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾، ج٨/٦٣٣، رقم ٤٨٩٠ كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يَحْذَرُ

=

كان في أمر كبير يتعلق بسر من أسرار الدولة كما حصل في قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي استكشف النبي ﷺ خبيئته، فعرف أنه لم يكذبه في اعتذاره، وأن الحامل له على ذلك إنما هي يد أراد أن يتخذها عندهم لعلهم يحمون قرابته، فكان موقف النبي الكريم ﷺ عدم مؤاخذته لأن الإنسان الكبير تعرض له فترات يضعف فيها، والله أبر بعباده من أن يأخذهم بسورات الضعف التي تعتورهم، ووضع النبي ﷺ بذلك منهجاً في التعامل مع المدعو ين يقوم على عدم نسيان الحسنات لمن يخطئون حيناً بعد أن أحسنوا طويلاً[١].

وذكر الحافظ بن حجر أن من فوائد هذا الحديث العفو عن زلة ذي الهيئة،[٢] بل إن النبي ﷺ كان يقول: « **أَقِيلُوا** [٣] **ذَوِي الْهَيْئَاتِ** [٤] **عَثَرَاتِهِمْ إِلاَّ الْحُدُودَ** »[٥] وفي حسن تعامله ﷺ مع أصحابه الذين أمرهم أن يصلوا العصر في بني قريظة - حثاً لهم على السرعة-، تأول بعضهم فصلى في الطريق، والبعض الآخر أخر الصلاة فلم يصلها حتى وصل، فلما عرف النبي ﷺ مقصد الفريقين عذرهما و لم يعنف أحدهما. «**عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنه **قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

=

على المسلمين ليستتين أمره، ج١١/٤٦/٦٢٥٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ج١٢.٣٠٤. رقم ٦٩٣٩ وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم. وقصة حاطب بن أبي بلتعه. ج٤/١٩٤١، رقم ٢٤٩٤.

(١) - انظر: محمد الغزالي. فقه السيرة. ص ٤٠٧. ٤٠٩.

(٢) - فتح الباري. ج١٢/٣١٠.

(٣) - أقيلوا: من الإقالة أي اعفوا. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود. ج١٢/٢٥.

(٤) - ذوو الهيئات: أصحاب المروءات والخصال الحميدة. انظر: المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٥) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب الحد يشفع فيه. ج٤/١٣٣، رقم ٤٣٧٥. وأخرجه الإمام أحمد في المسند.ج١٧/٦٠٥، رقم ٢٥٥٣٠، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، و قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٨٢٧، رقم ٣٦٧٩، السلسلة الصحيحة،(ط:الثالثة،المكتب الإسلامي،بيروت،١٤٠٣ هـ) ج٢/٢٣٤. رقم ٦٣٨. صحيح الجامع، ج١/٢٦٠، رقم ١١٨٥.

وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ»[١] قال ابن حجر:" وفيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد"[٢] وقال الإمام النووي:"وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد"[٣] وقال ابن القيم ما حاصله: وإنما لم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر، ولأنهم اجتهدوا فأخروا لامتثالهم الأمر[٤]

رابعاً: حسن تعامله ﷺ مع الأطفال والصغار

وفي سيرته ﷺ نراه يحسن التعامل حتى مع الأطفال الصغار وهو في عبادة من العبادات، وأعظمها على الإطلاق وهي الصلاة « **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ. قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»**[٥]، إنها صورة من أرقى صور حسن التعامل التي ينتهجها النبي ﷺ في حياته مع الأطفال الصغار، هذا الصنف الذي يتطلب في مثل هذا السن الرحمة والحنان، وهو كذلك

---

(١) - أخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، ج٢/٤٣٦، رقم ٩٤٦، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، ج٧/٤٠٧، رقم ٤١١٩. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الجهاد والسير. باب المبادرة بالغزو. وتقديم أهم الأمرين المتعارضين. ج٣/١٣٩١، رقم ١٧٧٠.

(٢) - فتح الباري. ج٧/٤١٠. وانظر: السهيلي. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية. ج٣ ٢٨١.

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي. ج١٢/٩٨.

(٤) - ابن حجر. فتح الباري. ج٧/٤١٠. وانظر: ابن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج٣/١٣٠.

(٥) - أخرجه النسائي في سننه. كتاب التطبيق. باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة. ج٢/٢٢٩ رقم ١١٤١. وأخرجه الإمام أحمد في المسند. ج١٨/٦١٢، رقم ٢٧٥١٩. قال حمزة الزين: إسناده صحيح. وصححه الألباني. صحيح سنن النسائي. ج١ ٢٤٦. رقم ١٠٩٣.

تعليم للدعاة من بعده، على الانطباع بهذا السلوك الراقي العجيب، الذي يصدر عن قلب كبير يفيض بالرحمة والحنان، وقد شهد بتحقق ذلك في سلوكه ﷺ « **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه حِينَمَا قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»(١) بل يبالغ ﷺ في معاملته للصغار إلى درجة كبيرة تجعله يستأذنهم في التنازل عن حق من حقوقهم بالإذن لئن يشرب الأشياخ قبلهم، فيحتفظ بحقهم حين لايأذنون «**عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا غُلامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»(٢)، وفي رواية« **قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ**»(٣) فلم يكرهه ﷺ وإنما أحسن التعامل معه، في إعطائه حقه المشروع، فأي تعامل أحسن من هذا؟.

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج٤/١٨٠٨.

(٢) - انظر تخريجه: ٢٥٥.

(٣) - انظر تخريجه:ص ٢٥٥ هامش رقم ٤.

المطلب الثاني: حسن التعامل مع المدعوين بالقول

إن الكلمة الطيبة من أهم مظاهر حسن التعامل مع المدعوين، فهي سبب للألفة بين القلوب، فكم من جوانب حسنة عند المدعوين يبرزها الداعية بالقول الجميل، وكم من معروف يشيعه الداعية بالقول الحسن، قال الفخر الرازي: "جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قول الله ﷻ ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾"(١) و« **عَنْ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ ؟ قَالَ: قُلْنَا لاَ قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ ؟ قُلْنَا: نَعَمْ قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ. قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّاعِرُ ؟ قَالَ: نَعَمْ**»(٢)، لقد كانت معرفة النبي ﷺ السابقة تعزيزاً وتكريماً له، كما كانت إشارته ﷺ هادفة ومؤثرة لدرجة أنها علقت في ذهن كعب بن مالك(٣) مما جعله يقول: « **فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّاعِرُ؟**».

وحينما اضطر الناسُ النبيَّ ﷺ إلى شجرة علق بها رداؤه في مرجعه من حنين، وهم يلحون عليه أن يقسم المال، لم يغضب وإنما تعامل معهم تعامل الخبير بنفسية المدعوين وما فيها من حرص ونهم على المال، ولم يزد على أن قال: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لَكُمْ شَجَرَ تِهَامَةَ نَعَمًا قَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَمْ تَلْقَوْنِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَانًا وَلاَ كَذُوبًا،**

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٨٣، تفسير الفخرالرازي، ج١٨١/٣.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٣٢١/١٢، رقم ١٥٧٣٨، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٣) - انظر: عباس السيسي، الطريق إلى القلوب،(ط: الأولى، دار الدعوة، مصر، ١٤٠٥هـ)، ص٤٤.

ثُمَّ أَتَى بَعِيرًا فَأَخَذَ مِنْ سَنَامِهِ وَبَرَةً بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ: هَا إِنَّهُ لَيْسَ لِي مِنَ الْفَيْءِ شَيْءٌ وَلاَ هَذِهِ إِلاَّ خُمُسٌ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ »[1] وفي تلطفه ﷺ مع المدعو « **عَنْ هَانِئٍ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قُلْتُ شُرَيْحٌ قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»**[2]، لقد استحسن النبي ﷺ هذا الأمر الذي يقوم به أبو شريح، فأثنى عليه بصيغة التعجب مبالغة في حسنه، وفي ذلك تطييب لخاطره عند تغيير كنيته[3].

وكان ﷺ يعالج بالقول الطيب ما قد يلقيه الشيطان في النفس البشرية من وساوس مهلكة، يتضح ذلك في التعليل الذي يذكره ﷺ لأحد أصحابه حين سلم عليه فلم يسمع رده ﷺ « **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ لَهُ فَانْطَلَقْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ عَلَيَّ أَنِّي أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَشَدُّ مِنَ الْمَرَّةِ الأُولَى، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ فَقَالَ: إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. وَكَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ»**[4] ومثله موقفه ﷺ من الرجل الذي أهدى له حماراً وحشياً فرده، فتغير وجهه لذلك الرد، فبين

---

(١) - انظر تخريجه: ص٢٥٧.

(٢) - أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، ج٤/٢٨٨، رقم ٤٩٥٥، وأخرجه النسائي، كتاب آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم، ج٨/٢٢٦، ٢٢٧، رقم ٥٣٨٧، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩٣٦، رقم ٤١٤٥.

(٣) - انظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٤/٢٠٢.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العمل في الصلاة، باب لا يرد السلام في الصلاة، ج٣/٨٦، رقم ١٢١٧.

سبب رده وهو تلبسه بالنسك الذي يمنعه من ذلك، « **عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ** (١) **أَوْ بِوَدَّانَ** (٢) **فَرَدَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ** »(٣).

---

(١) - الأبواء: واد من أودية الحجاز التهامية كثير الزروع، ويسمى اليوم وادي الخريبة. عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٤.

(٢) - وَدَّان: اندثرت منذ زمن بعيد، وموضعها شرق مستورة إلى الجنوب. المرجع السابق، ص ٣٣٢.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً حياً لم يقبل، ج٤/٣١، رقم ١٨٢٥. وفي كتاب الهبة، باب قبول الهدية، ج٥/٢٠٢، رقم ٢٥٧٣. وباب من لم يقبل الهدية لعلة، ج٥/٢٢٠، رقم ٢٥٩٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، ج٢/٨٥٠، رقم ١١٩٣، ١١٩٤.

المطلب الثالث: حسن التعامل مع المدعوين بالفعل

إذا كان الإحسان بالقول مما تحبه النفوس، فإن الإحسان بالفعل من أشد الأمور أثراً على المدعوين، يتضح ذلك من خلال التفاعل الإيجابي الذي تم بين الرسول ﷺ وبين كثير من أعدائه، حيث تحولوا من الكفر إلى الإسلام بسبب موقف من الإكرام أو الهبة والعطاء، أو العفو والتسامح، وكان النبي ﷺ يحسن التعامل مع المدعوين إلىدرجة كبيرة جد اً، وعندما يستغرب بعض أصحابه في تخصيص أقوام بالعطاء وترك آخرين هم أولى في نظرهم، نراه ﷺ يجيب قائلا: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكب في النار على وجهه**»[١]، وقد أثمرت هذه السياسة المبنية على حسن التعامل مع المدعوين في تقوية دوافع الاستجابة لديهم، حتى« **أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا لا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلا الدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإسلام أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[٢].

وكان ﷺ يدرك أن في النفوس البشرية صفات لا يمكن تجا هلها ولا إلغاؤها،وإنما أحسن التعامل معها واستثمرها في صالح الدعوة، فهناك نفوس تحب المال ولاتقبل على الدعوة إلا حين يبذل لها، ونفوس تحب الفخر والخيلاء، فلم يحاول ﷺ نزع أيٍ من تلك الصفات، بل أحسن التعامل معها ووجهها لما فيه مصلحة المسلمين[٣]. فقدأرضى أبا سفيان وأعطاه ماكان يحبه من الفخر بقوله ﷺ: « **مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ** »[٤] وهذا لايكلف جهداً، وإنما يحببه

---

(١) – أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، ج١/١٣٢، حديث رقم:١٥٠.

(٢) – أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال:لا وكثرة عطائه، ج٤/١٨٠٦، حديث رقم:٢٣١٢.

(٣) – انظر: عبد الحميد حوجه، الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم، ص١٠٢،١٠٣.

(٤) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ج٣/١٤٠٦، حديث رقم:١٧٨٠.

للدعوة بثمن ميسور[١] وانطلاقاً من هذا المبدأ رأيناه يحسن التعامل مع المدعوين بإغداق الأموال العظيمة على السادة والرؤساء المتبوعين في عشائرهم، فقد أعطى المؤلفة قلوبهم أموالا عظيمة، والحكمة في ذلك تأليف قلوبهم على الإسلام،قال شيخ الإسلام: "والمؤلفة قلوبهم نوعان: كافر ومسلم ؛ فالكافر: إما أن يرجى بعطيته منفعة: كإسلامه ؛ أو دفع مضرته، إذا لم يندفع إلا بذلك. والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً، كحسن إسلامه. أو إسلام نظيره"[٢]، كما استهدف ﷺ بتكرار العطاء إزالة غشاوة القلوب من غل وحقد وحسد، وهذا ما حدث مع صفوان بن أمية رضي الله عنه عندما وهبه ﷺ مرات عديدة حتى قال: « **وَاللَّهِ! لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَ بْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ** »[٣]

وحسن تعامل المسلمين الفاتحين لبلاد الشام مع أهل حمص وسوريا كان سبباً في قبولهم الدعوة، وتقويةً للاستجابة في نفوسهم، وذلك حينما أخذ المسلمون منهم مبلغاً من المال مقابل حمايتهم ودفع الأذى عنهم، إلا أن التطورات الجديدة والمتمثلة في جمع هرقل للمسلمين جموعاً كثيرة لينازلهم في معركة فاصلة جعلت المسلمين يقولون لهم:" قد شُغِلْنَا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم " فرد عليهم أهل حمص:" لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم"[٤].

وكان من حسن تعامله ﷺ عيادة المرضى وتفقدهم والسؤال عنهم، فلا غرو أن يكون ﷺ محبوباً مقدراً، وأن تكون دعوته مقبولة عند الناس، فهذا الغلام اليهودي لم يحقره ﷺ وإنما أعطاه حقه من الاهتمام والزيارة، وكانت الثمرة إسلامه وإنقاذه من النار « **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى**

---

(١) - انظر: محمد الغزالي. فقه السيرة. ص٤١٠.

(٢) - شيخ الإسلام ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٢٨/٢٨٨،٢٩٠.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفضائل. باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا. وكثرة عطائه. ج٤ ١٨٠٦. رقم:٢٣١٣.

(٤) - أبوالحسن البلاذري. فتوح البلدان. (ط: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٣٩٨ هـ)، ص ١٤٣. مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان. وانظر: مصطفى السباعي. من روائع حضارتنا. (ط: الثانية. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٣٩٧ هـ)، ص ١٠٢.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وكان ﷺ يتعامل مع المدعوين بحسن التقاضي وطيب النفس حتى مع من لم يحسن الأدب معه في طلب حقه، فإن ذلك لايمنعه حقّه « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ. وَقَالُوا: لاَ نَجِدُ إِلاَّ أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ. قَالَ: اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»**(٢) قال ابن حجر في قوله ﷺ: «**فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**»: " المراد أنه خيرهم في المعاملة"(٣).

وكان يزور أصحابه إذا مرضوا « **عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي لَيْسَ بِرَاكِبِ بَغْلٍ وَلاَ بِرْذَوْنٍ**(٤)»(٥).

ومن حسن تعامله ﷺ مع المدعوين تعليم الجاهل ما يحتاجه في مهنته، وممارسة التعليم التطبيقي معه، فإن من السهل جداً على المرء أن ينكر فعلاً ما، ولكن الأصعب والأهم منه هو قدرة الداعية على التفكير في إيجاد الأفضل والأولى، فالرسول ﷺ يرى غلاماً يذبح شاةً وهو لا يحسن سلخها، فيقوم بتعليمه مهارات هو في أشد الحاجة إليها، وهو ما يبينه هذا الحديث حينما « **مَرَّ بِغُلاَمٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَدَحَسَ**(٦) **بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الإِبِطِ**»(٧).

---

(١) - انظر تخريجه: ٢٢٨.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٢٥٧ .

(٣) - فتح الباري. ج٥/٥٧.

(٤) - البِرْذَوْن: يطلق على الذكر والأنثى. وهو التركي من الخيل، وقيل المراد به هنا مطلق الفرس. شمس الحق العظيم آبادي. عون المعبود شرح سنن أبي داود. ج٨/٢٥٠.

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح. كتاب المرضى، باب عيادة المريض راكباً وماشياً، وردفاً على الحمار، ج١٠/١٢٢، رقم ٥٦٦٤. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج٣/١٢٣٤، رقم ١٦١٦.

(٦) - الدَّحْسُ: إدخال اليدين جلد الشاة بقوة لسلخها. شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود. ج١ ٢٢١.

(٧) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس اللحم النيء وغسله، ج١/٤٧، رقم ١٨٥، وأخرجه ابن ماجة في

=

وفي مجال تطييب القلوب نراه ﷺ دائم البشر، والابتسامة لاتفارقه، في السلم والحرب، في الضيق والشدة، كيف وهو القائل « **تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(١)، وتلك مرتبة عليا في حسن التعامل مع المدعوين، « **قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِكَ**»(٢)، وفي رواية قال: « **إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي**»(٣).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ فيحسنون التعامل مع ذويهم من الكفار بالأفعال كما يحسنون بالأقوال، كما فعل عمر رضي الله عنه لما أحسن إلى أخ له بمكة، ووصله بكسوة يلبسها،« **فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِذَا جَاءَكَ الْوَفْدُ. فَقَالَ: إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخرة، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا بِحُلَلٍ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مِنْهَا بِحُلَّةٍ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ ؟. قَالَ إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا، تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا. فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ**»(٤)، وهذه أسماء تستأذن النبي ﷺ في أن تعطي أمها من

=

سننه، كتاب الذبائح، باب السلخ، ج٢/١٠٦١، رقم ٣١٧٩، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج١/٣٧.

(١) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، ج٤/٣٤٠، رقم ١٩٥٦، وقال:حسن غريب. وصححه الألباني.انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٢/١٨٥، رقم ١٥٩٤.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ج٤/١٩٢٥، رقم ٢٤٧٥. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ج٥/٦٧٨، رقم ٣٨٢٠.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ج١٠/٥٠٤، رقم ٦٠٩٠. كتاب الجهاد والسير، باب من لايثبت على الخيل، ج٦/١٦١، رقم ٣٠٣٥. كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ج٧/١٣١، رقم ٣٨٢٢.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الهبة، باب هدية ما يكره لبسه، ج٥/٢٢٨، رقم ٢٦١٢، كتاب الجهاد، باب التحمل للوفود، ج٦/١٧١، رقم ٣٠٥٤، باب الهدية للمشركين، ج٥/٢٣٢، رقم ٢٦١٩، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، ج٢/٣٧٣، رقم٨٨٦، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، ج٤/٣٢٥، رقم ٢١٠٤، كتاب اللباس، باب الحرير للنساء، ج١٠/٢٩٦، رقم ٥٨٤١، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، ج١٠/٤١٤، رقم ٥٩٨١، باب من تجمل للوفود، ج١٠/٥٠٠، رقم ٦٠٨١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم

=

الدنيا وهي على شركها فيأذن لها النبي ﷺ، « **عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ وَهِيَ رَاغِبَةٌ(١): أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ** »(٢).

وهكذا تبين لنا من خلال هذا المبحث أهمية حسن التعامل مع المدعوين، وأنه سبب في تقوية دوافع الاستجابة في نفوسهم.

=

استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، ج٣/١٦٣٨، رقم ٢٠٦٨.

(١) - راغبة: أي في شيء تأخذه وهي على شركها. ابن حجر: فتح الباري، ج٥/٢٣٤.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، ج٥/٢٣٣، رقم ٢٦٢٠، كتاب الجزية والموادعة، باب ١٨، ج٦/٢٨١، رقم ٣١٨٣ كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ج١٠/٤١٣، رقم ٥٩٧٨، وباب صلة المرأة أمها ولها زوج، ج١٠/٤١٣، رقم ٥٩٧٩ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، ج٢/٦٩٦، رقم ١٠٠٣.

الفصل الثالث:دوافع الاستجابة في المدعو

المبحث الأول: الدوافع الذاتية

توطئة:

تختلف النفوس البشرية في موقفها من الحق، فهناك نفوس غلبت عليها المادية، فلا تنظر إلا لما هو محسوس ، وهناك نفوس صافية راقية، تتعدى وتنفذ في نظرها إلى ما وراء المحسوس، وتتطلع إلى التأمل البصير الذي يقود إلى الانتفاع والهداية، فالصنف الأول من تلك النفوس بمثابة البهائم التي لاتعقل، أما الصنف الثاني فهو مثال الرشد الإنساني، الذي اهتدى بنور ربه، وكلما ازداد فيه هذا الشعور ازداد كماله، وعلت في مراقي العبودية درجته[١]، ويصف القرآن الكريم الصنف الأول من تلك النفوس فيقول الله ﷻ: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾[٢] ويقول ﷻ: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾[٣] وقال ﷻ: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾[٤] وقال ﷻ: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقّقَ فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾[٥] ويبين الله ﷻ أن تلك الطبيعة وذلك الوصف الذي صار سمةً غالبةً لهم، إنما استحقوه بانصرافهم عن الذكر،

---

(١) - - انظر: محمد محمد المدني، المنتفعون بهدي القرآن الكريم، مجلة الأزهر، ج٢٢/٢٨ وما بعدها.

(٢) - سورة الفرقان، الآية: ٤٤ .

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٤) - سورة البقرة، الآية: ٧ .

(٥) - سورة البقرة، الآية: ٧٤.

وصدودهم عن الحق[١]، فيقول ﷻ: ﴿ **إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمَّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾[٢] ويقول ﷻ: ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصمُّ البكم الذين لا يعقلون** ﴾[٣] أما الصنف الثاني من تلك النفوس فهو صنف مستجيب مرهف الإحساس، يخاف، ويرجو، ويسمع، ويعقل، ويتدبر ويدرك، تهزه التذكرة، وتنفعه الموعظة. هذا الصنف هو الذي يعده القرآن الكريم حياً، ويخاطب ضميره وقلبه، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون** ﴾[٤] وهم أصحاب القلوب الحية الواعية الذين قال فيهم ﷻ أيضاً: ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد** ﴾[٥]، ولا ريب أن إدراك تلك الحقيقة أعني حقيقة اختلاف النفوس البشرية في موقفها من الحق، فيه إرشاد للدعاة إلى المضي في سبيل الغاية التي تصبو أنفسهم لأجلها، غير عابئين بأصحاب النفوس الملتوية، والطبائع المنحرفة، إذ إن حكمة المولى الكريم اقتضت أن لايكون الناس أمة واحدة مجتمعين على الهدى، ابتلاءً واختباراً منه ﷻ للعباد حيث قال: ﷻ ﴿ **إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾[٦]، وقال ﷻ: ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[٧]، ويشير شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) - انظر: المرجع السابق، المدرك ذاته.

(٢) - سورة النمل، الآيتان: ٨٠، ٨١.

(٣) - سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ٣٦ .

(٥) - سورة ق، الآية: ٣٧ .

(٦) - سورة يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٧) - سورة يس، الآية: ٩٩. وانظر: محمد محمد المدني، المنتفعون بهدي القرآن الكريم، مجلة الأزهر، ج٢٢/٢٨ وما بعدها.

إلى حقيقة وجود دوافع الاستجابة في النفس البشرية، فيقول: " إن الإنسان فيه داع يدعوه إلى الإيمان والعلم والصدق والعدل وأداء الأمانة"(١).

وقبل البدء بالحديث عن دوافع الاستجابة في المدعو تحسن الإشارة إلى مسألتين:

المسألة الأولى:

أنه لا يلزم بالضرورة عند تناول أحد تلك الدوافع بالحديث، تَفَرُّدُهُ بالتأثير دون غيره من الدوافع، بل قد تتعدد وتتنوع، ولربما تعاضدت فيما بينها لتحقيق تلك الاستجابة، تبعاً للظروف النفسية، أو المواقف الخارجية لكل شخص، وهو ما قرره الإمام ابن القيِّم بقوله: " ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لايؤثر سبب البتة إلا بانضمام سبب آخر إليه، وانتفاء مانع آخر يمنع تأثيره. هذا في الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها، ولا يستقل بالتأثير وحده دون توقف تأثيره على غيره إلا الله الواحد القهار"(٢) ولعل من معاني استقلال المولى الكريم ﷻ بالتأثير، أن الهداية ربما كانت منحة ربانية بحتة دون سبب إنساني، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولهذا كان من الإيمان ماهو من المواهب والفضل من الله كما قال ﷻ: ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾(٣) ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاءً على عمل سابق، كما قال ﷻ في آية أخرى: ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾(٤) ويتحدث رحمه الله تعالى عن الإيمان ويبين أنه " فضله يؤتيه من يشاء بالأسباب

---

(١) - الحسبة في الإسلام، ص ٩٧.

(٢) - الفوائد، ص ٦٠، ٦١.

(٣) - سورة الفتح، الآية: ٤.

(٤) - سورة المجادلة، الآية: ٢٢. وانظر: ابن تيمية، الإيمان، (ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٢٢ .

التي تفضل بها عليهم وخصهم بها"[١]. ولكننا إذا تأملنا حال أولئك المهديين تبين لنا أن الله قد خص نفوسهم بنعم أخرى، لتكون محلاً قابلاً للهداية الإلهية، قال الله ﷻ: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾[٢] أي: أليس الله بأعلم بمن شكر بقوله وفعله، فيَمُنَّ عليه بهدايته، ويخرجه من الظلمات إلى النور[٣] ولربما كان سبب تلك الهداية فطرةً نقيةً، أو عقلاً راجحاً، أو استقامةً خلقيةً[٤]؛ لأن الله حكيم ومن مقتضى حكمته ﷻ وضع الشيء في موضعه، فقد اتبع قولَه ﷻ: ﴿ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشِدُون﴾ قولَه ﷻ بعدها: ﴿فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾[٥] أي هو فضل محض منه ﷻ، أعطاكم إياه من غير حول منكم ولا قوة، وهو عليم بمن يشكر النعمة فيوفقه لها، ممن لا يشكرها ولا تليق به، فيضع فضله حيث تقتضيه حكمته[٦]. وكما قال ﷻ: ﴿والبلد الطيِّب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرِّف الآيات لقوم يشكرُون﴾[٧] وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي، فمن كان ذا فطرة سليمة، قابلة للهدى انتفع بالوحي كما تنتفع الأرض الزاكية بماء المطر، ومن كان خبيث الباطن، فلا ينتفع بالوحي لأنه لايوجد عنده محلٌ قابلٌ للوحي، وإنما هو بمثابة الأرض السبخة التي لا تنتفع بالمطر ولا تخرج الثمر المرجو منها[٨]

---

(١) - الإيمان، ص ٣٢٦.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

(٣) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/١٢٨.

(٤) - انظر: عبد الله يوسف الشاذلي، الدعوة والإنسان.. (ط: المكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٤٠٥ هـ)ص ٣٥٧.

(٥) - سورة الحجرات، الآية: ٧، ٨.

(٦) - انظر عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧ ١٣٢. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤ ٢١٢.

(٧) - سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٨) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨/١٨٤، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣ ٤٣.

=

والخلاصة أن تقسيم تلك الدوافع ضرورة اقتضتها طبيعة البحث العلمي، ولا يعني ذلك أنها تعمل منفردة بعضها عن بعض.

المسألة الثانية:

وتتعلق بتقسيم تلك الدوافع إلى ذاتية وأخرى مكتسبة، فإن ذلك التقسيم أيضاً ضرورة اقتضتها طبيعة البحث العلمي، وإلا فمن الدوافع ما يكون ذاتياً باعتبارومكتسباً باعتبار آخر في آن واحد، فالإيمان مثلاً إذا أريد به أصل الإيمان وهو معرفة الله عز وجل، والإقرار بربوبيته، وهو ما يسمى با لإيمان المجمل(١) فهو أمر فطري فطر عليه الناس، فهو إذاً دافع ذاتي، وأما الإيمان المفصل وهو الإيمان المقرون بالعلم بتفاصيل الشريعة، فهو مكتسب يؤخذ من جهة الرسل عليهم السلام، كما أكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " فتفاصيل الأمر والنهي إنما تعرف من جهة الرسل، أما الرب ﷻ فهو معروف بالفطرة كما قال الله ﷻ ﴿**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**﴾"(٢) وقال أيضاً رحمه الله: " ولهذا كان من الإيمان ماهو من المواهب والفضل من الله"(٣) كما أكد أن الإيمان قد يكتسب بأسباب مثل استماع القرآن، ورؤية أهل الإيمان، والنظر في أحوالهم، ومعرفة أحوال النبي ﷺ ومعجزاته، ومثل النظر في آيات الله، ومثل التفكر في أحوال الإنسان، ومثل الضروريات التي يحدثها الله للعبد التي تضطره إلى الذل لله. وقال رحمه الله بعد أن قرر أن ما يكون في العالم لا بد له من سبب: " وسبب الإيمان وشعبُه يكون تارة من العبد، وتارة من غيره، مثل أن يقيض له من يدعوه إلى الإيمان، ويأمره بالخير، وينهاه

=

وانظر: ابن القيم. التفسير القيم. (ط: دار الكتب العلمية. بيروت)، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٧٨.

(١) - عرف شيخ الإسلام ابن تيمية المجمل بأنه: مالا يكفي وحده في العمل به وإن كان في ظاهره حقاً. انظر: الإيمان. ص ٣٧٥ وانظر: مجموع الفتاوى، ج٧/٥٢٨ .

(٢) - سورة إبراهيم. الآية: ١٠. وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى، (ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان. بدون تاريخ). ج٢/٢٣٧.

(٣) - الإيمان، ص ٣٢٢ .

عن الشر، ويبين له الحجج التي يتعظ بها"[١]. وعلى هذا فإن الحديث عن دافع الإيمان باعتباره دافعاً من دوافع الاستجابة إنما نقصد به الإيمان المكتسب.

وكذلك العقل، فالمحققون من أهل العلم يرون أن العقل منه ما هو غريزي ذاتي، ومنه ما هو مكتسب، قال ابن تيمية:" لفظ العقل يراد به الغريزة التي بها يعلم، ويراد به أنواع من العلم، ويراد به العمل بموجب العلم"[٢] فيلاحظ أنه رحمه الله أشار إلى ثلاث قضايا من معاني العقل فالأولى: الغريزة التي وضعها الله ﷻ، وهي حاسة الإدراك التي يدرك بها الإنسان الأشياء، ويفارق بها سائر البهائم، وهي بهذا الاعتبار ذاتية، الثانية: العلوم التي يكتسبها الإنسان من التجارب وغيرها وهو ما يسمى بالعقل المسموع، وهو مكتسب، والقضية الثالثة: ثمرة العقل وهي العمل النافع الذي يرشد إليه العلم، وهو مكتسب " فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه، والشر فتركه"[٣]

ولقد أحسن القائل حيث يقول:

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع * إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، والمقصود بالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة[٤] ،

ويعلق الرازي على قوله ﷻ: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[٥] فيقول: هل

---

(١) - مجموع الفتاوى، ج٧/ ٦٥٠.

(٢) - مجموع الفتاوى، ج٧/ ٥٣٩ .

(٣) - المصدر السابق، ج٧/ ٢٤ ج٩/ ٢٨٦، ٣٠٤ .

(٤) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١/ ٨ ، وانظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١/ ١٣٩.

(٥) - سورة الحج، الآية: ٤٦.

تدل الآية على أن العقل هو العلم ؟ الجواب نعم ؛ لأن المقصود من قوله: ﴿ **قلوب يعقلون بها** ﴾ العلم[١]. وهو بهذا المعنى يرى أن العقل مكتسب، وذهب أبو حامد الغزالي إلى أن العقل منه ماهو ذاتي، وما هو مكتسب، حيث ذكر أن من معاني العقل كونه غريزة يستعد بها الإنسان لقبول العلوم النظرية، فهو ذاتي، ومن معانيه ما يكتسبه الإنسان من النظر والتجارب، والعمل بمقتضى العلم، وهو أمر مكتسب[٢]، وقد ذهب الأصفهاني أيضاً إلى تقسيم العقل إلى غريزي ومكتسب، وقال بعد ذلك: "وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول"[٣] أما الحارث المحاسبي فقد عرف العقل: " بأنه غريزة، جعلها الله ﷻ في قلوب الممتحنين من عباده لا يوصف بجسم ولا لون، ولا يعرف إلا بفعاله"[٤].

والخلاصة أن العقل منه ماهو ذاتي، ومنه ما هو مكتسب، والحديث عن الإدراك العقلي باعتباره أحد دوافع الاستجابة، في المدعو، يقصد به تلك الغريزة التي أودعها الله، في الإنسان، والتي يفكر ويعقل بها، وجعلته يختلف عن الحيوان، فهي بهذا الاعتبار دافع ذاتي.

---

(١) - تفسير الفخر الرازي. ٢٣/٤٦.

(٢) - انظر تعريفات أبي حامد الغزالي للعقل، ص ٣١٤.

(٣) - المفردات في غريب القرآن. ص ٣٤٢.

(٤) - الحارث بن أسد المحاسبي. العقل وفهم القرآن. (ط: الثالثة. دار الكندي. ١٤٠٢ هـ)، ص ٢٠٣. ٢٠٤. تحقيق حسين القوتلي. وانظر: ابن تيمية. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.(ط:مكتبة دار البيان.دمشق.١٤٠٥ هـ).تحقيق:عبد القادر الأرنؤوط، ص ١٠١ .

المبحث الأول: الدوافع الذاتية

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبين دوافع الاستجابة الذاتية في المدعو نذكرها فيما يلي:

ففي بيان دافع الفطرة، قال الله ﷻ: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[١] وقال الله ﷻ: ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾[٢]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »[٣] وفي بيان دافع الإدراك العقلي يوجه القرآن الكريم إلى التفكر والسير في الأرض بغية الانتفاع، والاتعاظ، والانتفاع بما وهبه الله ﷻ من نعمة السمع والبصر والعقل. قال الله ﷻ: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[٤] قال الله ﷻ: ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾[٥] وقال الله ﷻ: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا

---

(١) - سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٢) - سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين، ج٣/٢٤٥، ٢٤٦، رقم ١٣٨٥، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج٣/٢١٩، رقم ١٣٥٨، ١٣٥٩، كتاب التفسير، باب سورة الروم، ج٨/٥١٢، ٤٧٧٥، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ج١١/٤٩٣، رقم ٦٥٩٩ .

(٤) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

(٥) - سورة يونس، الآية: ١٠١.

كيف بدأ الخلق﴾[١]

وكان دفع المدعو إلى التفكير، وإعمال العقل منهجاً من مناهج تربية النبي ﷺ للمدعوين « **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ[٢] ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[٣]

واستناداً إلى تلك النصوص يمكننا أن نعالج الموضوع في المطالب التالية:

المطلب الأول: دافع الفطرة.

المبحث الثاني: دافع الإدراك العقلي

---

(١) - سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٢) - الأورق: الذي فيه سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة، ومنه قيل للحمامة ورقاء. ابن حجر، فتح الباري، ج٩/٤٤٣.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح. كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض، ج١٢/١٧٥ رقم ٦٨٤٧، كتاب الطلاق، باب إذا عرَّض بنفي الولد، ج٩/٤٤٢، رقم ٥٣٠٥.

المطلب الأول: دافع الفطرة

أولاً:الفطرة في اللغة[١] :

فطر الشيء يفطره فطراً فانفطر وفطَّره شقه، وتفطَّر تشقَّق. والفطر: الشَّق، وجمعه فطور، وفي التنزيل قوله ﷻ: ﴿**هل ترى من فطور**﴾[٢]، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع، قال ﷻ: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾[٣] أي انشقت وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: « **أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه**»[٤] وفطر الشيء إيجاده واختراعه، وفي المعجم الوسيط:" الفِطْرَةُ: الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقِه والطبيعة السليمة لم تشب بعيب"[٥]، وفطر الله الخلق، يفطرهم: خلقهم وبدأهم، فالفطر الابتداء والاختراع، كما قال ﷻ: ﴿**الحمد لله فاطر السماوات والأرض**﴾[٦] أي خالقهما ومبتدئهما[٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: " كنت لا أدري ما ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها"[٨] ولعل خلاصة المعنى اللغوي للفطرة: هي السلامة من العيوب.

---

(١) – انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥/٥٥، ٥٦، مادة (فطر)، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٢، المعجم الوسيط، مادة: (فطر).

(٢) – سورة الملك، الآية: ٣ .

(٣) – سورة الانفطار، الآية: ١.

(٤) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر.... ﴾، ج٨/٥٨٤، رقم ٤٨٣٧.

(٥) – مادة: (فطر)، ج٢/٦٩٤ .

(٦) – سورة فاطر، الآية: ١.

(٧) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/٣١٩.

(٨) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٥٢٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/٣١٩.

ثانياً: الفطرة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في المراد بالفطرة، والمحققون منهم يرون أن المراد بالفطرة هو الإسلام، قال الحافظ بن حجر: " أشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله ﷻ: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ الإسلام"(١) وقال الإمام الطحاوي: وفطرة الإسلام: هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبوديةً وذلاً وانقياداً وإنابةً(٢)، وذكر الإمام النووي معنىً آخر للفطرة وهو يتحدث عن قوله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»(٣) فقال: "والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام"(٤).

ونقل عن المازري قوله عن الفطرة بأنها: " هي ما هيء له"(٥).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد عرفها بأنها: " السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة"(٦)، والخلاصة أن السلف عرفوا الفطرة حسب دلالة النصوص دون التعرض لكنهها وحقيقتها، والكيفية التي توجد بها في الإنسان ؛ لأنها من الأمور التي اختص الله بعلمها، شأنها شأن الروح، فيكون معنى الفطرة في الاصطلاح هو الإسلام، أما المعاني الأخرى التي ذكرت فتشير إلى مفهوم الفطرة الموصلة للحق، ويدل على هذا ما ذكره ابن حجر في الفتح حيث قال: "والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين"(٧).

---

(١) - فتح الباري، ج٣/٢٤٨، وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨/٣٦٧.

(٢) - شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٥٤.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ج٤/٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨.

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦/٢٠٨ .

(٥) - المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٦) - مجموع الفتاوى، ج٤/٢٤٥ .

(٧) - ج٣/٢٤٩، وانظر: عبد الرحمن الملاحي، دوافع إنكار دعوة الحق، ص ٢١ .

ثالثاً:أثر الفطرة في تحقيق دوافع الاستجابة:

وردت نصوص في الكتاب والسنة تبين وجود هذه الفطرة في النفس البشرية، وأنها من أسباب تقوية دوافع الاستجابة، ومن تلك النصوص ما يلي: قال الله ﷻ: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾[١] وفسر العلماء هذه الآية بالحديث الذي رواه الإمام أحمد « **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ قَالَ: فَيَقُولُ نَعَمْ قَالَ: فَيَقُولُ قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي**»[٢] والمراد تمكن الناس من الهدى، وتهيؤهم لقبوله، فلو سلم المرء من المؤثرات لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ؛ لأن حسن الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد[٣]، وقد قال القرطبي: "خلق الله قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلةً للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق"[٤] وقال الله ﷻ: ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر**

---

(١) – سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) – أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٠/٤١١، رقم ١٢٢٢٩، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ج٢/٣٥٣، ٣٥٤، كتاب التفسير، سورة الأعراف، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٧/٩٦، تفسير سورة الأعراف – وقال في أحد رواته (محمد بن يعقوب الربالي): " إنه مستور وبقية رجاله رجال الصحيح " وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٢٥٠ .

(٣) – انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٣/٢٤٩.

(٤) – أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (ط: الأولى، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٧ هـ)، ج٦/٦٧٦، تحقيق وتعليق: محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال .

الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[١] «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »[٢] وفي صحيح مسلم «عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[٣]

هناك نفوس ما أن يلوح لها الحق وترتفع أعلامه حتى تقبل إليه إقبالاً منقطع النظير، ذلك لأنها نفوس خلت من الحجب التي تمنع رؤية الحق والاستمتاع بجماله، إن ذلك الصفاء القائم على سلامة الفطرة، وطيب النفس، ونقاء الروح، لمن أقوى الأمور في تحقيق الاستجابة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق اتبعته وأحبَّته"[٤] ومثل الفطرة مع الحق كمثل العين مع ضوء الشمس، فإذا لم يحل بينها وبين ذلك الضوء حاجب من الحجب رأته، وتتمثل تلك الحجب في الاعتقادات الباطلة، من تهود وتنصر وتمجس، يمنع من رؤية الحق الواضح الأبلج[٥] وقال رحمه الله: "ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب، قبل علمهم بحاجتهم إلى الإله المعبود، وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله إقراراً فطرياً من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته، ولهذا إنما بعثت الرسل

---

(١) - سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٢) - انظر تخريجه: ص ٢٨٦ .

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج٤/٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥ .

(٤) - مجموع الفتاوى، ج١٥/٢٤١.

(٥) - انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤/٢٤٧ .

تدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك لـه، فتفـاصيل الأمـر والنهـي إنمـا تعـرف مـن جهـة الرسل، أما الرب ﷻ فهو معروف بالفطرة ﴿ **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**﴾[١] فالمشركون من عباد الأصنـام وغـيرهم مـن أهـل الكتـاب معـترفون بـأن الله خـالقهم ورازقهـم، وأنـه رب السـموات والأرض والشـمس والقمـر، وأنـه المقصـود الأعظم"[٢]،إن النبي ﷺ وهو يدعو إلى الله تعالى واجه نماذج من تلك النفوس الصافية، التي لم تتلوث بحجب الباطل، فآثرت الحق على الباطل، على الرغم من قلة الناصر والمعين، بـل على اليقين من شدة المخاطر التي سيتعرض لها بعد إسلامه، ويعد الحنفـاء [٣] الذيـن كـانوا على التوحيد قبيل بعثته ﷺ صورة معبرة[٤] عن هذا الدافع المتجذر في النفوس، فهذا ورقـة بن نوفل[٥] عندما التقى بالنبي ﷺ « **قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَـأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[٦] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَـى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ. قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَـأْتِ رَجُـلٌ قَـطُّ بِمِثْـلِ مَـا جِئْـتَ بِـهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُـؤَزَّرًا**»[٧] إنـه قبـول للحـق لأول وهلـة عنـد سماعه، وهو شأن النفوس الصافية التي تخلصت من لوثـات الجاهليـة ومفاسـدها، فتهيـأت

---

(١) – سورة إبراهيم، الآية: ١٠ .

(٢) – شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، ج٢/٢٣٧.

(٣) – مفردها الحنيف: وهو الذي يميل إلى الحق، وقيل هو: الذي يستقبل قبلـة البيـت الحـرام على ملة إبراهيـم الخليـل عليـه السـلام. والحنفاء: هم المائلون إلى الإسلام الثابتون عليه. ابن منظور، لسان العرب، مادة: (حنَفَ)، ج٩/٥٧، ٥٨ .

(٤) – لمعرفة المزيد من أخبار الحنفاء، انظر: محمد بن حبيب البغـدادي، المنمـق في أخبـار قريـش، (ط: الأولى، عـالم الكتـب، بـيروت، ١٤٠٥ هـ)، تصحيح وتعليق: خورشيد أحمد فاروق، ص ١٥٢-وانظر للمؤلف ذاته: كتاب المحبَّر، (ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت)، تصحيح: إيلزه ليختن شتيتر ص ١٧١، ١٧٢.

(٥) – ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي، ابن عم خديجة . ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤/٦٧١.

(٦) – الناموس: صاحب السر، وهو جبريل عليه السلام. ابن حجر، فتح الباري، ج١/٢٦، وانظر: أبـو ذر بـن محمـد بـن مسـعود الخشني، شرح السيرة النبوية، (ط: المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا)، ج/٧٦ .

(٧) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب ٣، ج١/٢٢، رقم ٤ .

لقبول الحق وسماعه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقاً على قول ورقة « **يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا** »: " كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره... ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً على بابه، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ماأخبره به، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به"[١]، بل إن صفاء النفس وسلامة الفطرة يدفعان إلى معرفة الحق والاستجابة له، انطلاقاً من معاني الحق المغروزة في النفوس، فهذا«**زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ كان يرفض الأكل من ذبائح الكفار ويقول: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلاَّ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ**»[٢] وكان يقول: « **يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموؤودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها**»[٣] وكان من شدة شوقه إلى التعرف على الدين الحق، يطوف البلاد شرقاً وغرباً، فقد ذهب إلى الشام كما قال عن نفسه:« **فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار[٤] يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي، فخرجت حتى أقدم على أحبار أيلة[٥] فوجدتهم يعبدون الله ويشركون**

---

(١) - فتح الباري. ج٢٦/١.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمروبن نفيل، ج١٤٢/٧، رقم ٣٨٢٦ .

(٣) - أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كتاب معرفة الصحابة، ج٤٩٨/٣، رقم ٥٨٥٩. وللاستزادة انظر: محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. التبيين في أنساب القرشيين. (ط: الأولى، منشورات المجمع العلمي العراقي. ١٤٠٢ هـ)، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) - جمع حَبْر وهو العالم . ابن منظور. لسان العرب، مادة: (حبر). ج١٥٧/٤.

(٥) - أَيْلَةُ: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، وتعرف اليوم باسم العقبة ميناء المملكة الأردنية الهاشمية. على رأس خليج يضاف إليها (خليج العقبة). وهي عامرة كثيرة التجارة مينؤها يزدحم بالسفن. وبها فنادق ومنتزهات على الشاطئ وخليج العقبة أحد شعبتي البحر الأحمر. انظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان. ج١ ٢٩٢. وانظر: عاتق بن غيث البلادي. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ص ٣٥. محمد محمد حسن شُرَّاب. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٤٠ .

به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام: إنك تسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالجزيرة، فخرجت حتى قدمت إليه فأخبرته الذي خرجت له فقال: إن كل من رأيته في ضلالة، إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه، ارجع إليه وصدقه واتبعه وآمن بما جاء به، فرجعت فلم أحسن شيئاً بعد»[١] وفي إسلام أبي بكر الصديق ﷺ - والذي لم يتردد ابتداءً في قبول الدعوة - مثال آخر لما يحمله ﷺ من فطرة نقية صافية متجردة عن الهوى، وقد أثنى عليه النبي ﷺ وقال:« **إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**»[٢] وقد آمن ﷺ بالإسلام إيماناً عميقاً جعله يتحمل في سبيل ذلك أهوالاً ومشاقاً لا يثبت لها إلا من وفقه الله وأيده بالثبات[٣]، وعلى هدي من تلك القناعة انطلق بالدعوة مبلغاً، وكان ﷺ محبباً في قومه إذ كان يشتغل بالتجارة، مما أتاح له أن يلتقي بالناس ويتعامل معهم، ويكتسب خبرات كثيرة في فن التعامل مع الناس، فأسلم على يديه - بدافع الفطرة النقية أيضاً - رهط كريم كان لهم شأن عظيم في الدعوة وفي تأريخ الإسلام، أمثال عثمان بن عفان ﷺ،وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم[٤] ، وغيرهم من رجال الإسلام، الذين لم يواجهوا عنتاً داخلياً في معرفة الحق، بل كان جزءاً من كيانهم، ولهذا قبلوا الحق بدون نقاش أو جدال، ولم يطلبوا أدلةً أو براهين، ولم يفتشوا عن خوارق ومعجزات، لأن في ذواتهم رصيداً مذخوراً من الفطرة، ومهمة الدعوة حينئذ

---

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرك. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كتاب معرفة الصحابة. ج٣/٢٣٩، رقم ٤٩٥٦. وانظر: محمد بن حبيب البغدادي، المُنَمَّق في أخبار قريش. ص ١٥٣.

(٢) - أخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ بعد النبي ﷺ. ج٧/١٨، رقم ٣٦٦١.

(٣) - انظر: ابن هشام. السيرة النبوية. ج١ ١٢، ١٣. ابن كثير. البداية والنهاية. ج٣ ٣٠، ٣١.

(٤) - انظر: البداية والنهاية، ج٣/٣٠. ابن هشام. السيرة النبوية. ج١/٢٦٦ - ٢٦٩. الذهبي. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام. ص ١٣٨.

تتلخص في كونها صقلت ذلك الرصيد، وجعلته عيناً ثرةً مترعةً من الخير[١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"ولهذا كانت الرسل إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته، وإمداده، ونفي المغير للفطرة. فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزَّلة"[٢]،وأولئك المدعوون الذين سبق الكلام عن صفاتهم ، يهرعون إلى الدعوة من كل جانب، ولا يحتاج من الداعية أن يبذل تجاههم جهداً كبيراً، فهم الذين يبحثون عنه" لأنهم هم العطشى، فلا يفكرون قط في أن يحضر لديهم النهر أو البحر، بل هم الذين يجوبون الهضاب والوهاد والسهول والجبال بحثاً عن العين الفائضة، ويكاد زيتهم النظيف يضيىء، ولو لم تمسسه نار، فما إن يجد مسةً من الكبريت إلا ويشتعل"[٣] ومن هؤلاء الصحابي الجليل أبو ذر ﷺ « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ فَاضْطَجَعَ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلا**

---

(١) – انظر: عبد الله يوسف الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص ٣٧٠.

(٢) – مجموع الفتاوى، ج١٦/٣٤٨.

(٣) – أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، (ط: دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٥١م)، ص ١٣٣، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي.

تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ، الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ »[1] قال الحافظ ابن حجر: " كأنه كان يعرف علامات النبي ﷺ، فلما تحققها لم يتردَّدْ في الإسلام"[2]، ونموذج آخر يذكره عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: « **إن الله – تبارك وتعالى – لما أراد هدي زيد بن سَعْنَة [3] ، قال زيد بن سَعْنَة: مامن علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا شيئين لم أُخْبِرْهُمَا منه: هل يسبق حلمُهُ جهلَه، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت ألطف به لئن أخالطه فأعرف حلمه من جهله. قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يارسول الله، إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلام، وكنت حدَّثتُهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً،**

---

(١) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر رضي الله عنه، ج٧/١٧٣، رقم ٣٨٦١، كتاب المناقب، باب قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه، ج٦/٥٤٩، رقم ٣٥٢٢.

(٢) – فتح الباري، ج٧/١٧٥.

(٣) – زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود ومن أكثرهم مالاً، أسلم فحسن إسلامه وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثير وتوفي في غزوة تبوك. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/١٣٦.

وقد أصابتهم سنة وشدة، وقحوط من الغيث، فأنا أخشى يارسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به، فعلتَ ؟ فنظر إلي رجل وإلى جانبه أراه علياً ﷺ فقال: يارسول الله مابقي منه شيء، قال زيد بن سَعْنَة: فدنوت إليه فقلت: يامحمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: « لا يا يهودي ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان» فقلت: نعم، فبايعني فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل وقال: «اعدل عليهم وأعنهم بها » فقال زيد بن سَعْنَة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ فوالله ما علمتكم يابني عبد المطلب سيء القضاء مَطْل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق «لولا ما أحاذر فَوْتَه»[1] لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، وتبسم ثم قال: « ياعمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة[2]، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر » فقلت: ما هذه الزيادة ياعمر ؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نقمتك، قلت: أتعرفني يا عمر ؟ قال: لا. من أنت ؟ قلت: زيد بن سَعْنَة، قا ل: الحَبْر ؟ قلت: الحبر. قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت ؟ قلت له: يا عمر، لم يكن له من علا مات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه ؛ هل يسبق

---

(١) - كما في مجمع الزوائد، وفي مستدرك الحاكم « لولا ما أحاذر من قوته » بالقاف. ج٣/٧٠٠، رقم ٦٥٤٧.

(٢) - التبعة والتِّباعة: ما أتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها. وقيل: ا سم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحو ذلك. ابن منظور، لسان العرب. مادة: (تبع). ج٨/٣٠ .

حلمه جهلَه ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ؟ فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي – فإني أكثرهم مالاً – صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد اً عبده ورسوله، وآمن به وصدَّقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر، ورحم الله زيداً»[1] إن تلك النفوس الصافية، سرعان ما تقبل على الحق مذعنة خاضعة، يتمثل في سلوكها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** ﴾[2]، والفطرة الكامنة في النفوس البشرية من شأنها أن تلح على صاحبها، في إثارة التساؤلات التي تتطلب الجواب المقنع، وهو ما حصل لأحد المهتدين المعاصرين، حيث بدأ يبحث بنفسه، عن إجابات مقنعة، على السؤال الملح، هل الناس لايحاسبون على أعمالهم، وأن من يقترف إثماً أو سيئةً، لا يلقى جزاءه هناك ؟ وبعد طول بحث وصل إلى تلك القناعة التي مفادها أن الإسلام حق لا مرية فيه، وأن محمداً ﷺ الذي أجمع النصارى على إنكاره حق، ولا خطيئة أعظم من إنكار هذا الرجل الرباني ﷺ، واقتنع بالإسلام وانتهى إلى تعظيمه، وأنه دين الحق والصدق[3]. ومهتدية أخرى، نتيجة لتلك الفطرة المستقرة في ذاتها، لم تجد مشقةً في اعتناق الإسلام لما كتب الله لها الهداية، وعندما سئلت

---

(١) – أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣/ ٧٠٠، رقم ٦٥٤٧، وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي: ما أنكره وأدركه، ولا سيما قوله في – آخر الحديث – « مقبلاً غير مدبر، فإنه لم يكن في غزوة تبوك قتال »، وروى ابن ماجة بعضه انظر: سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب السلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم، ج٢/ ٧٦٥ رقم ٢٢٨١، وفي إسناده الوليد بن مسلم، وهو مدلس، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: روى ابن ماجة طرفاً منه، ورواه الطبراني ورجاله ثقات. انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(٢) – سورة المائدة، الآيتان: ٨٣، ٨٤.

(٣) – انظر: لماذا أسلمنا، ص ٧٠ – ٧٢.

متى أسلمت ؟ لم تستطع تحديد تلك اللحظة الحاسمة التي أشرق في قلبها الإيمان، ونور اليقين، إلا أنها قالت: " ويبدو أنني كنت مسلمةً منذ البداية ؛ ولا عجب في هذا إذا علمنا أن الإسلام دين الفطرة، يشب عليه الطفل إذا ترك على فطرته"[١].

(١) - انظر: لماذا أسلمنا ، ص ١٣٠ .

المطلب الثاني: دافع الإدراك العقلي

أولاً: العقل في اللغة والاصطلاح:

أ- في اللغة:

تدور معاني مادة « عقل » في اللغة على الحبس والتقييد، قال ابن فارس:" العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل على حُبْسَةٍ في الشيء، أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"(١) والرجل العاقل الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جَمَعْتَ قوائمه، والمعقل ما يلجأ إليه الناس عند مداهمة الخطر، وسمي العقل عقلاً لأنه يمنع صاحبه عن فعل ما لايليق، ويعقل صاحبه عن التورط في المهالك(٢).

ب - في الاصطلاح:

عرفه الحارث المحاسبي: " بأنه غريزة، جعلها الله ﷻ في قلوب الممتحنين من عباده، لا يوصف بجسم ولا لون، ولا يعرف إلا بفعاله"(٣).

وقال الجرجاني عن العقل: بأنه " جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهو - جوهر روحاني، خلقه الله متعلقاً ببدن الإنسان"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العقل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسائر أئمة المسلمين، هو أمر يقوم بالعاقل سواء سمي عرضاً أو صفة، ليس هو عيناً قائمة بنفسها، سواء سمي جوهراً أو جسماً أو غير ذلك"(٥).

---

(١) - معجم مقاييس اللغة، مادة (عقل)، ج٤/٦٩.

(٢) - ابن منظور، لسان العرب، مادة: (عقل)، ج١١/٤٥٨، وانظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، (ط: الخامسة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١ هـ)، ص ٧٥، ٧٦، وانظر: عبد الرحمن الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، (ط: الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٢ هـ)، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) - الحارث بن أسد المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ص ٢٠٣، ٢٠٤ ، وانظر: ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١٠١ .

(٤) - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص ١٥١.

(٥) - مجموع الفتاوى، ج٩، ٢٧١ .

وعرفه أبو الوليد الباجي بأنه:" العلم الضروري، الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء"(١).

أما التعريف المختار فهو ماذكره أبو حامد الغزالي : وهو أن العقل يقع على أربعة معان هي: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم

فالأول: هو الغريزة التي في الإنسان، يتعلم ويعقل بها، وهي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، وهي ما يتميز به الإنسان عن الحيوان،

والثاني: العلوم الضرورية التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات، والممتنعات.

الثالث: العلوم النظرية، وهي ما يحصله الإنسان بالنظر والاستدلال، والتجارب، وتفاوت الناس فيها أمر جلي وواقع.

الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم، ولهذا قال الأصمعي: " العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن"(٢) وقيل لرجل وصف نصرانياً بالعقل: "مه، إنما العاقل من وحَّد الله وعمل بطاعته"(٣)والعقل الذي يريده الإسلام هو العقل الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه، والشر فتركه، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنَّا في أصحاب السعير**﴾(٤) وقال عن المنافقين: ﴿ **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾(٥) ومن فعل ما يعلم أنه يضره، فمثل هذا ماله عقل"(٦) ومن هنا فإن التعريف

---

(١) - أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، كتاب الحدود في الأصول، (ط: الأولى، مؤسسة الرعي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢ هـ)، ص ٣١ ، تحقيق: نزيه حماد.

(٢) - أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، المخصص، (ط: دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ)، ١٦/٣ .

(٣) - الراغب الأصفهاني، الذريعة لمكارم الشريعة، (ط: الثانية، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٨ هـ ص ١٧٣، تحقيق ودراسة: أبو اليزيد العجمي.

(٤) - سورة الملك، الآية: ١٠.

(٥) - سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٦) - الإيمان، ص ٢٠، ٢١، مجموع الفتاوى، ١٠٨/١٥.

ببعض تلك المعاني ليس بجامع، وإنما الصواب ذكر تلك المعاني مجتمعة[١]

ثانياً:مكان العقل:

لعل من الأمور المهمة ذات العلاقة بهذا الموضوع، التفريق بين القلب والعقل، وهل هما شيء واحد أم أن العقل شيء، والقلب شيء آخر، وهو موضوع طال فيه الكلام وتشعب، وممن تكلم فيه شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي فصل في الموضوع، وعالجه معالجة علمية دقيقة، وسنورد أهم ما قال في الموضوع[٢] قال رحمه الله:" العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة"[٣] وقال:" العقل المشروط في التكليف لابد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره"[٤] وقال:" والعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه، كما قال ﷻ: ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[٥] وقيل لابن عباس رضي الله عنه: بماذا نلت العلم ؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول"[٦] وقال أيضاً:" والقلب قد يراد به المضغة، وقد يراد به باطن الإنسان مطلقاً، وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ، كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ"[٧] ثم قال رحمه الله: "لكن مبدأ الفكر والنظر في

---

(١) –انظر:إحياء علوم الدين،ج١/١٣٨، وانظر:عثمان بن علي حسن،منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، (ط: الثالثة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥ هـ)، ١/١٥٧ – ١٥٩.

(٢) – تجدر الإشارة إلى أن الزميل الدكتور محمد الخرعان سبق الباحث إلى توثيق تلك النصوص في كتابه، العقل أصوله ومصادره ومناهجه، (ط: الأولى، دار الوطن، ١٤١٢ هـ)، ص ٢٩، ٣٠ .

(٣) – مجموع الفتاوى، ج٩/٢٨٦.

(٤) – المصدر السابق، ج٩/٢٨٧.

(٥) – سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٦) – مجموع الفتاوى، ج٩/٣٠٣.

(٧) – المصدر السابق، ج٩/٣٠٣.

الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب، والمريد لايكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً، فيكون منه هذا وهذا، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح"[١]، وفي الحديث الصحيح يبين ﷺ أن القلب هو سيد الأعضاء، وهو بمثابة الملك وبقية الأعضاء جنود، قال الرسول ﷺ:« **أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٢] قال الحافظ ابن حجر: " ويستدل من الحديث على أن العقل في القلب"[٣] ويمكن القول: بأن القلب موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر، فقد يوجد في الناس من هو فاقد لعقل الهداية – الذي محله القلب – واكتسب عقل الفكر والنظر – الذي محله الدماغ – كما قد توجد ضد هذه الحال[٤].

ثالثاً:العقل وأثره في الاستجابة للحق:

لقد أودع الله تعالى في قلوب بني آدم من العلوم الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل، وما يهيئها لتكون مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا مافي القلوب من الاستعداد، لما أمكنها الاستفادة بالنظر والبرهان، كما أنه ﷻ جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب،ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرِّق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك[٥] ودين الإسلام يتفق مع العقول السليمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل

---

(١) – مجموع الفتاوى، ج٩/٣٠٤.

(٢) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ج١/١٢٦، رقم ٥٢.

(٣) – فتح الباري، ١/١٢٩.

(٤) – انظر: عثمان بن علي حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، ١/١٦٣.

(٥) – انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦٢.

الصحيح"[١] ولقد اهتم الإسلام بالعقل البشري، ووجهه إلى النظر في ما خلق الله في كونه وخلقه، ليستجلي العبر والحكم والأسرار، قال الله ﷻ: ﴿ **قل انظروا ماذا في السَّماوات والأرض**﴾[٢] وقال الله ﷻ: ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾[٣] وقال الله ﷻ: ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**﴾[٤] قال ابن عاشور: " والقلوب مراد بها العقول في كلام العرب لأن القلب سبب إمداد العقل بقوة الإدراك"[٥] وقال ﷻ: ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾[٦] ولا شك أن إكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاعتناء به[٧] قال ﷻ: ﴿ **وما يذكَّر إلا أولو الألباب**﴾[٨] واللُّبُّ في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه[٩] وإنما سمي العقل لباً لأن اللب هو محل الحياة من الشيء وخاصته وفائدته، وإنما حياة الإنسان الخاصة به هي حياته العقلية[١٠]، وعقل الشيء: معرفته بدلائله، وفهمه بأسبابه ونتائجه[١١]، ولئن كان الإنسان معرضاً للغفلة بحكم طبعه وهواه، فإن الله ﷻ قد منحه وألهمه القدرة على التدبر والتأمل بعقله الذي

---

(١) - مجموع الفتاوى، ١٢/٨٠، ١١ ٤٩٠ وانظر لمؤلف ذاته، درء تعارض العقل والنقل، ١/١٤٧ .

(٢) - سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٣) - سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٤) - سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٥) - التحرير والتنوير، ج٧/٢٣٤.

(٦) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

(٧) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١/٢٥٠.

(٨) - سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٩) - بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/ ٦٤.

(١٠) - انظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٤/٢٩٨.

(١١) - انظر: المرجع السابق، ج٢/٩٢.

يصحح غلط الحواس والمشاعر[١]، سئل أحد الأعراب: بما عرفت أنه رسول الله ﷺ ؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته ينهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال: ليته أمر به[٢]

وفي سيرة النبي ﷺ أمثلة للحوار العقلي المفيد المؤدي إلى الاقناع،« **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا ؟ قَالَ حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَق ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[٣] لقد كان النبي ﷺ يعالج مشكلات كثير من المدعوين من خلال مخاطبة عقولهم، ودفعهم نحو التفكير، في المسائل الصغيرة والكبيرة، ومن ثم تتم الاستجابة لما قاله ﷺ، ولما جاءه رجل ولد له غلام أسود فاستغرب ذلك وظن بامرأته ظن السوء، أقنعه النبي ﷺ من خلال الحوار العقلي الناضج الذي عالج المشكلة بأيسر الأسباب، إنه ﷺ لم يقبل قول الرجل على علاته، كما أنه لم ينكر عليه مقالته إنكاراً مباشراً ؛ وإنما حاوره بطريق إقناعي ذاتي في نفسه، وذلك حين ضرب له مثلاً حسياً يعرفه في حياته اليومية، ليبين له خطأ ظنه الذي ذهب إليه،[٤] ولقد زال الشك من نفسه، وأذعن للحق لما سمعه من النبي ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: " وفي الحديث ضرب المثل، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل،... وأن الرجل جاء مستفتياً، عن الحكم لما وقع له من الريبة، فلما ضرب له المثل أذعن "[٥] وكثيراً ما يكون التأمل العقلي دافعاً للاستجابة، ولعل فيما ذكره الفخر الرازي ما يؤيد ذلك، قال رحمه الله: "كان أبوحنيفة رحمه الله سيفاً على الدهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه، فبينما هو يوماً في مسجده قاعداً إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة، وهموا بقتله، فقال لهم: أجيبوني عن

---

(١) - انظر: المرجع السابق، ج١/٦٣.

(٢) - ابن القيم، التفسير القيم، ص ٢٧٩،وانظر: للمؤلف ذاته، مفتاح دار السعادة، ج٢/٦ .

(٣) - سبق تخريجه. انظر: ص ٢٨٧ .

(٤) - انظر: عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي ﷺ، ص ٤٥٤.

(٥) - فتح الباري، ج٩/٤٤٤.

مسألة ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له: هات، فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل ! فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله ! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا محرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ ؟ فبكوا جميعاً وقالوا: صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا"[1].

ولا شك أن من مقتضيات العقل الراجح اختيار الأولى، وإيثار ما حقه الإيثار، فهؤلاء الأنصار ﷺ نموذج حي للمدعوين العقلاء، لما التقوا بالنبي ﷺ وعرض عليهم الدعوة الجديدة، نراهم يراجعون حساباتهم، ويقايسون بين المصالح والمفاسد، ويتأملون ما كانوا يسمعونه على ألسنة اليهود الذين معهم في المدينة، وكانوا كلما حصل بينهم نزاع أو خصام توعدهم اليهود بالنبي الموعود، ولم يكونوا ليفوتوا هذه الفرصة التي ساقها الله إليهم، فلما التقوا بالنبي ﷺ أخذوا يراجعون ذواتهم مراجعة دقيقة، ويستخدمون ما وهبهم الله من قدرات عقلية في تأمل الحق، ولا ريب أن قوماً تلك خصائصهم يقدرون في الغالب على تبيُّن ضوء الحق عندما يلقى على أسماعهم، وعندما يكونون في موقف يتطلب التفكير يتخذون الموقف السليم الذي يدفع إلى الاستجابة للحق بكل قناعة[2]، ويتبين ذلك من خلال الحوار الذي تم بين النبي ﷺ وبين الأنصار ﷺ: « **قال لهم رسول الله ﷺ: من أنتم ؟** » قالوا: نفر من الخزرج. قال: «**أمن موالي يهود؟**» قالوا نعم. قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم ؟**» قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال ابن هشام: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان،

---

(١) – تفسير الفخر الرازي، ج٢/١٠٨ .

(٢) – انظر: عبد الله يوسف الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص ٣٨٧ .

وكانوا قد غلبوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتّبعُه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: ياقوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك»[1] لقد آمنوا أعمق الإيمان وأصدقه بهذا الدين الجديد، بدليل تحولهم في لحظتهم تلك إلى دعاة همهم تبليغ هذه الدعوة إلى من خلفهم، وإسلام الأنصار مثل لانتشار الإسلام عن طريق الفكر الحر، والاقتناع الخاص، والإدراك العقلي للحق[2] وإن إدراك الخزرج لظروفهم، وللجو المحيط بهم هو ضرب من التأمل العقلي الناضج، ذلك الإدراك الذي دفعهم لاستعمال عقولهم استعمالاً حسناً، جعلهم يرون الحق بوضوح أكثر من القبائل التي أعماها الهوى عن رؤيته جلياً واضحاً، وهذا الموقف تلمسه في مواقف الأنصار الدعوية منذ أول لحظة التقى فيها أبو الحيسر أنس بن رافع[3] ومن معه بالنبي ﷺ، وكان هدف مجيئهم آنذاك طلب حلف قريش ضد قومهم الخزرجيين، فقال لهم النبي ﷺ: « **هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ لا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ كِتَابٌ، ثُمَّ ذَكَرَ الإسلام وَتَلاَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ غُلاَمًا حَدَثًا أَيْ: قَوْمِ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ**»[4] نعم هو خير من الإحن والعداوات التي مزقت بيوت الأوس والخزرج في سنوات من الحرب العجاف التي أكلت

---

(١) - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٧٠، ٧١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/٣٠٨. انظر تخريجه: ص ١٦٠ من البحث.

(٢) - محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ١٥٩.

(٣) - سبقت ترجمته، ص ٢٢٥.

(٤) - انظر: تخريجه: ص ٢٢٥ .

الأخضر واليابس، وكان قدوم أبي الحيسر قبل الهجرة بخمس سنين[١]، وإن المعاناة التي كانوا يعانونها من تلك الحرب الجاثمة على الصدور سنوات طويلة، جعلتهم يؤثرون الخلاص من ذلك المصير البائس، مما دفعهم إلى التفكير الجدي القائم على الإدراك الكامل لأحقية هذه الدعوة، وما تحمله من بشرى في التخلص من ذلك الواقع الذي كان نتيجة لغياب الرشد العقلي الهادي إلى الصراط المستقيم.

وهكذا تبين لنا من مواقف الأنصار ﷺ كيف يكون العقل المتأمل والمتدبر والمتخلص من أسر الهوى مقوياً لدوافع الاستجابة، إذا أحسن المدعو استخدام مواهبه استخداماً سليماً[٢]، وإذا كان ذلك الموقف حصل لجماعات من الناس، فإنه في الوقت ذاته يتكرر مع الأفراد ذوي العقول الراجحة، « **وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ ؟ قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفَ فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلاَّ خَيْرٌ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمُ، فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ: فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو ابْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ**

---

(١) - ابن حجر، فتح الباري، ج٧/١١١ .

(٢) - انظر: عبد الله يوسف الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص ٣٨٣ .

أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلادِكَ شَيْئًا ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا فَأَعْطِنِيهِ لأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا. قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوِ انْشَقَّتْ لِيَ الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، فَقَالَ لَهُ:أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ قَالَ: قُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الإِسلام قَالَ: نَعَمْ فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسلام ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلاَمِي، ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ أَذْهَبُ وَاللَّهِ أُسْلِمُ فَحَتَّى مَتَى قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلاَّ لأُسْلِمَ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلاَ أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:يَا عَمْرُو بَايِعْ فَإِنَّ الإِسلام يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ لاَ أَتَّهِمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا أَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَا»[1]،ويؤكد الحافظ ابن حجر في رواية عن الزبير بن بكار، تلك العقلية التي تمتع بها عمرو بن العاص رضي الله عنه، حينما وصل الأمر ذروته، ووقف أمام الحق وجهاً لوجه، وأخذ يعيد النظر في أمر هذا الدين، ويتدبر حاله، حتى انزاحت حجب الباطل وقتامته عن بصيرته، يتبين ذلك حينما سأله

---

(١) - أخرجه أحمد في المسند. ج١٣/٤٩٣. رقم ١٧٧٠٥. قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وانظر: ابن كثير. البداية والنهاية. ج٤/٢٣٦.

رجل قائلاً: " **ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت في عقلك ؟ فأجابه: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقَدُّم، وكانوا ممن توازن حلومهم الجبال، فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه قلَّدْنَاهُم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بيِّن، فوقع في قلبي الإسلام، فعرفت قريش ذلك من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه، فبعثوا إلى فتىً منهم فناظرني في ذلك فقلت: أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك: أنحن أهدى، أم فارس والروم؟ قال: بل نحن أهدى. قلت: فنحن أوسع عيشاً أم هم ؟. قال: هم. قلت: فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء، وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد ﷺ – من أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته – حق، ولا خير في التمادي في الباطل**"[1].

والرجال الكبار هم أصحاب العقول الكبيرة، والمواقف الجليلة، منهم خالد بن الوليد الذي تُعَدُّ قصة إسلامه مثالاً آخر للتفكير العقلي الرشيد الذي يقود إلى الهداية، حيث قدم على النبي ﷺ وحياه بتحية النبوة، فلما أسلم قال له النبي ﷺ: « **قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير**»[2] ويحدث عن نفسه رضي الله عنه فيقول:" **لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضرني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ، فليس في موطن أشهده إلا انصرف، وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء، وأن محمداً سيظهر.... فلما صالح قريشاً بالحديبية، قلت في نفسي: أي شيء بقي ؟ أين أذهب إلى النجاشي ! فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم في عجم، فأقيم في داري بمن بقي، فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية، فتغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية،**

---

(١) – الإصابة في تمييز الصحابة، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٥٣ م)، ج٥/٢.

(٢) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤/٢٥٢.

فطلبني فلم يجدني، فكتب إلي كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال: أين خالد ؟ فقلت: يأتي الله به، فقال: مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة"[1] لقد كانت معاني الإيمان والكفر تحتدم في نفسه، والصراع على أشده، وكانت الأحداث والانتصارات التي تحققها الدعوة تزيد القناعة بأمر هذا الدين الجديد، حتى أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: " **إني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً**"[2] إن الوصول إلى ذلك الحكم كان نتيجة تأمل في سير الإسلام وموقفه من خصومه، وشاء الله عز وجل أن يفتح مغاليق تلك القلوب لتلقي مكة بأفلاذ أكبادها عندما أسلم أولو الأقدار من الرجال، من أمثال خالد، وعمرو بن العاص، ولربما كان للباطل صولات وجولات، تتمثل في مزيد من الكذب والبهتان والافتراء والدس، الذي يمارسه ويروجه خصوم الدعوة في كل زمان ومكان، مما يلقي في روع المتعجل غير المتدبر شيئاً من الشكّ والحَيْرة في أمر الدعوة والداعية، وهو الذي حصل مع الطفيل بن عمرو الدوسي[3]، حينما قدم مكة، والحرب الإعلامية على الدعوة كانت ماتزال على أشدها، وهو ما تبينه قصته التي يرويها بنفسه حيث يقول رضي الله عنه:" **كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة، فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد، وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل، فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يُدْخِل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنه فرَّق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وابنه، فوالله مازالوا يحدثوني شأنه، وينهوني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني، قال:**

---

(١) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) - المصدر السابق، ج٤/٢٣٦.

(٣) - الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة دوس، ودوس بطن من الأزد، وهو من الصحابة السابقين إلى الإسلام، كان سيداً مطاعاً من أشراف العرب، أسلم قبل الهجرة بمكة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٤٤.

فعمدت إلى أذني، فحشوتها كرسفاً[١]، ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ، قائماً في المسجد، فقمت قريباً منه، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، وإني امرؤ ثبت، ما تخفى علي الأمور، حسنها وقبيحها، والله لأتسمعن منه، فإن كان أمره رُشْداً أخذت منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكرسفة، فلم أسمع قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلت: يا سبحان الله ! ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن ولا أجمل منه، فلما انصرف تبعته، فدخلت معه بيته، فقلت: يامحمد ! إن قومك جاؤوني فقالوا لي: كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض علي دينك، فعرض علي الإسلام فأسلمت"[٢] إن إسلام الطفيل ﷺ مثال للعقل الراجح المتجرد عن الهوى، والذي حاول أن يستكشف الأمور بنفسه، ويسجتلي الخبر على حقيقته، بعيداً عن الدعاية المضللة التي كادت تصده عن الدعوة، وإن استخدام المدعو لعقله في التمييز بين الحسن والقبيح لهو من أهم الأمور التي تظهر معادن الرجال وشخصياتهم، والذين لا يكتفون بما يقوله الناس في الأحداث والأشخاص، وإنما يستخدمون ما وهبهم الله من عقول في الحكم على الأمور، يتضح هذا في قول الطفيل ﷺ، لما أكثر عليه المشركون في شان النبي ﷺ، لدرجة أنه وضع في أذنيه القطن، مبالغة في الحيطة والحذر قال: " **فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، وإني امرؤ ثبت، ما تخفى علي الأمور، حسنها وقبيحها، والله لأتسمعن منه، فإن كان أمره رُشْداً أخذت منه، وإلا اجتنبته** "، لقد سبق استجابته للحق نظر فاحص فيما يقوله النبي ﷺ، وما يدعو إليه، فهداه الله عن طريق استخدام طاقاته العقلية للإسلام، وقويت في نفسه دوافع الاستجابة، وانجابت الحيرة وزال الشك، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يخاطب عقول المدعوين من خلال الحوار العقلي، الذي يجعل المدعو يقف مع الحق وجهاً لوجه، ثم لايلبث أن يسلم، ويكون جندياً مخلصاً من جنود الدعوة، يتبين ذلك من خلال

---

(١) - الكرسف: القطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة: كرسف، ج٩/٢٩٧.

(٢) - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/ ٣٤٥، ٣٤٦، وانظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/ ٤٦١، ٤٦٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢١، ٢٢.

هذه الحادثة المروية« **عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَوْ قَالَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِلاَمَ تَدْعُو ؟ قَالَ: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ، عَنْكَ وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ فَأَضْلَلْتَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَالَ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُ: لاَ تَسُبَّنَّ شَيْئًا أَوْ قَالَ أَحَدًا شَكَّ الْحَكَمُ قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعِيرًا وَلاَ شَاةً مُنْذُ أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ مُنْبَسِطٌ وَجْهُكَ إِلَى أَخِيكَ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، وَأَفْرِغْ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَاتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»**[1]، ولا شك أن إسلامه ربما جاء نتيجة للاقتناع الفطري والعقلي في آن واحد، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "**كان العقلاء في عهد النبي ﷺ إذا سمعوا كلامه ﷺ وما يدعو إليه، عرفوا أنه صادق، وأنه جاء بالحق، وإذا سمعوا كلام مسيلمة، عرفوا أنه كاذب، وأنه جاء بالباطل، وقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمعه قبل إسلامه يدَّعِي أنه أُنزِلَ عليه: ياوير ياوير، لَكِ أُذنان وصدر، وإنك لتعلم ياعمرو، فقال: والله إني لأعلم أنك تكذب**"[2]، وهذا أحد المهتدين في عصرنا الحاضر يتساءل قائلاً: ماهو أجمل ماراقني في الإسلام ؟ وما هو – على وجه التحديد– ذلك الشيء الذي اجتذبني إلى الإيمان به ؟ فيجيب قائلاً:" إن الإيمان بوجود إله واحد فكرة مقنعة لكل العقول المفكرة، وأنه الله الذي يحتاج إليه الخلق جميعاً ﴿**لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**﴾؛ وأنه متصف بأكمل الكمال في الحكمة والقوة والجمال ؛ ليس لبره ورحمته حدود"[3] وهذه مهتدية أخرى

---

(١) – أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٦/٥٥٤، رقم ٢٣٠٩٨. قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٢) – جامع العلوم والحكم، ج١/٢٨٥.

(٣) – لماذا أسلمنا، ص ١١٠.

تقرر أثر الإدراك العقلي في تحقيق الاستجابة، وأن أي دين لا يملك ما يملكه الإسلام في قبول الناس له وإقبالهم عليه، مما جعلها تقرر وتقول:"لا أعلم ديناً آخر يقبله العقل ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة. ويبدو لي أنه ما من طريق أقرب منه إلى الاقتناع العقلي في الحياة، ولا أعظم منه أملاً للنجاة في الحياة الآخرة"[1].

وهكذا اتضح لنا جلياً أثر الإدراك العقلي في تقوية دوافع الاستجابة.

---

(١) - المرجع السابق، ص ١١٥، ١٢٠.

المبحث الثاني:الداوفع المكتسبة

سبق القول بأن دوافع الاستجابة في المدعو، لا تعمل منفصلة بعضها عن بعض بل إن الدوافع المكتسبة مكملة للدوافع الذاتية، ومن جملة تلك الدوفع المكتسبة، دافع الإيمان بالغيب، الذي يقوى ويتغلغل في النفوس، ويحدث أثره الكبير في تحقيق الاستجابة، وكذلك العلم بالحق، علماً يفرق به المدعو بين الحق والباطل، ويجعله يدرك دلائل الحق ومناراته، وقد وردت نصوص تبين وجود تلك الدوافع، ففي بيان دافع الإيمان بالغيب قال الله ﷻ: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾[1] وقال ﷻ:﴿إن تسمع إلاَّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[2]« وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[3] فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَامَ الصَّلاةَ نَادَى لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[4] قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»[5]وفي بيان دافع العلم بالحق قال الله ﷻ: ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي

---

(١) - سورة الأنعام، الآية: ٩٢ .

(٢) - سورة الروم، الآية: ٥٣.

(٣) - سورة النساء، الآية: ٤٣ .

(٤) - سورة المائدة، الآية: ٩١ .

(٥) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ج٨/٢٨٦، رقم ٥٥٤٠، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، =

أنزل إليك من ربك هو الحقَّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾[١] قال الله ﷻ: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب ﴾[٢] وقوله ﷻ: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سجَّداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾[٣]

واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع ستكون على النحو الآتي:

المطلب الأول: دافع الإيمان بالغيب.

المطلب الثاني: دافع العلم بالحق .

=

باب ٦ من سورة المائدة، و أحمد في المسند، ج١/٣٢٢، رقم٣٧٨، وصححه أحمد شاكر، وصححه الألباني. صحيح سنن الترمذي، ج٣/٤٦، رقم ٢٤٤٢.

(١) - سورة سبأ، الآية: ٦.

(٢) - سورة الرعد، الآية: ٣٦.

(٣) - سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ - ١٠٩.

المطلب الأول: دافع الإيمان بالغيب

ويقصد بالإيمان بالغيب ما غاب عن الحس، ويدخل فيه الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والقدر خيره وشره[١]، كما في الحديث«**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ؟ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** »[٢] وعرف ابن القيم الإيمان بأنه:" حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً وباطناً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان"[٣] والإيمان بالغيب له علاقة كبيرة باستجابة من يستجيب، ذلك أن من يعتقد بوجود العالم الغيبي، ويوقن بقدوم الآخرة، يكون مهيئاً بإذن الله ﷻ لقبول الدعوة، والإيمان بالغيب من أخص أوصاف المؤمنين كما في قوله ﷻ: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾[٤] وذكر الإيمان بالغيب دون غيره من الصفات ؛ لأنه هو الأصل في اعتقاد ما أخبرت به الرسل عليهم السلام عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء سهل عليه إدراك أدلة الحق، أما من لايعتقد بوجود عالم آخر غير العالم المادي فإنه يكون أشد الناس إعراضاً، كما هو حال الماديين في كل زمان ومكان[٥] مصداقاً لقول الله ﷻ: ﴿ **وإذا ذكر اللهُ وحده اشمأزَّت**

---

(١) - انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣/٢٣٢، ٢٣٣، ج١٤/٥٢، ٥٣، وانظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج٢/٣٥.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٣٥ .

(٣) - ابن القيم، الفوائد، ص ١٢١ .

(٤) - سورة البقرة، الآية: ٢ - ٥ .

(٥) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١/٢٣٠ .

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[١] ويخطىء من يظن أن الإيمان هو اعتقاد قلبي لايتبعه عمل، بل لابد من عمل يصدقه ويعبر عن رسوخه واستقراره ؛ لأنَّ الإيمان يستلزم الأعمال[٢] وعلى رأسها الاستجابة للحق، إذ لو كان الإيمان مجرد التصديق الذي لايكون معه عمل يصاحبه، لكان فرعون واليهود وإبليس من خيرة المؤمنين[٣]. وذلك الإيمان يستلزم أعمالاً ظاهرة، كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغيرها من أركان الإسلام، وما أمر الله به من البر والتقوى، ويستلزم أعمالاً قلبيةً كحب الله ورسوله، وخشيته، وحب ما أمر الله به، وبغض ما نهى عنه، وهذا من أخص الأمور بالإيمان، ولهذا ذكر النبي ﷺ في الحديث «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ**»[٤] فهو يحب الحسنة ويفرح بها، ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها، وهذا من أخص خصائص الإيمان[٥] وقد قال رسول الله ﷺ:« **إن للإسلام صوىً ومناراً كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتسلم على بني آدم إذا لقيتهم، فإن ردُّوا عليك، ردَّت عليك وعليهم الملائكة، وإن لم يردوا عليك ردَّت عليك الملائكة ولعنتهم إن سكت عنهم، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، فمن انتقص منهن شيئاً، فهو سهم في الإسلام تركه، ومن تركهن، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره**»[٦]،قال شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً تلك القضية:" فمثل العمل من الإيمان كمثل

---

(١) - سورة الزمر، لآية: ٤٥.

(٢) -انظر: ابن تيمية، الإيمان، ص ٢٥٧.

(٣) - المرجع السابق، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤/٤٦٦، رقم ٢١٦٥ قال: الترمذي:حديث حسن صحيح من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، ج٢ ٧٩١، رقم ٢٣٦٣. قال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن ابن ماجة، ج٢/٤٣، رقم ١٩١٣، السلسلة الصحيحة رقم ٤٣٠، ج١/٧١٧، ورقم ١١١٦، ج٣/١٠٩.

(٥) - شيخ الإسلام ابن تيمية، الإيمان، ص ٢٩٠.

(٦) - أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، كتاب الإيمان، ج١ ٧٠، رقم ٥٢ وقد ورد بلفظ « إن للإسلام ضوءاً ومناراً » وقد ذكر شعيب الأرنؤوط: أن ذلك تحريف والصحيح صوىً، انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج١ ١٠٠، هامش: ١.

=

الشفتين من اللسان لا يصح الكلام إلا بهما، لأن الشفتين تجمع الحروف، واللسان يظهر الكلام، وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام، وكذلك في سقوط العمل ذهاب الإيمان"(١)

وقد وردت نصوص تبين أثر الإيمان بالغيب في تحقيق دوافع الاستجابة قال الله ﷻ: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ (٢) ، وقال ﷻ: ﴿ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾(٣) وفي قصة الجن مع القرآن لما سمعوه وآمنوا به - حين التقوا بالنبي ﷺ - دفعهم ذلك الإيمان إلى الاستجابة التامة للدعوة، بدليل ما قاموا به من تبشير وإنذار لبني قومهم، قال الله ﷻ: ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾(٤) وقوله ﷻ: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾(٥) ولذلك كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أعظم الناس استجابة وتصديقاً للنبي ﷺ، ولما

=

وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٦٢، ج١/٤٣٢.

(١) - الإيمان، ص ٣١٧ .

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ٩٢ .

(٣) - سورة الروم، الآية: ٥٣.

(٤) - سورة الجن، الآيتان: ١، ٢.

(٥) - سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

أسري بالنبي ﷺ وارتد من ارتد مستبعداً وقوع ذلك ذهب بعض المشركين وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: « **هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ؟ قال: أو قال ذلك ؟ قالوا: نعم قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي الصديق** »[1] لم يكن الذي ينقص أبابكر رضي الله عنه دليل أو برهان، وإنما مجرد التأكد من أنه ﷺ قال بذلك فهو كاف للتصديق، ولا شك أن ذلك من آثار الإيمان الراسخ. والإيمان بالغيب أصل الإيمان، وهو من أقوى الدوافع المكتسبة للاستجابة، قال ﷻ: ﴿**وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون**﴾[2] أي أنذر بالقرآن أولئك الذين يتوقع في الجملة منهم الانتفاع، ويرجى منهم القبول والسماع، وهم المشار إليهم بقوله ﷻ: ﴿**الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**﴾[3] وفي الآية تعريض بأن المشركين لاينجع فيهم الإنذار ؛ لانطماس بصائرهم بفقد الإيمان بالحشر فكيف يخافونه[4]، ولا تناقض بين الأمر بهذا الإنذار الخاص وبين عموم الإنذار العام في رسالته ﷺ، وإنما هو توجيه لمزيد الاهتمام بهذه الفئة ؛ لأنهم أجدر من غيرهم بفهم حقيقة الرسالة والانتفاع بنذر الرسول ﷺ[5] وهو مماثل لقول الله ﷻ: ﴿ **إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير**﴾[6] وقوله ﷻ: ﴿ **إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب**

---

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ج٣/٦٥، رقم ٤٤٠٧ .

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ٥١ .

(٣) - محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٤/١٤٨، ١٤٩، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/١٢٧.

(٤) - نظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧ ٢٤٤.

(٥) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٧/٤٣١.

(٦) - سورة فاطر، الآية: ١٨.

فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾[٢] .

والإيمان هو الدافع للعمل، بل هو روحه، والباعث عليه،والآمر بأحسنه،والناهي عن أقبحه،وعلى قدر قوة الإيمان،يكون أمره ونهيه لصاحبه،وائتمار صاحبه وانتهاؤه قال الله ﷻ: ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾[٣]وقال الله ﷻ:﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾[٤] قال الشيخ السعدي:"فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن، ومن نقصت طاعته لله ورسوله فذلك لنقص إيمانه"[٥] كما أن الانتفاع بالقرآن إنما يكون لمن آمن به خاصة[٦] قال الله ﷻ:﴿ هدى وبشرى للمؤمنين﴾[٧]،وقال الله ﷻ:﴿ وإنه لهدىً ورحمةٌ للمؤمنين﴾[٨]،والهدى هو الدلالة [٩]، قال الحافظ ابن كثير:" إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدَّقه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وأيقن بالدار الآخرة، والبعث بعد

---

(١) - سورة يس، الآية: ١١.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

(٣) - سورة البقرة، الآية: ٩٣، وانظر: عبد المنعم العلي العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص ٦١١.

(٤) - سورة الأنفال، الآية: ١.

(٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣/١٤٢.

(٦) - انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ)، ج١/٢١.

(٧) - سورة النمل، الآية: ٢.

(٨) - سورة النمل، الآية: ٧٧.

(٩) - فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢/٢٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١/١٨٧.

الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة والنار، كما قال ﷻ: ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾[١] وقال ﷻ: ﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾"[٢]،ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية، أن الاهتداء بالقرآن، وتقوية الاستجابة في النفوس، يقتضي محلاً قابلاً في ذات المدعو، يتمثل فيما تكنه القلوب من الإيمان، والتقوى، واليقين " إذ الكلام لا يؤثر فيمن لا يكون قابلاً له، وإن كان من شأنه أن يهدي ويعظ، ويرحم، وهذا حال كل كلام"[٣]، وقال رحمه الله: "والداعي وإن كان صالحاً نا صحاً مخلصاً فقد لا يستجيب المدعو لا لنقص في الدعاء لكن لفساد في المدعو"[٤] ويبين الإمام ابن القيم معنى تلك الهداية بقسميها البياني والتوفيقي، وأن حقيقتها " تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهراً وباطناً، ثم خلق القدرة على القيام بموجبات الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة " ثم قال:"وللهداية مرتبة أخرى وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة"[٥] ويؤكد" أن العبد إذا آمن بالكتاب وصدَّق به كان ذلك سبباً لهداية أخرى، وأن الهداية لانهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ، ففوق هدايته هداية أخرى إلى غير غاية، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية مادام في مزيد من التقوى. وكلما فوَّت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بسببه"[٦] وذلك أن الإيمان هو الذي يحقق الحياة بالاستجابة لله تعالى ظاهراً وباطناً، وتلك الحياة هي" حياة قلبه وروحه التي يميز بها بين الحق والباطل، والغي والرشاد، والهدى والضلال، فيختار الحق

---

(١) - سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٢) - سورة مريم، الآية: ٩٧ ، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٣٤٤.

(٣) - مجموع الفتاوى، ج١٦/١٥، ٥٨٧.

(٤) - المصدر السابق، ج١٦/٥٨٧.

(٥) -عبد المنعم العني العزي، تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٤، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٤/٣٧، ولمعرفة مزيد من معاني الهداية، انظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١/١٨٧ - ١٨٩ .

(٦) - انظر: ابن القيم، الفوائد، ص ١٤٦ .

على ضده، فتفيد هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار في العلوم والإرادات والأعمال، وتفيد قوة الإيمان والإرادة والحب والحق وقوة البغض والكراهة للباطل"(١) ومع تحقق تلك الحياة تنمو دوافع الاستجابة في نفس المدعو، ويتفاعل مع الدعوة، كما قال الله ﷻ: ﴿لينذر من كان حياً﴾(٢)، وذكر ابن عاشور في قوله:﴿حياً﴾: بأن ذلك مستعار لمن كان كامل العقل والإدراك، وهو تشبيه بليغ أي: من كان مثل الحي في الفهم(٣)، وقال الله ﷻ:﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾(٤) قال الإمام الشوكاني:" ينتفع به المتقون خاصة، فيقتدون بما فيه من الأوامر، وينزجرون عما فيه من النواهي، وأما غير المتقين فإن الله قد ختم على قلوبهم"(٥).

وموقف النجاشي في الحبشة مثل آخر للاستجابة للحق بدافع الإيمان بالغيب، قال الله ﷻ:﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾(٦) قال ابن كثير:" قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأعليهم ﴿يس * والقرآن

---

(١) - الفوائد، ص ١٠١، ١٠٢ .

(٢) - سورة يس، الآية: ٧٠.

(٣) - التحرير والتنوير، ج٢٣/٦٦ .

(٤) - سورة النور، الآية: ٣٤ .

(٥) - فتح القدير، ج٤/٣٠.

(٦) - سورة القصص، الآيات: ٥٢ - ٥٥، تعددت أقوال المفسرين فيمن نزلت فيه تلك الآيات لمزيد من التفصيل، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣/٢٩٦، الشوكاني، فتح القدير، ج٤/١٧٨.

﴿الحكيم﴾[١] حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم الآية الأولى المذكورة قبلها ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾[٢]، وروى محمد بن إسحاق في السيرة: « ثم قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عمَّا أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقال لهم: خيَّبَكُم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم. وصدقتموه بما قال ! ما نعلم ركباً أحمق منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً » قال: ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران. فالله أعلم أي ذلك كان. قال: ويقال: والله أعلم فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . . الخ﴾ قال: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن أنزلن؟ قال: مازلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه. والآيات اللاتي في سورة المائدة ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾[٣] وقد ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في أسباب

---

(١) - سورة يس، الآيات: ١ - ٢.

(٢) - تفسير القرآن العظيم، ج٣/ ٣٨٠ .

(٣) - سورة المائدة، الآيتان: ٨٢، ٨٣، وانظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٣٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦/ ٢٥٥.

نزول هذه الآيات[١] قال الفخر الرازي: "والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من حصل في حقه تلك كان داخلاً في الآية"[٢] والآيات بلا شك تتحدث عن نفوس صافية، سمعت القرآن لأول وهلة فآمنت به إيماناً جعلها تحتمل في سبيله كل ما تلقاه من جهل الجاهلين وسفاهة السفهاء ، وهو مثال على تشبث تلك النفوس بالحق التي عرفته، حيث جادلوا عما آمنوا به، واعتقدوه، مما جعلهم يردون على أبي جهل رداً معبراً عن مدى الصدق في الإيمان، وفي ذلك إرشاد إلى أن نجاح المشروع الدعوي مرهون - بإذن الله - بعمق قناعة المدعوين بالحق الذي يعتنقونه، فإذا وصلت القناعة إلى حد الاعتقاد الجازم عندئذ تعز الدعوة في النفوس، وتسترخص كل ما تملك في سبيل تبليغ الدعوة ونجاحها، ولا تستجيب للإغراء والتهديد، وإذا كان هذا هو موقف غير المسلمين ابتداءً، فإن أثر الإيمان بالغيب في تحقيق الاستجابة لدى المؤمنين أصلاً، يعد من أقوى الآثار، لقد كان الإيمان هو الذي قوى دوافع الاستجابة في نفوس الجيل الأول من الصحابة، حيث تركوا أحب الأمور إلى نفوسهم، ودخلوا في السلم كافة، ومن أمثلة ماتركوه بطواعية واختيار شرب الخمر الذي كان يتغنى به العربي، في شعره ومنتدياته من شدة التعلق به، لقد كانت التربية الإيمانية التي تجعل حب الله مقدماً على كل محبوب مهما كانت درجة ذلك المحبوب، هي القاعدة التي ينبني عليها كل سلوك سوي، وهي المحرك الرئيس لدوافع الاستجابة، ذلك أن الإيمان يستلزم الاستجابة[٣] مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿**إنما كان قول المؤمنين**

=

٢٥٦. وانظر: ابن حجر العسقلاني. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، (ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ). ج٤/٢٥٤ .

(١) - انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج٢٠/١٤٣. الفخر الرازي. تفسير الفخر الرازي. ج٢٤/٢٦٢. السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج٦/٤١. الشوكاني. فتح القدير. ج٤/١٧٩.

(٢) - تفسير الفخر الرازي. ج٢٤/٢٦٢.

(٣) - شيخ الإسلام ابن تيمية، الإيمان، ص ٢٠٨.

إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾[١] فقد أبطلت تلك العادة المستحكمة، ببضع آيات من القرآن الكريم، وأكد المؤمنون استجابتهم لله ورسوله " لما جاء هم الحق اليقين والتحريم الجازم، وأهرقوا جميع ما كان عندهم من الخمور في الشوارع والأزقّة حتى ظل أثرها وريحها زمناً طويلاً "[٢]، وربما لو بذلت الأموال الطائلة لتحقيق ذلك لما تم شيء من ذلك البتّة، لأن الإيمان أمره عجيب كله، ومتى استقر حب الله في النفوس، استقر معه في الوقت ذاته النظام الذي يحبه الله « **وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾**[٣] **فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَامَ الصَّلاةَ نَادَى: لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾**[٤] **قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا** »[٥]، بل إن تلك الاستجابة لتتم على الفور دون تراخ أو فتور، بين الرجال والنساء « **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا** »[٦]. وإذا كان ذلك شأن نساء المهاجرين

---

(١) – سورة النور، الآية: ٥١ .

(٢) – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٦٦/٧ .

(٣) – سورة النساء، الآية: ٤٣ .

(٤) – سورة المائدة، الآية: ٩١ .

(٥) – انظر تخريجه: ص٣١٥.

(٦) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، باب ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾، ج٤٨٩/٨، رقم ٤٧٥٨، ٤٧٥٩.

فإن نساء الأنصار يضربن مثلاً آخر في سرعة الاستجابة لله ورسوله « **عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ خَرَجَ نِسَاءُ الأَنْصَارِ كَأَنَّ على رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الأَكْسِيَةِ** »[1] ولئن كان ذلك في ميدان الالتزام بما أمر به الإسلام، فإن ثمة جوانب أخرى من الحياة تحققت فيها الاستجابة في أقوى صورها، وأشدها وضوحاً وبرهاناً على أثر الإيمان، ذلك هو جانب الدفاع عن الدعوة والجهاد في سبيلها، وهو ما تحقق لرجل من الأنصار يقال له الأصيرم[2]، تأخر إسلامه باختياره حتى جاءت غزوة أحد فدخل في قلبه الإسلام، فانقلب مجاهداً في سبيل الله في لحظته تلك التي أشرق فيها قلبه، وأضاءت روحه بالإيمان فقد «**كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم أحد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم، فدخل في عُرْض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال: فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا:والله إن هذا للأصيرم، وما جاء لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث. فسألوه ما جاء به قالوا: ما جاء بك يا عمرو أحرباً على قومك أو رغبة في الإسلام ؟ قال: بل رغبة في الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني قال: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله**

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في قوله تعالى: ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾، ج٦١/٢، رقم ٤١٠١، قال عنه الألباني: صحيح. صحيح سنن أبي داود، ج٧٧٣/٢، رقم ٣٤٥٦

(٢) - عمرو بن ثابت بن وقش الأنصاري الأوسي الأشهلي، استشهد يوم أحد. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦٩٩/٣. وقد ذكر أبو داود في سننه سبب تأخر إسلامه « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ. قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ. قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ. فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ. فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو. قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا. فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَيِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِهِ أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لِلَّهِ صَلَاةً » سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يسلم ويقتل مكانه، ج٢٠/٢، رقم ٢٥٣٧، قال عنه الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٤٨٢/٢، رقم ٢٢١٢، وانظر: موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ هـ)، ص ٢٣٢ تحقيق: علي نويهض .

عليه وسلم فقال:إنه لمن أهل الجنة »[١] لقد كان موقفه ذاك معبراً عن رسوخ دوافع الاستجابة في نفسه، وتحقيق الإيمان المستلزم للعمل الجاد المثمر، ذلك الإيمان، ما إن يستقر في القلوب حتى ينسلخ الإنسان من أمور الجاهلية، وينشأ نشاةً أخرى تقوم على وفق ما يحبه الله ويرضاه، يبين ذلك ما قاله ثابت بن قيس ﷺ عندما قدم النبي ﷺ المدينة وحيداً مطارداً، واستقبله الأنصار معلنين استعدادهم لنصرة الدعوة وإيوائها كائناً ما كانت التضحيات. قال ثابت بن قيس [٢] ﷺ مؤكداً شعور إخوانه الأنصار:« **نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فمالنا ؟ قال: الجنة، قال: رضينا**»[٣] لقد كان الإيمان هو الدافع الحقيقي للإقدام على خطوة الهول تلك، والتي سيترتب عليها في المستقبل حرب الأبيض والأسود من الناس، وقد كان ذلك عبر تأريخ الدعوة الحافل بالجهد والجهاد والمكابدة.

والإيمان بالآخرة وما أعد الله فيها للمؤمنين من الثواب، يعد من أعظم مقويات دوافع الاستجابة في النفوس، حين يضحي المؤمن بحياته كلها طلباً لمرضاة الله ﷻ، وإيثاراً للآخرة على الدنيا فقد«**جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من الأعراب فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك ؟ فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غَنَم النبيُّ صلى الله عليه وسلم سبياً فقسم وقسَم له، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا ؟ قالوا قِسْم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم. فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا ؟ قال: قسمته لك قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: إن تَصْدُق اللهَ يصدقْك.فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهو هو ؟ قالوا: نعم قال:**

---

(١) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٧/٦٠، رقم ٢٣٥٢٤، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

(٢) - ثابت بن قيس بن شمّاس الخزرجي الأنصاري خطيب الأنصار و لم يشهد بدراً، شهد أحداً وبيعة الرضوان قتل ﷺ في موقعة اليمامة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٨.

(٣) - أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣/٢٦٠، رقم ٥٠٣٣، قال عنه الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

صدق الله فصدَقَه. ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك»[١] وفي هذا العصر يتجلى دافع الإيمان بالغيب في تقوية دوافع الاستجابة واضحاً كل الوضوح، فهذا أحد المهتدين كان نصرانياً يعمل في مجال الطب البشري، كان لتعاليم الكنيسة المحرفة أثر في بعده عن الجوانب الروحية، فلم تكن لتأهله للاهتداء للحق، إلا أنه كما يقول: " كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمناً بالقسم الأول من الشهادتين (لا إله إلا الله)، وآمنت بسماعي لتلك الآيات ﴿**قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد**﴾[٢] ولهذا اعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام، وكان ذلك كافياً لاقتناعي وإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين « محمد رسول الله »"[٣]

---

(١) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ج٤/٦٠، رقم ١٩٥٣، قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٢/٤٢٠، رقم ١٨٤٥.

(٢) - سورة الصمد، الآيات: ١ - ٤.

(٣) - انظر: لماذا أسلمنا، ص ٧٩، ٨٠، ٨١ .

المطلب الثاني : دافع العلم بالحق

ويقصد بالعلم هنا إدراك الحق الذي أنزل على محمد ﷺ على حقيقته، ذلك لأن المعرفة بالحق وفقهه خطوة متقدمة على الإيمان به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه. فإن الحق محبوب في الفطرة. وهو أحب إليها، وأجل ما فيها، وألذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له، فإن الفطرة لا تحب ذاك"(١) وقد وردت نصوص تبين أثر العلم بالحق في تحقيق دوافع الاستجابة، قال الله ﷻ: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾(٢) وقال الله ﷻ: ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾(٣) وقوله ﷻ: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾(٤) قال الله ﷻ: ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾(٥) قال شيخ الإسلام بن تيمية: " فمن أوتي العلم رأى أن ما أنزل إليه من ربه هو الحق"(٦) وذكر بعض المفسرين بأنهم علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى(٧)، وأن تلك الحالة التي اتصف بها الفريق

---

(١) - مجموع الفتاوى، ج١٦/٣٣٨ .

(٢) - سورة القصص، الآية: ٥٢.

(٣) - سورة الرعد، الآية: ٣٦.

(٤) - سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ - ١٠٩.

(٥) - سورة سبأ، الآية: ٦.

(٦) - درء تعارض العقل والنقل، ج٧/٤٠.

(٧) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢/٦٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢/١٤٥، الشوكاني، فتح القدير، =

المذكور، صفة الموفقين، وهم أهل العلم، الذين يجزمون ويؤمنون بأن الحق منحصر فيما أنزل الله على رسوله ﷺ، وأن ما خالفه وناقضه فهو باطل، وذلك العلم دافع إلى اعتناق الحق والاستجابة له والاعتزاز به، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً لأولي العلم[١] وقال الله ﷻ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾[٢] وهذه الآية حديث عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب،[٣] وهي إشارة إلى كون العلم ذا شأن في تحقيق دوافع الاستجابة، وأولئك المذكورون بتلك الصفة هم أهل العلم الحقيقيون، يعرفونه ويؤمنون به، ويقرون بأنه الحق[٤] وقال ﷻ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾[٥] وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى معنى دقيق في هذه الآية، وهو أن الإيمان بالرسل السابقين، وما يقتضيه من إقامة ما نزل عليهم من كتب متقدمة، مقتض للإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ومحقق للاستجابة التامة للحق الممثل في رسالة محمد ﷺ الخاتمة[٦]، وهذا الصنف من المدعوين متميز في تقويمه للأمور ونظره للأشياء، فهم فرحون مستبشرون بما أنزل الله عليهم كما قال الله ﷻ: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾[٧] وقوله ﷻ: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله

=

ج٤/٣١٣، أبو السعود، تفسير أبي السعود ، ج٧/١٢٢.

(١) - انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦/٢٦٠.

(٢) - سورة القصص، الآية: ٥٢.

(٣) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٣٧٩.

(٤) - انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦/٤١.

(٥) - سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٦) - تفسير القرآن العظيم، ج١/١٥٦.

(٧) - سورة الرعد، الآية: ٣٦.

إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾[١] وقال مجاهد:" هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد ﷺ خروا سجداً، منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام"[٢] ومما يدل على أن هؤلاء المذكورين هم أهل الكتاب قولهم الوارد في قوله ﷻ:﴿**ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً**﴾ "لأن الوعد ببعثة محمد ﷺ سبق في كتابهم، فهم كانوا ينتظرون إنجاز ذلك الوعد"[٣] وقوله ﷻ:﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**﴾[٤] وأكثر المفسرين أن الآية نزلت في نصارى الحبشة[٥] وكان موقفهم ذلك لما يعرفونه من كتبهم، أو مما يتناقلونه عن أسلافهم، في خبر هذا النبي الخاتم ﷺ، وما جاء به من دين قويم، شهدت بصحته العقول السليمة والفطر المستقيمة[٦]، فآمنوا به وتحقق فيهم قول الله ﷻ:﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم**

---

(١) - سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) - الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢١/٧٠، الشوكاني، فتح القدير، ج٣/٢٦٤، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥/٢٣٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/٣٤٠ .

(٣) - الفخر الرازي . تفسير الفخر الرازي، ج٢١/٧٠ .

(٤) - سورة المائدة، الآيتان: ٨٣، ٨٤ سبقت معالجة النص عند الحديث عن الفطرة وأثرها في تحقيق دوافع الاستجابة، وهنا يساق النص كدليل على كون العلم الذي هو إدراك الشيء على حقيقته ذا أثر في تحقيق دوافع الاستجابة .

(٥) - انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٧/٥، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٨٢، وانظر:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦/٢٥٥،وانظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٧/٣ .

(٦) - انظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٧/١٢.

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[١] والعلم بالله ﷻ وصفاته، من أعظم الأسباب في تحقيق الاستجابة، قال ﷻ: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العلم بما أنذرت به الرسل يوجب الخوف"[٣] ولا شك أن العلم بشأن النبي ﷺ وأحواله يعد مقوياً لدوافع الاستجابة، ومما يدل على ذلك ما ذكره عاصم بن عمرو بن قتادة وهو يتحدث عن سبب إسلام بعض يهود بني قريظة، أن رجلاً يهودياً من أهل الشام يقال له ابن الهَيَّبان[٤] ، لما حضرته الوفاة قال: **" يا معشر يهود ما ترون أخرجني إلى أرض الجوع والبؤس ؟ قلنا: أنت أعلم. قال: فإني قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه فلا تُسبقن إليه يا معشر اليهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء مما خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه. فلما بعث الله رسوله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباناً أحداثاً: يا بني قريظة والله إنه النبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس به. قالوا: بلى والله إنه لهو. فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم"**[٥] .

«وعن سلمة بن سلامة بن وقش[٦] قال: **كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل**

---

(١) – سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) – سورة فاطر، الآية: ٢٨ .

(٣) – مجموع الفتاوى، ج٨/٢٠٤، وللاستزادة حول معاني الآية الآنفة الذكر ، انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٥٣١، ٥٣٢ .

(٤) – الهَيَّبان من المسلمين بالصفات، يقال: قُطْنٌ هيِّبان، أي: منتفش. والهَيَّبان أيضاً: الجبان. السهيلي، الروض الأنف، ج١/٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٢٧، ٢٢٨، السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ج١/٢٤٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/٣٠٩، ٣١٠. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، (ط: دار المعرفة، بيروت)، ج١/٥٨. أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الوفاء بأحوال المصطفى، (ط: الأولى، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٦هـ)، ج١/٥٥، تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

(٦) – سلمة بن سلامة بن وقش الأشهلي الأنصاري، شهد العقبتين الأولى والثانية، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ حدث عليَّ بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال: فقال ذلك في أهل يثرب والقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت فقالوا له: ويحك أترى هذا كائناً يافلان ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة ونار ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم والذي يحلف به قالوا: يافلان ويحك وما آية ذلك قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة قالوا: ومتى نراه، قال: فنظر إلي وأنا أصغرهم سناً فقال: أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله ﷻ رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغياً وحسداً، فقلنا له: ويحك يافلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: ولكن ليس به»[1]. وإذا كان هذا الشاهد يبين لنا أثر العلم في تحقيق دوافع الاستجابة، فإن شاهداً آخر لعالم من علماء اليهود يعد مرجعاً من مراجعهم، يؤكد ذلك المعنى وهذا الرجل هو مخيريق الذي قال فيه النبي ﷺ « **مخيريق خير يهود**»[2] فقد كان يعرف رسول ا لله ﷺ بصفته، فلم يزل على دينه حتى جاء يوم غزوة أحد، وكان يوم السبت فقال لقومه: يا معشر اليهود وا لله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت. ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبي ﷺ بأحد، وأوصى بعض قومه إن قتل هذا اليوم فماله لمحمد ﷺ يصنع فيه ما أراه ا لله، فقاتل وقتل،

=

واستعمله عمر ﷺ على اليمامة، وتوفي سنة أربع وثلاثين من الهجرة. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٢٧٦، ٢٧٧.

(١) - أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ج٣/٤٧١، ٤٧٢، رقم ٥٧٦٤. وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/٣٠٩، قال شعيب الأرنؤوط: وإسناده قوي، فقد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٥٥ حاشية رقم: ٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .

(٢) - رواه ابن اسحاق بلاغاً، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ٩٤. وابن سعد في الطبقات، ج١/٥٠١، ٥٠٢ قال أكرم العمري: و لم يصح في إسلامه حديث، ولكن نص على ذلك ابن إسحاق والواقدي دون إسناد، ويؤيده ابن حجر ترجم له في الصحابة، الإصابة في تمييز الصحابة، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨٥٣ م)، ج٦/٧٣، انظر: أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢/٣٨٩، وانظر: مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأهلية، ص ٣٩٢.

وأثنى عليه النبي ﷺ خيراً[١] .

ولما كان أهل الكتاب عندهم علم من الكتب المتقدمة عن أحوال النبي ﷺ وجد من استجاب منهم للدعوة، من أحبار اليهود وغيرهم، وإن كان ذلك قليلاً فيهم حيث لم يبلغوا عشر أنفس، أما النصارى فكثير منهم يهتدون إلى الحق[٢]، أما عبد الله بن سلام[٣] فهو شاهد لما يمكن أن يحققه العلم، ومثال للعالم الذي نفعه الله بعلمه، « **لَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ عَبْدُاللَّهِ ابْنُ سَلامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا. قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ. قَالَ: فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ ؟ قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: يَا ابْنَ سَلامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ. فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذَبْتَ. فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** »[٤] إن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لم يكن شخصية عادية من عامة الناس بل

---

(١) – ابن الجوزي، الوفاء بأحوال المصطفى، ج١/٥٧، ٥٨. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٩٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٣٦. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١/٢٠٨.

(٢) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٤١٩.

(٣) – عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، كان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله، أسلم لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، وتوفي سنة ثلاث وأربعين. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣/١٦٠.

(٤) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٧/٢٤٩.

=

كان عارفاً للنبوات، والكتب المنزلة، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه: " كان حبرَهُم وعالِمَهُم"(١) بل تفيد رواية أخرى أنه ﷺ كان يترقب مبعث النبي ﷺ، ليؤمن به لما علم من أخباره، وأن ذلك العلم قوى في نفسه دوافع الاستجابة، قال عبد الله بن سلام ﷺ: « **سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه، فكنت مسراً لذلك حتى قدم المدينة، فسمعت به وأنا على رأس نخلة، فكبَّرت، فقالت لي عمتي خالدة بنت الحارث: لو كنت سمعت بموسى مازدت، فقلت: والله هو أخو موسى، بعث بما بعث به، فقالت لي: ياابن أخي هو الذي كنا نخبر أنه سيبعث مع نفس الساعة، قلت: نعم. قالت: فذاك إذاً، ثم خرجت إليه فأسلمت، ثم جئت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن اليهود قوم بهت.. الحديث**»(٢) إن استجابته لتلك الدعوة لم تكن إلا عن قناعة بالحق الذي أحسه بصفاء فطرته وعلمه، ولذا سعى لتبليغ الدعوة، وأول من بدأ به أقرباءَه، حيث دعا أهل بيته فاستجابوا للدعوة وآمنوا بها أعمق الإيمان وأصدقه، وفي العصر الحاضر نجد شواهد متعددة تؤكد أثر العلم في تحقيق دوافع الاستجابة، ومن ذلك ما يقوله أحد المهتدين: "إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية. وكان هذا وحده كافياً لاقتناعي وإيماني بالإسلام"(٣) وهكذا تبين لنا في هذا الفصل أن هناك جملة من الدوافع تدفع المدعو إلى الاستجابة لدعوة الحق، والتفاعل معها وهي إما دوافع ذاتية أو دوافع مكتسبة.

=

رقم ٣٩١١.

(١) - فتح الباري، ج٧/٢٧٤.

(٢) - ابن حجر، فتح الباري، ج٧/٢٥٢.

(٣) - لماذا أسلمنا، ص ٨١ .

الفصل الرابع منهج القرآن والسنة في استثارة الدوافع

المبحث الأول: المنهج العقلي.

المبحث الثاني: المنهج الحسي.

توطئة:

للكتاب والسنة منهج خاص في استثارة دوافع الاستجابة، حيث يعتمد هذا المنهج على مخاطبة الإنسان من خلال محورين لهما بالغ الأثر في التأثير على النفس البشرية ودفعها للاستجابة، وهذان المحوران هما:

المنهج العقلي .

والمنهج الحسي.

ويرتكز المنهج العقلي على ألوان من الأساليب التي تنفذ إلى أعماق النفس البشرية، وتوضح منهج الكتاب والسنة في استثارة الدوافع، ومن تلك الأساليب:

أسلوب المحاكمات العقلية.

أسلوب الأقيسة بجميع أنواعها.

أسلوب السَّبر والتقسيم.

أسلوب الاستفهام التقريري.

أسلوب الحوار.

أسلوب الدعوة إلى التفكير السليم .

أسلوب ضرب الأمثال.

كما يرتكز المنهج الحسي على الحواس من خلال محورين:

أحدهما: لفت النظر إلى التاريخ البشري، ومواقف أهله من الدعوة ولاءً وعداءً.

والآخر: لفت النظر إلى المحسوس من مخلوقات الله في كونه والتي لطول إلفها وتكرارها ربما غفل عنها المدعو و لم يعد لها التأثير القوي في نفسه .

ولعل تلك المعاني تتجلى بصورة أكثر وضوحاً أثناء معالجة الموضوع تفصيلاً.

المبحث الأول: المنهج العقلي

لقد بين الله ﷻ للإنسان طريق الخير والشر، وجعله على محجة بيضاء لا لبس فيها ولاغموض، وزوده بالعقل الذي يميز به بين ما يضره وما ينفعه، ولم يكتف بهذا بل أرسل الرسل وأنزل الكتب، تبصرة وذكرى للناس، فالغاية من الخلق محددة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال الله ﷻ: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾[1]، وإذا تحققوا بمعرفة الله تعالى وعبادته ﷻ "فما سواه إما فضل نافع، وإما فضول غير نافعة ؛ وإما أمر مضر. ثم من العلم به ﷻ: تتشعب أنواع العلوم، ومن عبادته وقصده: تتشعب وجوه المقاصد الصالحة"[2]، وذكر شيخ الإسلام بن تيمية: بأن الله ﷻ تفضل على بني آدم بأمرين ؛ هما أصل السعادة:

أحدهما: الفطرة، التي إذا تركت على حالها كانت محبةً لله ﷻ.

والآخر: أن الله هدى الناس هداية عامة، بما جعل فيهم من العقل، ومانزل إليهم من الرسالات الإلهية[3].

وجاءت هذه الدعوة لتخاطب في الإنسان عقله الذي ميزه به عن الحيوان، ولتقيم له منهج النظر الصحيح، حتى يتدبر دلائل الهدى والإيمان، إذ يمتاز القرآن الكريم بمنهج متفرد في مخاطبة النفس البشرية، وذلك بجمعه بين مخاطبة العقل والوجدان، ففي قصصه وأخباره لا ينسى حق العقل من الحكمة، وفي معمعة براهينه وأحكامه لا يغفل حق القلب من ترغيب وترهيب، لأن الذي أنزله هو الله ﷻ، لا يشغله شأن عن شأن، وهو القادر

---

(١) - سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦، ٥٧ ، وانظر: كوكب عامر، أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة، (بدون ذكر دار النشر)، ص ١٤ .

(٢) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/٢.

(٣) - انظر: مجموع الفتاوى، ج٢٠٥/٨ .

على مخاطبة العقل والوجدان معاً، وهذا ما لا تجده في سواه [١]وهو بهذا يرسم الصراط المستقيم للدعوة، ذلك أن الدعاة الموفقين هم الذين يخاطبون في الناس عقولهم، ويترسمون خطى المصطفى ﷺ وهو يمارس تطبيقات المنهج العقلي في الدعوة، حيث إن دعوة الحق تعتمد على البراهين في إقناع الناس لا على الإكراه، وقد سمى الله ﷻ كتابه برهاناً، كما في قوله ﷻ: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[٢]، "والبرهان مؤلف من اليقينيات، واليقين هو العلم الذي لا شك معه"[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والرسل صلوات الله وسلامه عليهم بينت العلوم العقلية، التي بها يتم دين الله علماً وعملاً، وضربت الأمثال، فكملت الفطرة بما نبهتها عليه وأرشدتها"[٤]، وليس معنى ذلك أن العقل حاكمٌ على الدين ومقرراته من حيث القبول والرفض، والصحة والبطلان، بل المعول عليه ثبوت النص، فمتى ثبت النص كان العقل ملزماً بقبوله، والائتمام بهديه، حتى ولو لم يألفه[٥]، وقد جاءت الإشارة في القرآن الكريم إلى القدرات العقلية بصيغة الفعل لا الإسم باعتبارها وظيفة من وظائف القلب، وفعلاً من أفعاله[٦]، قال الله ﷻ: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾[٧]، ومخاطبة المدعو بأسلوب الاحترام والتقدير لعقله مدخل من مداخل النفوس، وهو منهج دعوي سلكه القرآن الكريم في تحبيب الحق إلى النفوس ودفعها إلى الاستجابة ويشير ابن عاشور إلى هذا المعنى في حديثه

---

(١) - انظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ط: ١٣٧٦ هـ)، ص ١٢٤، وانظر: فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، (ط: الرابعة، ١٤٠٩ هـ)، ص ٣٥ .

(٢) - سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٣) - الجرجاني، التعريفات، ص ٤٤، ٥٩ ٢.

(٤) - مجموع الفتاوى، ٢٤٢/٩.

(٥) - انظر: عبد الرحمن عميره، منهج القرآن في تربية الرجال، (ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ)، ص ٢٢.

(٦) - انظر: ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة، أو الإنسان الصالح، (ط: الأولى، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ١٤١١ هـ)، ص ٥٠، ٥١.

(٧) - سورة الحج، الآية: ٤٦.

عن قول الله ﷻ: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[١] حين بيَّن أن المراد بالعلم هنا:العقل التام، وهو تلميح للجمع بين التوبيخ وإثارة الهمة فقد أثبت لهم العقل ورجحان الرأي للفت بصائرهم إلى دلائل الوحدانية، وهو منزع دعوي عظيم يتمثل في الجمع بين مايدل على ما عند المدعو من كمال ونقص، حثاً له على استكمال نقصه واستعمال عقله[٢]، ومن خصائص المنهج العقلي مراعاة ظروف المدعوين ومخاطبتهم من حيث يعقلون ويفقهون، ولعل ذلك ما راعاه موسى عليه السلام في دعوته لفرعون الذي بارزه بالمحاربة، وطلب منه يوماً ليخرج فيه، كما أخبر الله عن فرعون بقوله ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوىً﴾[٣]، رد عليه موسى بقوله ﴿ موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحىً﴾[٤]، وهو تجمع عام في أجلى ساعات النهار"وإنما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق، ويكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدِّث بذلك الأمر العَلَمِ، في كلِّ بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر"[٥].

ويرتكز المنهج العقلي على تحريك العقل بشتى الأساليب التي تدعو إلى التفكر والتدبُّر والاعتبار، ويستخدم ذلك المنهج في حالات كثيرة منها:

١ - إنكار المدعويين للبدهيات العقلية الواضحة مثل قول الله ﷻ: ﴿ أم خلقوا من

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٢٢ .

(٢) - انظر: التحرير والتنوير، ج١/٣٣٥، وانظر:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١/٢٣١.

(٣) - سورة طه، الآية: ٥٨.

(٤) - سورة طه، الآية: ٥٩.

(٥) - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ)، ج٦ ٢٣٧ ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، وانظر: عبد الرب نواب الدين الدعوة إلى الله في سورة النمل، ص ١٨٥ .

غير شيء أم هم الخالقون﴾[١].

٢ – مع المدعويين المعتدين بعقولهم، فهم أسرع الناس تأثراً بالمنهج العقلي.

٣ – مع أصحاب الإنصاف المتجردين عن أهوائهم، والبعيدين عن التعصب.

٤ – مع المتأثرين بالشبهات والمخدوعين بالباطل[٢] .

وسنستعرض فيما يلي ملامح المنهج العقلي في استثارة دوافع الاستجابة من خلال النصوص التي سنوردها في المعالجة.

قد مر معنا في الفصل السابق تعريف العقل، وأن المقصود به: تلك الغريزة التي يدرك بها الإنسان وينتفع بها، للاهتداء إلى الحق من خلال التدبر في دلائله[٣].

لقد راعى الإسلام في مخاطبته للنفس البشرية طبيعة تلك النفس وما جبلت عليه من ميول، فلم يتجاهل ذلك و لم يسقطه من حسابه، ويتجلى ذلك في ترك الخيار للمدعو وإتاحة الحرية له في اختيار مايشاء من دين، واستبعاد أي لون من ألوان الضغط أو الإكراه لاعتناق هذا الدين، وبذلك نزل القرآن الكريم موجهاً ومقرراً، قال الله ﷻ: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾[٤]، ذلك أن العمدة في الدعوة الإسلامية بيانها، حتى يتبين الرشد من الغيِّ، وأن الناس مخيَّرون بعد ذلك في قبولها وتركها بعد بيان الحق وقيام الحجة عليهم[٥] ، وقال الله ﷻ: ﴿**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما**

---

(١) – سورة الطور، الآية: ٣٥ .

(٢) – محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، (ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ)، ص ٢١٢ .

(٣) – انظر مزيداً من التفصيل حول تعريفات العقل عند العلماء: ص٣٠٠ وما بعدها.

(٤) – سورة البقرة، الآية: ٢٥٦ .

(٥) – انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣/ ٣٩.

يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾[١] وقال الله ﷻ: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾[٢]، وليس هذا بدعاً من الأمر، بل هو منهج الدعوة قديماً وحديثاً، فترك الحرية للإنسان فيما يتصل بالعقيدة والدين هو تشريع الله من قديم الزمان، فقد كان نوح عليه السلام يتبنى هذا المنهج وهو يدعو قومه ، فيقول كما ذكر الله ﷻ عنه: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[٣]، إن الإسلام يخاطب العقول البشرية، لتتفكر وتتدبَّر وتَتَأمَّل، ذلك أن حسن التوحيد وقبح الشرك ثابت في الأمر نفسه، معلوم بالعقل[٤]، وقال الله ﷻ: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾[٥] يشير الشيخ ابن عاشور في أثناء حديثه عن قول الله ﷻ: ﴿انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ إلى معنى تصريف الآيات، وأن المقصود به اختلاف أنواعها، بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السموات والأرض، وتارة أخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله، فالآيات هنا دلائل الوحدانية، فهي متحدة في الغاية مختلفة في الأساليب، متفاوتة في الاقتراب من تناول الأفهام عامها

---

(١) - سورة يونس، الآية: ١٠٨ .

(٢) - سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

(٣) - سورة هود، الآية: ٢٨ . انظر: أحمد مهنا، طريقة القرآن في الدعوة والإقناع، مجلة الأزهر، ج٤٠/٥٦ ١٣٨٨ هـ. وللاستزادة انظر: أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٢٥٨ - ٢٦١

(٤) - شيخ الإسلام بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١/ ٦٨٢ .

(٥) - سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

وخاصها، وهي أيضاً مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدمات العقلية وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب، ومن التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول[١].

وقد وردت نصوص كثيرة تبين طرائق المنهج العقلي، نستعرضها فيما يلي:

ففي أسلوب المحاكمات العقلية قال الله ﷻ: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾[٣]، وفي الأقيسة العقلية في قياس الطرد والعكس قول الله ﷻ: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[٤]، وفي القياس الإضماري ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾[٥]. وفي قياس الأَوْلَى قوله ﷻ: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى

---

(١) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧/٢٣٥، ٢٣٦ .

(٢) - سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٣) - سورة الإسراء، الآية: ٤٢ .

(٤) - سورة آل عمران، الآية: ١٣ .

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ٥٩ ، ٦٠ .

وهو العزيز الحكيم﴾[١] ومن أمثلة قياس الأَوْلَى في السنة ما رواه الترمذي عن « بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ، قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا ؟ قَالَ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»[٢] وفي السَّبْر والتقسيم قول الله ﷻ: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبِّؤني بعلم إن كنتم صادقين * ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصَّاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٣]، وفي أسلوب الاستفهام التقريري قول الله ﷻ: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[٤]، وقول الله ﷻ: ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾[٥]، وفي الحوار نلحظ في القرآن الكريم كثيراً من أمثلته، كما في قصة أنبياء الله نوح وهود وصالح عليهم السلام مع أقوامهم[٦]، كما نلحظ في سنة نبينا محمد الخاتم ﷺ أنه ﷺ قد استخدم أسلوب الحوار في الدعوة، ومن أمثلته ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة

---

(١) - سورة النحل، الآيات: ٥٧ - ٦٠ .

(٢) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، ج٥/٩٧، رقم ٢٧٦٩، وقال حديث حسن، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٢/٣٦٤، رقم ٢٢٤٤.

(٣) - سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٤) - سورة الطور، الآية: ٣٥ .

(٥) - سورة سبأ، الآية: ٢٤ .

(٦) - انظر: سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ - ٧٩.

ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[1]، لقد كان الرسول ﷺ يمارس هذا الأسلوب في دعوته للناس، ومن الأمثلة على ذلك قصته ﷺ مع الشاب الذي جاء ليستأذنه ﷺ في الزنا فلم يبدأ معه بالتوبيخ والعتاب، بل حاكمه إلى عقله بالأسلوب الحواري، حتى خرج من عند النبي ﷺ مقتنعاً بما قاله النبي ﷺ « **عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ – جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ – قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ – جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ – قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ – جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ – قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ – جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ – قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ – جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ – قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ**»[2]، وفي أسلوب الدعوة إلى التفكير السليم، قال الله ﷻ: ﴿**وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من**

---

(١) – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨١ .

(٢) – أخرجه أحمد في المسند، ج١٦/٢٣٧، رقم ٢٢١١٢، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وقال عبد الله التليدي رواه أحمد بسند صحيح على شرط مسلم. انظر: تهذيب الخصائص النبوية الكبرى للسيوطي، (ط: الثانية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٠ هـ)، ص ٣٣٨، هامش: ٤٨٤. تهذيب: عبد الله التليدي. ورواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد للهيثمي، انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، ج١/٣٤١، قال الهيثمي: " ورجاله رجال الصحيح "، وقال عنه الحافظ العراقي في(تخريج أحاديث الإحياء)في كتاب الأمر بالمعروف، باب آداب المحتسب: "رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح"، انظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،ج٢/٥٢١ هامش: ١.

الحق شيئاً﴾[١]، وقوله ﷺ في الحديث « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»[٢]، وقال الله ﷻ: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾[٣] وقال ﷻ: ﴿نبؤني بعلم إن كنتم صادقين﴾[٤]، وقول الله ﷻ في ذم التقليد الأعمى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[٦]، وفي أسلوب ضرب الأمثال قال الله ﷻ: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[٧]، وقوله ﷻ: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾[٨] ومن الأمثلة في السنة قال الرسول ﷺ:« مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا

---

(١) - سورة النجم، الآية: ٢٨ .

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ج١٠/٤٨١، رقم ٦٠٦٤.

(٣) - سورة الأنعام، الآية: ١٤٨ .

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ١٤٣ .

(٥) - سورة الزخرف، الآية: ٢٣ .

(٦) - سورة البقرة، الآيتان: ١٧١، ١٧١. وانظر: علي أحمد مدكور، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، (ط: الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧ هـ)، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٧) - سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٨) - سورة الزمر، الآية: ٢٧.

وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع على النحو الآتي:

المطلب الأول: أسلوب المحاكمات العقلية.

المطلب الثاني: أساليب الأقيسة بجميع أنواعها.

المطلب الثالث: أسلوب السَّبر والتقسيم.

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام التقريري.

المطلب الخامس: أسلوب الحوار.

المطلب السادس: أسلوب الدعوة إلى التفكير السليم .

المطلب السابع: أسلوب ضرب الأمثال.

---

(١) - أخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح. كتاب الشركة. باب هل يقرع في القسمة ؟ والاستهام فيه. ج٥ .١٣٢. رقم ٢٤٩٣.

المطلب الأول: أسلوب المحاكمات العقلية

يحاكم القرآن الكريم العقل البشري في إثبات وحدانية الله من خلال طريقين:

الأول: الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وإحكامه، وسلامته من الاختلال والتصادم، وهو ما يسمى بدليل التمانع، ومن أبرز أمثلته قول الله ﷻ: ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾[١] وهو برهان باهر بلفظ موجز، فإن الإله الحق خالق فاعل، فلو كان معه ﷻ إله آخر يشاركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قَدَرَ على قهر ذلك الشريك فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، كما ينفرد بعض ملوك الدنيا في ممالكهم، وإذا لم يقدِرِ المنفردُ منهم على قهر الآخر. فلا بد من أحد ثلاثة أمور : إما أن يذهب كلٌّ إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه. وانتظام أمر العالم كله، دليلٌ على أن مدبِّرَهُ إلهٌ واحدٌ، لا إله للخلق غيره[٢] ومن أمثلة دليل التمانع أيضاً قوله ﷻ: ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً** ﴾[٣] قال الرازي:"إن المراد من قوله ﷻ: ﴿ **إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً** ﴾ هو أنا لو فرضنا وجود آلهة مع الله ﷻ لغلب بعضهم بعضاً، وحاصله يرجع إلى دليل التمانع"[٤] وقال ابن نجم الحنبلي

---

(١) - سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

(٢) - انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٣٩ ، وانظر: فخرالدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢٤/١١٨ .

(٣) - سورة الإسراء، الآية: ٤٢ .

(٤) - تفسير الفخر الرازي، ج٢٠/٢١٨.

معلقاً على قوله ﷻ: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[١]: " وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الإسلام، وقد نقل عن بعض السلف أنه قال: نظرت في سبعين كتاباً من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله ﷻ: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾"[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ما أحسن هذا البرهان ! فلو قيل بعده: وما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا ا لله، لكان هذا من الكلام الغث الذي لا يناسب بلاغة التنزيل"[٣].

والطريق الثاني للقرآن الكريم في إثبات الوحدانية: كشف حقيقة معبودات المشركين، وذلك بالأدلة والبراهين الدامغة حتى لا يبقى لهم حجة بعد ذلك، ومن أمثلة ذلك قول ا لله ﷻ: ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾[٤]،وقوله ﷻ:﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾[٥] أي: أنهم آثروا على عبادة ا لله ﷻ عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزها، لا يقدرون على شيء من أفعال ا لله ولا من أفعال العباد[٦] قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – معلقاً على آية الفرقان[٧] –: " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء، كل واحد منها برهان قاطع أن عبادتها مع ا لله لا وجه له بحال، بل هي ظلم متناه، وجهل عظيم، وشرك يخلد به

---

(١) – سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

(٢) – عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، (ط: الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ)، ص ٨٣، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي.

(٣) – مجموع الفتاوى، ج١٤/٦١،

(٤) – سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٧، ١٩٨ .

(٥) – سورة الفرقان، الآية: ٣ .

(٦) – الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٢٦٣.

(٧) – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٦/٢٦٥ – ٢٦٩ بتصرف.

صاحبه في نار جهنم، وتلك الصفات:

١ - أنها لا تخلق شيئاً، أي لاتقدر على خلق شيء.

٢ - أنها مخلوقة كلها، أي: خالقها خالق كل شيء وهو الله ﷻ.

٣ - أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً.

٤ - أنها لاتملك موتاً.

٥ - ولا حياة.

٦ - ولا نشوراً، أي: بعثاً بعد الموت.

وهذا بعد أن أثنى على نفسه جل وعلا با لأمور الخمسة المذكورة في الآية التي قبلها التي هي براهين قاطعة على أن المتصف بها هو المعبود وحده المستحق للعبادة، وتلك الأمور الخمسة هي:

١ - أنه هو الذي له ملك السموات والأرض.

٢ - أنه لم يتخذ ولداً ﷻ.

٣ - أنه لا شريك له في ملكه.

٤ - أنه خالق كل شيء.

٥ - أنه قدَّر كل شيء خلقه تقديراً.

وقوله ﷻ: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[1] وهو مثل ضربه الله ﷻ لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر، كما أن بيت العنكبوت لا يقي حراً ولا برداً[2]، وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا

---

(١) - سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٢) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣/٣٤٥، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠/٢٥٢.

له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[١]، قال ابن عباس ﷺ: «كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فتجف فيأتي الذباب فيختلسه»[٢]، وقال ﷺ: «الطالب الصنم والمطلوب الذباب»[٣]، " وخُصَّ الذباب بالذكر لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته ؛ فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين مطاعين، وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان"[٤]، وقوله ﷻ: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون**﴾[٥] المراد: ذكر عجز الأصنام وضعفها وحقارتها، وأنها لا تملك إيصال نفع أو دفع ضر[٦]، وقوله ﷻ: ﴿**والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون**﴾[٧]، فيه تحقير لما يعبدون من دون الله حيث نفى عنهم كونهم خالقين وأحياء لا يموتون، وعالمين بوقت البعث، وهذا من خصائص الألوهية، وأثبت أنهم مخلوقون وأموات ولا يعلمون الغيب، وهذا من خصائص المخلوقين[٨].

---

(١) - سورة الحج، الآية:٧٣ . انظر: زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، (ط:الثانية، مطابع الفرزدق، ١٤٠٠هـ)، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

(٢) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢/٩٧.

(٣) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٢٢٨.

(٤) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢/٩٧.

(٥) - سورة النحل، الآية: ٧٣.

(٦) - أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، (ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ هـ)، ج٣ ١٨٩، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم.

(٧) - سورة النحل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٨) - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج٢/٦٠٠.

المطلب الثاني: أساليب الأقيسة بجميع أنواعها

أولاً: قياس الطرد والعكس:

ومن أساليب القرآن في مخاطبة العقل استخدام الأقيسة بجميع صورها، ذلك أن من أعظم صفات العقل معرفة التماثل والاختلاف، فإذا رأى شيئين متماثلين جعل حكمهما واحداً، كرؤيته للماء والماء، أو التراب والتراب، ثم حكم على الكلي على القدر المشترك، وإذا حكم على بعض الأعيان ومثله بالنظير، وذكر المشترك كان أحسن البيان، وهذا هو ما يسمى **بقياس الطرد**، وهو اعتبار الشيء بنظيره، حتى يجعل حكمه مثل حكمه، وإذا رأى المختلفين كالماء والتراب فرق بينهما، وهو ما يسمى **بقياس العكس**، وهو اعتبار الشيء بنقيضه، حتى يعلم أن حكمه نقيض حكمه[١].

وما جاء في القرآن الكريم من الأمر بالاعتبار يتناول قياس الطرد وقياس العكس، فالنظر في هلاك المكذبين، والاعتبار بمصيرهم، يدفع إلى تجنب صنيعهم، حذراً من ورود المصير ذاته، وهذا قياس الطرد، كما أن من صدق الرسل واتبعهم كان من الناجين، وهذا قياس العكس، والاعتبار يكون بكلا النوعين، قال الله ﷻ: ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾[٤]، يتناول نوعي القياس السابقين، فيعتبر العاقل بتعذيب الله للمكذبين حتى يرغب في نقيض ذلك، ويرهب من نظير ذلك، فيستعمل

---

(١) - انظر: مجموع الفتاوى، ج٩/٢٣٩، درء تعارض العقل والنقل، ج٥/٢٥٩.

(٢) - سورة يوسف، الآية: ١١١، وانظر: مجموع الفتاوى، ٩/٢٣٩ .

(٣) - سورة آل عمران، الآية: ١٣ .

(٤) - سورة الحشر، الآية: ٢.

قياس الطرد في الرهبة، وقياس العكس في الرغبة[١].

ثانياً: القياس الإضماري:

ومن ذلك **القياس الإضماري** وهو ما تحذف فيه إحدى المقدمات، مع وجود ماينبيء عن حذفها، وهو كثير في الأدلة القرآنية. قال الإمام الطحاوي: " والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهي طريقة القرآن"[٢]، ومن الأمثلة على هذا قوله ﷻ في الرد على النصارى الذين يزعمون أن عيسى ابن الله، لأنه خلق من غير أب، ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾[٣]، والآية تجمع مقايسة بين خلق آدم وخلق عيسى عليهما السلام[٤]، قال الإمام ابن القيم: " إن عيسى نظير آدم في التكوين، بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعاً لمشيئته وتكوينه"[٥]، وقال الشوكاني: " تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم، وجاء المشبه به أشد غرابة من المشبه، وأعظم عجباً وأغرب أسلوباً، لأن آدم خلقه من تراب، أي: لم يكن له أب ولا أم"[٦].

---

(١) - انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٥/٢٥٩.

(٢) - شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٣٨.

(٣) - سورة آل عمران، الآية: ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) - انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، (ط: الشركة التونسية، تونس، ١٤٠٠ هـ)، ص٢٤٨.

(٥) - إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط: الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ)، ج١/١٢٣، تحقيق: عصام الدين الصباطي.

(٦) - فتح القدير، ج١/٣٤٦.

ثالثاً: قياس الأَوْلى:

ومن ذلك **قياس الأَوْلَى** وهو: **" أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه فالرب أحق به، وما نُزِّه عنه مخلوق من النقائص فالرب أحق بتنزيهه عنه"**(١) ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن السلف كانوا يسلكونه اتباعاً للقرآن، واعتمدوا عليه في منهجهم في الاستدلال على كثير من قضايا العقيدة، فأخذوا به في إثبات الصفات وإثبات المعاد(٢).

ومقتضاه في الصفات: أن يعلم أن كل صفة كمال فالله الخالق ﷻ أولى بالاتصاف بها، وكل صفة نقص فالخالق ﷻ أولى وأحَقُّ بالتنزه عنها، ومن أمثلة قياس الأَوْلى ما جاء في إثبات المعاد، كما في قوله ﷻ: ﴿ **أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾(٣)، وقوله ﷻ: ﴿ **أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً**﴾(٤)، ففي هاتين الآيتين إثبات حكم لشيء بناءً على ثبوته لما هو أبعد في الإمكان منه، وهو خلق السموات والأرض بهذه الصورة العظيمة، ومن يخلق أكبر ما في الوجود فخلقه لما هو أقل منه من باب أولى، ومن أمثلته ما جاء في قوله ﷻ في نقض زعم المشركين أن الملائكة بنات الله، مع العلم أنهم يكرهون ذلك لأنفسهم ويعدونه نقصاً، وكان الأولى بهم أن يعتقدوا أن الله الخالق ﷻ أولى بالتنزه عن ذلك: ﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما**

---

(١) – ابن تيمية، الردُّ على المنطقيين، (ط: دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٣ هـ). ٢/٩٥. وانظر لنفس المؤلف أيضاً: مجموع الفتاوى، ج٩/١٤١.

(٢) – انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج٩/١٤٥، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٨٧. وانظر: عبد الرحمن الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٩٨ .

(٣) – سورة يس، الآية: ٨١.

(٤) – سورة الإسراء، الآية: ٩٩.

يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ﴾[1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "**فبيَّن ﷻ أن الرب الخالق ﷻ أولى بأن يُنزَّهَ عن الأمور الناقصة منكم، فكيف تجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم، وتستحيون من إضافته إليكم، مع أن ذلك واقع لا محالة، ولا تنزِّهونه عن ذلك وتنفونه عنه، وهو أحق بنفي المكروهات المنقصات منكم**"[2]، ومن أمثلة قياس الأَوْلَى في السنة النبوية ما رواه الترمذي عن «**بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا ؟ قَالَ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ**»[3].

رابعاً: القياس المساوي:

وهناك أمثلة لاستخدامه ﷺ للأقيسة العقلية فمنها على سبيل المثال القياس المساوي، ومن أمثلته: ما جاء في قوله ﷺ في الحديث المرويِّ « **عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ**

---

(١) - سورة النحل، الآيات ٥٧ - ٦٢، وانظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١/ ٣٠، مجموع الفتاوى، ج٩/ ١٤١، ١٤٥، وانظر: عبد الرحمن الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٣٩٨، وانظر: محمد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، (ط: مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤١٠هـ)، ص ٧٩، وانظر: محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (ط الأولى: دار ابن تيمية، الرياض، ١٤٠٥ هـ)، ص ٢٧٩ .

(٢) - درء تعارض العقل والنقل، ج١/ ٣٦ .

(٣) - سبق تخريجه، ص ٣٤٥.

لأُمِّكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1].

خامساً: قياس الخَلْف:

ومن تلك الأقيسة: قياس الخَلْف هو: إثبات الأمر ببطلان نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما، كما لمقابلة بين العدم والوجود فقياس الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق، والقرآن يتجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون، فيبطل عبادة الأوثان ويثبت التوحيد، ومن أمثلة قوله ﷻ: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾، وتقرير الدليل – من غير أن نتسامى إلى مقام البيان القرآني –: لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، وأن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتخالف الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين، فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوحدانية، فسبحان الله رب العرش عما يصفون[2]، ومن أمثلة قياس الخَلْف قوله ﷺ في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: « **وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرًا**»[3]، فقايس هم ﷺ

---

(١) – انظر تخريجه:ص٣٤٧، ويمكن الاستدلال به مثالاً للحوار في الوقت ذاته.

(٢) – محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (ط: دار الفكر العربي، بدون تاريخ)، ص ٣٤١، وانظر: زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص ٧١ وانظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ٢٥٠ .

(٣) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج٢/٦٩٧، رقم ١٠٠٦ .

بين الأمرين مقايسة عقلية حتى تبين لهم الحكم، وذهب الاستغراب.

سادساً:القياس الضِّمْني:

ومن تلك الأقيسة: القياس الضمني ويتمثل في قوله ﷺ في الصائم في الحديث المروي « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا نَسِيَ فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ**»[1]، والخلاصة: أن القرآن الكريم والسنة النبوية سلكا كل سبيل بياني ممكن وموصل، إما إلى الإقناع والاقتناع بإدراك الحق وقبوله، وإما إلى تبكيت الخصم وإقامة الحجة عليه مع ترك الحرية في الاعتقاد للجميع، ولن نستطيع حصر واستقصاء مسالك مخاطبة العقل في القرآن الكريم، فذلك ما تنقطع دونه الأعمار وتفنى فيه الأجيال، لأن القرآن لاتنفذ حججه بل يتجدد عطاؤه ولا ينقطع مدده، والمهم أن القرآن الكريم قد استعمل كل ما يمكن أن تتصوره عقولنا من الطرق البرهانية والوسائل البيانية لإثبات الحق، لأنه يعلو ولا يعلى عليه، ولو أن الناس اشتغلوا بدراسة القرآن ونهجوا طريقه في الاستدلال لوقفوا على مناهج الاستدلال البالغة في التأثير على النفس البشرية ما لم يخطر على بال، وحسبنا الاعتبار بأثره في المسلمين الأوائل والمشركين على سواء [2].

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصوم، باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً، ج٤/١٥٥، رقم ١٩٣٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه وجماعُه لا يفطِّر، ج٢/٨٠٩، رقم ١١٥٥ وانظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) - انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ٢٥٦، وانظر: محمد أبوزهرة، المعجزة الكبرى، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

المطلب الثالث: أسلوب السَّبْر والتقسيم

وهو باب من أبواب مخاطبة العقل، وخلاصته: أن يذكر أقسام الموضوع المُجَادَل فيه ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام خاصية تسوِّغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع[١] وهو: " أن يبحث الناظر عن معان مجتمعة في الأصل، ويتبعها واحداً واحداً، ويبين خروج آحادها عن صلاح التعليل به إلا واحداً يراه ويرضاه"[٢] أوهو " حصر الأوصاف التي توجد في الأصل والتي تصلح للعلَّة في بادىء الرأي، ثم إبطال ما لايصلح منها فيتَعَيَّن الباقي للعليّة"[٣].

وقد ذكر السيوطي – رحمه الله – أن من الأنواع المصطلح عليها في الجدل السَّبْر والتقسيم، ومن أمثلته في القرآن الكريم: قول الله ﷻ: ﴿ثمانية أزواج من الضَّأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذَّكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبِّؤني بعلم إن كنتم صادقين * ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذَّكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصَّاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٤].

وبين السيوطي وجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة فقال: " إن الكفار لما حرَّموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، ردَّ الله تعالى عليهم ذلك بطريق السَّبْر والتَّقْسِيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمِمَّ جاء تحريم ما ذكرتم؟، أي: ما

---

(١) – انظر: زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص ٦٨. وانظر: محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص ٣٤٢.

(٢) – علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، (ط: الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤ هـ)، ص ١٢٠.

(٣) – علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ص ١٢٠. وانظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) – سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

علّته؟ لا يخلو إمَّا أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له عِلَّة وهو التعبُّدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي أو إرسال رسول، أو سماع كلامه، ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله: ﴿أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا﴾.

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها.

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً.

الثاني: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة أخرى، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل و لم يدَّعُوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدَّعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال"[1].

وخلاصة الاستدلال على بطلان ما ادعوا من تحريم السائبة والوصيلة وبعض الضأن والماعز والبقر، أن الله ينبههم إلى أن التحريم يكون لوصف ذاتي في هذه المحرمات أو لتحريم بوحي من الله أو أمر من رسول، فإذا لم يكن شيء من ذلك تعين أنه ما ثم إلا ظن وتخمين وقول على الله بغير علم، ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾[2].

---

(١) - انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ)، ج٢/١٣٦-١٣٧.

(٢) - سورة النحل، الآية: ١١٦، ١١٧، وانظر: محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص ٣٤٣، وانظر: زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص ٦٩.

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام التقريري

ويقصد به الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها، فهي من أحسن أنواع الاستدلال في تقرير الحق وإبطال الباطل، وهو: " حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"(١).

"وهذا - النوع - من أحسن جدل القرآن بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلّم الخصمُ بالمقدِّمات، أو أن تكون بينة معروفة، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية"(٢).

ومن خصائص منهج القرآن في استثارة الدوافع اعتماده على الاستفهام في أسلوب عجيب، حيث يثير النظر في الأدلة دون إشارة لثمارها ونتائجها، ويترك ذلك للمدعو ليحرك عقله للربط بين المقدمات والنتائج، كما في قوله ﷻ: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أمّا يشركون وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجةٍ ما كان لك* أمّن خلق السّماوات والأرض م أن تنبتوا شجرها أإلهٌ مع الله بل هم قوم يعدلون * أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإلهٌ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون* أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلهٌ مع الله قليلاً ما تذكرون * أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإلهٌ مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن

---

(١) - انظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن. (ط: الثالثة، الرئاسة العامة للإفتاء. الرياض. ١٤٠٠هـ). ج٢/٣٣١. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) - انظر: ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١٩/١٦٥.

﴿ يرزقكم من السماء والأرض أإلهٌ مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[١]، وهذا الأسلوب الاستفهامي يقوم على إثارة الأسئلة المنبهة للعقول، ولا يورد لها جواباً حاضراً، وإنما يدفع الفكر للتأمل لعله يهتدي إلى الجواب الصحيح، ففي قوله ﷻ: ﴿ آلله خير أمَّا يشركون ﴾ استفهام مستعمل في إلزام المخاطب بالإقرار بالحق وتنبيهه على خطئه[٢]، وفي قوله ﷻ: ﴿ أمَّن خلق السَّماوات والأرض ﴾ استفهام تقريري على أن الله إله واحد لا شريك له[٣]، وفي قوله ﷻ: ﴿ أإلهٌ مع الله ﴾ سؤال ملح يطلب له الجواب، ولكنه منهج القرآن وهو يثير في النفوس دوافع الاستجابة، يعرض عن السؤال وجوابه لينبِّه إلى أساس المشكلة، وهي أن أولئك المنكرين يعدلون بالله غيره سلفاً، وأنهم لا يريدون أن يعلموا شيئاً عن حقائق الكون وخفاياه، فالعذر في سكوتهم عن جواب السؤال الأول المتعلق بخالق السماوات والأرض ومنزل الماء من السماء هو أنهم يعدلون بالله ﷻ غيره من المخلوقات التي لاتملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، فليس الأمر نقصاً في الدلائل والبراهين، وإنما ذلك راجع إلى ذواتهم ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾، والعلة في عدم جوابهم المتعلق بمن جعل الأرض قراراً وخلق الجبال والأنهار وحجز بين البحرين هي جهلهم وعدم معرفتهم بحقيقة هذا الكون وما فيه ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾، وهكذا يقرر القرآن الكريم ويبين أن أساس المشكلة هو ما تنطوي عليه نفوس المشركين من عناد، وليست المشكلة أمراً خارجاً عن ذواتهم ممَّا يستدعي إعادة النظر في طريقة تفكيرهم ونظرتهم للأمور[٤]، وفي قوله

---

(١) - سورة النمل، الآيات: ٥٩ - ٦٤.

(٢) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠/٩.

(٣) - المرجع السابق، ج٢٠/١٠.

(٤) - انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن الكريم، (ط: الأولى، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٣٩٢ هـ). ص ٤٠ - ٤١ .

ﷻ: ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ استفهام تقريري لأنهم لا ينكرون أن الله ﷻ يبدأ الخلق ويرزقهم(١)، ومن أمثلة الاستفهام التقريري ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾(٢) ، ففي الآية تقسيم حاصر خلاصته: أخلِقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم خلَقوا أنفسهم، فهذا أشد امتناعاً، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم، فقد ذكر الله ﷻ الدليل بصيغة الاستفهام الإنكاري، ليبين أن القضية المُستدل بها قضية فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن إنكارها؛ فمن كان ذا فطرة سوية لا يمكنه أن يدَّعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هذا أحدث نفسه(٣).

وفي قول الله ﷻ: ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾(٤)، قال الألوسي: " أمر ﷺ أن يقول ذلك تبكيتاً للمشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض"(٥)، وقال النسفي: " أمره بأن يقررهم بقوله ﷻ: ﴿من يرزقكم﴾، ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم"(٦)، قال الزمخشري:" وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن

---

(١) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٨/٢٠.

(٢) - سورة الطور، الآية: ٣٥ .

(٣) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢١٢/٩.

(٤) - سورة سبأ، الآية: ٢٤ .

(٥) - روح المعاني، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ)، ج٣١٣/١١ ، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان، ج٢٦٧/٧.

(٦) - عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المسمى بتفسير النسفي، (ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٣ ٣٢٤، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ج٢٦١/٢، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٦٢٠/٦ - ٦٢١.

خوطب به: قد أنصفك صاحبك. وفي دَرْجِهِ بعد تقدمة ما قدَّم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على مَنْ هو من الفريقين على الهدى، ومَنْ هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغَب الخصم وفَلِّ شوكته بالهوينا، ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً ما حواه القرآن الكريم من نماذج كثيرة للاستفهام التقريري: " والقرآن مشتمل على هذا، ولهذا إذا جادل يسأل ويستفهِم عن المقدمات البَيِّنة البرهانية، التي لا يمكن أحد أن يجحدها ؛ لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل، كما في مثل قوله ﷻ: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾، وقوله ﷻ: ﴿أفعيينا بالخلق الأوّل بل هم في لبس من خلق جديد﴾(٢).

إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير، المتضمن إقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب.

والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية..الخ كلامه رحمه الله تعالى"(٣).

وفي السنة النبوية كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب الاستفهام التقريري الذي يهدف إلى تثبيت القضية وتأكيد الموضوع من خلال المحاكمات العقلية، انظر إلى معالجته ﷺ لهذا الحدث الذي وقع للأنصار رضي الله عنهم لما ظن طائفة منهم أن النبي ﷺ نسيهم لما منع عنهم الغنائم إكراماً لهم، فلم يفهموا الحكمة ابتداءً مما جعل حديثي السن منهم يجدون في

---

(١) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٥٨١، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/٢٩٨، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢/١٩٢.

(٢) - سورة ق، الآية: ١٥.

(٣) - مجموع الفتاوى، ج١٩/١٦٤، ١٦٥، وانظر: يحي محمد زمزمي، الحوار، ص ٣٩٣.

أنفسهم، يتجلى ذلك في الحديث المرويِّ « عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَار مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَار فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَار شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَار، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ؟وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ ؟ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَار، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَار شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَار، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَار وَأَبْنَاءَ الأَنْصَار وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَار، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا

لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا»[1] يتجلى الاستفهام التقريري لما احتاج الرسول ﷺ أن يقرر عند الأنصار بعض ما أنعم الله به عليهم من النعم، وأعظم النعم ؛ نعمة الهداية برسول الله ﷺ تلك النعمة التي نقلتهم من الضلال إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العداوة والبغضاء إلى الألفة والمحبة، وذلك حينما أثار فيهم الشعور الإيماني بقوله ﷺ: « **أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ**»، ثم بعد أن أثار عقولهم وفتح مغاليق قلوبهم بتلك الكلمات الرقيقة، بيَّن لهم الحكمة من قسمة الغنائم، وهي تَألُّف من أعطاهم منها على الإسلام لا غير، وأنه وَكَلَ الأنصار إلى إسلامهم، وفي ذلك تجديد للثقة بهم وحسم كل شك – إن كان ثمة شك – يمكن أن يثيره الشيطان في نفوسهم، وفي معرض تحريك النبي ﷺ لعقولهم أخذ يذكرهم بالمنن في ترتيب عجيب يأخذ بالألباب حينما قال ﷺ:«**أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**» قال الحافظ ابن حجر: "وقد رتب ﷺ ما من الله عليهم به على يده من النعم ترتيباً بالغاً، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال، لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأَنْصَار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حروب فزال ذلك كله بالإسلام، كما قال الله ﷻ: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف**

---

(١) – أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح، ج١٠، ٢٤٠، رقم ١١٦٧٠. وأخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ج٨، ٤٧، رقم ٤٣٣٠. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه، ج٢/٧٣٨، رقم ١٠٦١.

بينهم﴾[١]، ولا ريب أن إثارة تلك المعاني بهذا الأسلوب حقق غرضه وأدى نتائجه، حيث يعد ذلك الأسلوب الذي عالج به النبي ﷺ هذا الموقف أرقى وأصدق أسلوب في مخاطبة العقل على الإطلاق[٢]، وقد كان لهذه الموعظة - القائمة على الاستفهام التقريري - عظيم الأثر في حياتهم، حيث بكوا رضي الله عنهم وعافت نفوسهم الدنيا، فقد ذكر الواقدي أن النبي ﷺ عرض عليهم أن يكتب لهم بالبحرين تكون لهم خاصة بعده دون الناس، وهي يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأرض، فأبوا وقالوا: لا حاجة لنا بالدنيا[٣]، ولعل الحكمة في عدم إعطاء الأَنْصَار - وهم كتلة الإسلام النقية بعد المهاجرين - هو ماتميزوا به من قوة الإيمان وحسن البلاء في سبيل الله، وأن النبي ﷺ رأى أن يظل الأَنْصَار رضي الله عنهم على نقائهم يُعْطُون ولا يأخذون، لأن الذي قادهم إلى الإيمان ورفعهم مجاهدين في طريقه اللاَّحِبِ الطويل[٤] شيءٌ آخر غير اهتمامات الذهب والفضة، إنه النور الذي انقدح في أعماقهم يوم بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام[٥] ولم يكن من تكلم بذلك كبار الأَنْصَار رضي الله عنهم بل عامتهم من الشباب حديثي الأسنان، يدل على ذلك الرواية الصحيحة الأخرى وجاء فيها أن النبي ﷺ لما عاتبهم عتاباً لطيفاً بما سمع عنهم **«قَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَار: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ قَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ لَمَا**

---

(١) - سورة الأنفال، الآية: ٦٣. وانظر: فتح الباري، ج٨/٥٠، وانظر: يحي محمد زمزمي، الحوار آداب وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، ص٣٨٨ .

(٢) - انظر: أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة، (ط: الثالثة، دار القلم، الكويت، ١٤٠٥)، ص ١١٣ - ١١٥.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج٨/٥١، وانظر: محمد بن عمر الواقدي، المغازي، ج٣/٩٥٨، (ط: عالم الكتب، بيروت)، تحقيق: مارسدن جونس.

(٤) - اللاَّحب: الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع، لسان العرب، مادة: (لحب)، ج١ ٧٣٧.

(٥) - انظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ٢٥٦ .

تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا سَنَصْبِرُ»[1]، وفي رواية أخرى: « **فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَ الأَنْصَار شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَار**»[2].

وهكذا استخدم النبي ﷺ الأسلوب التقريري كأسلوب من أساليب المنهج العقلي لتحريك العقول ودفعها إلى التأمل والتفكير بهدف تحقيق الاستجابة بإذن الله ﷻ.

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه، ج٢: ٧٣٣، ٧٣٤. رقم ١٠٥٩.

(٢) - المصدر السابق، ج٢/ ٧٣٥ .

المطلب الخامس: أسلوب الحوار

وهو من الأساليب العقلية التي استخدمها الكتاب والسنة في استثارة دوافع الاستجابة في النفوس البشرية، كما أن له" أثره الإيجابي في الواقع مما يدل على أهميته، فكم من كافر دخل الإسلام عن طريق الحوار، وكم مبتدع ضال رجع عن بدعته بإذن الله ثم بسبب الحوار، وكم من عاص تاب إلى ربه، ورجع إلى عقله بعد محاورته"(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً أهمية الحوار: " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"(٢)، وفي القرآن الكريم تُعرَضُ صور كثيرة للحوار من أهمها حوار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم، ومن أمثلة ذلك حوار نوح عليه السلام مع قومه(٣)، وحوار هود مع قومه(٤)، وحوار صالح عليه السلام مع قومه(٥)، وحوار إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه(٦)، لما سألهم عن تلك الآلهة التي يزعمون وعن قدرتها، فلا يجدون حجة إلا تقليد الآباء والأجداد، ﴿ **قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين**﴾(٧)، ويشير الحوار إلى محاولة استثارة دوافع الاستجابة في نفوسهم بتسلسل حواري يضعهم أمام الحقيقة وجهاً لوجه حين أوقعهم في الاضطراب والتناقض مع ذواتهم، حيث غدوا في يوم عيد لهم ليأتي إبراهيم الخليل عليه السلام على أصنامهم فيحطمها إلا كبيراً لهم، جعل الفأس مربوطاً في عنقه ليكون شاهداً يرجعون إليه، ويعود

---

(١) - انظر: يحي محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص ٣٤.

(٢) - مجموع الفتاوى، ج٢٠/١٦٤، ١٦٥.

(٣) - سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ - ٦٣.

(٤) - سورة الأعراف، الآيات: ٦٥ - ٧٢ .

(٥) - سورة الأعراف، الآيات: ٦٥ - ٧١، سورة هود، الآيات: ٥٠ - ٥٧. للاستزادة انظر: يحي محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، ص ٧٥ - ٨٥.

(٦) - سورة الأنبياء، الآيات: ٥١ - ٦٧.

(٧) - الأنبياء، الآية: ٥٣.

القوم ليجدوا الأصنام محطمة في مشهد حي مؤثر، ويغضبون ويثورون ويحاكمون إبراهيم الذي بدوره ردَّهم إلى كبير الأصنام في تحويل حكيم ينم عن فطانة وعقل عظيم، فيقول لهم: ﴿ **فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾[١] وبذلك يدمغهم بالحجة القوية التي جعلت القوم يقعون في تناقض مع نفوسهم فهم يعرفون حقيقة هذه الأصنام وأنها لا تنطق ولا تعي، فكيف تجيبهم عن أسئلتهم، وهذا الاضطراب الفكري والتناقض المزري ينبىء عنه قوله ﷻ: ﴿ **فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون**﴾[٢]، ويأخذ بهم العناد كل مأخذ فلا يتواضعون للحق وإنما لَجُّوا في طغيانهم مستكبرين ليقولوا: ﴿ **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾[٣]، ويأخذ الخليل عليه السلام بزمام المبادرة ليقطف ثمرة الحوار في تحريك عقولهم وليدفعها إلى التفكر لعلها تستجيب للحق، فيقول في قوة وصراحة: ﴿ **قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾[٤]، وفي القرآن الكريم أمثلة أخرى للحوار من قصص الأنبياء عليهم السلام.

ومن أمثلة الحوار في السنة ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٥]، فكان من سؤاله ﷺ أولاً لهم، ثم تبيينه ما هو جواب سؤاله ثانياً تنبيه

---

(١) - الأنبياء: الآية: ٦٣.

(٢) - الأنبياء، الآية: ٦٤.

(٣) - الأنبياء، الآية: ٦٥.

(٤) - الأنبياء، الآيتان: ٦٦ - ٦٧، وانظر: عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربّي، ص ٤٥٤ -٤٥٥.

(٥) - سبق تخريجه، ص ٣٤٦ .

منه ﷺ للأذهان، لأن الإفلاس الحقيقي هو الإفلاس يوم القيامة(١)، والحوار من أهم صور مخاطبة العقل استخدمه النبي ﷺ في مناسبات عدة لتقرير بعض المعاني المهمة للمدعو، وكان ﷺ يحاور المدعو استكشافاً لما في دخيلة نفسه وتبياناً للحكم الشرعي كما جاء في الحديث،«**عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً ؟ قَالَ: لاَ قَالَ فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا**»(٢)، وبهذا الحوار توصل النبي ﷺ إلى نتيجة ما يدور في نفسه، وهي عدم فهمه لعلة الاستئذان على الأم فبينها له ﷺ(٣)، وإذا كان علماء الدعاية اليوم يؤكدون أن التكرار والجِدَّة من عوامل الإقناع، فإن النبي ﷺ استخدم هذا الأسلوب(٤) فكان ﷺ يكرر الحديث مرات عديدة في محاورته لأصحابه تحريكاً للعقول ولفتاً لانتباهها، يدل على ذلك الحديث الذي رواه «**عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ - وَكَانَ مُتَّكِئًا - فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ**»(٥)، قال الحافظ ابن حجر: "وكرَّرَ - الأمر ثلاث مرات - تأكيداً لينتبه السامع على إحضار فهمه"(٦)، وقد بوب الإمام البخاري في

---

(١) - عبد الفتاح أبوغدَّة، الرسول المعلّم ﷺ وأساليبه في التعليم.. (ط: الثانية، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧ هـ)، ص ٩٥.

(٢) - أخرجه مالك في الموطأ، باب الاستئذان والصور والتماثيل وغيرها من القضايا، ص ٧٣٤، رقم ١٧٩٦.

(٣) - انظر: محمد رواس قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ، ص ٢٨٧.

(٤) - انظر: أحمد مهنّا، طريقة القرآن في الدعوة والإقناع، مجلة الأزهر، ج٤٠/٢٧٨ .

(٥) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ج٥/٢٦١، رقم ٢٦٥٤. كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج١٠/٤٠٥، رقم ٥٩٧٦. كتاب الاستئذان، باب من اتكأ بين يدي أصحابه، ج١١/٦٦. رقم ٦٢٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج١/٩١. رقم ٨٧.

(٦) - فتح الباري، ج٥/٢٦٢.

صحيحه باباً بقوله " باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه"(١)، ومما يبين أهمية محاورة المدعو تبْويب الإمام البخاري باباً قال فيه: " باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم "، وساق الحديث الذي رواه ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُاللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ** »(٢).

---

(١) - صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، ج١/١٨٨.

(٢) - سبق تخريجه، ص ١٨٠ .

المطلب السادس: أسلوب الدعوة إلى التفكير السليم

يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان حاثاً لـه على التفكير السليم الذي يقود إلى الاستجابة بإذن الله، ويتم ذلك من خلال خطوات محكمة أهمها:

أولاً: تفريغ العقل من الشوائب المانعة من التفكير السليم:

ومن أمثلة تلك الشوائب تعلق الناس بالظنون، فيعمد القرآن والسنة إلى المطالبة بالبرهان كما في قوله ﷻ: ﴿ **وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً** ﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾[٢]، وفي ذم الظن قوله ﷺ في الحديث «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»[٣].

ثانياً: ذم التقليد الأعمى:

من الموانع التي تمنع المدعو من الاستجابة للحق أحياناً تقليد الآباء والأجداد، قال ﷻ: ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾[٤]. والآية صريحة في تأكيد منهج القرآن وتقريره بأن التقليد بغير عقل ولا هداية ليس من شأن المؤمن الحق[٥]، ولا ريب أن تقليد الآباء والأجداد مانع كبير من موانع النظر الصحيح، قال الزمخشري: " ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما

---

(١) - سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١٤٣.

(٣) - انظر تخريجه: ص ٣٤٧.

(٤) - سورة البقرة، الآيتان: ١٧١، ١٧١. وانظر: علي أحمد مدكور، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، (ط: الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧ هـ)، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٥) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢/٩٤.

أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم"(١)، وقال عثمان بن عفان ﷺ ناصحاً لأحد أصحابه:« **إِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ**»(٢)

ثالثاً: الأمر بالتثبت من كل أمر:

إن دعوة القرآن الكريم إلى التثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به وعدم التأثر بمقررات سابقة لا برهان عليها أمر جلي، انظر إلى قوله ﷻ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾(٣)، وما فيه من توجيه إلى التثبت في الأمور، وتجنب التعجل في إصدار الأحكام، كما يرشد إلى عدم نشر كل ما يسمع قبل دراسة المختصين له وإصدار الحكم عليه، قال الله ﷻ: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾(٤).

رابعاً: حفظ العقل من كل ما يعطل مهمته:

يتضح الحرص على تخليص المدعو من الآفات والأمراض التي تعطل العقل وتشل حركته البناءه من خلال دعوته إلى تجنب كل ما يخرب العقل أو يُعطِبه ومنها: تلك التي تصيب العقل بالضياع، مثل الإيمان بالخرافات كالإتيان إلى الكهان والعرافين والمشعوذين،

---

(١) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/١٢١، ١٢٢ .

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، ج٢/١٨٨، رقم ٦٩٥ .

(٣) - سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٤) - سورة النساء، الآية: ٨٣ .

فقد قال ﷺ في الحديث الذي روته أم المؤمنين صَفِيَّةَ رضي الله عنها: « **عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(١)، ومثله تحريم الخمر وما شابهه.

خامساً: وضع المقوّمات الصحيحة للتفكير:

لقد وجه القرآن الكريم إلى بناء العقل السليم الراشد من خلال ذلك التوجيه العظيم في هذه الآية الكريمة، قال الله ﷻ: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾(٢)، حيث تؤكد الآية على أهمية التفكير الراشد في تحقيق الاستجابة، وتُنبِّه إلى الأخطاء الشائعة في طريقة التفكير، فقد طلب الله ﷻ منهم القيام له وحده لا شريك له، والذي يقتضي مجانبة الهوى وما يأمر به من إيثار للباطل على الحق(٣)، ذلك أن الأهواء والرغبات الذاتية ربما حرفت عن الحق وأبعدت عن الصواب، فإن الحق والخير ليس فيما تحبه النفس أو تهواه دائماً بل فيما يحبه الله ويرضاه(٤)، وقد قال الله ﷻ: ﴿**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾(٥)، وفي الإشارة إلى القيام مثنى وفرادى تنبيه إلى أن كثيراً من الناس يميل إلى تبني الأفكار الشائعة وإن كانت خاطئة دون تأكد من سلامتها وصحتها، ولا ريب أن ذلك مسلك يعطل التفكير السديد، أو يدخل عليه مؤثرات تصده عن طريق الحق(٦) فجاء التأكيد على القيام لطلب الحق والتفكر في أمر النبي ﷺ ودعوته متفرقين اثنين اثنين أو واحداً واحداً، لأن الاجتماع مشوش للفكر مانع من موانع التفكير الهادىء(٧) .

---

(١) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٤/١٧٥١، رقم ٢٢٣٠، وانظر: محمد رواس قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ، ص ٢٦٩.

(٢) - سورة سبأ، الآية: ٤٦ . وانظر: يحيى محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، ص ٤٨.

(٣) - انظر: عادل رشاد غنيم، كيف تنجح في تعديل سلوكنا، (ط: الأولى، دار المجتمع السعودية، الخُبر، ١٤٠٩ هـ)، ص ١٠، ١١ .

(٤) - انظر: ابن القيم، الفوائد، ص ١٥٣ .

(٥) - سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٦) - كيف تنجح في تعديل سلوكنا، ص ١٤ .

(٧) - الشوكاني، فتح القدير، ج٤/٣٣٣ ، محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج١٤/٣٤ .

المطلب السابع: أسلوب ضرب الأمثال

ومن ضروب مخاطبة النفس البشرية من خلال العقل أسلوب ضرب الأمثال، تقريباً للمعاني ومراعاة لطبيعة العقليات المتفاوته، والمثل هو: " عبارةٌ عن قولٍ في شيء يُشْبِه قولاً في شيء آخر بينَهما مُشَابَهَةٌ لِيُبَيِّنَ أحدُهمَا الآخَرَ ويصوِّرُه، نحو قولهم: الصيفَ ضَيَّعْتِ اللبنَ فإن هذا القول يُشْبِهُ قولَكَ: أهمَلْتَ وقْتَ الإمْكَانِ أَمْرَكَ"(١)، ويستخدم حسب تحليل الزركشي لإخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، وما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، وما لا قوة له من الصفة إلى ماله قوة(٢)، وهو:"تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"(٣)، وقد كان النبي ﷺ يسلك مسالك شتى لتوضيح المعاني وتقريبها إلى الأذهان تارة بضرب الأمثال، وتارة بتشبيه مؤثر، وتارة بمقارنة بين نظيرين، قال القرطبي: "حجج الله تعالى عليهم بضرب الأمثال أقرب إلى أفهامهم"(٤) وقال الزمخشري في الكشاف: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنَّه مشاهد"(٥) "ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسوله ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء قال ﷻ: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾(٦) "(٧) وقال ابن المقفع في أهمية الأمثال: "

---

(١) - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٦٢.

(٢) - البرهان في علوم القرآن، ج١/٤٨٦، وانظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ٢٣٢.

(٣) - ابن القيم، الأمثال في القرآن الكريم، (ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ)، ص ١٧٣، ١٧٤ تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن، ج١٢/٩٦.

(٥) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١/٧٢، وانظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١/٤٨٨ .

(٦) - سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٧) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١/٧٢ .

وإذا جعل الكلام مثلاً كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"(١) وقيل فيها: " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع لغيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"(٢)، وقال ابن عبد ربه: " هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونُطِقَ بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمَّ عمومها، حتى قيل: أسْيَر من مثَل"(٣) وقال الزركشي: " وضرب الأمثال في القرآن الكريم يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس ؛ بحيث تكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس"(٤) وكل ذلك له علاقة بمخاطبة العقول.

وأمثال القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمثال المصرحة وهي ما يصرح فيها بالمثل أو ما يدل على التشبيه، ومن أمثلته قول الله ﷻ: ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** ﴾(٥).

النوع الثاني: الأمثال الكامنة: وهي ما لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة في الإيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ومن أمثلتها قوله ﷻ: ﴿ **لا فارض ولا بكر** ﴾(٦) في معنى قولهم خير الأمور الوسط.

النوع الثالث: الأمثال المرسلة:وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ

---

(١) - أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، (ط: مكتبة السنة المحمدية)، المقدمة، ١/٦.

(٢) - المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٣) - أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، (ط:الثانية، لجنة التاليف، القاهرة، ١٣٧٢ هـ)ج٣/٦٣.

(٤) - البرهان في علوم القرآن، ج١/٤٨٦، ٤٨٧.

(٥) - سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٦) - سورة البقرة، الآية: ٦٨.

التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، ومن أمثلتها قوله ﷻ: ﴿ الآن حصحص الحق[١] وقوله ﷻ: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد بين الله ﷻ في كتابه من الأمثال المضروبة والمقاييس العقلية ما يعرف به الحق من الباطل"[٣].

ومن نماذج أمثلة القرآن قول الله ﷻ: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾[٤] وهومثل ضربه الله لزهرة الحياة الدنيا وسرعة انقضائها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل الله من السماء مما يأكل الناس والأنعام من زروع وثمار على اختلاف ألوانها وأنواعها، حتى إذا اكتمل حسنها وتزينت بجميع الألوان الممكنة، وفرح به مالكه وتعلق به أرسل ﷻ على هذا البستان العجيب آفة عظيمة دفعة واحدة في ليل أو نهار، فأصبح أثراً بعد عين، فصارت تلك الزروع باطلة هالكة كأنها لم تحصل البتة[٥]، قال ابن كثير: " وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز"[٦]، وفي الحث على الإنفاق في سبيل الله قال الله ﷻ: ﴿مثل الذين

---

(١) - سورة يوسف، الآية: ٥١.

(٢) - سورة الرحمن، الآية: ٦٠ انظر: أحمد جمال العمري، دراسات في القرآن والسنة، (ط: الأولى دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ م)، ص ١١٣، وانظر: محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، (ط: الأولى، مكتبة الآداب، ١٤١٤ هـ)، ج١/١٨٤.

(٣) - مجموع الفتاوى، ٩/٢٣٠.

(٤) - سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٥) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٣٩٥، وانظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٧/٧٦.

(٦) - تفسير القرآن العظيم، ج١/٣٩٥.

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[١] وهذا المثل مضروب لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة[٢].

وفي ضرب المثل للكفر والإيمان قال الله ﷻ: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾[٣]، قال ابن كثير: " هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي: في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، وقيل: الإسلام، والكل صحيح ﴿كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة ﴿ليس بخارج منها﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه"[٤]، ويصف النبي ﷺ الوحي والهدى الذي بعثه الله به ويضرب لذلك مثلاً بالغيث النازل من السماء «**فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى**

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١/٢٩٩.

(٣) - سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٤) - تفسير القرآن العظيم، ج٢/١٦٣، ١٦٤.

إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[1] قال القرطبي وغيره: " ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحي البلد الميت فكذا علوم الدين تحي القلب الميت، ثم شبه السامعين بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، وهو بمنزلة الأرض الطيبة، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه ولم يتفقه فيه وأداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع به الناس، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة"[2] .

وفي حديث آخر يبين ﷺ المسؤولية الفردية في المجتمع المسلم فيقول ﷺ:« **مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَ هَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[3] وفي الحديث من الفوائد تبيين العالم الحُكْم بضرب المثل[4]، وفيه تشبيه للمجتمع في اختلاط الصالح والطالح والموقف الذي يجب أن يتخذه الصالح إزاء المسيء بحال سفينة يملكها شركاء فأراد بعضهم إتلاف نصيبه فيها بما يسبب غرقها[5]، والمعنى: أن منع الناس للفاسق عن الفسق سبب للنجاة، وأن تركه سبب للهلاك، وهذا معنى قول الله ﷻ: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين**

---

(١) - انظر تخريجه: ص١٣٧.

(٢) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٧٧ .

(٣) - انظر تخريجه: ص ٣٤٨ .

(٤) - ابن حجر، فتح الباري، ج٥/٢٩٦.

(٥) - انظر: عبد المجيد محمود عبد المجيد، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث،(ط: الثانية، مكتبة البيان، الطائف، ١٤١٣ هـ)، ص١٨٣ .

ظلموا منكم خاصة﴾[١].

ويضرب النبي ﷺ مثلاً للجليس الصالح وجليس السوء فيقول ﷺ: « **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** »[٢]، قال ابن حجر: " وفي الحديث ضرب المثل والعمل في الحكم بالأشباه والنظائر"[٣]، وقال أيضاً: " ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة"[٤].

وإذا كان ضرب الأمثال مسلكاً دعوياً سلكه النبي ﷺ فإن أسلوب التشبيه لايقل عنه شأناً في تحريك العقول ومخاطبتها، ففي بيان المصير الذي ينتظر المكذبين يوم القيامة يبين ﷻ حالهم يوم بعثهم من قبورهم في تشبيه دقيق يثبت المعنى في النفوس، قال الله ﷻ: ﴿ **خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**﴾[٥] فقد شبه الناس، في يوم البعث، بالفراش المبثوث ؛ لأنه يومئذ يموج بعضهم في بعض[٦]. وقوله ﷻ: ﴿**فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان**﴾[٧] والانشقاق: انفكاك ما كان على شدة الالتئام،

---

(١) - سورة الأنفال، الآية: ٢٥، وانظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٦/٣٢٩، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٥/٢٩٦.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ج٩/٦٦٠، رقم ٥٥٣٤، كتاب البيوع، باب في العطّار وبيع المسك، ج٤/٣٢٣، رقم ٢١٠١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ج٤/٢٠٢٦، رقم ٢٦٢٨ .

(٣) - فتح الباري، ج٤/٣٢٤.

(٤) - المصدر السابق، ج١/١٤٧.

(٥) - سورة القمر، الآية: ٧.

(٦) - انظر: أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي، الجمّان في تشبيهات القرآن، (ط: منشأة المعارف الاسكندرية، مصر)، ص ٢٧٩، تحقيق: مصطفى الصافي الجويني، وانظر: بدرية بنت محمد العثمان، من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، (ط:الأولى، دار الراية، الرياض، ١٤١٧هـ)، ص ٦٨.

(٧) - سورة الرحمن، الآية: ٣٧.

فالسماء تنشق، وتصير حمراء كالوردة، وفي تشبيه آخر للمنافقين يقول ﷻ مبيناً شدة هلعهم وخوفهم: ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت**﴾[١]، وهي في قوم من المنافقين كانوا إذا أمرهم النبي ﷺ بالقتال والاستعداد له نظروا إليه شاخصة أبصارهم، شاحبة وجوههم، فشبههم في خوفهم هذا بالخائف من الموت لشدة ما بدا على وجوههم من الفزع والجبن، وهذا التشبيه أبلغ في وصف الخائف من جميع الأوصاف، وأوقع التشبيهات لمثل هذه الحال[٢].

وفي هذا الحديث الآتي تشبيه لحاله ﷺ مع قومه وحالهم مع الدعوة « **عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**»[٣]، قال النووي: " إن أصل هذا المثل أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم - وهو طليعتهم ورقيبهم -، وإنما يفعل هذا لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً، فهو أبلغ في طلب سرعة التأهب للعدو"[٤].

وينضم إلى أسلوبي الأمثال والتشبيه في مخاطبة عقول المدعوين، المقارنة بين نظيرين

---

(١) - سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٢) - انظر: أبو القاسم البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، ص ١٨٨، ١٨٩ ، وانظر: بدرية العثمان، من بلاغة القرآن، ص ٦٩.

(٣) - أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقة النبي ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ج٤/ ١٧٨٨، رقم ٢٢٨٣. وأخرجه البخاري، انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ج١١/٣١٦، رقم ٦٤٨٢. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج١٣/ ٢٥٠، رقم ٧٢٨٣.

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥/٤٨.

أو متقابلين ليلفت الأنظار إلى المعاني التي يرمي إليها[١]، انظر إلى قوله ﷻ في تقرير حقيقة الألوهية، وذلك بالمقارنة بين الخالق ﷻ وبين الآلهة الباطلة، مع مطالبة السامع بالفهم والإدراك: ﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه آلهة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾[٢] وقوله ﷻ: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾[٣] وانظر إلى قوله ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا »[٤]، وفي الحديث أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعنى للسامعين، وتقرير المعاني الثابتة والتذكير بها، ومن ثَمَّ بناء الأحكام الجديدة عليها كما فعل ﷺ[٥].

ونخلص مما سبق إلى كمال المنهج الدعوي الذي سلكه ﷺ في مخاطبة عقل المدعو تطلعاً لاستجابته للدعوة، ودفعاً له إلى النظر الجدي في حقيقة الدعوة والداعية، وأن ما جاءهم به هو الحق الذي لا مرية فيه، وقد تنوعت وسائل الإقناع تبعاً لتنوع عقول الناس وطاقاتهم الفكرية، يقول محمد عبد الله درَّاز: " ولا جرم أنه من أجل هذا الاختلاف في وسائل الاقتناع عند الناس تنوعت في القرآن وسائل الدعوة إلى الله وصُرِّفت فيه الآيات تصريفاً بليغاً، حتى إن الذي يستعرض أساليب الهداية القرآنية إلى عقيدة الألوهية يجدها قد أحاطت بأطراف هذه المسالك، وأشبعت تلك

---

(١) - محمد رأفت سعيد، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم، ص ١١٤.

(٢) - سورة الرعد، الآية: ١٦، وانظر: أحمد مهنا، طريقة القرآن في الدعوة والإقناع، ص ١١٥.

(٣) - سورة النحل، الآية: ١٧.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج٣/٥٧٣، رقم ١٧٣٩، وفي، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)ج١٣/٢٦، رقم ٧٠٧٩ .

(٥) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٣/٥٧٦.

النزعات جميعاً، بل ربما زادت في كل منهج عناصر جديدة لم يفطن إليها الباحثون المذكورون"[١].

وهكذا تبين لنا في هذا المبحث منهج الكتاب والسنة في استثارة دوافع الاستجابة في النفس البشرية من خلال المنهج العقلي، والذي يتم من خلال أساليب تخاطب العقل وسيتبين لنا بإذن الله تعالى الوجه الآخر لذلك المنهج في استثارة الدوافع من خلال حديثنا عن المنهج الحسي.

---

(١) - الدّين، ص ١٦٧ .

المبحث الثاني: المنهج الحسي

لقد وجه القرآن الكريم الناس إلى النظر فيما حولهم، وألا يقتصروا على هذا النظر الظاهر، بل ينفذوا من خلاله إلى تحريك بصائرهم - التي تستقبل المدركات الحسية من سمعية وبصرية وحسية -، وأن ينفذوا من خلال النظر الحسي أيضاً إلى البصيرة التي تتولى الفرز والموازنة من أجل الوصول إلى الحق، ذلك أن العقل والحسّ بينهما ارتباط وتعانق في تحمل تبعات التمحيص والاختيار، للوصول إلى المعرفة اليقينية، فالحواس وظيفتها التعرف على الأشياء، والعقل يكتشف العلاقة بين الأثر والسبب، ويربط بين العلة واللازم[١] وقبل أن نتحدث عن المنهج الحسّي واستخداماته، لا بد لنا من معرفة هذا المنهج وحدوده حتى نكون على بينة من أمرنا ونحن نعالج الموضوع.

ولفظ الحسي نسبة إلى الحسّ وهو: الحاسة التي بها تُدْرَكُ الأعراض الحسّية[٢] وذلك عن طريق الحواس الخمس: السمع، البصر، الشَّم، الذَّوق، اللَّمس[٣]، وهو لفظ مستعمل وشائع، ويقصد به الأمر الذي يُشْعَرُ به ويُحَسُّ به عن طريق الحواس، وأصل الحس: الإدراك[٤]، والمحسوس: المدرك بإحدى الحواس وجمعه محسوسات[٥]، وقال الراغب الأصفهاني: أما أحسَسْتُهُ فحقيقته: أدركْتُهُ بحاسَّتِي، قال الله ﷻ: ﴿ **فلما أحَسَّ عيسى منهم الكفر** ﴾[٦] ففي الآية تنبيه إلى أنه قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم[٧] .

---

(١) - انظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، (ط: الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١ م)، ص ٢١١. وانظر: محمد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١١٦ .

(٣) - القاموس المحيط، مادة: (الحَسُّ)، ج٢/٢١٤.

(٤) - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١/٢٨٨.

(٥) - المعجم الوسيط، مادة: (المحسوس)، ج١/١٧٣.

(٦) - سورة آل عمران، الآية: ٥٢ .

(٧) - المفردات في غريب القرآن، ص ١١٦. وانظر: عبد السلام بن نصر الله الشريف، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم،

ويعرَّف المنهج الحسي بأنه: " النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواسّ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب" أو هو: " مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب" (١)، ونخلص من هذا إلى أن المنهج الحسي يعتمد على الحواس البشرية للوصول إلى القناعات العقلية المؤدية إلى استثارة دوافع الاستجابة في النفس البشرية وهو بهذا الاعتبار وثيق الصلة بالمنهج العقلي(٢) .

وكان النبي ﷺ يستخدم المنهج الحسّي في الدعوة منتهزاً فرصة المناسبات العارضة، فيلفت النظر إلى الأمور المحسوسة التي من خلالها يتوصل إلى التنبيه لأمور أعظم، فيكون أوضح للمخاطبين، وأقوى تأثيراً(٣) كما في الحديث « **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ(٤) وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ(٥)، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ(٦) مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟، قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ(٧)؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(٨) . فانظر كيف ضرب لهم مثلاً حسياً في هوان الدنيا وحقارتها بجدي ميت لا خير فيه ولا يحب أحدهم أن يكون له.

=

(ط: الأولى، دار المعراج الدولية، الرياض، ١٤١٥ هـ). ص ١٠٣.

(١) - محمد أبو الفتح البيانوني. المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢١٤.

(٢) - انظر: المرجع السابق. ص ٢١٤.

(٣) - انظر: عبد الفتاح أبوغدّة. الرسول المعلّم ﷺ وأساليبه في التعليم. ص ١٥٨.

(٤) - العالية: قرى بأعلى أراضي المدينة، وهي أعلى المدينة من حيث يأتي وادي بطحان. ويطلق اليوم على تلك الجهات (العوالي)جمع عالية. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٢٢٢/١، عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٩٧.

(٥) - كنفته: أي جانبه. صحيح مسلم بشرح النووي. ج٩٣/١٨.

(٦) - أي: صغير الأذنين، ضيِّقُ صماخهما. القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، ج١٠٧/٧.

(٧) - أي: بلا شيء مّا. عبد الفتاح أبوغدّة، الرسول المعلّم ﷺ: ص ١٥٩.

(٨) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، ج٢٢٧٢/٤، رقم ٢٩٥٧.

ولما كانت المعوقات التي تصد عن الإيمان كثيرة - وأبرزها التعلق بالدنيا تعلقاً يلهي عن ذكر الله - وجه النبي ﷺ إلى حقيقة ثابتة لها علاقة بحركة الإنسان في هذه الحياة، وهي معرفة حقيقة هذه الدنيا، وذلك بأسلوب حسي، ذلك أن طلب الرزق والتكسب ربما استولى على فكر الإنسان وأنساه الهدف الأساسي الذي خلق من أجله، فلا غرو أن يكون التأكيد على القناعة والرضا بما قسم الله أسلوباً اتخذه النبي ﷺ في توجيهاته، وهو ما يجليه هذا الحديث الذي يمثل حقيقة الدنيا« **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»**(١).

والتذكير بالآخرة وقدومها من القضايا التي أكدتها آيات القرآن الكريم وبينت دلائلها، وأبدت فيها وأعادت نصوص السنة النبوية المطهرة، انظر إلى قوله ﷺ «**وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ**»(٢)، ذلك أن اليقين بالآخرة من أعظم المثيرات لدوافع الاستجابة في النفس البشرية، إذ إنها تسوق النفس بسوط الخوف والرجاء إلى الاستعداد والتهيؤ لملاقاة ذلك المصير الحق الذي يترتب عليه السعادة أو الشقاء، وكان النبي ﷺ يذكر به المدعو كما في الحديث الذي رواه « **ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾**»(٣)، وذلك بأساليب تعتمد على المنهج

---

(١) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ج٤/٦٤٢، باب ٣٠، رقم ٢٤٦٥ .

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، ج٤/٢١٩٣، رقم ٢٨٥٨.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾، ج٨ ٢٨٦، رقم ٤٦٢٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، ج٤ ٢١٩٤، رقم ٢٨٦٠.

الحسي، إذ إن اليوم الآخر وما يحدث فيه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فيكون حديثه عنه وما يقع فيه بأمثلة محسوسة على مستوى عقل المدعو حتى لا يتعذر عليه فهم المعنى، إذ ربما أدى الفهم المشوه إلى عكس المقصود، وفي ذلك درس دعوي يتعلق بحديث الداعية مع المدعوّ إذا اضطر إلى الحديث عن شيء يصعب فهمه، فإن عليه أن يوضّحه ويبيّنه بما يضمن سلامة الفهم والبعد عن التعقيد في المعاني[1] انظر إلى حديثه ﷺ وهو يقرر للمدعو رؤية المؤمنين لربهم في الجنة كما في الحديث الذي رواه « **جَرِيرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾** »[2]، قال ابن المنير: " إنما خص الشمس[3] والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحاب أكبر آية وأعظم خلقاً من مجرد الشمس والقمر ؛ لما خصا به من عظيم النور والضياء بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغاً شائعاً في الاستعمال"[4]، "والحكمة في التمثيل بالقمر أنه تتيسر رؤيته للرائي بغير تكلف ولا تحديق يضر بالبصر"[5] بل نجد ذلك التبسيط في العرض والحديث مسلكاً واضحاً في أحاديثه ﷺ، ومنها على سبيل المثال حديثه ﷺ عن جملة أمور تقع في الآخرة، فقد ربطها بأمور حسية مألوفة يعلمها المخَاطَبُون، مما يجعل الحديث أبلغ في التأثير وأقوى في الوضوح،

---

(١) - انظر: محمد رواس قلعه جي. دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ. ص ٢٧٣.

(٢) - أخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح. كتاب مواقيت الصلاة. باب فضل صلاة العصر. ج٢/٣٣. رقم ٥٥٤. باب فضل صلاة الفجر. ج٢/٥٢. رقم ٥٧٣. كتاب التفسير. باب قول الله ﷻ: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾. كتاب التوحيد. باب قول الله ﷻ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾. ج١٣ ٤١٩. رقم ٧٤٣٤. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. ج١ ٤٣٩ رقم ٦٣٣.

(٣) - ورد ذكر الشمس في رواية أخرى انظر: صحيح البخاري مع الفتح. ج١١/٤٤٥. رقم ٦٥٧٣.

(٤) - ابن حجر. فتح الباري. ج١١/٤٤٧.

(٥) - المصدر السابق، ج١١/٤٤٧.

كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُضَارُّونَ[١] فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا:لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا:لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ:مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ[٢]،وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا،فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ:هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ:أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ:أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ:اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ[٣]هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ[٤] بِعَمَلِهِ أَوِ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ[٥] أَوِ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّاللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا[٦] فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ

---

(١) - أي: لا يضايق بعضكم بعضاً في رؤيته، ولاينازعه ولا يخالفه، بل يكونون متفقين في رؤيته. ابن الأثير الجزري. جامع الأصول. ج١٠/٤٤٠.

(٢) - جمع طاغوت وهو الشيطان أو ما يزين لهم أن يعبدوه من الأصنام، ويقال للصنم: طاغوت. ابن الأثير الجزري. النهاية في غريب الحديث، مادة: طغا. ج٣/١١٧.

(٣) - السَّعْدَان: جمع سعدانه وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه. ابن حجر، فتح الباري. ج١١/٤٥٣، وهو نبت ذو شوك مُعَقَّف من مراعي الإبل الجيدة. ابن الأثير،جامع الأصول ، ج١٠/٤٤٥.

(٤) - المُوبَق: المهلَك. ابن حجر، فتح الباري. ج١١/٤٥٤.

(٥) - أي: المرمي المصروع، المصدر السابق، المدرك ذاته، ابن الأثير، جامع الأصول. ج١٠/٤٤٦.

(٦) - أي: احترقوا. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٣/٢٢.

الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ (١) فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٢)، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّـهُ مِـنَ الْقَضَـاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّـارِ دُخُـولاً الْجَنَّـةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي(٣) رِيحُهَـا وَأَحْرَقَنِـي ذَكَاؤُهَـا(٤)، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْـأَلَنِي غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّـهُ مِـنْ عُهُـودٍ وَمَوَاثِيـقَ مَـا شَـاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَـإِذَا أَقْبَـلَ عَلَـى الْجَنَّـةِ وَرَآهَـا سَـكَتَ مَـا شَـاءَ اللَّـهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَـهُ: أَلَسْـتَ قَـدْ أَعْطَيْـتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْـأَلَ غَـيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَـامَ إِلَـى بَـابِ الْجَنَّـةِ انْفَهَقَـتْ(٥) لَـهُ الْجَنَّـةُ فَـرَأَى مَـا فِيهَـا مِـنَ الْحَبْرَةِ(٦) وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُـولُ: اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَـلاَ يَـزَالُ يَدْعُـو حَتَّـى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَـهُ: تَمَنَّـهْ فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى انْقَطَعَتْ بِـهِ الأَمَـانِيُّ قَـالَ

---

(١) - الحِبَّة بكسر الحاء: البزورات، وبفتحها، جمع بذور النبات، واحدتها حَبَّة بالفتح، وأما الحَبُّ فهوالحنطة والشعير. ابن حجر. فتح الباري، ج١/٧٣، وانظر: ابن الأثير، جامع الأصول، ج١٠/٤٤٦.

(٢) - حميل السيل: أي ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فإذا اتفقت فيه حبَّة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سُرْعَة عَوْدِ أبدانِهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: (حمل)، ج١/٤٢٥، وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١١/٤٥٨.

(٣) - أي: سَمَّني وآذاني وأهلكني. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٣/٢٣.

(٤) - أي: لهبها واشتعالها وشدة وهجها. المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٥) - أي: انفتحت واتسعت. المصدر السابق، المدرك ذاته، جامع الأصول، ج١٠/٤٤٦.

(٦) - أي: السرور والنعمة. جامع الأصول، ج١٠/٤٤٦.

اللَّهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»(١).

ذكر في الحديث جملة من الأمور التي يعرفها الناس ويحسون بها، وذلك تقريباً للأذهان حتى تعقل الأمر، وذلك من كمال الهدي النبوي وتوخيه الحكمة في مخاطبة المدعو، حيث خاطبه بأمور يعقلها و لم يحدثه عن مبهمات(٢) لا يعرفها، قال الزين ابن المنيِّر:" تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرُّز والتصوُّن تمثيلاً بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة"(٣)

وقال ابن أبي جمرة: " في الحديث من الفوائد جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه، وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل، مع المبالغة في تفاوت الصفة، والاستدلال على العلم الضروري بالنظري"(٤).

وقال الحافظ ابن رجب: "وشبَّه نباتَ الخارجين من النار إذا ألقوا في نهر الحياة بنبات هذه الحِبَّة لمعنيين:

أحدُهُمَا: سرعة نباتها.

والثاني: أنها تنبت صفراء ملتوية ثم تستوي وتحسن، فكذلك ينبت من يخرج من النار بهذا الماء نباتاً ضعيفاً ثم يقوى ويكمل نباته ويحسن خلقه.

وقد جعل الله نبات أجساد بني آدم كنبات الأرض، قال الله ﷻ: ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾(٥)، وحياتهم من الماء، فنشأتهم الأولى في بطون أمهاتهم من ماء دافق، ونشأتهم الثانية من قبورهم من الماء الذي ينزل من تحت العرش، فينبتون فيه كنبات البقل

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قول الله ﷻ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾. ج١٣/٤١٩، رقم ٧٤٣٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج١/١٦٣، رقم ١٨٢.

(٢) - المُبْهَمَات: المسألة المعضلة الشاقة، وطريق مبهم أي: إذا كان خفياً لا يستبين. اللسان، مادة: بهم.

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ج١١/٤٥٣.

(٤) - المصدر السابق، ج١١/٤٦٢.

(٥) - سورة نوح، الآية: ١٧.

حتى تتكامل أجسادهم، ونبات من يدخل النار ثم يخرج منها من ماء نهر الحياة أو الحياء"[١]، وهكذا كان حديثه ﷺ معبراً عن أمور تقع في الآخرة، بتشبيهات محسوسة للمدعو، وذلك أبلغ في استثارة دوافع الاستجابة بإذن الله.

ولا ريب أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هو الغاية من بعثة الرسل، ولذا كان النبي ﷺ يبين ثمار الإيمان وأسباب تحصيله، بأمثلة حسية « **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيْمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٢]،والنبي ﷺ يخاطب النفس البشرية بأرقى الأساليب التي توقظ الإيمان في النفوس، انظر إلى التعبير بتمثيل محسوس في قوله ﷺ:«**وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيْمَانِ**»، قال ابن حجر: "فيه استعارة تخييلية، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مراً والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئاً ما نقص ذوقه بقدر ذلك"[٣] وقال النووي:"هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قال العلماء: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه ﷻ بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسوله ﷺ"[٤]، ولا ريب أن رؤية المؤمن لنعمة الله عليه بالإيمان، وتذكره

---

(١) - الحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ط: الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٧ هـ)، ج١/٩٦.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج١/٦٠، رقم١٦، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، ج١/٧٢، رقم ٢١، كتاب الأدب، باب الحب في الله، ج١٠/٤٦٣، رقم ٦٠٤١، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ج١٢/٣١٥، رقم ٦٩٤١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ج١/٦٦، رقم ٤٣.

(٣) - فتح الباري، ج١/ ٦٠.

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/١٣.

لذلك دائماً يوجب للقلب لذة وسروراً لا يعدلهما شيء من لذائذ الدنيا، والوقوف على تفاصيل تلك النعم التي يذكر بها النبي ﷺ في هذا الحديث مما يستثير دوافع الاستجابة في النفس البشرية، ويدفعها إلى الاستقامة بإذن الله " وإنما خص هذا الثلاث - المذكورة في الحديث - بهذا المعنى ؛ لأنها لا توجد إلا ممن تنور قلبه بأنوار الإيمان واليقين، وانكشفت له محاسن تلك الأمور ؛ التي أوجبت له تلك المحبة التي هي حال العارفين"(١).

ومن أبرز قواعد المنهج الحسي ما يلي:

النظر إلى أحداث التاريخ البشري وما فيه من آثار محسوسة.

النظر إلى المحسوس من المخلوقات.

---

(١) - القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج١/٢١١، ٢١٢.

توطئة:

يحسن الوقوف على معنى **النَّظَر** وعلاقته بالمنهج الحسي؛ قبل الدخول في الموضوع.

قال الراغب الأصفهاني: " النظر: تقليب البصروالبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته" (١) وقال الإمام الطحاوي: " النظر: له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعدِّيه بنفسه، فإن عُدِّي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله ﷻ: ﴿**انظرونا نقتبس من نوركم**﴾(٢). وإن عُدِّي بـ(**في**)، فمعناه: التفكُّر والاعتبار، كقوله ﷻ: ﴿**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾(٣). وإن عُدِّي بـ(**إلى**) فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله ﷻ: ﴿**انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**﴾(٤)" (٥).

وقال أبو هلال العسكري: " وحدُّ النظر: طلب إدراك الشيء من جهة البصر أو الفكر، ويحتاج في إدراك المعنى إلى الأمرين جميعاً... وأصل النظر: المقابلة، فالنظر بالبصر الإقبال به نحو الْمُبْصَر... وإذا قُرِن النظر بالقلب فهو الفكر في أحوال ما ينظر فيه، وإذا قُرِن بالبصر كان المراد به تقليب الحدقة نحو ما يلتمس رؤيته مع سلامة الحاسة"(٦).

ونخلص مما سبق إلى أن النظر يراد به شيئان هما: النظر بالبصر، والنظر القلبي ويقصد به النظر بعين البصيرة وهو التفكر في أحوال المنظور، وكلا المعنيين مكمل للآخر، فالنظر بحاسة العين المعروفة غايته تحقق دوافع الاستجابة في النفس البشرية، ولا يتم ذلك إلا بتعاضد النظر الحسِّي مع النظر القلبي، قال ابن القيم: " والنظر في الآيات المحسوسة نوعان: نظر إليها بالبصر الظاهر، والنوع الثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة"(٧).

---

(١) - المفردات في غريب القرآن، ص ٤٩٧، مادة: نظر.

(٢) - سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٤) - سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٥) - شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٢٠٩.

(٦) - الفُروق في اللغة، ٦٥ - ٦٦.

(٧) - انظر: مفتاح دار السعادة، ج١/١٩٩.

المطلب الأول: لفت النظر إلى التاريخ البشري

تجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ يهتم فقط بسرد الحوادث التاريخية، ويستقصي كافة نشاط الأنبياء عليهم السلام، يؤكد ذلك ما أشار إليه قول الله ﷻ: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[١]، لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، يعرض تاريخ المؤمنين والمكذبين ومواقفهم، ويبين مصير الفريقين في الدنيا والآخرة، لتحقيق هدف مجمل هو إستثارة دوافع الاستجابة لدى الناس. قال شيخ الإسلام ابن تيمية " إن الله تعالى لم يقصّ علينا في القرآن قصة أحد إلا لنعتبرها، وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأوّل، وكانا مشتركين في المقتضى والحكم، فلولا أن في نفوس الناس من جنس ما كان في نفوس المكذبين للرسل لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لا نشبهه قطّ، لكن الأمر كما قال ﷻ: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾[٢]"[٣]، والقرآن الكريم ينوع في دلالاته مستهدفاً " إثارة الفكر البشري، ودفعه إلى التساؤل الدائم والبحث الدائب عن الحق، وتقديم خلاصة التجارب البشرية، عبراً يسير على هديها أولو الألباب.. ثم تأكيد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الأنبياء السابقون جميعاً، وسعوا إلى أن يقودوا أممهم إلى مصدره الواحد الذي لا إله إلا هو"[٤]، ويتم ذلك من خلال عرض قصص المجتمعات البشرية، مركزاً على تبيان أسباب سعادتها وشقائها، انظر إلى قول الله ﷻ في التحذير من المعصية وكفران النعمة: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة

---

(١) - سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٢) - سورة فصلت، الآية:٤٣.

(٣) - مجموع الفتاوى، ج٨/٢١٦.

(٤) - انظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٠٦ .

ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾[١]، قال الإمام القرطبي: "أي: - كان لهم - علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقاً خلقهم، وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك، ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها، وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر"[٢]، وعن قتادة قوله:" كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تُخْرِج مِكْتَلَهَا[٣] على رأسها، فتمشي بين جبلين، فيمتلىء مكتلها، وما مسَّت بيدها، فلما طغَوا بعث الله عليهم دابَّة يقال لها: (جُرَذ)، فنقبت عليهم، فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل"[٤]، ولا ريب أن نظرتنا لكتاب الله بتلك الصورة يفيدنا - ونحن نتحدث عن النظر إلى التاريخ البشري كواحد من استخدامات المنهج الحسي- في مخاطبة النفس البشرية لدفعها إلى الاستجابة، ويفيدنا أيضاً في التعامل مع كتاب الله الذي أنزله هدى للناس، وروحاً ونوراً يهدي به الله من يشاء من عباده.

والنظر إلى التاريخ البشري ذو علاقة بالمنهج الحسي، ذلك أن النظر في آثار المكذبين يستند إلى حاسة البصر التي هي من أهم وسائل المنهج الحسي، بيد أنه لا بد من الإشارة إلى أن تلك الإدراكات الحسية التي ذكرت في مشاهدة آثار الظالمين لا تستقل بتحصيل العظة والاعتبار - والتي هي مظهر من مظاهر الاستجابة - وأن تلك العظة المطلوبة لا تتم بمجرد النظر الحسي فحسب، بل لا بد من العقل المقترن بالبصر، فالبصر يشاهد، والعقل يفكّر ويتأمل ليستنتج الدلالات المعنوية، وهكذا تتم العملية كلها بتفاعل ثنائي يحقق الاستجابة للحق، وقد قرن الله ﷻ بين العقل والحواس وأثرهما في الوصول

---

(١) - سورة سبأ، الآية: ١٥ - ١٧.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/٢٨٣.

(٣) - المِكْتَل: زنبيل يُعْمَل من خُوص جمعه مكاتِل. المعجم الوسيط، مادة: كتل، ج٢/٧٧٦.

(٤) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢ ٧٧. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ٥١١. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/٢٨٤.

إلى المعرفة، وعدم استقلال الحسّ بها، في كثير من الآيات كقوله ﷻ: ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾[٣]، وقد وصف الله ﷻ أقواماً لم يستفيدوا من حواسهم في معرفة الحق بفقدان الإحساس حتى وإن كانوا يسمعون ويبصرون سمعاً وبصراً حقِيقِيَّيْن في مثل قول الله ﷻ: ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون**﴾[٤].

وفي إشارات بعض المفسرين في تفسيرهم لبعض الآيات المتعلقة بالأمر بالنظر في أحوال القرون الخالية، والتي سترد من خلال المعالجة بإذن الله تعالى ما يؤكد العلاقة بين النظر في التاريخ البشري والمنهج الحسي، انظر على سبيل المثال قول الله ﷻ: ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾[٥]، قال ابن عطية الأندلسي في قوله ﴿ **فانظروا** ﴾: " **هو عند الجمهور من نظر العين، وقال قوم: هو بالفكر**"[٦]، ولا ريب أن نظر العين هو النظر في مساكنهم وعاقبة أمرهم، قال شيخ زاده: "**ولعل اختيار لفظ سير مبني على أن أثر المشاهدة أقوى من أثر السماع كما قيل:**

---

(١) - سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) - سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) - سورة الملك، الآية: ١٠.

(٤) - سورة الأعراف، الآية: ١٧٩. وانظر: عبد الرحمن الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٤٩٧.

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٦) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٣/٣٣٣ .

ليس الخبر كالمعاينة"[١] وقال الفخر الرازي: " **إن لمشاهدة آثار المتقدمين أثراً أقوى من أثر السماع كما قال الشاعر:**

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار"[٢]

وفي قول الله ﷻ: ﴿ **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾[٣] قال ابن عطية: " **ومعنى الآية سيروا، وتلقوا ممّن سار، لأن تحصيل العبرة بآثار من مضى إنما يستند إلى حسّ العين"**[٤]، وقال ابن عاشور: " **والنظر يحتمل أن يكون بصرياً، وأن يكون قلبياً، وعلى الاحتمالين فقد علّقه الاستفهام عن نصب مفعوله أو مفعوليه"**[٥]

وقول الله ﷻ: ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً**﴾[٦]، أي ما تشعر بأحد منهم. **والإحساس: الإدراك بالحس، أي: لا ترى منهم أحداً**[٧]، وقال الزمخشري: "﴿**تُحِسُّ**﴾: **من حسّه إذا شعر به، ومنه الحواس والمحسوسات"**[٨]، والآية خطاب للمشركين من أهل مكة لينظروا تاريخ المعاندين من الأمم السابقة المكذبة، وما آلوا إليه من خزي وبوار بحيث لم يعد لهم خبر وانقرضوا، وتحذير في الوقت ذاته لهم لئلا يتعرضوا لهذا المصير البائس، ﴿ **هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً** ﴾ أي: صوتاً خفياً كناية عن فنائهم[٩]، وقال الإمام الطبري- معلقاً على قول الله ﷻ في قصة قوم

---

(١) - حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ج١/٦٧٢ .

(٢) - تفسير الفخر الرازي، ج٩/١٣.

(٣) - سورة الأنعام، الآية: ١١.

(٤) - المحرَّرُ الوجيز، ج٥/١٣٥.

(٥) - التحرير والتنوير، ج٧ ١٤٩.

(٦) - سورة مريم، الآية: ٩٨.

(٧) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦/١٧٨.

(٨) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج٣/٤٨.

(٩) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/١٣٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١/١٦٢. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٤٨، الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢١/٢٥٧.

عاد: ﴿**فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم**﴾(١)-:" فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا، فلا يُرَى في بلادهم شيءٌ إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها"(٢)، قال ابن عاشور: "**والمراد بالمساكن: آثارها وبقايا ها وأنقاضها بعد قلع الريح معظمها**"(٣)،ولقد كان المكذبون من المشركين في عهد النبي ﷺ يعرفون أماكن تلك الأمم المهلكة، ويسمعون من أخبارها، مثل قرى ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وسبأ وقوم تُبَّع فلفت القرآن الكريم أنظارهم لها لعلهم يتذكرون(٤).

وقد وردت نصوص كثيرة توجه إلى النظر في التاريخ البشري والانتفاع بمعطياته نورد بعضاً منها فيما يلي:

ففي لفت النظر إلى سنن الله في الاجتماع البشري قال الله ﷻ:﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾(٥)، وفي بيان الغاية من قصص القرآن الكريم قال الله ﷻ: ﴿ **وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** ﴾(٦)، وفي الإخبار عن إهلاك الظالمين قال الله ﷻ:﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً**﴾(٧)، وفي عرض قصص المكذبين قال ﷻ في قصّة عاد وقومه:﴿ **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب**

---

(١) - سورة الأحقاف، الآية: ٢٥.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٦/ ٢٧.

(٣) - التحرير والتنوير، ج٢٦/ ٥١.

(٤) - انظر: المرجع السابق، ج٢٦/ ٥٤.

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٦) - سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٧) - سورة مريم، الآية: ٩٨.

يوم عظيم * قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون * فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾[1] وفي قصة ثمود قال الله ﷻ: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون * قالوا اطَّيَّرْنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون * وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون * قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[2]، ومن تطبيقات المنهج الحسي في السنة النبوية أمره ﷺ أصحابه لما مروا على ديار ثمود بألا يدخلوها إلا وهم في حالة خوف ووجل وخشوع، تعبيراً عن تأثرهم بما شاهدوا من آثارهم، وما آلت إليه عاقبتهم نتيجة كفرهم بالله « **عَنْ عَبْدِاللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ[3] إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا**

---

(١) - سورة الأحقاف، الآيات: ٢١ - ٢٥.

(٢) - سورة النمل، الآية: ٤٥ - ٥٣ وانظر: سور: الأعراف: ٧٣ - ٧٩، هود: ٦١ - ٦٨، الحِجْر: ٨٠ - ٨٤، المؤمنون: ٣١ - ٤١، الفرقان: ٣٨، الشُّعَراء: ١٤١ - ١٥٩، النَّمْل: ٤٥ - ٥٣، العنكبوت: ٣٨، فصِّلت: ١٤ - ١٨، الذَّاريات: ٤٣ - ٤٥، النَّجْم: ٥١، القمَر: ٢٣ - ٣١، الحاقَّة: ٤ - ٨، الشمس: ١١ - ١٥.

(٣) - المقصود: لا تدخلوا ديار أصحاب الحجر وهم قوم ونبيهم صالح ﷺ. انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح

=

عَلَيْهِمْ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»[1]، وكان النبي ﷺ يستحضر التاريخ البشري، ويحث المدعو على النظر فيه لعله يحدث له ذكراً يحقق الاستجابة، انظر إليه ﷺ وهو يذكّر اليهود بمصير مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى في الحديث الوارد« **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا»**[2]، وفي قصّة قوم لوط قال الله تعالى: **﴿وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزاً في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾**[3].

واستناداً إلى تلك النصوص، فإن معالجة الموضوع ستكون على النحو التالي:

أولاً: الغاية من النظر في التاريخ البشري.

ثانياً: ملامح المنهج الحسي في عرض تاريخ المكذّبين.

أ – قصة نبي الله صالح عليه السلام.

ب – قصّة نبي الله لوط عليه السلام.

ج – استخدامات نبينا ﷺ للتاريخ البشري.

=

البخاري، ج٤ ١٩١.

(١) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، ج١ ٥٣٠، رقم ٤٣٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾، ج٦/٣٧٨، رقم ٣٣٨٠، ٣٣٨١، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ في الحجر، ج٨/١٢٥، رقم ٤٤١٩، ٤٤٢٠، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين ﴾، ج٨/٣٨١، رقم ٤٧٠٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، ج٤/٢٢٨٥، رقم ٢٩٨٠ .

(٢) – أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود، ج٣/١٥٤، رقم ٣٠٠١، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، انظر: فتح الباري، ج٧/٣٣٢.

(٣) – سورة الصافات، الآيات: ١٣٣ – ١٣٨.

أولاً: الغاية من النظر في التاريخ البشري:

لعل من المهم أن نشير إلى جملة الأهداف الدعوية التي تبتغى من عرض التاريخ البشري في القرآن الكريم:

١ – التأكيد على المصدر الإلهي للقرآن.

إن التفاصيل التاريخية الدقيقة التي أوردها القرآن الكريم عن حياة الأنبياء ودعوتهم قد لا تكون موجودة بهذا الوضوح في الكتب السابقة، وقد أشار القرآن إليها في تعقيباته على بعض القصص والأحداث، قال الله ﷻ بعد ذكر قصة نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون**﴾[١] وفي قصة مريم يقول الله ﷻ: ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**﴾[٢] ولو وجدت تلك التفاصيل والأخبار في بعض الكتب المتقدمة فإن من الأمور المؤكدة كون النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب مما يزيل الشك والريبة لدى كل مبطل، قال النحّاس: "وذلك دليل على نبوته لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل كتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم"[٣] وكفى بذلك برهاناً على المصدر الإلهي للقرآن الكريم قال الله ﷻ: ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾[٤].

٢ – بيان سنة الله في الصراع بين الحق والباطل.

إن سنة التدافع بين الحق والباطل قانون إلهي قدره الله بحكمته لمصالح يعلمها ﷻ

---

(١) – سورة يوسف، الآية: ١٠٢.

(٢) – سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٣) – انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٤/٢٠٧، وانظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالآيات، (ط:الأولى، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٩ هـ)، ص ٢٢٢.

(٤) – سورة العنكبوت، الآية: ٤٨ .

قال الله ﷻ: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[١]، وقال الله ﷻ: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾[٢] ولهذا فإن دراسة التاريخ والنظر في أحوال الأمم يجب أن يصحبها الاعتبار وإدراك السنن الربانية في النصر والخذلان، وحينما استغرب الصحابة ﷺ ما حصل لهم في غزوة أحد من خذلان ترتب على معصيتهم للرسول ﷺ ردهم المولى الكريم ﷻ إلى السنن الإلهية التي لا تحابي ولا تجامل أحداً قال الله ﷻ: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير * وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا . . . الآية﴾[٣] وقد وعى الصحابة ﷺ هذا الدرس جيداً فاستقاموا على الصراط المستقيم، وحقق الله على أيديهم ما وعد به عباده المؤمنين.

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) - سورة الأنبياء، الآيات: ١٦ - ١٨.

(٣) - سورة آل عمران، الآيات: ١٦٥ - ١٦٧.

٣ – تثبيت الدعاة وتسليتهم أمام ما يلقونه من المصائب.

إن في سرد قصص الرسل مع أقوامهم وما لقوه من أذى، والنظر في عواقب الأمم الخالية تثبيتاً للمؤمن وتسلية له حتى يمضي على طريق الدعوة وهو واثق في نصر الله وتأييده له يقول الله ﷻ: ﴿**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**﴾[١] ويتمثل ذلك التثبيت في قوة اليقين ورسوخه، وتثبيت الفؤاد ليكون راسخاً كرسوخ الجبل في تحمل أعباء الرسالة ونشر الدعوة ذلك: "أن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم"[٢] والموعظة: مايتعظ به من إهلاك الأمم المكذبة التي قد خلت، فإذا نظر المؤمنون في مصير المكذبين كان ذلك أدعى للتوبة والاستقامة ؛ لأن المؤمن من شأنه الانتفاع بالموعظة، أما الغافلون بكفرهم وإعراضهم فهم لا يسمعون، وبالتالي لا يستجيبون[٣]، وكان المشركون في عهد النبي ﷺ يثيرون الشبه حول تشريع الأحكام وإبدالها بأحكام أخرى وفق حكمة الله ورحمته، ويتهمون النبي ﷺ بالافتراء والبهتان، فبين ﷻ الحكمة من ذلك، يقول الله ﷻ: ﴿**وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾[٤] فجاء الرد القوي الحاسم ليؤكد أن من خصائص القرآن الكريم تثبيت المؤمنين بتوارده عليهم وقتاً بعد وقت، وما يشتمل عليه من قصص وأحكام ومواعظ وحجج وآيات، ذلك " أنه كلما نزل شيئاً فشيئاً، كان أعظم هداية وبشارة لهم، مما لو أتاهم جملة واحدة، وتفرق الفكر فيه، بل ينزل الله حكماً

---

(١) – سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) – الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢ ٤٣٩، و نظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١٢ ١٩٥، ١٩٦.

(٣) – نظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩ ١١٦.

(٤) – سورة النحل، الآية: ١٠٢.

وبشارة أكثر، فإذا فهموه وعقلوه، وعرفوا المراد منه، وتروَّوا منه، أنزل نظيره وهكذا"[١].

٤ – بيان آجال الأمم والشعوب:

لقد وضع الله أمداً مضروباً لحياة الأمم والأفراد، وهذا الأجل على نوعين:

أحدهما: أجل من يبعث الله فيهم رسلاً لهدايتهم فيتعنتون ويطلبون الآيات، فينذرون بالإهلاك إن لم يستجيبوا فيكذبون فيهلكون، كما أهلك الله قوم نوح وعاد وثمود وإخوان لوط وغيرهم.

النوع الثاني: الأجل المقدر لحياة الأمم عزيزة مرهوبة الجانب وقد تنتهي بالشقاء والاستذلال إن لم تنته بالزوال والفناء، وهذا منوط بسنن الله في الاجتماع البشري والعمران، حيث إن الإسراف في الزينة والتمتع بالطيبات، واقتراف الفواحش والآثام، والشرك، والظلم، كل ذلك مؤذن بخراب الأمم وتعجيل هلاكها، ويشهد لذلك تاريخ اليهود والروم والعرب والفرس[٢] قال الله ﷻ: ﴿**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[٣] وقال الله ﷻ: ﴿**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**﴾[٤] وهو حكم يشملهم ويشمل غيرهم في إمهال الأمم التي حق عليها الهلاك، وهو إنذار لهم بتذكيرهم بهذه السنة الإلهية حتى لا يغتروا بما هم فيه من التمتع بالنعيم، فيحسبون أنهم أفلتوا من الوعيد[٥]، وهذه السنة تنطبق على البر والفاجر. قال ﷻ حكاية عن نوح عليه السلام وما قاله لقومه: ﴿**أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**

---

(١) – عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤/٣٤٢. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/١٧٧.

(٢) – انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٨/٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) – سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٤) – سورة الحجر، الآية: ٤، ٥.

(٥) – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤/١٤، ١٥.

﴿لو كنتم تعلمون﴾[١]، فإذا أطاعوا نبيهم انطبقت عليهم تلك السنة، بل جعل ﷻ أجلاً للدنيا والكون وما فيه من أجرام سماوية، قال ﷻ: ﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾[٣] وهذا الأجل لا يعلمه إلا الله ﷻ، ويبين ﷻ الحكمة في الإمهال بحيث إنه لو آخذ الناس بأعمالهم السيئة لقضى عليهم بسبب ذنوبهم الكثيرة، ولكنه أخرهم إلى أجل محدد وفق علمه وحكمته، قال ﷻ: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٤] وليس لأحد كائناً من كان أن يعلم هذا الأجل حتى النبي ﷺ لما استعجل المشركون أجلهم، وقالوا له فيما حكاه الله ﷻ عنهم: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾[٥] أجابهم بقوله: ﴿قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهارًا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾[٦].

---

(١) - سورة نوح، الآية: ٤.

(٢) - سورة الأحقاف، الآية: ٣.

(٣) - سورة الزمر، الآية: ٥.

(٤) - سورة النحل، الآية: ٦١.

(٥) - سورة يونس، الآية: ٤٨.

(٦) - سورة يونس، الآيتان: ٤٩، ٥٠. وانظر ماذكره الفخر الرازي من فوائد قصص الأنبياء في القرآن الكريم: تفسير الفخر الرازي، ج١٤/١٥٢ - ١٥٣، وانظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالآيات، ص٢٢٢ ٢٣٧.

ثانياً: ملامح المنهج الحسي في عرض تاريخ المكذّبين:

ولعلنا بعد هذا نتعرَّض لنماذج من التاريخ البشري، مراعين فيها صلتها الجلية بالمنهج الحسِّي، تاركين أمثلة غير صريحة في تبيان تلك الصلة، وقد سبقت الإشارة إلى المقصود بالنظر في عواقب التكذيب، وأنه من صور المنهج الحسي، وأن لفت نظر المدعو إلى التاريخ البشري ليس بدعاً من الأمر بل هو منهج سلكه الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لأقوامهم، انظر في مقالة هود لقومه وهو يدعوهم، حيث استخدم تاريخ الجيل الذي سبقهم – وهم قوم نوح – لفتاً لأنظارهم إلى نعم الله عليهم والتي من بينها نعمة استخلافهم من بعدهم. قال الله ﷻ: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**﴾[1]، وقال صالح لقومه: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد**﴾[2]، ولم يكن استخدام التاريخ البشري في دعوة الأنبياء محصوراً في تلك الصور المذكورة فحسب، بل نجد له استخدامات عدة من أبرزها توظيفه في الترغيب والترهيب من عواقب المخالفة والمشاقة لله ورسوله، يتضح ذلك في قول شعيب عليه السلام، قال الله ﷻ حكاية عن شعيب وما قاله لقومه: ﴿**ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد**﴾[3] أي: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على سلوك سبيل المعصية والإصرار على الكفر والمعاصي وعدم طاعتي، فإن أقواماً قبلكم تسمعون أخبارهم، وتشهدون آثار مصارعهم، أعرضوا فحقت عليهم سنة الله في المكذبين، فلا تسلكوا مسلكهم، ﴿**وما قوم لوط منكم ببعيد**﴾ قيل: المراد في الزمان، وقيل: في المكان ويُحتمل الأمران[4]، وانظر إلى قول مؤمن آل فرعون وهو يدعو قومه إلى تصديق نبيهم موسى عليه

---

(١) – سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٢) – سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(٣) – سورة هود، الآية: ٨٩.

(٤) – انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٠٤/٧، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤٣٨/٢.

السلام كيف استخدم التاريخ البشري مرغّباً ومرهّباً في استثارة دوافع الاستجابة في نفوس الناس، قال الله ﷻ: ﴿وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد﴾[١].

ومن النماذج ذات العلاقة الوطيدة في مضمونها بالمنهج الحسي:

١ – قصة نبي الله صالح عليه السلام [٢]:

لعل قصة قوم صالح عليه السلام من ألصق القصص بالمنهج الحسي باعتبار رؤية المسلمين لآثار إهلاكهم في غزوة تبوك مع الرسول ﷺ كما سترد الإشارة إليه، لقد أرسل الله صالحاً إلى قوم ثمود، وكانت منازلهم في الحجر بين الحجاز والشام، وكانوا يعبدون الأصنام وقد أنعم الله عليهم بنعمة رغد العيش، ففجروا العيون، وغرسوا الحدائق والبساتين، فذكرهم صالح عليه السلام بوجوب عبادة الله وحده لا شريك له وشكر نعمه كما في قوله ﷻ: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٣]، ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[٤] ولكنهم أعرضوا واستكبروا وسألوا نبيهم آية تعجيزاً له، فأرسل الله لهم معجزة وهي الناقة، وأمرهم أن لا يمسُّوها بسوء، وأن يذروها تأكل في الأرض، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصيحته بل عقروا الناقة واستعجلوا العذاب ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾[٥] ولما لم

---

(١) – سورة غافر، الآيتان: ٣٠ – ٣١ .

(٢) – انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج٨/٢٢٤، وانظر للاستزادة: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص القرآن، (ط:دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ)،ص ٢٦ – ٣٢، وانظر:عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن، (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ)، ص ١٨٣ – ١٨٨، وانظر:محمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص ٢١٤.

(٣) – سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٤) – سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(٥) – سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

يكن إلا العناد منهم وعدم السماع للنصح المخلص حقت عليهم سنة الله بإهلاك المكذبين، فأرسل عليهم صيحة قطعت أجوافهم، وأنجى الله المؤمنين مع نبيهم صالح عليه السلام وفي ذلك عبرة للمعتبرين، قال الله ﷻ ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود ﴾[1]، وقد جاءت القصة مفصّلةً للتدبير الخفي الذي قام به قوم صالح زيادةً في المكر بنبيِّهم ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون * قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون * وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون * قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * ونَجَّينا الذين آمنوا وكانوا يتَّقون ﴾[2]، ومهما تكن قوة العدوّ فإن الله أقوى، وهو القاهر فوق عباده، فلا يحسبن الماكر أنه غائب عن علم الله ﷻ، ولا أنه غير مُحْضَر للحساب والعذاب، فهؤلاء قوم

---

(١) - سورة هود، الآيات: ٦٥ - ٦٨.

(٢) - سورة النمل، الآية: ٤٥ - ٥٣ وانظر: سور: الأعراف: ٧٣ - ٧٩، هود: ٦١ - ٦٨، الحِجْر: ٨٠ - ٨٤، المؤمنون: ٣١ - ٤١، الفرقان: ٣٨، الشُّعَراء: ١٤١ - ١٥٩، النَّمْل: ٤٥ - ٥٣، العنكبوت: ٣٨، فصِّلت: ١٤ - ١٨، الذَّاريات: ٤٣ - ٤٥، النَّجْم: ٥١، القمَر: ٢٣ - ٣١، الحاقَّة: ٤ - ٨، الشمس: ١١ - ١٥.

صالح ﷺ " سمى الله ﷻ تآمرهم مكراً لأنه كان تدبير ضر في خفاء، وأكَّد مكرَهم بالمفعول المطلق للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنْوينُه للتعظيم"(١) ولم يكن ذلك المكر ليغني عنهم من الله شيئاً لما جاء أمره ﷻ، فقد دمَّرهم وقومهم أجمعين، وأصبحت ديارهم شاهداً حسياً على عاقبة الظلم الوخيمة، وعبرةً لكل ظالم في كل حين، وكانت ديارهم معلومة لقريش وهي في طريق تجارتهم إلى الشام(٢).

وقد ذكر ﷻ في هذه الآيات أموراً ثلاثة:

الأول: أنه دمَّر جميع قوم صالح بما فيهم أولئك التسعة الذين وصفهم الله ﷻ بأن دأبهم الفساد وعدم الإصلاح، قال تعالى:﴿ **أنا دمَّرناهم وقومهم أجمعين** ﴾، وأن بيوتهم التي خلت من أهلها أصبحت شاهداً حسياً على عاقبة التكذيب.

الثاني: أن ما حصل لهم يعد من أعظم العبر والآيات التي يجب أن يتعظ بها المدعو، فيحذر من تكذيب الرسل ومن الكفر حتى لا يصيبه ما أصابهم قال ﷻ:﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يعلمون**﴾ .

الثالث: نجاة المؤمنين إنما كانت بسبب تقوى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ **ونَجَّينا الذين آمنوا وكانوا يتَّقون**﴾(٣)، وفي زيادة فعل الكون في: ﴿ **وكانوا يتَّقون** ﴾ للدلالة على تمكنهم من التقوى(٤)، وتأخير الإخبار بنجاة المتقين في قوله تعالى: ﴿ **ونَجَّينا الذين آمنوا وكانوا يتَّقون** ﴾ عن جملة ﴿ **إن في ذلك لآية لقوم يعلمون** ﴾ تطمين لقلوب المؤمنين أن لا يخافوا وأن

---

(١) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩/٢٨٤.

(٢) - انظر: المرجع السابق، المدرك ذاته.

(٣) - انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٦/٤١٠.

(٤) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩/٢٨٧.

الله ﷻ سينجّيهم ممَّا تخوّفهم به قريش كما نجّى الله صالحاً والذين معه[١].

٢ – قصة نبيّ الله لوط عليه السلام:

قصة قوم لوط هي الأخرى في سياق الأمثلة الصريحة على المنهج الحسي، كانت معلومة لمن نزل عليهم القرآن ويمرون عليها صباحاً ومساءً، وكان أهلها ذوي طباع فاسدة ونفوس شريرة، لا يتعففون عن معصية، ولا يتورعون عن قبيح، تعاطوا محرماً لم يكن ليدور بخلد أحد فعله قبلهم، فكانوا يأتون الذُّكرَان من العالمين، ويذرون ما خلق الله من النساء، مخالفةً للفطرة، وشذوذاً لم تعرفه البشرية من قبل، فلما تلوثت نفوسهم بالغواية، واستمرؤا تلك الفاحشة أرسل الله إليهم لوطاً يأمرهم وينهاهم، فلم يستمعوا إليه بل هددوه بالإخراج بحجة أنه يتطهر عن قبيح فعلهم، كما قال ﷻ: ﴿**فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾[٢] وحينئذ سأل لوط ربه بالنصر على هؤلاء المفسدين، فاستجاب الله دعاءه فأرسل ملائكةً إلى هذه القرية الظالم أهلُها ؛ لينزلوا بهم سخط الجبار ﷻ. قال الله ﷻ: ﴿ **فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد**﴾[٣]، قال الله ﷻ في قصة قوم لوط: ﴿**وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزاً في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون**﴾[٤]، قال قتادة: " نعم والله صباحاً ومساءً يطئونها وطئاً، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ

---

(١) – انظر: المرجع السابق، المدرك ذاته .

(٢) – سورة النمل، الآية: ٥٦ .

(٣) – سورة هود، الآيتان: ٨٢ – ٨٣، وانظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص ٦٠ – ٦٦ وانظر: عمي بن حمابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، (ط: الأولى، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٦ هـ)، ص ١٦١.

(٤) – سورة الصافات، الآيات: ١٣٣ – ١٣٨.

على قرية قوم لوط"[١]، وقال محمد جمال الدين القاسمي: في قوله ﷻ: ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون**﴾: " **أي: فترون دائماً علامات مؤاخذتهم**"[٢]، وخُصَّ هذان الوقتان بالذكر دون غيرهما لأن القوم كانوا يسافرون إلى الشام، والمسافر في الغالب إنما يمشي في الليل وفي أول النهار[٣]، وقال الله ﷻ: ﴿**وإنها لبسبيل مقيم**﴾[٤] فأماكنهم وقراهم التي دمَّرها الله عليهم شاهد تاريخي حسي، وهو بسبيل مقيم ثابت لم يندرس ويشاهدونه بأعينهم كلما سافروا ومروا عليه[٥]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "والمراد أن مرورهم عليها، ورؤيتهم لها خالية من أهلها ليس فيها داع ولا مجيب لأن الله أهلكهم لما كذبوا رسولهم فيه أكبر زاجر عن تكذيب نبينا محمد ﷺ، لئلا ينزل بمن كذبه مثل ما نزل بقوم لوط"[٦]، وفي التعقيب على قصة قوم لوط ونهايتهم الأليمة قال الله ﷻ: ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسّمين**﴾[٧]، وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى المتوسمين، وخلاصتها أنهم: هم المتفرسون، والناظرون، والمعتبرون، والمتأملون[٨]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "وللعلماء في معنى التوسم المذكور في الآية أقوال متقاربة يرجع معناها كلها إلى شيء واحد، وهو أن ما وقع لقوم لوط فيه موعظة وعبرة لمن نظر في ذلك وتأمله حق التأمل، ولا يخفى أن الاعتبار والنظر والتفرُّس والتأمل معناها واحد... وإطلاق التوسم على التأمل والنظر والاعتبار مشهور في كلام العرب ومنه قول

---

(١) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٣/٩٧.

(٢) - محاسن التأويل، ج١٤/١٢٩.

(٣) - تفسير الفخر الرازي، ج٢٦/١٦٣، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣/١٧١.

(٤) - سورة الحجر، الآية: ٧٦.

(٥) - نظر: تفسير الفخر الرازي، ج١٩/٢٠٨، وانظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، ١٥٩.

(٦) - أضواء البيان، ج٦/٣٢٨.

(٧) - سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٨) - انظر:الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٨/٤٥، ٤٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ٥٣٦.

زهير[١]:

وفيهـن ملهـى للصديـق ومنظـر أنيـق لعـين النـاظر المتوسـم"[٢].

وكان المشركون من قريش يمرون على ديار قوم لوط في أسفارهم للتجارة إلى الشام، وفي مرورهم ذلك ينظرون إلى آثار العذاب الذي حلَّ بهم، حيث جعل محلتهم بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح[٣]، قال الله ﷻ:﴿ **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السَّوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً** ﴾[٤] قال الألوسي: هذه"جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدة كفار قريش لآثار هلاك بعض الأمم المتبَّرة وعدم اتعاظهم بها"[٥]، ولا ريب أن رؤيتهم لآثار ما حل بقوم لوط كاف لاتعاظهم وانتفاعهم بما يرون، ولكن القضية ليست في النظر بحد ذاته، وإنما المشكلة الرئيسة تتمثل في كونهم لا يؤمنون بالبعث الذي يدفعهم إلى الاستجابة للحق[٦]. قال أبو السعود معلقاً على قوله ﷻ:﴿ **أفلم يكونوا يرونها** ﴾: " توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة موجبه"[٧]

٣ – استخدامات نبينا ﷺ للتاريخ البشري:

وكان النبي ﷺ يستخدم الشواهد التاريخية الحسية التي يمرُّ عليها هو وأصحابه، كما

---

(١) – زهير بن أبي سلمى بن ربيعة من مزينة وهو حكيم الشعراء في الجاهلية له ديوان شعر أشهر ما فيه معلقته التي نظمها على إثر انتهاء حرب عبس وذبيان مات سنة ١٣ قبل الهجرة . انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣/٥٢، وانظر: محمد إبراهيم نصر، المعلقات العشر، (ط:دار الرشيد، الرياض)، ص ٩١.

(٢) – انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣/١٥٨.

(٣) – انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/٢١، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩/٢٩، محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج٧/٢٦٢.

(٤) – سورة الفرقان، الآية: ٤٠.

(٥) – روح المعاني، ج١٠/٢٢، وانظر: تفسير أبي السعود، ج٦/٢١٩، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٢٨١.

(٦) – انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٩/١٦، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ٣٠٩.

(٧) – تفسير أبي السعود، ج٦/٢١٩، وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج١٠/٢٢.

حصل في طريقه بتبوك لما مر على ديار ثمود وهم قوم صالح عليه السلام « **عَنْ عَبْدِاللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ** »[1]، يوجه النبي ﷺ الأمة إلى الاعتبار وعدم الغفلة، ذلك أن رؤية مصارع الذين كفروا والذين ظلموا لمما يوقظ القلوب التي فيها حياة، وتلك المصارع نموذج حسي يراه المدعو ويحس به، وهو يجسِّد عاقبة المعاصي والمخالفات وما آلت بأصحابها فيحذر من أن يرد المصير ذاته، فيثير ذلك عنده دافعَ الاستجابة، بل إن النبي ﷺ يضرب المثل الحسي المشهود بصورة أوضح لترسيخ هذا الأمر في النفوس، وذلك لما أسرع في مشيه، وغطى رأسه حتى جاوز مكانهم، « **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ**[2] **قَالَ: لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ** »[3]، ولا ريب أن لفت النظر إلى هذا التاريخ البشري، وعرضه بهذه الصورة الحسِّية الحية لمن أقوى المولدات لدوافع الاستجابة بإذن الله. قال ابن حجر مبيناً موجبات الخوف والخشية: " ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعث على التفكُّر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض، و إمهالهم مدَّة طويلة ثم إيقاع نقمته بهم وشدَّة عذابه، وهو ﷻ مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مرَّ عليهم و لم يتفكَّر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودلَّ على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما

---

(١) - انظر تخريجه ص ٤٠١ .

(٢) - الحِجْر: كل بناء بنيته، وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر وهو بالكسر اسم لأرض ثَمُود قوم صالح. القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٧/ ٣١٢. ابن الأثير الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١/ ٣٢٩ .

(٣) - انظر تخريجه: ص ٤٠١.

أصابهم"[١]، وكان النبي ﷺ يؤكّد بفعله ما يجب أن تكون عليه الأمة من خوف ووجل، فإنه ﷺ لما مر على ديار الهالكين «**قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ**»، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أمر عليه الصلاة والسلام بعدم الشرب من مياه تلك الآبار، وألا يستسقوا منها، ولما أخبره أصحابه بأنهم عجنوا منها، أمر بطرح ذلك العجين، وإراقة الماء عليه « **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا**[٢] **ذَلِكَ الْمَاءَ. وَيُرْوَى عَنْ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ وَأَبِي الشُّمُوسِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ الطَّعَامِ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنِ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ** »[٣].

وفي الحديث من الفوائد:

١ - الحث على المراقبة.

٢ - الزجر عن السكنى في ديار المعذبين.

٣ - الإسراع عند المرور بها"[٤].

٤ - الأمر بالبكاء الناشيء عن التفكر في أحوالهم، وأن ذلك التفكر يشمل ثلاثة أقسام: تفكّرٌ يتعلق با لله ﷻ إذ قضى على هؤلاء بالكفر. وتفكّرٌ في الجرأة على الله من قبل هؤلاء الظالمين. وتفكّرٌ يتعلق بالمار عليهم حيث وفق وهدي للإيمان[٥]

---

(١) - فتح الباري، ج١/٥٣١. وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢/٩٤. وانظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٤/١٩١.

(٢) - أي: يريقوا الماء من الإراقة. وإنما أمرهم ألا يشربوا من مائها خوفاً أن يورثهم شربه قسوة في قلوبهم أو ضرراً في أبدانهم. بدر الدين العيني، عمدة القاري، ج١٥/٢٧٤. وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٧/٣١٤.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ ج٦/٣٧٨. رقم ٣٣٧٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، ج٤/٢٢٨٦، رقم ٢٩٨١.

(٤) - فتح الباري، ج١/٥٣١. وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢/٩٤، وانظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٤/١٩١.

(٥) - انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، ج٤/١٩١.

٥ – أن الماء الذي بديار ثمود لا يجوز شربه، ولا العجين ولا الطبخ منه، ويجوز أن تسقى منه البهائم، إلا ما كان من بئر الناقة.

قال ابن القيم: " وكانت – أي بئر الناقة – معلومة باقية إلى زمنه ﷺ، ثم استمر علم الناس بها قرناً بعد قرن إلى وقتنا هذا"(١)، وذكر الحافظ ابن حجر أن تلك البئر علمت بالتواتر(٢)، وفي ذلك دليل على وجود هذا الأثر التاريخي الحسي الذي يعلمه الناس منقولاً بالتواتر، ويشاهدونه.

ومن استخداماته ﷺ للتاريخ البشري في الدعوة ما يبينه ﷺ في تصوير عاقبة المعاصي بصورة حسية مشهودة حتى لكأن المدعو يراها رأي عين، ومن الأمثلة على ذلك هذا الحديث الذي رواه «**أَبوهُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ (٣) تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ(٤) إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ(٥) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٦)، إن تصور رؤية هذا الرجل المتغطرس المتكبر على الناس وهو يضطرب في الأرض ويدخل فيها من شق إلى شق منظر تتفطر له القلوب، ويلقي في الروع الخوف والهلع الشديد من عاقبة الكبر والخيلاء، وهو منظر وقع وتحقق لهذا الرجل في الأمم المتقدمه، يستخدمه النبي ﷺ في استثارة دوافع الاستجابة في النفس البشرية، قال القسطلاني بعد أن تكلم عن هذا الحديث: "والحاصل أن هذا حكاية عن وقوعه في الأمم

---

(١) – زاد المعاد، ج٣/٥٦٠.

(٢) – فتح الباري، ج٦/٣٨٠.

(٣) – الحُلَّة: ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل: إزار ورداء وهو الأشهر. ابن حجر، فتح الباري، ج١٠/٢٦٠. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١٢/٥١٠.

(٤) – مرَجِّل جُمَّتَه: مسرِّح شعره والجمة مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. ابن حجر، فتح الباري، ج١٠/٢٦١. القسطلاني، إرشاد الساري، ج١٢/٥١٠.

(٥) – الجلجلة: الحركة مع صوت. أي: يتحرك أو يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق. فتح الباري، ج١٠/٢٦١. القسطلاني، إرشاد الساري، ج١٢/٥١٠.

(٦) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ج١٠/٢٥٨، رقم ٥٧٨٩، ٥٧٩٠. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي، مع إعجابه بثيابه، ج٣/١٦٥٣، رقم ٢٠٨٨.

السابقة"[١] وقال النووي: "قيل: يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي ﷺ بأنه سيقع هذا، وقيل: بل هو إخبار عمن قبل هذه الأمة وهذا هو الصحيح"[٢]، ولا ريب أن ذكر اسم هذا الرجل في الحديث ليس مقصوداً لذاته لأنه ليس موطن العبرة وإلا لذكره ﷺ، وإنما المقصود هو الانتفاع بهذا التاريخ البشري وهو يعرض ألواناً من المثلات[٣] التي حلت بالأمم السابقة.

وثمَّة نموذج آخر يعرضه النبي ﷺ في محادثته مع اليهود وهو يدعوهم ويرغبهم في الإسلام « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**»[٤]، إن تذكيره ﷺ لهم بأحداث بدر شاهد حسي أبصر المدعوون نتائجه وثماره، وعاشوه واقعاً ملموساً، وأن ما حدث يوم بدر هو سنة جارية في نصر المؤمنين وخذلان الكافرين، ولا محيص من العقوبة لمن أعرض عن الحق وحاربه.

ولئن كان استخدام النبي ﷺ التاريخ البشري في دعوة غير المسلمين أمراً معروفاً فإن استخدامه أيضاً مع المؤمنين كان من سنته المعروفة، ولا سيما في عرضه لمواقف الثبات على العقيدة مهما كانت العوائق والتحديات، انظر إلى حديثه مع أصحابه ﷺ لما شكوا إليه شدة ما يلقون من المشركين « **عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً[٥] لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ**

---

(١) - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١٢/٥١٠.

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤/٦٤.

(٣) - المَثُلاتُ: العقوبات، واحدُهَا: المُثْلة أي:العقوبة. لسان العرب، ج١١/٦١٥، مادة: مثل.

(٤) - انظر تخريجه: ص ٤٠١.

(٥) - البُردَةُ: الشملة المخططة. وقيل كساء أسود مربَّع فيه صِغَر تلبسه الأعراب. وجمعها بُرَد. ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١/١١٦.

فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ(١) **فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ**(٢) **إِلَى حَضْرَمَوْتَ**(٣) **لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٤)، لقد كان النبي ﷺ يوجه الصحابة رضي الله عنهم، ويلفت نظرهم بمخاطبتهم بالتاريخ البشري ممثلاً في تاريخ الأنبياء والصالحين قبلهم الذين حملوا الدعوة، وما وقع عليهم من البلاء الشديد فلم يصدهم ذلك عن الدعوة التي يحملونها بل صبروا وصابروا حتى فتح الله عليهم، وكان عاقبة أمرهم النصر المؤزَّر والفتح المبين، إن هذا العرض بهذه الصورة البيانية من أعظم الصور في إيضاح جَلَدِ الأنبياء وأتباعهم على دعوتهم، ودأبهم على الثبات مهما كانت التضحيات التي يقدمونها في ذلك السبيل، وفيه كذلك توجيه للنظر إلى تاريخ الغابرين تحقيقاً للعبرة واستثارةً لدوافع الاستجابة، قال ابن حجر معلقاً على قوله ﷺ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ**» فيه " تسلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تتقضَّى المدة المقدورة، وإلى ذلك الإشارة بقوله في آخر الحديث:«**وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»"(٥)، وقال بدر الدين العيني معلقاً على قوله ﷺ:« **وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»: " حاصل المعنى: لا تستعجلوا فإن من كان قبلكم قاسوا ما ذكرنا فصبروا، وأخبرهم الشارع بذلك ليقوى صبرهم على الأذى"(٦)، وهذا التوجيه بلا ريب فيه أعظم التسلية لأصحاب البلاء، وهو الطريق الذي كان يسلكه القرآن الكريم وهو

---

(١) - وهي الآلة التي ينشر بها الأخشاب. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ج١٤/٣٦٩.

(٢) - صنعاء: قيل بأنها قاعدة اليمن المعروفة، وقيل: صنعاء الشام فيكون أبعد في البعد. والأول أقرب والمراد نفي الخوف من الكفار على المسلمين. انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨/١٠٥، وانظر: ابن حجر. فتح الباري. ج٦/٦١٩.

(٣) - بلدة باليمن أيضاً. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨/١٠٥.

(٤) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ج٦/٦١٩. رقم ٣٦١٢. كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ج٧/١٦٤، رقم ٣٨٥٢، كتاب الإكراه، باب من اختار الضربَ والقتلَ والهوانَ على الكفر، ج١٢/٣١٥. رقم ٦٩٤٣.

(٥) - فتح الباري. ج١٢/٣١٦، ٣١٧ .

(٦) - عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، ج١٦/١٤٥.

يخاطب المسلمين بعد غزوة أحد مسلياً لهم لمَّا أصابهم القَـرْح[١] وحصـل لهـم مـن الابتـلاء وإدالة العدو عليهم ما حصل، وإنما كان من جملة الأهداف التي يهدف إليها تثبيت المؤمنين ودفعهـم إلى الاسـتجابة لله ﷻ والرسـول ﷺ، قـال الله ﷻ: ﴿**وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربِّيُّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولَهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**﴾[٢].

وهكذا تبين لنا من خلال المعالجة في هذا المطلب أن لفت النظر إلى التاريخ البشـري في الكتاب والسنة كان أحد استخدامات المنهج الحسِّي في الدعـوة وتبـين أثـره كذلـك في تقوية دوافع الاستجابة.

---

(١) - القَرْح والقُرْحُ لغتان: عضُّ السلاح ونحوه، مما يجرح الجسد ومما يخرج من البـدن، وقيـل: القَـرْحُ: الآثـار، والقُـرْحُ: الألم. لسـان العرب، ج٢/ ٥٥٧، مادة: قرح.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٤٦ - ١٤٨ .

المطلب الثاني: لفت النظر إلى المحسوس

لقد بث الله ﷻ فيما خلق آيات كثيرة تدل على وحدانيته، وتلك الآيات يدركها الإنسان بحواسه، وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم والسنة النبوية النظر إليها، ويتخذان منها براهين على وجوب عبادة الخالق الرازق المتفضل، ونبذ الشرك بكل صوره وأشكاله، والمتأمل في القرآن الكريم يرى تنوعاً عجيباً في إشاراته إلى الآيات الكونية التي تهدف إلى إيقاظ دوافع الاستجابة في النفس البشرية لتتأمل الظواهر المحسوسة، فتنتقل من خلال النظر فيها إلى ما وراءها من نتائج مترتبة على تلك المقدمات[١]، ولقد سلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في مخاطبتهما للنفس البشرية من خلال لفت النظر إلى المخلوقات الحسّية منهجا قويماً، يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بالمحسوس، وما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة[٢]، ولا ريب أن ذلك يعد من أهم الطرق وأخصرها، في تحقيق الاستجابة.

لقد دعا القرآن الكريم الناس، ولفت أنظارهم إلى التبصر بحقيقة وجودهم ووجود الكون من حولهم وذلك عن طريق النظر الحسي، ابتداءً من مواضع أقدامهم، وانتهاءً بالنظر في آيات الله في الأنفس والآفاق، وأعطى للحواس البشرية مسؤوليتها الكبرى على كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والمعرفة والتجريب[٣] ، قال الله ﷻ: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[٤]، وآيات الله في الآفاق لها عطاء يتجدد في كل الأجيال، فقد أخبر ﷻ بأنه لا بد أن يري

---

(١) - انظر: محمد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، ص ١٨ .

(٢) - انظر: زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص ٣٠٤.

(٣) - انظر: عماد الدين خليل، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ)، ص ٨١ .

(٤) - سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

عباده من الآيات الأفقية والنفسية ما يبيِّن لهم أن الوحي حق لا ريب فيه[١]، قال ﷻ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[٢] فلم يقل سنريهم آياتنا في الأرض أو الأفق، بل جاء التعبير هنا بالآفاق ليدل على سعة تلك الرؤية التي يكشفها الله لعباده على مر السنين وكر الدهور، فكل شيء اكتشفه الناس أو سيكتشفونه في مستقبلهم مشار إليه في القرآن الكريم، وحينئذ يتبين لهم أن القرآن هو الحق، لأن قائله هو الله والخالق هو الله ﷻ[٣].

وقد وردت نصوص في لفت النظر إلى المحسوس من المخلوقات نوردها فيما يلي:

ففي لفت النظر إلى آلاء الله نجد لفت النظر إلى نعم كثيرة منها نعمة المطر قال الله ﷻ: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[٥]، وفي نعمة الطعام قال الله ﷻ: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأباً * متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[٦]، و« عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا

---

(١) - انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ج١/٥١.

(٢) - سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٣) - انظر: محمد متولي الشعراوي، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ط: دار العودة، بيروت، ١٩٨٩ م)، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) - سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٥) - سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٦) - سورة عبس، الآيات: ٢٤ - ٣٢.

يَصِيرُ»[١]. وفي نعمة الأنعام قال الله ﷻ: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾[٢]، وفي لفت النظر إلى آيات الأنفس قال الله ﷻ: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾[٣]، وقال ﷻ: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيةً للعالمين﴾[٥]، وقال ﷻ: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[٦]، وفي لفت النظر إلى آيات الآفاق انظر إلى قول الله ﷻ: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير

---

(١) - أخرجه أحمد في المسند، ج١٥/٤٥٨، رقم ٢١١٣٧، قال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١٠/٥١٤.

(٢) - سورة النحل، الآيات: ٥ - ٨.

(٣) - سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٤) - سورة الروم، الآية: ٢١.

(٥) - سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٦) - سورة الروم، الآية: ٢٣.

صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[1] وقوله ﷻ: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[2].

واستناداً إلى تلك النصوص يمكننا معالجة الموضوع في النقاط التالية:

أولاً: النظر في آلاء الله ﷻ ويشمل:

أ ـ النظر في نعمة المطر.

ب ـ النظر في نعمة الطعام.

ج ـ النظر في نعمة الأنعام.

ثانياً: النظر في آيات الأنفس ويشمل :

أ ـ النظر في أصل الخلق.

ب ـ النظر في آية التزاوج.

ج ـ النظر في اختلاف الألسنة والألوان.

د ـ النظر في حالتي النوم واليقظة.

ثالثاً: النظر في آيات الآفاق ويشمل:

أ ـ النظر في آيتي السماوات والأرض.

ب ـ النظر في آيات الليل والنهار والشمس والقمر.

---

(١) - سورة الرعد، الآية: ٢ - ٥.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

أولاً ــ النظر في آلاء الله

النظر في آلاء الله ﷻ ونعمه من أبرز مسالك القرآن والسنة في مخاطبة الإنسان بالمنهج الحسي، ولا شك أن العبد إذا تفَكَّرَ فيما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة، من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً ودافعاً إلى الاستجابة[1]، قال الفخر الرازي: "وتذكير النعم مما يوجب المحبة وترك المنازعة وحصول الانقياد"[2]، وقال الشيخ السعدي معلقاً على قول الله ﷻ: ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾[3]: "فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر والثناء بها على الله ﷻ ولكن أبى الظالمون إلا تمرداً وعناداً "[4]، فقد ذكر الله ماامتن به على عباده، ثم أنكر عليهم مساواتهم بين من يخلق ومن لا يخلق، وأن ذلك مدعاة إلى التفكير الجاد في أمر تلك النعم والمُنْعِم كما في قوله ﷻ: ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين * هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات

---

(١) - انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١/٩٦.

(٢) - تفسير الفخر الرازي، ج٢/١٠٨.

(٣) - سورة النحل، الآية: ٨١.

(٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤/٢٢٧.

بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾[1]، وتمثل تلك الآيات الكريمة استدعاء النظر والعقل لينظر في المتقابلات خالق المخلوقات العظيمة، وما يعتقد المشركون أن له تأثيراً في الحياة من جلب نفع أو دفع ضر[2]، وذلك الاستدلال يستهدف تحقيق الاستجابة لله ورسوله من خلال مخاطبة النفس بكل ما هو محسوس ومشاهد، فلما ذكر ﷻ تلك الدلائل على الوحدانية المتمثلة في نعمه الظاهرة والباطنة على العباد، بعدد الأنفاس واللحظات، نبههم إلى أن ثمة فرقاً بين من يخلق تلك الأشياء المذكورة وبين من لا يخلق، وأن ذلك لوضوحه وجلائه لا يحتاج إلى كثير تدبر ونظر، وبناءً على ذلك فالعبادة لا يليق أن تكون إلاَّ للمنعم المتفضِّل ﷻ فهو أحق وأجدر بالعبادة كلها، وأن الناس لو فكروا في إحصاء نعمه ﷻ وعدِّها عداً مجرَّداً عن شكرها لعجزوا[3]، قال الله ﷻ: ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[4] ولا ريب أن ذلك الأسلوب بهذه النصاعة والبيان يمثل قمة مخاطبة النفس البشرية من خلال ما هو محسوس، وهو ما يسمى بالمنهج الحسي، ولا ريب أن تلك النعم تجل عن الحصر والعدّ، ولذا سنختار منها ما يكفي للاستشهاد على الموضوع:

---

(١) - سورة النحل، الآيات: ٣ - ١٧.

(٢) - انظر: حمود بن أحمد الرحيلي، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، (ط: الأولى، دار العاصمة، ١٤١٤ هـ)، ص ٦٥ .

(٣) - انظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤/١٩١، وانظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢٠/١٢.

(٤) - سورة النحل، الآية: ١٨.

١ ــ النظر في نعمة المطر:

قال ﷻ: ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[١] ، قال الطبري " ومن حججه ﴿يريكم البرق خوفاً﴾ لكم إذا كنتم سفراً، أن تمطروا فتتأذوا به، ﴿ وطمعا ﴾ لكم، إذا كنتم في إقامة أن تمطروا فتحيوا وتخصبوا، وينزل من السماء مطراً يحي به الأرض الميتة، وفي ذلك آيات لمن يعقلون عن الله حججه"[٢]، وقال محي الدين شيخ زادة: " ووجه كونها آية أن السحاب ليس فيه إلا الماء والهواء، وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية البعد، فلا بد له من خالق قادر على جميع ما يشاء"[٣] والبرق آية محسوسة تسبق المطر بإذن الله، ومن الحكم الإلهية في كون البرق مرئياً ما يثيره في النفوس من الخوف من بأس الله، وما يثيره من الطمع في رحمة الله بنزول الغيث، ولذلك أعقبه بذكر نزول الغيث[٤]، والمياه النازلة من السماء جعلها الله ﷻ سبباً لتكون الأرض مهيئة لولادة المعادن ووجودها فيها، كما جعلتها مؤهلة لانتعاش النباتات المختلفة، وكل ذلك يتم وفق الحكمة الربانية المقتضية تسخير ما في السماوات والأرض ليعيش عليها الإنسان والحيوان تفضلاً منه ﷻ[٥]،ولا ريب أن رؤية الإنسان للبرق بصورتيه المختلفتين الخوف والرجاء والغيث النازل بعده فيه دلالة على أنه آية من عند الله وهو مما يثير في النفس دوافع الاستجابة .

والمطر من نعم الله ﷻ ووقت نزوله من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله « **عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ، لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ**

---

(١) – سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٢) – انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢١/٣٢. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣،٤١٥.

(٣) – حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ج٤/٢٥، وانظر: تفسير الفخر الرازي، ج٢٥/١١٥.

(٤) – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١/٧٨.

(٥) – انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ١٢٥.

مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ»[١]، إلا أن آثاره محسوسة مشهودة متمثلة في إحياء الأرض بعد موتها، ولا ريب أن ذلك مشهد مكرور محسوس يراه الناس ويتجدد كل حين، وهو من أعظم البراهين على قدرة الله في الإحياء المتجدد، وعلى البعث بعد الموت، لأن من أحيا الأرض الهامدة قادر على إحياء الناس بعد موتهم[٢] ، قال الله ﷻ: ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير** ﴾[٣]، وقال الله ﷻ: ﴿ **فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير** ﴾[٤]، وإنك لواجد ملامح المنهج الحسي في لفت النظر إلى هذه النعمة من خلال مخاطبتهم بما يعرفونه والإعراض عما لا يعرفونه، قال القرطبي وهو يتحدث عن قول الله ﷻ ﴿ **وينزل من السماء من جبال فيها من برد** ﴾[٥]: "فخاطبهم ﷻ بالبَرَد لأنهم كانوا يعرفون نزوله كثيراً عندهم، وسكت عن ذكر الثّلج ؛ لأنه لم يكن في بلادهم، وهو مثله في الصفة والمنفعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الثلج شيء أبيض ينزل من السماء وما رأيته قط"[٦]، وإذا كانت تلك توجيهات القرآن الكريم في لفت النظر إلى تلك النعمة المتجددة ووجوب النظر في آثارها فإن السنة النبوية لم تغفل هذا الأمر فلقد كان ﷺ يرسخ العقيدة

---

(١) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ج٢ ٥٢٤، رقم ١٠٣٩، كتاب التفسير، باب: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾، ج٨/٥١٣، رقم ٤٧٧٨، وباب قوله تعالى: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾، ج٨/٢٩١، رقم ٤٦٢٧، وباب قوله تعالى: ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ﴾، ج٨/٣٧٥، رقم ٤٦٩٧ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾، ج١٣ ٣٦١، رقم ٧٣٧٩.

(٢) - انظر: سعيد بن علي وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله، (ط الثالثة، ١٤١٧ هـ)، ص ٣٩٧.

(٣) - سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٤) - سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٥) - سورة النور، ٤٣.

(٦) - الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/١٥٤.

الصحيحة، ويستثير دوافع الاستجابة في نفوس أصحابه من خلال لفت النظر إلى رحمة الله النازلة من السماء وجعل منها كل شيء حيّاً بإذنه ﷻ انظر إلى الحديث المرويّ« **عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ**(١) **كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ**(٢) **كَذَا وَكَذَا: فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(٣) إن نزول المطر من الظواهر التي يعيشها الناس ويشاهدونها، وربما لطول الإلف لا يتنبهون لعظمة هذه النعمة وما فيها من التدبير الإلهي الحكيم، فالنبي ﷺ يلفت نظر المدعو إلى تدبُّر هذه الظاهرة وذلك بالبدء بإثارة الانتباه من خلال هذا السؤال « **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، «وَهَلْ» لفظ استفهام معناه التنبيه(٤)، فلما لم يكن لديهم علم ردوا العلم لله ورسوله، وذلك من كمال أدبهم رضي الله عنهم، حتى إذا تهيؤا للجواب جاءت الإشارة منه ﷺ في موقعها اللائق بها بعد أن تهيأت النفوس لاستقبال ما يقال لها، وهو بيان موقف العباد من نعمة الغيث وانقسامهم إلى قسمين:

القسم الأول: من ينسب المطر إلى بعض النجوم والمطالع، وينسى تدبير الله ﷻ وأنه لا يجري شيء في الكون إلا بإذنه، ولا ريب أن من اعتقد هذا يكفر به كفراً أكبر يخرج من الملة إذا وصل إلى حد الاعتقاد.

---

(١) - أي: مطر. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/٥٩.

(٢) - معنى النَّوْء: الكواكب وبذلك سموا نجوم منازل القمر الأنواء، وإنما سمي النجم نوءاً لأنه ينوء طالعاً عند مغيب مقابله ناحية المغرب. صحيح البخاري بشرح الكرماني، (ط:الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ) ج٥/١٩٤.

(٣) - أخرجه البخاري. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الاستسقاء. باب قول الله تعالى:﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾. ج٢/٥٢٢، رقم ١٠٣٨. كتاب الأذان. باب يستقبل الإمام الناسَ إذا سلّم ج٢/٣٣٣. رقم ٨٤٦. كتاب المغازي. باب غزوة الحديبية. ج٧/٤٣٩، رقم ٤١٤٧. كتاب التوحيد. باب قول الله تعالى:﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾. ج١٣/٤٦٦. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان. باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء. ج١/٨٣، رقم ٧١.

(٤) - ابن حجر، فتح الباري، ج٢/٥٢٣، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٣/٦٤.

والقسم الثاني: هومن ينسب المطر إلى الله ﷻ، ويعتقد أنه رزق الله الذي تفضل به رحمة ومنّة على عباده تستحق الشكر، وهذا هو اعتقاد المؤمن الصادق(١)، ولا شك أن عرض مسلكي الإيمان والكفر بهذه الصورة في هذا السياق من أقوى صور الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر، إذ إن مقتضى مدح المؤمنين الحثّ على التوحيد والاستجابة لله ﷻ، ومقتضى ذم الكافرين يصب في الاتجاه ذاته لتكون المحصلة النهاية إثارة دوافع الاستجابة في النفس البشرية بشتى الوسائل والأساليب، قال الحافظ ابن حجر: " كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً، فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر تشريك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك...وورد الحديث تنبيهاً على مبالغتهم في نسبة المطر إلى النوء... وفي الحديث من الفوائد: طرح الإمام المسألة على أصحابه وإن كانت لا تدرك إلا بدقّة النظر"(٢) وقال القرطبي: "وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطر أو ريح ؛ فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب الساقط ؛ نسبة إيجاد واختراع.. فنهى الشرع عن إطلاق ذلك"(٣).

٢ ــ النظر في نعمة الطعام:

ثم انظر إلى دعوة القرآن الكريم الإنسان إلى النظر في حاجاته الأساسية المحسوسة ومنها: طعامه وشرابه، كيف يتكوّن ؟ وهل له نظر في مراحله التي مر بها حتى أصبح سهلاً ميسوراً ؟ ليستدل بذلك على معرفة الله ﷻ والإيمان به، ويغرس العقيدة مقرونة بالبراهين، حتى تكون أثبت وأرسخ في النفس البشرية، وهو تفنن في الأساليب، وتعريض

---

(١) - انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢/٥٢٤، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/٦٠، وانظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، ج١/٢٥٩، وانظر: ابن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩/٢٦٠.

(٢) - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢/٥٢٤.

(٣) - المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، ج١/٢٦٠، وانظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج٦/١٢٤.

بالمنة على الإنسان في هذه الدلائل[١]، إذ إن الطعام الذي يأكله الإنسان ويتغذى به أمر محسوس للإنسان وفي متناول يده كل لحظة وقد أشارت إلى وجوب النظر فيه نصوص الكتاب والسنة، قال الله ﷻ: ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهةً وأباً * متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾[٢]، و«**عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ**»[٣].

فإذا تأمل الإنسان في طعامه وجد أنه يمر بمراحل متعددة حتى يصير طعاماً يطعمه الإنسان ويتغذى به.

المرحلة الأولى: ﴿**أنا صببنا الماء صباً**﴾مرحلة الماء المصبوب النازل من السماء وكل إنسان – مهما كانت ثقافته وعلمه – يحس بهذه النعمة الإلهية وآثارها، يستوي في ذلك سكان البادية والحاضرة، الأغنياء والفقراء، المثقفون والأميُّون، فهي حقيقة يخاطب بها كل إنسان.

المرحلة الثانية: ﴿**ثم شققنا الأرض شقاً**﴾ شق الأرض واخضرارها بانبثاق النبات الزاهر في صورة عجيبة تأتي فيها بخيراتها وأقواتها المختلفة في طعمها ومذاقها، فمنها الحلو ومنها المر، ومختلفة كذلك في ألوانها ؛ فمنها الأحمر ومنها الأصفر، ومنها الأبيض، ومنها الكبير والصغير على الرغم من أن الماء الذي تسقى به واحد والتربة واحدة، فمن الذي قدر هذا وأوجده ؟ ثم يبين ﷻ الحكمة من هذا بأنه متاع لكم ولأنعامكم، وأن الآخرة

---

(١) – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ١٢٩.

(٢) – سورة عبس، الآيات: ٢٤ – ٣٢.

(٣) – انظر تخريجه، ص ٤٢٢ .

أمامكم، والتأمل في مجيئها دافع للانتهاء عن الكفر[١] .

وقد تضمنت تلك الدلائل الإشارة إلى أمور ثلاثة:

أولها: ذكر الدلائل الدالة على التوحيد.

ثانيها: ذكر الدلائل الدالة على القدرة على المعاد.

ثالثها: ذكر إحسان الله إلى عبيده بأنواع من الإحسان الموجبة لطاعته.

ثم أتبع تلك الدلائل بما يؤكدها ويحقق غايتها متمثلاً في شرح أهوال يوم القيامة، وما يحدثه سماعها من خوف يدعوه إلى التأمل المقوي لدوافع الاستجابة[٢]

٣ـ النظر في نعمة الأنعام:

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة الأنعام ذات الأغراض المتعددة التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أ)نعمة التذليل.

ب) نعمة الركوب والحمل.

ج) نعمة الجلد والانتفاع بما فيه من صوف ووبر وشعر.

د) نعمة اللبن واللحم[٣].

أ – نعمة التذليل:

قال الله ﷻ: ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾[٤].

لقد كان من تمام رحمة الله تعالى أن خلق أنعاماً يتصرف فيها الناس كيف يشاؤون، فهي مذلَّلة لهم بأمر الله، ينتفعون بها، ولو لم تكن مذللة ذلك التذليل لصعب انتفاع الناس

---

(١) – انظر: علي محمد ناصر فقيهي. منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان. (ط: الأولى. ١٤٠٥ هـ). ص ٥٧، ٥٨.

(٢) – انظر: تفسير الفخر الرازي، ج٣١/٦٤.

(٣) – محمد أحمد مكاوي. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم. ص ٢٤٨.

(٤) – سورة يس، الآيتان: ٧١ – ٧٢.

بها، ولصارت استخدامها من الأمور المتعذرة، فانظر إلى آثار الحكمة الربانية في خلق تلك الحيوانات العظيمة في هيئتها وشكلها ومع ذلك يقودها الطفل الصغير والمرأة الضعيفة، أوليس ذلك دليلاً حسياً يتردد بين يدي الناس على وجوب شكر الخالق المنعم.

ب - نعمة الركوب والحمل:

قال تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾[1]، لقد كانت المشقة في الحمل والركوب في الأسفار والغزو والحج والجهاد من الأمور الظاهرة، فامتن الله على العباد بهذه الأنعام التي تحملهم وتحمل معهم متاعهم، ولعل نعمة الحمل والركوب تظهر بشكل خاص في الخيل والبغال والحمير التي أفرد ذكرها وجمع بينها في آية واحدة كما قال تعالى: **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾** وهي نعمة يلفت القرآن الكريم النظر إليها، وهذه الآية من معجزات القرآن العلمية الغيبية قال ابن عطية في قوله ﷻ: **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾**: إنها" عبرة منصوبة على العموم، أي أن مخلوقات الله ﷻ من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشر، بل ما يخفى عنه أكثر ممَّا يعلم.. وكلُّ من خصَّص في هذه الآية شيئاً - كقول من قال: - سوس الثياب وغير ذلك - فإنما هو على جهة المثال، لا أن ما ذكره هو المقصود في نفسه"[2]، وفي الآية إيماء إلى أن الله ﷻ سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير وقد كان ذلك ففي زمننا هذا اتضح لنا شيء من إعجاز هذه الآية، - وربما ثمة أشياء في علم الله ﷻ ولم يدركها علمنا القاصر - حيث هيأ الله وسائل مواصلات فاقت التصور فالسيارات التي تسير في البر، والباخرات في البحر، والطائرات في الجو وكل ما صنعه الإنسان اليوم مما

---

(١) - سورة النحل، الآيتان: ٧ -٨.

(٢) - المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٨/٣٧٤.

يحسه هو آية على قدرة الخالق ﷻ، والنظر إليها مقوٍّ بعين التأمل لدوافع الاستجابة[١].

ج - نعمة الجلد والانتفاع بصوفه وشعره ووبره:

قال الله ﷻ: ﴿ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء** ﴾[٢]، وقال ﷻ: ﴿ **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين** ﴾[٣] قال ابن كثير: " يذكر ﷻ تمام نعمته على عبيده بما جعل لهم من جلود الأنعام بيوتاً من الجلد يستخِفُّونَ حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ومن أصواف الغنم وأوبار الإبل، وأشعار المَعْز أثاثاً وهو المال، وقيل: المتاع، و قيل: الثياب، والصحيح: أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالاً وتجارة"[٤]، ويتجلى المنهج الحسي في مخاطبة الناس بما يعرفونه في بلادهم، حيث عدَّد عليهم نعمه حسب أحوالهم وبلادهم قال القرطبي: " أذن الله ﷻ بالانتفاع بصوفها ووبرها وشعرها، كما أذن بذبحها، و لم يذكر القطن والكتان لأنه لم يكن في بلاد العرب المخاطبين به، وإنما عدَّد ما أنعم به عليهم، وخوطبوا بما عرفوا وما فهموا"[٥].

د - نعمة اللبن واللحم:

قال الله ﷻ: ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين** ﴾[٦]، وقال ﷻ: ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾[٧]، وقال ﷻ: ﴿ **ومنها**

---

(١) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤/١١١.

(٢) - سورة النحل، الآية: ٥.

(٣) - سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٤) - انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٢/٥٦١.

(٥) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/١٥٤، وانظر: ابن عطية الأندلسي، المحرَّر الوجيز، ج٨/٤٨٢.

(٦) - سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٧) - سورة المؤمنون، الآية: ٢١.

﴿يأكلون﴾[١] وإذا تأمل الإنسان هذا اللبن في هيئته كيف يخرج من بين فرث ودم ومع ذلك هو سائغ للشاربين أدرك أن وراء ذلك صنعَ الله الحكيم اللطيف الخبير الذي أتقن كل شيء[٢]، وقد نبه ﷻ على عظيم قدرته، بخروج اللبن بتلك الصورة، حيث جمعهما وعاء واحد وخلصا من حمرة الدم وقذارة الفرث، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" إن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً، والكبد مسلَّط على هذه الأصناف، فتقسم الدم وتميزه وتجريه في العروق، وتجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرِش"[٣].

واللحم من أعظم الأطعمة التي يتمتع بها الناس أكلاً وبيعاً وإطعاماً، بل إن أقواماً كثيرين يعيشون على رعي الأنعام وبيعها وأكل لحمها[٤] .

وهكذا رأينا طرفاً من تلك النعم التي كان المخاطبون بها يحسون بها ويدركونها ويعرفونها معرفة جيدة، وذلك جانب من جوانب الإحكام والإتقان الإلهي للتنزيل الذي نزل هدىً للناس وبيناتٍ تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وحينما نتدبر القرآن الكريم نجد أنه لفت نظر الناس إلى نوع من الأنعام محسوس يستمتعون به ويعيشون به، إنها الإبل، ذلك الحيوان الذي يستخدمه العرب في حمل أثقالهم، فلم يكن مجهولاً عند من نزل عليهم القرآن بل كان من الأمور التي يألفونها، "بل كان هذا الحيوان أعظم الحيوانات وقعاً في قلب العرب، ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره"[٥]. قال ابن كثير: "يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ﴿أفلا

---

(١) - سورة يس، الآية: ٧٢.

(٢) - للاستزادة انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١/٢٣٤ - ٢٥١.

(٣) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠/١٢٤، ١٢٥.

(٤) - انظر: محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص ٢٤٨ - ٢٥١.

(٥) - تفسير الفخر الرازي، ج٣١/١٥٨.

﴿ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[١] فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل"[٢]، ومن خصائص ذلك الحيوان ما يتحلى به من الصبر على الأعمال الشاقة، وعلى الجوع والعطش أياماً، ورعيها لكل ما يتيسر من الشجر والشوك مما لا ترعاه سائر البهائم، إضافة إلى أن الحيوانات التي تقتنى منها: ما يقتنى ليؤكل لحمه، وتارة ليشرب لبنه، وتارة ليحمل الإنسان في السفر، وتارة ليكون به زينة وجمال، وهذه المنافع كلها حاصلة في الإبل[٣]، يقول بعض الباحثين: إن الإبل مزودة بشبكة عظيمة من الأهداب الطويلة، بخلاف غيرها من الحيوانات، والحكمة في ذلك لكي تحمي عيونها من ذرات الرمال إذا هبت عاصفة أثناء سيرها في الصحراء، مستغنية بذلك عن إقفال عيونها كما يفعل الإنسان والحيوانات الأخرى.

ويقول باحث آخر: يستطيع الإنسان والحيوان شرب كمية محددة من الماء، فإذا زاد عن هذا القدر المحدد انفجرت كرات الدم الحمراء وتعرض لخطر محقّق.

والإبل هي وحدها التي تستطيع اختزان كمية كبيرة من الماء داخل جسمها دون أن يحقق ذلك لها ضرراً، بل الأعجب من ذلك أن جنس الإبل هي القادرة على أن تشرب كمية من الماء المالح، وأن الخالق ﷻ زوّدها بأجهزة داخل جسمها، لتحليل الماء وترشيحه ليتحول عذباً فراتاً، فكل هذا مما كشف عنه العلم البشري القاصر، وما يخفى على الناس مما هو في علم الله أعظم من ذلك بكثير[٤].

---

(١) - سورة الغاشية، الآية: ١٧.

(٢) - تفسير القرآن العظيم، ج٤/٥٠٥.

(٣) - انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٣١/١٥٧، ١٥٨، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤ ٧٤٤. وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠/٣٠٥، وانظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج١٧/١٣٦.

(٤) - انظر: عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، ص ٤٦.

ثانياً: النظر في آيات الأنفس

يتجه القرآن الكريم في خطابه للإنسان إلى إزالة الركام الذي ران على فطرته، وذلك بدعوته للنظر إلى آيات الله في الأنفس، وأولها خلق الإنسان في أطواره المتعددة، التي تبدأ من كونه مخلوقاً من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، إلى أن أنشأه الله خلقاً آخر وصار بشراً سويّاً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولا ريب أن ذلك داخل في المنهج الحسي باعتبارخلق الإنسان بشراً سويّاً منظراً محسوساً لكل ذي عينين، ويشمل النظر عدة أمور أهمها:

أ ـ النظر في أصل الخلق :

قال الله ﷻ: ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾[1] ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته خلق الإنسان خِلْقَةَ أبيه آدم من تراب الأرض في أصله، ثم من ماء مهين، ثم صوره فكان علقة ثم مضغة ثم عظاماً على شكل الإنسان، ثم كسى الله العظام لحماً، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير[2]، ولا ريب أن خروج الإنسان بشراً يتنقل في الأرض بهذا العدد الكثيف مشهد حسي يراه الإنسان في ذاته وفي بني جنسه ممن يتعامل معهم ليلاً ونهاراً، والمعجزة الباهرة خلقه من التراب الذي هو أبعد الأشياء عن درجة الإحياء، فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نيِّر، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها حياة خفيفة، ألاَ إن في ذلك لآية محسوسة تستثير في النفس دوافع الاستجابة[3] .

وينوع القرآن الكريم الحديث في خلق الإنسان، حتى إذا استرعى انتباهه أخذ يحدثه عن وحدانية الله ﷻ وقدرته على بعث الناس بعد موتهم كما في قوله ﷻ: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على

---

(١) – سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٢) – انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢١/٣٠، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/٤١٣ – ٤١٤.

(٣) – انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٢٥/١٠٩.

رجعه لقادر﴾[١]، قال الإمام الطبري: " يقول تعالى ذكره: فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات، المُنكِر قدرة الله على إحيائه بعد مماته، ﴿ **ممَّ خلق ؟** ﴾، يقول: من أيّ شيءٍ خلقه ربُّه ؟ ثم أخبر جل ثناؤه عما خلقه منه فقال: ﴿ **خلق من ماء دافق**﴾،يعني: من ماء مدفوق"[٢]، وفي الآية تنبيه إلى ضعف الإنسان المتجبِّر المتكبر على ربه، حيث خلقه الله ﷻ من ماء مهين يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وفي ذلك إشارة إلى عظمة الخالق ﷻ، واستثارة لدوافع الاستجابة في النفس البشرية حين تنظر وتتفكر في عجائب الخلق في الأنفس والآفاق ؛ لتصل من خلال ذلك إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة[٣]، وفي الآية أيضاً إرشاد للإنسان إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن القادر على بدء الخلق قادر على إعادته كما قال ﷻ:﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[٤]، ﴿ **إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر**﴾، قال الزمخشري: السرائر ما أسِرَّ في القلوب من العقائد والنيَّات وغيرها، وما أخفي من الأعمال. وبلاؤها: تعرُّفها وتصفُّحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث[٥]، قال ابن القيم: " القرآن الكريم يدعو إلى النظر والفكر في مبدأ خلق الإنسان ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكَّر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفرِه"[٦]، ويهتم القرآن الكريم بتفصيل الحديث عن خلق الإنسان بأساليب مختلفة، عن

---

(١) - سورة الطارق، الآيات: ٥ - ٨.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٣٠/١٤٣، وانظر: ابن عطية الأندلسي، المحرَّر الوجيز، ج١٥/٣٩٨.

(٣) - انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/٤٩٩، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠/٤.

(٤) - سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٥) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤/٧٣٦.

(٦) - مفتاح دار السعادة، ج١/١٨٨، وانظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٥/٢٢ .

نشأته، وتطوره، اهتماماً يفوق الحديث عن مظاهر الكون ، حيث لا نجد ذلك التحليل بتلك السعة في حديثه عن الجبال مثلاً، انظر إلى قوله ﷻ: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[١]، والسر في الأمر – والله أعلم –أن تعريف الإنسان بحقيقة أصله وإيجاده سبيل قوي من سبل إثارة دوافع الاستجابة في نفس المدعو[٢] وهو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، إذ أكد أن أحسن طرق الاستدلال على وجود الله ﷻ هو الاستدلال بخلق الإنسان ذاته، إذ إن الناس هم المُستَدَلُّون، وهم أنفسهم الدليل والبرهان والآية، وهي طريقة القرآن الكريم كما قال الله ﷻ: ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[٣]،وكذلك يستدل بخلقه على المبدأ والمعاد قال الله ﷻ: ﴿**ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً**﴾[٤] ويقول أبو الحسن الأشعري: إن "الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ، وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور، حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، وينقله من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، علم بالضرورة، أن له صانعاً قادراً عالماً مريداً، إذ لايتصور حدوث هذه الأفعال المحكمة من طبع، لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة، فله تعالى صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها"[٥]

وقال البيهقي: " حث الله ﷻ – العباد – على النظر في أنفسهم، والتفكر فيها.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ – ١٤.

(٢) – انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن، ص ٢١.

(٣) – سورة الذاريات، الآية: ٢١ .

(٤) – سورة مريم، الآيتان: ٦٦، ٦٧، انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/٢٦٢، ٢٦٣.

(٥) – محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل (ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ)، ج١/٩٤، حققه محمد سيد كيلاني .

فقال: ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ يعني لما فيها من الإشارة إلى آثار الصنعة الموجودة في الإنسان"[١] وفي تعليق لابن نجم الحنبلي على قوله ﷻ: ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾[٢] يقول: " فجاء الجواب من وجهين:

أحدهما: يتضمن فساد شبهته من جهة استبعاده الحياة في عظام وترك نفسه الذي هو أهم من إحياء الحيوان، لأن إيجاد الحيوان كان لأجل الإنسان.

الثاني: في قوله ﷻ: ﴿ **قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ فإن إيجاد المبادىء أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان إلى ما كان على ما لايخفى"[٣].

والأدلة الحسِّية أعظم تأثيراً في نفوس المدعوين لأنها لا تتطلب جهداً فكرياً لفهمها، ولأنها من الوضوح بمكان لا يحتاج معه إلى كثير عناء، ومنها خلق الإنسان في أفضل صورة وأحسن تقويم، فلا غرو أن يلفت القرآن الكريم النظر إلى هذا الدليل خاصة عندما يتصدَّى لتقرير أمر خطير كبناء عقيدة البعث بعد الموت في نفوس الناس، انظر إلى قوله ﷻ: ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم**

---

(١) - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، (ط: الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، ص ٢٣، تصحيح: كمال يوسف الحوت .

(٢) - سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩ .

(٣) - كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، ص ٩١، ٩٢ .

شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾[١]

وقد قدمت الآية دليلين محسوسين على البعث:

أحدهما: أن من قدر على الخلق الأول و لم يك شيئاً قادر على الإعادة.

الآخر: عملية إحياء الأرض بالنبات وذلك مشهد مكرور في حياة الناس[٢] .

قال ابن القيم:" جعل ﷻ إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور ودلَّ بالنظير على نظيره"[٣]، فالقرآن قدَّم الدليلين ليرتب عليهما النتيجة الحتمية التالية[٤]:

﴿ذلك بأن الله هو الحق ﴾

﴿ وأنه يحي الموتى ﴾

﴿وأنه على كل شيء قدير﴾

﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾

﴿وأن الله يبعث من في القبور ﴾[٥]

قال ابن القيم: " جعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب:

أحدها: وجود الصانع، وأنه الحق المبين، وذلك يستلزم إثبات صفات كماله، وقدرته، وإرادته، وحياته وعلمه وحكمته، ورحمته وأفعاله.

الثاني: أنه يحي الموتى.**الثالث**: عموم قدرته على كل شيء. **الرابع**: إتيان الساعة، وأنها لا ريب فيها. **الخامس**: أنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من

---

(١) - سورة الحج، الآيات: ٥.

(٢) - انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ١٣٤.

(٣) - إعلام الموقّعين، ج١ ١٣٣ .

(٤) - انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ١٣٤- ١٣٥ .

(٥) - سورة الحج، الآيات: ٦ - ٧.

الأرض"[١].

ب ـ النظر في آية التزاوج:

قال الله ﷻ: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾، قال ابن كثير:"أي: خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً ولو كانت الأزواج من غير الجنس لما حصلت الألفة"[٢]، والعلاقة بين الزوجين وما بينهما من مودَّة ورحمة جعلها الله مشهداً محسوساً يعيشه الناس في بيوتهم، ويدركون آثاره ولا يحتاج منهم كثير تتبُّع لرؤيته ومع ذلك يلفت القرآن الكريم النظر إلى ما فيه من الحكمة البالغة والقدرة الباهرة في تأليف القلوب الشتيته بهذا الرباط الوثيق المحكم،وأشار ابن عاشور إلى بعض الحكم البالغة التي تنطوي عليها هذه الآية ومنها:

أنه جُعِل للإنسان ناموس التناسل وجعل تناسله بالتزاوج، وأنه يكون بجنسه، وجعل تزاوج الإنسان من صنفه لأن التأنّس لا يحصل بصنف مخالف، ومنها: أنه جُعِل في التزاوج أنساً بين الزوجين ومودة ورحمة، فالزوجان قبل الزواج متجاهلان وبعده يكونان متحابين، وذلك من كمال رحمة الله ومن الآيات الدالة على قدرته وحكمته ﷻ[٣].

---

(١) - إعلام الموقّعين، ج١ ١٣٣.

(٢) - انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٣/ ٤١٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/ ١٧. السمعاني، تفسير القرآن، ج٤ ٢٠٤.

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، ج٢١/ ٧١.

ج ـ النظر في اختلاف الألسنة والألوان:

قال الطبري في قوله ﷻ: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[١]، ومعنى اختلاف الألسنة والألوان أي: منطق ألسنتكم ولغاتها، واختلاف ألوان أجسامكم، من البياض والسواد والحمرة[٢]، وذكر أبو المظفّر السمعاني أن المراد باختلاف الألسنة قولان:

أحدهما: أن المقصود بالاختلاف اختلاف اللغات، فللفرس لغة، وللروم لغة، وللترك لغة، وللعرب لغة، وما أشبه ذلك.

الآخر: اختلاف النّغمات، فلا يتفق لاثنين نغمة واحدة، واختلاف الألوان معلوم بين الناس، وإن كان كلهم بيضاً أو سوداً، فلا يتفق لونان من جميع الوجوه.

وفي ذلك حكمة عظيمة، وهي أنه لو اتفقت الألوان والألسنة لبطل التمييز، فلم يعرف الأب ابنه، والابن أباه، وكذلك في الإخوة والأزواج وجميع الناس[٣].

ولا تناقض بين ما ذكر من الأقوال فبعضها يكمل بعضاً، وعلى كل حال فإن تعدد اللغات آية عظيمة محسوسة، فهم مع اتحادهم في النوع مختلفون في اللغات، ولاريب أن اللغة كانت واحدة للبشر حين كانوا مجتمعين في مكان واحد، وحصل الاختلاف تدريجياً عند تفرقهم في أماكن متباعدة[٤]، واختلاف النغمات منظر محسوس ومكرور يشهده الإنسان في أي بيئة كانت في الحضر والسفر، في الشرق والغرب، في بلاد العرب والعجم، قال الزمخشري: " خالف جل وعلا بين لغات الناس حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حِدَّة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة، ولا نظم، ولا

---

(١) - سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٢) - جامع البيان عن تأويل القرآن، ج٢١/٣٢، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤/١٨،

(٣) - تفسير القرآن، ج٤/٢٠٤ - ٢٠٥، وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج١١/٣٢، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٤٧٣، وانظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٧/٥٤، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١/٧٣ - ٧٤.

(٤) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١/٧٤.

أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت لوقع الالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة"[1]، وتلك آية على قدرة الخالق ﷻ.

د ـ النظر في حالتي النوم واليقظة:

قال ﷻ: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾، النوم واليقظة مشهدان محسوسان لصيقان بالإنسان، وهو من آيات الله ﷻ، وحالة النوم حالة عجيبة من أحوال الإنسان والحيوان، إذ جعل الله له فترة يستريح فيها ليسترد به قواه العصبية بعد أن يصيبه الإعياء والكلل، فيعتريه شبه موت يخَدِّر إدراكه ولا يعطِّل حركات أعضائه الرئيسة، ولكن يثبطها ليسترجع قوته فيما بعد فيفيق إنساناً آخر من ناحية نشاطه وحيويته[2]، وفي قوله ﷻ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[3] قال الفخر الرازي: " والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الأحوال على صحة البعث والحشر والنشر"[4]، وفي الآية استدلال باليقظة بعد النوم، على النشر بعد الموت، والنوم أخو الموت، واليقظة تشبه الحياة بعد الموت، ولما ذكر ﷻ الحديث عن النوم واليقظة أعقبه بذكر الموت والبعث كما في قوله ﷻ: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون

---

(١) - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣/٤٧٣، وانظر: حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ج٤/٢٤.

(٢) - انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢١/٧٦.

(٣) - سورة الزمر، الآية: ٤٢ .

(٤) - تفسير الفخر الرازي، ج١٧/١٩.

* وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[1] وفي قوله ﷻ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموتَ ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾، " تنبيه على عظيم قدرته ﷻ وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحي ويميت، لايقدر على ذلك سواه"[2].

ثالثاً: النظر في آيات الآفاق

ينوع القرآن الكريم أساليب المخاطبة بالمنهج الحسي، حيث يوجه الإنسان إلى النظر في الدلائل المبثوثة في الآفاق من خلال أساليب عدة، ومن خصائص منهج القرآن في استثارة الدوافع اعتماده على غرس الإيمان في أسلوب عجيب، يستهدف توجيه النظر إلى الأدلة الكونية المحسوسة الظاهرة التي يراها الإنسان ويشاهدها مهما كان مستواه العقلي، قال ابن القيم مشيراً إلى وضوح دلائل المنهج الحسي في معرفة الله ﷻ: " أعطي الإنسان معرفة خالقه وبارئه ومبدعه ﷻ والإقرار به ويسَّر عليه طرق هذه المعرفة، فليس في العلوم ما هو أجلّ منها ولا أظهر عند العقل والفطرة، وليس في طرق العلوم التي تنال بها أكثر من طرقها ولا أدل ولا أبين ولا أوضح، فكلّما تراه بعينك، أو تسمعه بأذنك، أو تعقله بقلبك، وكلما يخطر ببالك، وكلما نالته حاسة من حواسِّك فهو دليل على الرب تبارك وتعالى، فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها"[3]، وذلك النظر غايته بناء العقيدة الصحيحة المحققة للاستجابة من خلال النظر في آثار الصانع الحكيم، انظر إلى قول الله ﷻ: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

---

(١) - سورة الأنعام، الآيات: ٦٠ - ٦٢.

(٢) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥/٢٦٣.

(٣) - مفتاح دار السعادة، ج١/٢٨٠.

وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[1]، ففي تلك الآيات عرض بالغ الجمال والكمال، لآيات القدرة الإلهية، بصورة تدع النفس مشدودة إلى مقام الألوهية العظيم، وهو ﷻ يدبر الأمور ويصرِّفها تحريكاً للقلوب ودفعاً لاستثارة استجابتها من خلال التأمل البصير الذي يقود إلى اليقين، تأمل في قوله ﷻ: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ كيف جعل الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار دليلاً عجيباً يراه الناس حاضراً أمامهم ممثلاً في مظاهر القدرة الإلهية، ومن المعلوم أن من اشتغل بتدبير شيء فإنه لا يمكنه تدبير شيء آخر إلا الباري ﷻ فإنه لا يشغله شأن عن شأن[2]، وكذلك تفصيل الآيات والبراهين من شأنه أن يعين النفس على تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان[3]، وكذلك لما ذكر الله ﷻ آياته الباهرة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه أعقبه بذكر استبعاد المشركين للبعث، وأن ذلك غاية الاستغراب والعجب" ؛ لأن من قدر على إنشاء ما عُدِّد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم

---

(١) - سورة الرعد، الآية: ٢ - ٥.

(٢) - انظر: تفسير الفخر الرازي، ج١٨/٢٣٩.

(٣) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٣/٨١.

أعجوبة من الأعاجيب"(١).

قال الله ﷻ: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون * ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾(٢)، قال الطبري: " نزل على النبي ﷺ بالمدينة قوله ﷻ: ﴿وإلهكم إله واحد لاَ إله إلاَّ هو الرحمن الرحيم﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد ؟ فأنزل الله: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس . . . الآية﴾"(٣) وبيَّن رحمه الله بأن الله: " نبه عباده على الدلالة على وحدانيته، وتفرده بالألوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية"(٤).

وقال ابن عاشور في حديثه عن تلك الآية:" وقد جَمَع قولُه تعالى: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة﴾: أصول علم التاريخ الطبيعي، وهو المواليد الثلاثة: المعدن والنبات والحيوان، زيادة على ما في بقية الآية سابقاً ولاحقاً من الإشارات العلمية الراجعة

---

(١) - الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج٢ ٥١٣. وانظر: عبد الوهاب الديمي. معالم الدعوة في قصص القرآن. (ط:الأولى.دار المجتمع لنشر والتوزيع. جدة. ١٤٠٦ هـ)،ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) - سورة البقرة. الآيات: ١٦٣ - ١٦٥.

(٣) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج٢/٦١. وانظر: السمعاني. تفسير القرآن. ج١/١٦٢. وانظر: الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج١/٢١٠

(٤) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢/٦٢.

لعلم الهيئة وعلم الطبيعة وعلم الجغرافيا الطبيعية وعلم حوادث الجوّ "[١]، والحق أن تلك الآيات إنما ينتفع بها أصحاب " العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون"[٢] وربما وردت الإشارة إلى اللب بدلاً من العقل في حديث القرآن الكريم عن الدلائل وفي ذلك معنى دقيق، وهو تخصيص الانتفاع بالآيات لأصحاب تلك الصفة، ذلك لأن اللب هو كمال حال العقل[٣]، والتفكر في آيات الله المحسوسة والاعتبار بها، والاستدلال على أسمائه وصفاته، وبره وإحسانه، تثير في النفس دوافع الاستجابة، حينما تصبغ القلب بمحبة الله ومعرفته[٤]، قال الفخر الرازي: "دلت هذه الآية على أنه لا بد من الاستدلال على وجود الصانع بالدلائل العقلية، وأن التقليد ليس طريقاً البتة إلى تحصيل هذا الغرض"[٥]، وهكذا عاب القرآن على المشركين اتخاذ آلهة من دون الله بعد أن نصب وبين لهم من دلائل الوحدانية المحسوسة ما يكفي لمن كان ذا عقل[٦] فقال ﷻ: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾، وتلك الآيات المبثوثة نتناولها فيما يلي:

أ ـ النظر في آيتي السموات والأرض:

ومن تلك الدلائل السموات التي تذكر بالجمع مقرونة بإفراد الأرض في كل مقام يعرض فيه جلال الخالق وعظمة قدرته وسعة ملكه، ليكون ذلك العرض لا فتاً للنظر وموجهاً للبصائر والأبصار إلى ما وراء هذا الأفق المحدود، أما حين تذكر السماء مفردة فتارة يكون في مقابلها الأرض، وتارة تذكر لوحدها غير مقترنة بالأرض، وهي في كلا

---

(١) – التحرير والتنوير، ج٢/ ٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١/ ٤١٤. وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٣١٠ .

(٣) – انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٩/١٣٩، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤/ ١٩٦، وانظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٤/٢٩٨ .

(٤) – انظر: ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٣٧ .

(٥) – تفسير الفخر الرازي، ج٤/١٩٨.

(٦) – السمعاني، تفسير القرآن، ج١/١٦٤.

الحالين لا يراد بها جرمها وبناؤها التكويني، وإنما يراد بها أنها جهة علو بالنسبة للأرض وما على الأرض[١]، ومن الآيات الكريمة التي بينت عظمة خلق السموات قول الله ﷻ: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾[٢] وقوله ﷻ: ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ﴾[٤]، وإذا كان خلق السموات آية عظيمة على قدرة الله ﷻ فإن إمساكها أن تقع على الأرض آية أخرى، قال ابن القيم:"ثم تأمل الممسك للسموات والأرض الحافظ لهما أن تزولا أو تقعا أو يتعطَّل بعض ما فيهما، أَفَتَرَى من الممسِك لذلك، ومن القيِّم بأمره ومن المقيم له، فلو تعطَّل هذا الدولاب العظيم من كان يصلحه، وماذا عند الخلق من الحيلة في ردِّه كما كان؟"[٥]، ومما يدل على عظيم خلقها وجلال خالقها وقدرته ﷻ كونها مرفوعة بغير عمد، قال الله ﷻ: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾[٦]، وقال ﷻ: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾[٧] وقال ﷻ: ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها﴾[٨]، وقال ابن القيم: " فتأمَّل خلق السماء، وارجع البصر فيها كرَّة بعد كرَّة تراها من أعظم الآيات في علوِّها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علوَّاً كالنَّار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة،ولا عمد تحتها ولا علاقة

---

(١) - انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ط: دار الفكر العربي)، ١١٩/٢ وانظر: عبد الرب نواب الدين، الدعوة إلى الله، ص ٣٦٢.

(٢) - سورة المؤمنون، الآية: ١٧.

(٣) - سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٤) - سورة النبأ، الآية: ١٢.

(٥) - انظر: مفتاح دار السعادة، ج٢١٥/١.

(٦) - سورة الرعد، الآية: ٢.

(٧) - سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٨) - سورة لقمان، الآية: ١٠.

فوقها، بل هي ممسوكة بقدرة الله، ثم تأمَّل استواء ها واعتدالها فلا صدع فيها ولا فِطْر ولا شقَّ ولا أَمْت ولا عِوَج، ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الموافق للبصر"(١)، وقال الله ﷻ: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾(٢)، ولذا فإن الناظر فيها يجد دليلاً على عظمة الخلق والخالق ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾(٣)، قال السيوطي: " في الآية دليل على وجوب النظر والاجتهاد، وترك التقليد في الاعتقاد"(٤)، وهي دعوة إلى النظر في دلائل التوحيد المبثوثة في عالم السموات وما فيها من آيات حسية يراها الإنسان من شمس وقمر، واختلاف ليل ونهار، ونزول الغيث بأرزاق العباد من السحاب، ودعوة إلى النظر فيما بثه الله في عالم الأرض، وما بث فيها من دابة، وما فيها من جبال وتصدعها بالنبات، وما تخرجه بإذن الله تعالى من الأقوات لأهلها وسائر صنوف عجائبها، والنظر أيضاً في أحوال الإنسان والدواب والأشجار والبحار، ففي ذلك موعظة ومعتبر لمن عقل وتدبَّر، ومنافع كل واحد مما ذكر مما لا يحصيه إلا الله ﷻ(٥). وافتتحت الجملة ب (قل)للاهتمام بمضمونها وتعميم ما في السموات والأرض لتنظر كل نفس إلى ما هو أقرب وأيسر لها من الدلائل من العبر والدلالات(٦)، قال ابن عاشور: "والنظر: هنا مستعمل فيما يصلح للنظر القلبي والنظر البصري، ولذلك عدَل عن إعماله عمل أحد الفعلين لكيلا يتمحَّض له، فَجِيءَ بعدَه بالاستفهام المعلق لكلا الفعلين بحيث أصبح حمل النظر على

---

(١) - انظر: مفتاح دار السعادة، ج١/٢٠٧، ١٩٦. وانظر للاستزادة: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤/٥٧٦، تفسير الفخر الرازي، ج٣٠/٥٧، في تفسير الآيتين: ٣ - ٤ من سورة الملك.

(٢) - سورة ق، الآية: ٦.

(٣) - سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٤) - محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج٩/٨٥.

(٥) - انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١/١٧٥، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١/٢٩٥، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢/٣٧٣، وانظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٧/١٧٦، وانظر: محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ج٩/٨٥ .

(٦) - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١/٢٩٥.

كليهما على حد السواء فصار صالحاً للمعنيين الحقيقي والمجازي، وذلك من مقاصد القرآن"(١).

وفي قول الله ﷻ: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾(٢)، توبيخ للمدعوين لإعراضهم عن النظر والتفكر في دلائل الخلق الحسية، ممثلة في السموات وما خلق الله من مخلوقات عظيمة تشهد على كمال قدرة الصانع ﷻ، وكأن التعبير بالنظر هنا دون التفكر للإشارة لوضوح الدليل وجلائه(٣).

قال ابن القيم متحدثاً عن عجائب السموات والأرض بعد أن ذكر ألواناً من العجائب في خلق النطفة وأمور الخلق: " لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات.. فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر، ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها:

١ - إما إخباراً عن عظمتها وسعتها.

٢ - وإما إقساماً بها.

٣ - وإما دعاءً إلى النظر فيها.

٤ - وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها.

٥ - وإما استدلالاً منه ﷻ بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة.

٦ - وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو.

٧ - وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته"(٤) وكذلك الأرض فقد دعا ﷻ عباده إلى النظر إليها وإلى الجبال المنصوبة عليها، فقال ﷻ: ﴿وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت﴾(٥)

---

(١) - التحرير والتنوير، ج١١/٢٩٥.

(٢) - سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٣) - انظر: الألوسي، روح المعاني، ج٨/١١٩، وانظر: تفسير أبي السعود، ج٣/٢٩٩ .

(٤) - مفتاح دار السعادة، ج١/ ١٩٦، ١٩٧.

(٥) - سورة الغاشية، الآية:١٩، ٢٠.

وقال ﷻ: ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾[٣] وقال الله ﷻ: ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾[٤]

إن المتأمل لهذه الآيات يدرك عظمة المنهج القرآني في لفت النظر إلى كل ماهو محسوس في حياة الناس تحقيقاً للاستجابة ودفعاً إلى رسوخ الإيمان وتمكينه في النفوس، ذلك أن الأمور المكرورة في حياة الناس ربما كثرت الغفلة عنها لكثرة مساسهم لها في حياتهم، وبالتالي لا ينتفعون بتلك الآيات التي هي من أعظم براهين الإيمان. قال الإمام ابن القيم: " وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها"[٥] فانظر إليها وهي ميتة هامدة خاشعة فإذا نزل عليها الغيث اخضرت وأنبتت من الأقوات ما يكون بهيجاً للناظرين كريماً للمتناولين، ثم انظر إلى القطع المتجاورات منها كيف تسقى بماء واحد فتخرج نباتاً مختلف الطعوم والألوان والرائحة، ثم انظر كيف أحكم جوانبها لئلا تميد بالرواسي الشوامخ المنصوبة على أحسن وجه وأكمله، وجعلها أصلب وجه من الأرض لئلا تضمحل على تطاول السنين وترادف الأمطار والرياح، وأودعها من المنافع والمعادن والعيون، ثم هدى الناس لاستخراجها، وألهمهم كيف يصنعون منها النقود والحلي والسلاح وآلة المعاش، ولولا هدايته ﷻ لهم لما كان لهم بها علم[٦]، والأرض مستقر الخيرات، ومستودع معايش بني آدم وأقواتهم، قال ﷻ:﴿ ولقد مكناكم في الأرض

---

(١) - سورة الذاريات، الآية: ٤٨.

(٢) - سورة غافر، الآية: ٦٤.

(٣) - سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٤) - سورة الشعراء، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) - مفتاح دار السعادة، ج١/١٩٩.

(٦) - انظر: المصدر السابق، ج١/ ٢٠٠.

وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[١]، قال الإمام الطبري: "ولقد وطَّناكم أيها الناس في الأرض وجعلناها لكم قراراً تستقرون فيها، ومهاداً تمتهدونها، وفراشاً تفترشونها ﴿ **وجعلنا لكم فيها معايش** ﴾ تعيشون بها أيام حياتكم، من مطاعم ومشارب، نعمة مني عليكم وإحساناً مني إليكم ﴿ **قليلاً ما تشكرون**﴾ وأنتم قليلٌ شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري، واتخاذكم إلهاً سواي"[٢]، وفي قول الله ﷻ: ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[٣]: لفت الأنظار إلى الدلائل السماوية المحسوسة، لكونها أقهر وأبهر، والعجائب فيها أكثر، وشعور القلب بعظمة الله وكبريائه فيها أشد[٤]، وآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، تظهر لكل أحد على حسب علمه وفهمه وجودة فكره[٥] ويلحظ في الآيتين الآنفتي الذكر حسن الترتيب، فقد ذكر الله فيها دلائل القدرة والربوبية المتمثلة في خلق السموات والأرض، ومافي آيتي الليل والنهار من آيات، ثم أعقبها بذكر مظاهر الاستجابة ممثَّلةً في أنواعها الثلاثة التصديق بالقلب، والاقرار باللسان، والعمل بالجوارح، فقوله ﷻ: ﴿**يذكرون الله** ﴾ إشارة إلى عبودية اللسان، وقوله ﷻ: ﴿**قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾ إشارة إلى عبودية الجوارح، وقوله ﷻ: ﴿**ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**﴾ إشارة إلى عبودية القلب، فهو استغراق في عبودية المولى

---

(١) - سورة الأعراف، الآية: ١٠.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٨/١٢٥.

(٣) - سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٤) - انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج٩/١٣٩.

(٥) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٤/٢٩٨.

الكريم ﷻ، وفي ذلك إشارة إلى ما يحققه النظر من استثارة لدوافع الاستجابة في النفس البشرية، بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب، قال الفخر الرازي:"فما أحسن هذا الترتيب في جذب الأرواح من الخلق إلى الحق، ومن عالم الغرور إلى جانب الملك الغفور"(١) .

ب ـ النظر في آيات الليل والنهار والشمس والقمر:

ومن الآيات المبثوثة في الآفاق آيات الليل والنهار والشمس والقمر يراها الناس ويشاهدونها وهي من دلائل الإيمان المحسوسة، قال الله ﷻ:﴿ **ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير * ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير**﴾(٢) أي: "يولج بعض مقدار الليل في النهار، وبعض مقدار النهار في الليل"(٣)، وقال الإمام الطبري: أي:" فعلت هذا الفعل من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل لأني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً من دونه هو الباطل الذي لا يقدر صنعة شيء بل هو المصنوع"(٤)، وذلك الاختلاف ينشأ عنه اختلاف الأرض ضياءً وظلمةً، ويتم وفق حكمة عظيمة حيث إن كلاً من الليل والنهار ضروري ومفيد في حياة الناس، والانتفاع بكل واحد منهما منوط بالمقدار الذي قدَّره الله، فلو زاد الليل واستمر حتى غلب على النهار لتحولت المنفعة إلى مضرة وعكسه لو زاد النهار على الليل لانقلب الأمر إلى ضرر شديد، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة قال ﷻ:﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته**

---

(١) – انظر: تفسير الفخر الرازي، ج٩/ ١٤٠ ، وانظر: محمد جمال الدين القاسمي،محاسن التأويل، ج٤/ ٣٢٤ .

(٢) – سورة الحج، الآيتان: ٦١ – ٦٢.

(٣) – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣/ ٢٤١.

(٤) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٧/ ١٩٦ ، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/ ٢٢٥.

جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[١]، قال ابن القيم: " خصَّ الله النهار بذكر البصر لأنه محله وفيه سلطان البصر وتصرفه، وخصَّ الليل بذكر السمع لأن سلطان السمع يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات ما لاتسمع في النهار ؛ لأنه وقت هدوء الأصوات وخمود الحركات وقوة سلطان السمع وضعف سلطان البصر، والنهار بالعكس فيه قوة سلطان البصر وضعف سلطان السمع..."[٢]، وفي امتنانه ﷻ بنعمتي الشمس والقمر على الناس قال الله ﷻ: ﴿**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾**[٣]، وللشمس منافع بما تقدمه للأرض من ضوء يكون سبباً مهيِّئاً - بإذن الله تعالى - لإيجاد الحياة فيها للحيوان والنبات[٤]، قال ابن القيم: " ثم تأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما لإقامة دولتي الليل والنهار ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم، وكيف كان الناس يسعون في معائشهم والدنيا مظلمة عليهم، وكيف يتهنَّون بالعيش مع فقد النور، ثم تأمل الحكمة في غروبهما فإنه لولا غروبهما لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع فرط الحاجة إلى المسُّبات وجموم الحواس، وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم المعِين على هضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بدوام شروق الشمس واتصال طلوعها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات، فصارت تطلع وقتاً بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ليقضوا حوائجهم ثم تغيب عنهم مثل ذلك ليقرُّوا ويهدؤا، وصار ضياء النهار مع ظلام الليل، وحرّ هذا مع برد هذا مع

---

(١) - سورة القصص، الآيات: ٧١ - ٧٣، وانظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) - مفتاح دار السعادة، ج١ ٢٠٨.

(٣) - سورة يونس، الآيتان: ٥ - ٦ .

(٤) - انظر: محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، ص ١٢٢.

تضادهما متعاونين بهما تمام أمر العالم وصلاحه"[١] وفي الآيتين تنبيه على أن الله وحده هو الذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار بلا معين ولا شريك، وأنه ﷻ هو المستحق للعبادة، والنظر في تلك الآيات المحسوسة يستثير في النفس دوافع الاستجابة. قال الإمام الطبري:" ﴿**لقوم يعلمون**﴾ إذا تدبروها، حقيقة وحدانية الله وصحة ما يدعوهم إليه محمد ﷺ من خلع الأنداد والبراءة من الأوثان"[٢].

وكان النبي ﷺ في حديثه مع المدعو يجلي هذه الحقائق ويؤكدها بأمثلة حسية ليستثير في النفس دوافع الاستجابة، انظر إلى هذا الحديث « **عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي: يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ: يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي. فَقَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»[٣] فنلاحظ أن النبي ﷺ سأله:« **فأيهم تخصه وتلجأ إليه إذا نابتك نائبة؟**»[٤]، فلقد استثار ﷺ دوافع الاستجابة في نفسه من خلال المنهج الحسي، ذلك أن دعوة الناس إلى الإيمان هو الهدف الرئيس، ولعظمة هذا الأمر ولما يترتب على الأخذ به من السعادة وعلى تركه من الشقاوة كان النبي ﷺ يوجه الأمة لتلقينه الصغار والكبار بأمثلة مشهودة محسوسة أيضاً « **فَعَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ**»[٥] قال الإمام

---

(١) - مفتاح دار السعادة، ج١/٢٠٧.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١/٨٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٣٨٩ وانظر: محمد أحمد منكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص ١٥٥.

(٣) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ٧٠، ج٥/٥١٩، رقم ٣٤٨٣، وقال حديث حسن غريب.

(٤) - المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٩/٣٢٠.

(٥) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، ج٤/٣٢٨، رقم ٥١٠٥، و الترمذي في سننه، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود، ج٤/٩٧، رقم ١٥١٤ وقال الترمذي: حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في المسند،ج١٨/٤٦٦، رقم ٢٧٠٧٢، قال حمزة الزين: إسناده حسن، قال الألباني عن الحديث: حسن.

=

ابن القيم:" وسرُّ التأذين، والله أعلم: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات الأذان المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقَّن كلمة التوحيد عند خروجه منها"(١). ومع الشباب والغلمان يمارس النبيﷺ هذا الأسلوب « **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(٢)، فقوله ﷺ:«**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ** » معناه: كن مطيعاً لربك، في السراء والضراء، مؤتمراً بأوامره، منتهياً عن نواهيه، ومعنى « **تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»أي: اعمل له بالطاعة ولا يراك في مخالفته، فإنك تجده تجاهك في الشدائد كما جرى للثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فانحدرت صخرة فسدت عليهم، فسألوا الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج عنهم(٣).

وهكذا تبين لنا في هذا المطلب طرف من أنواع النظر الحسي لآلاء الله ﷻ، والنظر في آيات الأنفس ودلائل الآفاق وأثر ذلك في استثارة دوافع الاستجابة.

=

انظر: صحيح سنن أبي داود، ج٣/٩٦١، رقم ٥١٠٥.

(١) - تحفة المودود في أحكام المولود، (ط:الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، ص ٢١، تحقيق: عبد الغفّار سليمان البنداري.

(٢) - سبق تخريجه. ص٥٣.

(٣) - انظر: ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، (ط: مؤسسة الطباعة والصحافة، جدة)، ص ٥٤، ٥٥. وانظر نص حديث الثلاثة الذين في الغار في ص ١١٠ - ١١١ من هذا البحث.

الفصل الخامس: المؤثِّرات في دوافع الاستجابة

المبحث الأول: المؤثِّرات الخارجية.

المبحث الثاني: المؤثِّرات الداخلية.

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية

توطئة:

تختلف المؤثرات في دوافع الاستجابة من شخص لآخر، تبعاً لاختلافهم في فطرِهِم وعقولهم وأحاسيسهم، أو ما يسمى باستعداد المستقبل، ينضم إلى ذلك جودة المرسل في خطابه الدعوي بما يحمله من إخلاص وإيمان بما يقول وتطبيق لما يدعو إليه، ذلك لأن الدعوة مشروع مشترك بين الداعية والمدعو، وعلى قدر التفاعل بينهما يكون نجاح الرسالة، وتلك المؤثرات منها ما هو خارجي أي: من خارج ذات المدعو كالبيئة مثلاً فإن تأثيرها شيء خارج ذات المدعو، وكالترغيب والترهيب الذين يشتركان مع البيئة في إحداث التأثير المطلوب من خارج المدعو، فكل منها أعني: البيئة والترغيب والترهيب يشترك في كون تأثيره على المدعو من خارج ذاته، وإيضاحاً لذلك سأعالج الموضوع في مطلبين هما:

المطلب الأول: البيئة الاجتماعية.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب.

المطلب الأول: البيئة الاجتماعية

البيئة في اللغة:

قيل: تبوأه: أصلحه وهيأه. وقيل تبوأ فلان منزلاً: إذا نظر إلى أسهل ما يرى وأشده استواءً وأمكنه لمبيته،، فاتخذه مكاناً لنزوله، وتبوأ: نزل وأقام، وأباءه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه، بمعنى هيأه له وأنزله ومكّن له فيه، والبيئة: المنزل، وتبوأت منزلاً اي: نزلته[١].

البيئة في اصطلاح الدراسات الاجتماعية:

تشير الدراسات الاجتماعية إلى شمول معنى البيئة، بحيث تشمل أكثر من مجرد العناصر الطبعية من ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونبات وحيوان؛ لتشمل الموارد الاجتماعية والمادية التي يحتاجها الإنسان، كما تشمل البيئة الاجتماعية ما شيده الإنسان من مؤسسات مادية، وما ينظم حياته من نظم اجتماعية[٢]، بيد أن ما يهمنا هو البيئة الاجتماعية التي سنتناولها كمؤثر من المؤثرات في دوافع الاستجابة أو المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان، وتلك البيئة تعني باختصار كل مكونات الوسط الذي يتفاعل معه الإنسان مؤثراً ومتأثراً، بشكل يكون معه العيش مريحاً نفسياً[٣]، والبيئة الملاصقة للإنسان متعددة فمنها: بيئة الرحم التي عاش فيها الإنسان جنيناً في بطن أمه، ثم البيت الذي ينشأ ويترعرع فيه، والحي الذي يسكن فيه[٤]، والمسجد والطريق الذي يسير فيه فكل ذلك داخل في البيئة ومن أبرز مقوماتها.

---

(١) - ابن منظور، لسان العرب، ج١/٣٦، مادة (بوّأ).

(٢) - انظر: رشيد الحمد ومحمد سعيد صبّاريني، البيئة ومشكلاتها، (ط:عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٥ م)، ص ٢٥ .

(٣) - انظر: رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ص ١٩ .

(٤) - انظر: مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام، (ط: جامعة أم القرى، ١٤١٧ هـ)، ص ٦١٨.

وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تبيِّن تأثير البيئة الاجتماعية في دوافع الاستجابة نوردها فيما يلي:

وفي بيان أهمية البيئة الأولى التي ينشأ فيها المدعو وهي البيت المسلم يضرب الله لنا مثلاً يفيد ثمار المحضن الطيب، قال الله ﷻ: ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه**﴾(١)،وقال لله ﷻ مبيناً جانباً من الرعاية التربوية لمريم عليها السلام في بيئة طيبة تنمو فيها دوافع الاستجابة لتنشأ نشأة صالحة تهيئها للقبول:﴿**وأنبتها نباتاً حسناً**﴾(٢). وقال ﷻ:﴿**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً**﴾(٣)،وفي بيان أهمية المسجد وكونه بيئة مهمة لتحقيق تلك الدوافع قال الله ﷻ:﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾(٤)، وللمسجد وما يجب أن يتصف به من سمت ووقار يميزه عن مجتمعات الصفق بالأسواق في السنة النبوية اهتمام كبير، روى «**عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ** ﷺ **عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ، وَأَنْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ**(٥)،**وَنَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ قَبْلَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ**»(٦)، وفي تأكيد أثر البيئة الاجتماعية في دوافع الاستجابة ما جاء «**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**

---

(١) - سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) - سورة مريم، الآية: ٢٨.

(٤) - سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٥) - هناك أحاديث رخّصت في إنشاد الشعر في المسجد. ويجمع بينها وبين هذا بوجهين: أحدهما:حمل النهي على التنزيه، وحمل الرخصة على الجواز. والثاني: حمل أحاديث الرخصة على الشعر المأذون فيه كهجاء الأعداء والحث على مكارم الأخلاق، ويحمل النهي على شعر التفاخر والزور. انظر: عون المعبود، ج٣، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب التحلّق يوم الجمعة قبل الصلاة، ج١/٢٨٣، رقم ١٠٧٩، قال الألباني عنه: حسن، انظر: صحيح سنن أبي داود، ج١/٢٠١، رقم:٩٥٦ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»[1]، وفي أثر الوراثة ما ورد «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»[2]، وفي بيان تأثير الجليس الصالح نقرأ الحديث المرويَّ « عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً[3] فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ »[4]، وأما تأثير جليس السوء على المدعو فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان

---

(١) – انظر: تخريجه ص ٢٨٦.

(٢) – أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، ج١/٦٣٣، رقم ١٩٦٨، وحسنه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ج١/٣٣٣، رقم ١٦٠١، وانظر: محمد محمد أبوزيد، أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية، (ط:الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٢ هـ)، ص ٣٣ .

(٣) – أي: تاركةً لثياب الزينة لابسةً ثياب المهنة. ابن حجر، فتح الباري، ج٤/٢١٠.

(٤) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوُّع، ج٤/٢٠٩، رقم ١٩٦٨.

خذولاً﴾[١]، و« عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»[٢]،وفيما يوجّه إليه الإسلام من اهتمام بالطريق حتى يكون ذا تأثير إيجابي على المدعو انظر إلى ما ورد« عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»[٣]، ولضمان سلامة الطريق من عوامل الإغواء والفتنة نهيت المرأة عن التطيب عند الخروج كما في قوله ﷺ:« إِذَا خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْعِشَاءِ الآخِرَةِ فَلاَ تَمَسَّ طِيبًا»[٤].

واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع ستكون على النحو التالي:

أولاً: كيف يؤثّر البيت المسلم في الدوافع.

ثانياً: كيف يؤثّر المحيط الاجتماعي في الدوافع .

ثالثاً: كيف يؤثّر المسجد في الدوافع.

رابعاً: كيف يؤثّر الجليس الصالح في الدوافع.

خامساً: كيف يؤثّر الطريق في الدوافع.

---

(١) - سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ - ٢٩ .

(٢) - انظر تخريجه:ص ٣٨١ .

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات، ج٥/١١٢، رقم ٢٤٦٥، كتاب الاستئذان، باب قول الله:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . . الآية ﴾، ج١١/٨، رقم ٦٢٢٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه، ج٣/١٦٧٥، ٢١٢١.

(٤) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب النهي للمرأة أن تشهد الصلاة إذا أصابت من البخور، ج٨/١٥٥، رقم ٥١٣٣، ٥١٣٤، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن النسائي، ج٣/١٠٥٠، رقم ٤٧٤٤ .

أولاً: كيف يؤثّر البيت المسلم:

من الأمور المقطوع بها أن للشر عدوى كما للخير عدوى، والآثام أمراض معنوية لها شبه في عدواها بالأمراض الحسية[١]، وأن فساد الآباء يؤدي - في الغالب - إلى انحراف الذرية، يؤيد ذلك الاستقراء التاريخي - وهو دليل معتبر شرعاً وعقلاً - الذي توصل إليه نوح ﷺ وهو يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وراقب أحوالهم جيلاً بعد جيل، فدعا ربه معلناً النتيجة التي توصل إليها وهي: أنه لم يعد فيهم خير يرجى، فسأل نوح ﷺ ربه أن يهلك الكافرين قال ﷻ: ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً* إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً** ﴾[٢]، قال أبو السعود: "وإنما قال ذلك لاستحكام علمه بما يكون منهم، ومن أعقابهم بعدما جرَّبهم واستقرأ أحوالهم قريباً من ألف سنة"[٣]، وقال ابن عاشور: " وعلم نوح ﷺ أنهم لا يلدون إلا فاجراً كفاراً بدليل التجربة"[٤]، ولا ريب أن مجتمع الخير يورث الخير، ومجتمع الشر يورث الشرّ، وقد قال الله ﷻ: ﴿ **ذرّيّة بعضها من بعض والله سميعٌ عليم** ﴾[٥] قال الألوسي:" والمعنى أنهم ذرية واحدة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبيء عنه التعرض لكونهم ذرية. روي عن أبي عبد الله ﷺ واختاره الجبائي وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال: ﴿ **بعضها من بعض** ﴾ في النية والعمل والإخلاص والتوحيد"[٦]، "والتربية لها دور هام في الصحة والمرض

---

(١) - انظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، ص ٢١١.

(٢) - سورة نوح، الآيتان: ٢٦ - ٢٧، وانظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٨ ٥٣٥، وانظر: محمد محمد أبو زيد، أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سنوك الداعية، ص ٢٨.

(٣) - تفسير أبي السعود، ج٩/٤١.

(٤) - انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/٢١٤، وانظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧/٤٨٦.

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٦) - روح المعاني، ج٢/١٢٨، وانظر: تفسير أبي السعود، ج٢/٢٧.

النفسي، فإذا نشأ الطفل بطريقة سليمة اكتسب شخصية متزنة، وعاش مستريح النفس، وإذا تعرَّض للتربية الخاطئة نشأ شخصية غير طبعية، وعاش مريضاً نفسياً"(١)، ومما يؤيد ذلك ما يشير إليه قول الله ﷻ: ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً**﴾(٢) قال محمد رشيد رضا معلقاً على تلك الآية"يدل المثلان على أن الوراثة سبب فطري لهذا التفاوت في الاستعداد، ولهذا يحسن أن تفضل المرأة التقية الكريمة الأخلاق الطاهرة الأعراق على المرأة الجميلة إذا كانت من بيت دنيء، وكذا على المرأة المتعلمة غير الكريمة الخلق ولا الطيبة العرق، وقد شبه النبي ﷺ الناس بالمعادن، وشبَّه المرأة الحسناء في المنبت السوء بخضراء الدمن(٣) .

ومن اختبر الناس رأى أن المعروف يخرج من الطيبين عفواً بلا تكلف، وأن الخبيثين لا يخرج الخير والمعروف ولا الحق الواجب عليهم إلا نكِداً، بعد إلحاف أو إيذاء في الطلب، أو إدلاء إلى الحكام، ومراوغة في الخصام"(٤)، وفي قول الله ﷻ: ﴿**وأنبتها نباتاً حسناً**﴾(٥)، تأكيد على أهمية البيت المسلم في الاستجابة لدعوة الله، فلقد كان من فضل الله على مريم عليها السلام أن رباها تربية شاملة متكاملة في جودة خَلْق وحسن خُلُق في بيت كريم كما يربى ويتعاهد النبات سقياً وصيانةً عن الآفات، قال السعدي:"وهو من منن الله على العبد، أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين"(٦)، ومما يؤكد أهمية

---

(١) - محمد محمد خليل. الطب النفسي معناه وأبعاده (ط: الأولى، مطبوعات تهامة، ١٤٠٢ هـ)، ص ١٢٩.

(٢) - سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٣) - مثل مضروب لمرأة جميلة الوجه قبيحة الخُلق بالشجرة النابتة في المزبلة فتجيء خضرة ناعمة ومنبتها خبيث قذر. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: خضر، ج٢/٤٠.

(٤) - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٨/٤٨٢.

(٥) - سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١/٣٧٦، وانظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣/٩٠. وانظر:الألوسي، روح المعاني، ج٢/١٣٤. وانظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣/٢٣٥. وانظر:محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣/٢٩٢.

البيت وتأثيره ما جاء في قول الله ﷻ في قصة مريم عليها السلام: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾(١)، فقد استغربوا أن يكون هذا من بيت لا يرقى إليه شك لما عُرِفَ عن أهله من استقامة وتقوى. قال الحافظ ابن كثير: " أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح وبالعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك"(٢)، ومن هنا كانت الخطوات المحكمة لإقامة بيت مسلم تبدأ من الاختيار السليم لقاعدة البيت وهي الزوجة التي يجب أن يكون الدين أول ممهد لاختيارها وهو ما وجَّه إليه المصطفى ﷺ في الحديث المروي « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(٣)، قال الحافظ ابن حجر: " واللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته، فأمرَه النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية"(٤)، « **وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»(٥)، وإذا وجد الزوجان الصالحان تكونت النواة الأولى للأسرة الصالحة بإذن الله، وامتهد الطريق لإيجاد بيت تنمو فيه دوافع الاستجابة، ويتحقق فيه الظلال الوارف الذي يمد رواقه للدعوة المباركة، والدين والخلق إنما يوجدان فيمن اتصف بالعلم النافع الذي يكشف طريق الحق(٦).

وإذا كنا نقصد بحديثنا السابق إبراز أثر البيت الذي يعيش فيه الإنسان بصفة عامة،

---

(١) - سورة مريم، الآية: ٢٨.

(٢) - تفسير القرآن العظيم، ج٣/١١٦.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ج٩/١٣٢، رقم ٥٠٩٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، ج٢/١٠٨٦، رقم ١٤٦٦.

(٤) - ابن حجر، فتح الباري، ج٩/١٣٥، وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١١/٣٦٤.

(٥) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ج٢/١٠٩٠، رقم ١٤٦٧.

(٦) - انظر: عبد الله أحمد قادري، دور المسجد في التربية، (ط: دار المجتمع، جدة، ١٤٠٧ هـ)، ص١٣ - ١٤.

فإن من المهم جداً إفراد الحديث عن المحيط الاجتماعي وما يحققه من تأثير.

ثانياً: كيف يؤثّر المحيط الاجتماعي في الدوافع:

للعامل البيئي أو المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان أثر كبير في سلوكه، بل ثمة اتفاق بين التربويين والاجتماعيين والطبعيين على أن الإنسان ابن لبيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية[١]، وهذا المعنى ليس جديداً بل أشار إليه قول الرسول ﷺ: في الحديث المروي« **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ** »[٢]، هذا الحديث أصل في إثبات أثر البيئة في الإنسان، ذلك أنه يولد على فطرة الإسلام، وتتم التغيرات من خلال البيئة التي ينشأ في أكنافها، فإن كانت البيئة يهودية تهوَّد، وإن كانت نصرانية تنصَّر، ذلك أمر تعززه التجربة، ويؤيده المنطق السليم، يقول محمد ناصر:" إن البيئة الاجتماعية تكوِّن الميول العقلية والعاطفية في سلوك الأفراد، إذ تدفعهم إلى ألوان من الأعمال تذكّي فيهم ضروباً من البواعث، وتقويها أعمال لها أهدافها ونتائجها المعنية"[٣]، وهذا مما يعظم مسئولية الآباء في الحرص على أولادهم ومتابعتهم حتى لا تجرفهم تيارات البيئة السيئة، ولقد سبقت الإشارة إلى ما يوليه الإسلام لحسن الاختيار في الزواج القائم على اعتبار الدين أولاً، وذلك لعمق التأثير الذي تحدثه المصاهرة في الذريَّة فيختارون الأكفاء لبناتهم والطّيبات من النساء لرجالهم، لتتحقق البيئة المستقيمة، وهي نظرة مستقبلية بعيدة الغور تضمن مستقبلاً باسماً للذرية فيما بعد يجب أن يضعها المؤمن في حسبانه « **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ا للهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ** »[٤]، فالمرء

---

(١) - انظر: عبد الرحيم الرفاعي بكرة، أسس التربية البيئية في الإسلام، (مطبوعات جامعة الإمام، ١٤١٣ هـ)، ص د.

(٢) - انظر تخريجه: ص٢٨٦.

(٣) - محمد ناصر، قراءات في الفكر التربوي، (ط: الأولى، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ١٩٧٣ م)، ج١/٤٥٩.

(٤) - انظر تخريجه: ص ٤٦١.

يخرج أولاً طفلاً يتربى في بيته، ثم يخرج من هذا الوسط الاجتماعي إلى وسط أوسع وأرحب في علاقاته من خلال المعاشرة في الطريق أوالرفقاء، وتتعدَّد أمامه الخيارات، وتكثر النماذج التي يراها، وتتاح له الحرية بقدر كبير نظراً لتوسُّع مداركه وقواه العقلية أكثر من ذي قبل، مما يجعله قادراً على التفكير، ولا ريب أن القدوة المتاحة والتي تحتل المرتبة الأولى في نفسه لها أكبر الأثر وأبلغه في صياغة شخصيته صياغة جديدة تتوائم مع توجهات هذا القدوة، ينضم إلى ذلك رغبات وميول المدعو، فلربما كان النموذج المُمَجَّد في المجتمع هو نماذج الأبطال من المجاهدين والمجدين في طلب المراتب العالية فيسعى إلى تقليدهم، مما يؤكد أهمية البيئة الاجتماعية في تقوية أو إضعاف دوافع الاستجابة، وربما لو أتيح له تمجيد وتعزيزاللاعبين والفنانين قلدهم معجباً[١]، وفي ذلك درس دعوي وهو: أن على الداعية إبراز النموذج الصالح، وعرضه على المدعو، لتقوية دوافع الاستجابة في نفسه من ذاته وبرغبته، ومن ثم يقوم بتطوير وتوجيه تلك الاستجابة عن طريق الممارسة والتصحيح، وهو منهج النبي ﷺ في الدعوة حيث يتعانق العلم مع العمل المترجم للسلوك في مشهد حي يراه المدعو ويتأثر به[٢]، والبيئة الصالحة تطبع الأفراد على حب الفضيلة، كما أن البيئة الفاسدة تطبع أصحابها بالانحراف وحب الرذيلة، "فربَّ بيئة أخمدت ما في النفوس من وقدات ملتهبة، وأهالت عليها التراب، وربَّ بيئة نفخت في هذه النفوس ما يهيِّج ضرامها ويرفع شعلتها"[٣]، ولهذا فإن تهيئة البيئة الصالحة للمدعو وإبعاده عن البيئة الفاسدة له ارتباط وثيق بنمو دوافع الاستجابة.

والناظر في خطوات المنهج القرآني وهو ينزل على مكث لتربية خير أمة أخرجت للناس يدرك أي عناية أولاها لإيجاد البيئة الصالحة التي تمهد لولادة هذه الأمة الجديدة، وتذليل العقبات التي تقف في طريقها، ففي مجال العقيدة ؛ جاء الإسلام والبشرية تعيش انحرافاً عقدياً تمثل في عبادة الطاغوت بكل صوره وأشكاله، مما ترتب عليه امتهان كرامة

---

(١) - انظر: عبد العزيز بن محمد النغيمشي، علم النفس الدعوي(ط:الأولى، دار المسلم، الرياض،١٤١٥ هـ)، ص ٢١٩.

(٢) - انظر: المبحث الخامس من الفصل الثاني من هذه الرسالة، وانظر: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٣) - محمد الغزالي، الجانب العاطفي في الإسلام،(ط:الأولى، دار الدعوة،الاسكندرية، ١٤١٠ هـ)، ص ٢٨١ .

الإنسان وسجوده لغير الله ﷻ، فحرَّره تحريراً كاملاً، وارتقى به إلى أفق كريم يليق بتكريم الله له حين خلقه وصوره وأسجد له ملائكته، و ثمة جانب آخر اقترن بمجيء الإسلام لا يقل خطورة عن سابقه، ذلك هو تردي البشرية خلقياً وسلوكياً، حيث لم يعد للفضيلة مكان ولا للقيم اعتبار، ولهذا اهتم المنهج القرآني بإيجاد البيئة الصالحة لإخراج هذه الأمة، و لم يفرض عليها ما فرض من حدود إلا بعد أن أصلح لها ما حولها وسد عليها أبواب الشهوات وهذه البيئة التي أنشأها القرآن والتي تمثلت في المجتمع الإسلامي الأول هي الهواء النقي الذي يستنشق المسلم فيه عبير الحياة، فيحس بالنشوة والارتياح، فحيثما سار وأينما نظر لا يجد إلا دواعي الطهر والعفة[1].

ثالثاً: كيف يؤثّر المسجد في الدوافع:

ليس اهتمام الإسلام بالمساجد في زخرفتها وتزيينها كلا فذلك أمر لم يكن معروفاً في عهد الإسلام الزاهر، وإنما يوجه الإسلام العناية الكبرى لوظيفة المسجد وإحيائها لتكون محضناً لصياغة الدعاة صياغةً إيمانية. قال الإمام البخاري: « **بَاب بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ** ﷺ:**كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ وَأَمَرَ عُمَرُ** ﷺ **بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ: أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ. وَقَالَ أَنَسٌ** ﷺ:**يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لاَ يَعْمُرُونَهَا إِلاَّ قَلِيلاً. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** ﷺ: **لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى**»[2]،والمراد بعمارتها: عمارتها بالصلاة وذكر الله، وليس المراد به بنيانها[3]، ولذا فإن للمسجد في الإسلام شأناً عظيماً، فالمساجد بيوت الله التي قال فيها ﷻ:﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة**

---

(١) – انظر: عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، (ط: الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩ هـ)، ص ٢٦٦.

(٢) – صحيح البخاري مع الفتح، ج١/٥٣٩.

(٣) – ابن حجر، فتح الباري، ج١/٥٤٠.

ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[١]، وهي أحب البقاع إلى الله لما ورد « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا**»[٢]، وكان مسجد النبي ﷺ هو مكان تعليمه ودعوته، وكان أصحابه رضي الله عنهم يتحلّقون حوله ليستمعوا إليه وهو يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الآداب والأخلاق وأحكام الإسلام، كما روى « **أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ**»[٣]، وفي الحديث: فضل ملازمة حِلَق العلم، وجلوس العَالِم والمذكّر في المسجد[٤]، وقد بوّب البخاري في كتاب العلم باباً قال فيه: باب ذكر العلم والفتيا في المسجد، وقال ابن حجر: " أشار بهذه الترجمة إلى الردّ على من توقّف فيه لما يقع في المباحثة من رفع الأصوات فنبه على الجواز"[٥]، وكان النبي ﷺ حريصاً على المسجد وسلامته من جميع المشوشات التي تؤثر تأثيراً سلبياً في دوافع الاستجابة، ذلك أن المسجد يعد البيئة المهمة في الجو الدعوي، ففي الاجتماع الأسبوعي – صلاة الجمعة – شرع للناس التطهر والتطيب

---

(١) – سورة النور، الآيتان: ٣٦ – ٣٧.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاّه بعد الصبح وفضل المساجد، ج١/٤٦٤، ٦٧١.

(٣) – أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الحِلق والجلوس في المسجد، صحيح البخاري مع الفتح ج١/٥٦٢، رقم ٤٧٤، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج١/١٥٦، رقم ٦٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، ج٤/١٧١٣، رقم ٢١٧٦، وانظر: عبد الله قادري، دور المسجد في التربية، ص ٧٤.

(٤) – ابن حجر، فتح الباري، ج١/١٥٧.

(٥) – انظر: صحيح البخاري مع الفتح، ج١/٢٣٠.

ولبس أحسن الثياب، بل منع ﷺ من أكل ثوماً أو بصلاً أن يقرب المصلى حتى لا يؤذي الناس والملائكة برائحة تلك الشجرتين الخبيثتين[١]، قال ﷺ: «**غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ وَسِوَاكٌ وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ**»[٢] « **وَقَالَ ﷺ: مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ. وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ** [٣] **مِنْ بُقُولٍ فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا فَسَأَلَ فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ فَقَالَ: قَرِّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لاَ تُنَاجِي**[٤] »[٥] ولقد تعلم ذلك منه الصحابة رضي الله عنهم وأخذوا بهذا الهدي. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في خطبة له: « **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لاَ أَرَاهُمَا إِلاَّ خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا**»[٦]، ونهى النبي ﷺ عن نشدان الضالة، والبيع والشراء، وإنشاد الشعر، والتحلق يوم الجمعة في المساجد، ولعل السر – والله أعلم – حتى لا تكون عرضة لانتزاع هيبتها من النفوس؛ ولتبقى تلك المكانة التي تحظى بها في المجتمع كمنبر من منابر الإشعاع العلمي والحضاري في المجتمع المسلم « **عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ فِي الْمَسْجِدِ**

---

(١) – انظر: محمد رأفت سعيد. الرسول المعلم ومنهجه في التعليم. ص ٢٧.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الجمعة. كتاب الزكاة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة. ج٢/٥٨١. رقم ٨٤٦. وأخرجه البخاري في صحيحه. صحيح البخاري مع الفتح. كتاب الجمعة باب فضل الغسل يوم الجمعة. ج٢/٣٥٧. رقم ٨٧٩.

(٣) – خضِرَات: واحدها خضِرَة. أي: بقول. ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث. مادة (خضرة). ج٢/ ٤٠

(٤) – أي: الملائكة. ابن حجر. فتح الباري. ج٢/٣٤٢.

(٥) – أخرجه البخاري في صحيحه. صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث. ج٢/٣٣٩، رقم ٨٥٥، وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أونحوها. ج١/٣٩٤، رقم ٥٦٤.

(٦) – أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أونحوها. ج١/ ٣٩٦. رقم ٥٦٧. ومعنى فليمتهما طبخاً، أي: من أراد أكلهما فليمت رائحتهما بالطبخ وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته. صحيح مسلم بشرح النووي. ج٥/٥٤.

وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ وَأَنْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ وَنَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ قَبْلَ الصَّلاَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»[١]، قال شمس الحق العظيم آبادي: إنما "بنيت المساجد لذكر الله والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها"[٢].

رابعاً – كيف يؤثّر الجليس الصالح وجليس السوء في الدوافع:

المرافقة في الغالب تقتضي الموافقة، ويقولون: من جالس جانس؛ لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء، فإذا كان أحد الرفيقين صالحاً، والآخر فاسداً فإما أن يؤثر الصالح في الفاسد فيصلحه، أو يؤثر الفاسد في الصالح فيفسده، وإن لم يتأثر أحدهما بالآخر فمآل صحبتهما إلى الاضمحلال؛ ذلك لأنهما قد فقدا عنصر التماثل والتجانس بينهما، كان ذلك عند أهل التجربة معلوماً[٣]، ولا ريب أن مجالسة الصالحين ذات تأثير كبير في دوافع الاستجابة، انظر إلى هذه القصة في الحديث المروي « **عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ »**[٤]، لقد كانت تلك المجالسة نوعاً من الدلالة على الحق، فإن الجليس الصالح له فوائد عدة منها: الدلالة إلى

---

(١) – انظر تخريجه: ٤٦٠.

(٢) – عون المعبود، ج٢/٩٧.

(٣) – انظر: عبد الله قادري. دور المسجد في التربية، ص ٤٤. محمد علي الصابوني، من كنوز السنة، ص ٣٥.

(٤) – انظر تخريجه: ص ٤٦١.

الصراط المستقيم ومنها: بيان الحق والتعاون على لزومه والتمسك به، ومنها: التذكير بالخير إذا نُسِيَ، قال الحافظ ابن حجر: " في الحديث من الفوائد: مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم، وجواز مخاطبة الأجنبية للحاجة، والسؤال عما يترتب عليه المصلحة وإن كان في الظاهر لا يتعلق بالسائل، وفيه النصح للمسلم وتنبيه الغافل"(١)، وهذا شاهد آخر يبين كيف يؤثر الجليس الصالح في تقوية دوافع الاستجابة في النفوس وذلك في قصة الأنصار الذين قدموا لمبايعة الرسول ﷺ بيعة العقبة الكبرى قال أحد الأنصار:" وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ ، ومعنا عبد الله بن عمرو حَرام أبو جابر(٢)، سيِّدٌ من ساداتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيِّد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عمَّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ؛ ثم دعوته إلى الإسلام، وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ . فأسلَمَ وشهِد معنا العقبة."(٣)، فانظر إلى الجلساء الصالحين كيف دعوه إلى الإسلام وبينوا له عواقب الاستجابة، فنمت دوافع الاستجابة في نفسه وأثمرت إسلامه ومبايعته للرسول ﷺ على نصرة الإسلام والدفاع عنه، حيث جعل نفسه جندياً للدعوة حتى انتهى الأمر باستشهاده رضي الله عنه في غزوة أحد. ومن شواهد أثر الجليس الصالح في التأثير على دوافع الاستجابة قصة معاذ بن جبل مع معاذ بن عمرو بن الجموح(٤) الذي كان والده ممن اتخذ

---

(١) – فتح الباري، ج٤/٢١١ – ٢١٢.

(٢) – عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة شهد بدراً واستشهد في أحد. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣/٢٤٢، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (ط:دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان)، ج٢/٣٤١، ٣٤٢ .

(٣) – أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٢/٣٢٢، رقم ١٥٧٤٠، قال حمزة الزين: إسناده صحيح، وانظر:ما رواه ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٨٣ بإسناد حسن، وصححه ابن حبان كما في فتح الباري لابن حجر، ج٧/٢٢١، انظر: أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/٢٠١.

(٤) – معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حَرام الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وغزوة بدر، وعاش حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه ومات فيها. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤/٤٢٦، ابن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، ص ١٥٤ – ١٥٦.

صنماً في بيته يعبده من دون الله، فاتفق الاثنان على أن يغدوا إلى منزل عمرو بن الجموح ويأخذان صنمه فيطرحانه في بعض الحفر المليئة بالقذر ففعلا، فلما جاءه صاحبه غضب على من فعل هذا بإلهه وأخذه وطيَّبه، فغدوا علية ففعلا به مرة أخرى كما فعلا في المرة الأولى، فأخذه صاحبه هذه المرة وغسله وطيَّبَه وعلَّق في عنقه السيف وخاطبه قائلاً: " إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك"(١). فلما أمسى عمرو عدوا عليه مرة أخرى وقرنوه بكلب ميت فألقياه في تلك البئر، فذهب إليه صاحبه فوجده منكساً على حالته تلك، فكلَّمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، وكان ذلك سبباً لنمو دوافع الاستجابة في نفسه واعتناق الحق، لقد كانت المجالسة الصالحة بين الصحابيين هي الأساس بعد توفيق الله في استفادة معاذ بن عمرو بن الجموح من جليسه معاذ بن جبل رضي الله عنهما فكرة هذا المشروع الدعوي التي أثمرت هداية أبيه ودلالته على الخير، تلك الفكرة التي خاطبت عقله ودفعته إلى التفكير ليتبيَّن له أن تلك الأصنام لا تضر ولا تنفع فأسلم وحسن إسلامه ﷺ.

ومن شواهد أثر الجليس الصالح في التأثير في دوافع الاستجابة قصة الإمام أبي حنيفة مع جاره الفتى الذي كان مدمناً على شرب الخمر، فإذا بلغ منه الخمر مبلغاً غنى بقوله:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فكان يردد هذا البيت حتى يغلبه النوم، وكان أبوحنيفة يسهر ليله مصلياً، ويسمع ما يقوله جاره، ففقد صوته ذات ليلة فسأل عنه، فأخبر أنه قد حبس، فذهب أبو حنيفة فشفع فيه فأُخْرِج، فجاء أبو حنيفة يمشي معه، فقال له: هل أضعناك يافتى؟ قال: لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق، فكانت النتيجة أن تاب الرجل و لم يعد إلى ما كان عليه مما كان له الأثر الأكبر في تقوية دوافع الاستجابة في نفسه. إن هذا السلوك الرفيع من الإمام أبي حنيفة كان له أعظم الآثار في حياة جاره،

---

(١) - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٩٥، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣/١٦٥، ١٦٦.

حيث جعله يفكر تفكيراً جاداً في سيرة هذا الجار الصابر على الأذى، وزاد على ذلك بهذا الإحسان الفذ الذي لايستطيعه إلا من خلص قلبه للحق وكان لـه عـون مـن الله[١] وكـان هذا الموقف سبباً في تحول هذا الفتى من الضلال إلى الهدى، وفي ذلك درس دعـوي وهـو: أن صـلاح الداعيـة واسـتقامته أبلـغ خطبـة تدعـو النـاس إلى الإيمـان بـالدعوة، والجلسـاء الصالحون أصحاب قلوب كبيرة، ففي سمو أخلاقهم ما يبعث على الإعجاب بهـم والتـأثر بسيرتهم، ولذا فإن الداعية الصادق هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمـه؛ لأنه مثل حي متحرك للدعوة التي يحملها[٢].

ولما كان الجليس الصالح ذا تأثير كبير في تنمية دوافع الاستجابة كان لزامـاً علينـا أن نشير إلى التأثير المعـاكس لجليس السـوء إتماماً للموضـوع وتبيانـاً لنوعـي التأثـير الإيجـابي والسلبي، فهناك آراء تقول: إن الارتباط بالنظراء قـد يضعـف العلاقـة بـالوالدين، ممـا يغـير سلوك المدعو، وخاصة رفقة السوء التي تصبـغ صاحبهـا صبغـة تتسـم بالإهمـال والضيـاع والانحراف، وإذا انضم إلى ذلك فارق في السـن بـين النظـراء كـان التأثـير الـذي يقـوم بـه الكبار على الصغار في إضعاف دوافع الاستجابة في النفوس مضاعفاً واضحاً[٣]، ويذكر لنا القرآن الكريم أثر قرين السوء وعواقب مصاحبته في الآخـرة إلى درجـة الـبراءة التامـة منـه وتمني عدم معرفته أصلاً قال الله ﷻ: ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾[٤]، ﴿ **يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً** ﴾ أي: "ياليتني اتخذت طريقاً إلى النجاة أيَّ طريق كان، أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق و لم تتشعب بـي

---

(١) - انظر: انظر: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. ج١٣ ٣٦٣.

(٢) - انظر: محمد الغزالي. مع الله. ص ٢٨٥.

(٣) - انظر: محمد سلامة غباري. الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية. (ط: الاسكندرية. المكتب الجامعي. كلية الخدمة الاجتماعية. ١٩٨٩ م). ص١٤٨. و انظر: مها الأيرش. الأمومة ومكانتها. ص ٦٢٦.

(٤) - سورة الفرقان. الآيات: ٢٧ - ٢٩ . وانظر: محمد عبد القادر أبو فارس. أسس الدعوة ووسائل نشرها. (ط: الأولى. دار الفرقان. عمّان. ١٤١٢ هـ)، ص ٦٤ .

طرق الضلالة"[١]، ولا ريب أن هذا المشهد الذي تصوره الآيات مشهد تحسر وندم يقرر أثر جليس السوء في الإضلال عن الذكر ومواعظ الرسول ﷺ بعد أن وصل إليه العلم وتبين له الحق ولكنه لم ينتفع به في حينه، وها هو يلقي بجريرته على غيره معتذراً عن ذنبه في وقت لم يعد فيه للاعتذار مكان، ولاللاستعتاب مجال، وإنما هو الجزاء الحق من الملك الحق المبين ﷻ، ولما كانت عواقب مرافقة الأخيار والأشرار بتلك المثابة ضرب النبي ﷺ مثلين عظيمين يقربان إلى الأذهان أثر الرفقة بنوعيهما، « **عَنْ أَبَي بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[٢]، قال ابن حجر: " وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما"[٣] ويشير القرطبي إلى صفات أولئك الفضلاء الذين تنمو دوافع الاستجابة في النفوس بمجالستهم بأنهم هم من يزيد نطقهم علماً وفعلهم أدباً، ونظرهم خشية[٤].

خامساً: كيف يؤثّر الطريق في الدوافع:

ومن صور البيئة التي تؤثر في الإنسان الطريق بما يرى فيه من أنماط وسلوكيات فيستفيد من تلك الخبرات، وقد تضيف إلى حصيلته التربوية خبرات جديدة. والمجتمع بأفراده له علاقة وطيدة بتحديد الصورة التي يكون عليها الطريق، ذلك أن ما يحصل في الطريق هو ثمرة حقيقية لما يحصل في الأسرة، وسائر المجتمع، فإن كان نظيفاً في أخلاقه ومعاملاته انعكس ذلك على الطريق. الطريق في المجتمع المسلم له تميزه الخاص حيث

---

(١) - الألوسي، روح المعاني، ج١٠/١٣، وانظر: ابو السعود، تفسير أبي السعود، ج٦/٢١٤.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٣٨١ .

(٣) - فتح الباري، ج٤/٣٢٤، وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٤/٦٧.

(٤) - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٦/٦٣٤.

لاتُرى فيه عورة، ولا يقال فيه من القبيح كلمة، النظافة في المظهر والمخبر طابعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعاره[١]، تغض فيه الأبصار، ويرشد فيه الضال، ويعان فيه الضعيف انظر إلى توجيهه ﷺ للنساء المسلمات إذا أردن الخروج للعبادة، حيث لا يبرر ذلك أن تتعدى المرأة حدود الله بلفت نظر من تلقاه في الطريق برائحة الطيب أو البخور، وذلك واضح من تأكيده الشديد على أنه«**إِذَا خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْعِشَاءِ الآخِرَةِ فَلاَ تَمَسَّ طِيبًا**»[٢]. وأما الطريق في المجتمع الجاهلي فمظاهر متعددة من الفسوق والعصيان ومعصية الرسول ﷺ، ذلك أنه مجتمع لا يقيم للفضيلة وزناً ؛ فالعورات فيه ظاهرة، والسباب والشتائم وافرة، يتعاون فيه أهله على الإثم والعدوان، ويأتون في ناديهم المنكر، ولأهمية أمر الطريق وعظم تأثيره كان اهتمام الرسول ﷺ به من خلال توجيهه للأمة وتعليمه لها بأن الإسلام يوجب على أهله إعطاء الطريق حقَّه، انظر إلى قوله ﷺ في الحديث المروي:«**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**»[٣]، والنهي عن الجلوس للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، وفي النهي عن غض البصر إشارة إلى السلامة من التعرض للفتنة المضعفة لدوافع الاستجابة من خلال تأثيرها على القلوب، وفي الإشارة بالنهي إلى كف الأذى تنبيه على أهمية السلامة من احتقار الناس وغيبتهم، والتأكيد على إكرام المار من خلال رد السلام المؤلف للقلوب، وفعل جميع ما شُرِع وترك جميع ما لا يشرع، ويستفاد من الحديث: أن درء المفسدة مقدم على جلب

---

(١) - انظر: مها عبد الله الأبرش. الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة. ج٢/٦٢٣ .

(٢) - انظر تخريجه: ص ٤٦٢.

(٣) - انظر تخريجه: ص ٤٦٢.

المصلحة لندبه أولاً إلى ترك الجلوس مع ما فيه من الأجر لمن عمل بحق الطريق[1]، ولا ريب أن السلامة من المنكر مطلب المؤمنين الصادقين.

وهكذا تبين لنا من خلال المعالجة لهذا المطلب ما تحققه البيئة من تأثير في دوافع الاستجابة.

(١) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٥ ـ ١١٣. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٥ ـ ٤٧٢ - ٤٧٣.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب

الترغيب في اللغة:

تعددت أقوال أهل اللغة في المعاني التي استعمل فيها اشتقاق الكلمة رَغِبَ وسنذكر منها ماله علاقة بموضوع البحث.

رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً: إذا حرص على الشيء، وطمع فيه. ورَغَّبه: أعطاه ما رغب[١].

ورَغِبَ كسَمِع رَغْباً ورَغْبَةً: أرادَه[٢] قال ﷻ: ﴿ **فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب** ﴾[٣].

ورَغَّبه فيه: جعَلَه يرغبه[٤].

إذاً يمكن القول في خلاصة المعنى اللغوي: أن الترغيب يتضمن معنى إرادة الشيء بحرص وطمع.

الترغيب في الاصطلاح:

قال ابن عاشور: الرغبة: طلب حصول ما هو محبوب[٥].

قال سليمان الدويش في تعريف الترغيب بأنه: ترغيب المدعو في الإسلام والرقي فيه من خلال مكاسب دنيوية وأخروية[٦]. وهذا تعريف في تصوري ينقصه الشمول، فلم يبين تلك المكاسب هل هي مشروعة أم لا، ولم يبين نوع تلك المكاسب أهي حسية أم معنوية.

---

(١) - ابن منظور، لسان العرب، مادة: (رَغِبَ)، ج١/٤٢٢.

(٢) - القاموس المحيط، مادة: (رَغِبَ)، فصل الراء، باب الباء، ج١/٧٦.

(٣) - سورة الانشراح، الآيتان: ٧ - ٨.

(٤) - المعجم الوسيط، مادة: (رَغِبَ)، ج١/٣٥٦.

(٥) - التحرير والتنوير، ج٣٠/٤١٧.

(٦) - سليمان الدويش، الترغيب في دعوة النبي ﷺ مفهومه مجالاته آثاره، (رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام عام ١٤١٦ هـ)، ص ٧، رسالة غير منشورة.

وعرفه عبد الكريم زيدان بأنه هو: " كل ما يشوِّق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[١]، وهذا التعريف لم يذكر فيه صور التشويق والاستمالة وأنواعها، فإن ثمة أنواعاً كثيرة من صور التشويق، وربما دخل في هذا التعريف التشويق بوسيلة محرمة لأنه لم ينص على مشروعية ما يُشَوَّق به.

وعلى هذا يمكننا تعريف الترغيب بأنه: طلب استمالة المدعو إلى الدعوة بما هو مشروع سواء أكان دنيوياً أو أخروياً، حسياً أو معنوياً، قولياً أو عملياً[٢] .

الترهيب في اللغة:

رَهِبَ: يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً ورَهَباً، أي: خاف، وترَهَّب غيره: إذا توعَّده،

والرَّهْبَة: الخوف والفزع، وأرْهَبَه ورهَّبه واسترْهَبَه: أخافه وفزَّعه[٣].

الرَّهبة والرُّهب مخافة مع تحرز واضطراب قال الله ﷻ: ﴿ **لأنتم أشد رهبةً في صدورهم من الله**﴾[٤] وقال ﷻ: ﴿ **واضمم إليك جناحك من الرَّهْب**﴾[٥] أي: الفزع، ﴿ **واسترهبوهم** ﴾ أي: حملوهم على أن يرهبوا[٦].

والخلاصة أن المعنى اللغوي للترهيب: يتضمن الخوف والفزع والاضطراب والتوعُّد.

الترهيب في الاصطلاح:

عرفه عبد الكريم زيدان الترهيب بأنه: " كل ما يخيف ويحذِّر المدعوّ من عدم

---

(١) - أصول الدعوة، ص ٤٢١.

(٢) - هذا تعريف إجرائي رآه الباحث، ويلاحظ أنه خرج بالقول بالمشروعية كل ما هو محرم من ألوان الاستمالة، والقول بالدنيوي والأخروي، والحسي والمعنوي، والقولي والعملي يمنح التعريف صفة الشمول.

(٣) - ابن منظور، لسان العرب، مادة: (رَهِبَ)، ج١/٤٣٦، المعجم الوسيط، مادة: (رهِبَهُ)، ج١/٣٧٦.

(٤) - سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٥) - سورة القصص، الآية: ٣٢.

(٦) - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: (رهب)، ص ٢٠٤.

الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبولـه"[١]، ويلاحـظ في التعريـف أنـه لم يذكر فيه أنواع ما يخوف به، وهل هو عملي أوقولي، وهل هـو حسـي أو معنـوي، وهـل المخوف به في الدنيا أو في الآخرة.

وما قيل في التعريف السابق يمكن قوله في التعريف الذي عرفـه عبـد النعيـم حسـنين بأن الترهيب هو: "كل ما يخوف المدعو ويحذره من عواقب عدم الاستجابة إلى الداعي إلى الله أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[٢]، بالإضافة إلى ما فيه من طـول يخرجـه عن كونه تعريفاً.

ويرى توفيق الواعي أن الترهيب هو: تخويف النـاس مـن عـذاب الله والنـار[٣] وهـذا التعريف في ظني ضيق جداً حيث حصره في صورة التخويف مـن عـذاب الله والنـار وهـذا هو الأصل في الترهيب، وهو بهـذا التعريـف لا يشـمل صـوراً أخـرى يسـلكها الداعيـة في ترهيب المدعو.

وعلى هذا يمكننا تعريف الترهيب بأنه: استخواف المدعو بما هو مشـروع سـواء أكان دنيوياً أو أخروياً، حسياً أو معنوياً، قولياً أو عملياً.

وقد وردت في الكتاب والسنة نصوص تبـين أهميـة الـترغيب والـترهيب وتأثـيره في دوافع الاستجابة؛ من خلال حثه وتشويقه، أو من خـلال تحذيـره وتخويفـه، ليتخفـف مـن المعوقات والمثبطات التي تحول بينه وبين تلبية هتاف الدعوة ووفقـاً للمنهـج الـذي سـلكناه سنورد النصوص ابتداءً لننطلق على ضوئها إلى المعالجة:

ففي ترغيب المدعو بالحياة الطيبة في الدنيا وحسن المـآب في الآخـرة انظـر إلى: قـول الله ﷻ وهو يشوق إلى العمل الصالح المقرون بالإيمـان: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى

---

(١) - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٢١، وانظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، ص ١٩٩.

(٢) - الدعوة إلى الله على بصيرة، ص ٢٢٥ .

(٣) - الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، ١٩٩.

وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[١]، ولا ريب أن المدعو بفطرته حريص على مصالحه ومكاسبه، وترغيبه من هذا الجانب وإشعاره أن الدعوة تحقق مصالح عاجلة وآجلة يعد مدخلاً مناسباً ومهماً في التأثير في دوافع الاستجابة، وهو مطرد في دعوة النبيين لأقوامهم، وشاهده ما نجده فيما قاله نوح ﷺ لقومه مرغباً لهم في الاستجابة فيما حكى الله عنه بقوله:﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾[٢] وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يقول لقومه وهو يدعوهم إلى الله كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[٣]، وهذا نبي الله هود عليه السلام يقول لقومه فيما قصه القرآن الكريم ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾[٤]، عن يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا بِالْمِرْبَدِ[٥] فَجَاءَ رَجُلٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ بِيَدِهِ قِطْعَةُ أَدِيمٍ أَحْمَرَ فَقُلْنَا: كَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. فَقَالَ: أَجَلْ. قُلْنَا: نَاوِلْنَا هَذِهِ الْقِطْعَةَ الأَدِيمَ الَّتِي فِي يَدِكَ فَنَاوَلَنَاهَا فَقَرَأْنَاهَا فَإِذَا فِيهَا مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ أَنْ لاإِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَدَّيْتُمُ الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّفِيَّ[٦] أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقُلْنَا مَنْ

---

(١) - سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) - سورة نوح، الايات: ١٠ - ١٢.

(٣) - سورة العنكبوت، الآية:١٧ .

(٤) - سورة هود، الآية: ٥٢.

(٥) - المربد: موضع بالبصرة من أشهر محالها وكان يقام سوق الإبل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة. وهو موضع بالعراق ولايزال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٩٨.

(٦) - وهو مايصطفيه ﷺ من عرض الغنيمة من شيء قبل أن يخمس عبد أو جارية، أو سيف، أو فرس انظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٨/١٥٦.

كَتَبَ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١]، وفي السنة النبوية نجد ترغيب المدعوّ في نوافل العبادات من خلال إشعاره بالثقة في نفسه، يدل على ذلك الحديث المروي « **عَنْ عبدِ اللهِ بن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهمـا قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً »**[٢]، والاعتراف لذوي الفضل بفضلهم وإبرازهم نموذجاً شاخصاً يراه المدعوون من خلال الإشادة بما يتميزون به عن غيرهم من الخصال الفاضلة له شأنه في التأثير في دوافع الاستجابة، وهو ما يرشد إليه هذا الحديث المروي « **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي** [٣] **أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ**[٤]**،وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ**[٥]**،وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ**[٦]**،وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ**

---

(١) - أخرجه أبوداود، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ماجاء في سهم الصفي، ج٣/١٥٣، رقم ٢٩٩٩. قال عنه الألباني: صحيح الا سناد، صحيح سنن أبي داود، ج٢/٥٨١، رقم ٢٥٩٢.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة باب فضل قيام الليل ج٣/٦، رقم ١١٢١، ١١٢٢. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر ﷺ، ج٤/١٩٢٧، رقم ٢٤٧٩.

(٣) - أي: أكثرهم رحمةً. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج١٠/١٩٩.

(٤) - أي: أقواهم في دين الله. المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٥) - أي: أكثرهم علماً بالفرائض. المصدر السابق، المدرك ذاته.

(٦) - أي: أعلمهم بقراءة القرآن. المصدر السابق، المدرك ذاته.

الْجَرَّاحِ»[١]، وفي ترغيب المدعو بالوعد بالنصر والعزة والتمكين قال الله ﷻ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[٣] واستناداً إلى تلك النصوص سنعالج الموضوع على النحو التالي:

أولاً: أهمية الترغيب والترهيب في التأثير على المدعو:

ثانياً: صور الترغيب.

ثالثاً: صور الترهيب.

أولاً: أهمية الترغيب والترهيب في التأثير على المدعو:

في النفس البشرية خطان متقابلان يتمثلان في الرجاء والخوف، الرجاء المتمثل في حب النفع العاجل، وإيثار ما يجنى ثماره اليوم قبل الغد، والخوف المتمثل في الهرب من كل ما يضره[٤]، وتلك فطرة فطر عليها الإنسان، فإذا رَغِب شيئاً سعى لتحقيقه، وإذا خاف من شيء شَمَّر للهروب منه، وهذان الخطان لهما الأثر البالغ في توجيه السلوك والأهداف والمشاعر والأخلاق، وعلى قدر ما يرجو ويخاف يتخذ لنفسه منهج حياته، فمن خاف الموت آثر الإحجام على الإقدام، ومن خاف الفقر كان همه جمع المال، والذي لايهمه شيء من ذلك فهو حر طليق، لم تستعبده شهوة جامحة، ولم تأسره نزوة طارئة، ومنهج الدعوة في الكتاب والسنة وهو يهدف إلى التأثير في دوافع الاستجابة إنما يضرب على

---

(١) - أخرجه الترمذي في سننه وحسَّنه، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة ﷺ، ج٥/٦٦٤، رقم ٣٧٩٠، وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة باب: ١١، ج١/٥٥، رقم ١٥٤، وقال الألباني: صحيح صحيح سنن الترمذي، ج١/٢٢٧، رقم ٢٩٨١.

(٢) - سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) - سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) - انظر: محمد الغزالي، مع الله، ص ٣٠٢.

وتري الخوف والرجاء في النفس البشرية، وهو ما يسمى بالترغيب والترهيب. قال أبو حامد الغزالي: "لا يقود إلى قرب الرحمن إلا أزمَّة الرجاء. ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف"(١) وذلك المنهج بهذه الميزة تفرد عن غيره من المناهج؛ ذلك لأنه يقوم على حاجة النفس الفطرية وما ترغبه وما ترهبه (٢).

وفي قصة آدم ﷺ يعطي الله ﷻ الاطمئنان الكامل له ولذريته في مقابل ما تحدثه كلمة ﴿ **اهبطوا** ﴾ من خوف من المستقبل وما يقضي الله فيه من أمور ربما أثار التفكير فيها كوامن الرعب، وهواجس الوجل، بيد أن المهتدين بهداية مولاهم ﷻ لا يخافون مما هو آت، ولا يحزنون على ما فات، لأن اتّباع الهدى يسكب في قلوبهم الأمن والطمأنينة ويمنحهم الثبات والسكينة، وهم يشقون طريق رحلتهم في دار الابتلاء والامتحان التي سينقلون منها إلى دار الجزاء عما قريب(٣).

والترغيب والترهيب بابان واسعان يلج من خلالهما الداعية سعياً إلى التأثير في المدعو، ودفعه قدماً إلى الاستجابة للدعوة، وذلك بشتى الأساليب وأنواع الطرق(٤)، من خلال ترقيق قلبه وتذوق طعم الإيمان، وتيقُّن أن السعادة في عبادة الله ﷻ، والحرمان والشقاء في البعد عنه ﷻ (٥)، "ومن رحمة الله بعباده أن رباهم بنوعي التربية كليهما: الترغيب والترهيب"(٦)، إذ ليس في القرآن آية ترغيب إلا تبعها آية ترهيب، والحكمة واضحه، فإن من لا يؤثر فيه الترغيب قد يؤثر فيه العكس وهكذا (٧)،وقال

---

(١) - إحياء علوم الدين، ج٤/٢٢٠.

(٢) - انظر: عجيل جاسم النشمي، معالم في التربية، (ط: الأولى، مكتبة المنار، الكويت، ١٤٠٠ هـ)، ص ٢٠٦ .

(٣) - انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١/٢٨٥ .

(٤) - انظر: أمين أحسن إصلاحي، منهج الدعوة إلى الله، ص ٧١.

(٥) - انظر: ربيع محمد السعودي، معالم غائبة عن حياة المسلمين، (ط: الأولى، دار معاذ للنشر، ١٤٠٩ هـ)، ص ١١١.

(٦) - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١/٥٦.

(٧) - انظر: عثمان قدري مكانسي، التربية النبوية، (ط: الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ)، ص ٧٦.

الألوسي:"جرت عادة الله ﷻ على أن يشفع وعده بوعيده مراعاةً لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب أخرى"(١) ويشهد لذلك نصوص الكتاب والسنة قال الله ﷻ:﴿ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾(٢)، وقال الرسول ﷺ في الحديث المرويّ:« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»(٣)، إنه نوع من المقابلة يحفظ للنفس توازنها حتى لا تهلك بالرجاء المقرون بسوء العمل، ويقوِّم اعوجاجها حتى لا تفرط في القنوط المؤدي إلى الكفر بالله ﷻ، ولم يكن الترغيب والترهيب شيئاً جديداً في طريقة الدعوة بل هو أمر قديم قدم الدعوة صاحب بدايتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشروا أقوامهم وأنذروهم قال الله ﷻ:﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾(٤)، فهذا موسى ﷺ يأمره الله بدعوة قومه مستخدماً الترغيب والترهيب قال ﷻ:﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾(٥)، أي: عظهم بالترغيب والترهيب وذلك بتذكيرهم بنعم الله عليهم، وتحذيرهم من بأس الله وانتقامه ممن

---

(١) - روح المعاني، ج١/٣٠٧.

(٢) - سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٣) - انظر تخريجه: ص٦٧.

(٤) - سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨ - ٤٩.

(٥) - سورة إبراهيم، الآية: ٥.

كذب رسله ليرغبوا في الوعد فيصدِّقوا، ويحذروا من الوعيد فيدعوا التكذيب[١] .

ثانياً: صور الترغيب:

الأصل في ترغيب المدعو: أن يطمح ببصره إلى ما أعده الله له من الثواب من رضوان الله وجنته، كما أن الأصل في الترهيب الإنذار والتخويف من عذاب الله وسخطه وهو ما يستنبط من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ قال الله ﷻ: ﴿ **أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** ﴾ [٢]، وقال الله ﷻ: ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾[٣]، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: مَا تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ؟ قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ**[٤] **وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ: حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»[٥]، وثمة صور متعددة للترغيب يسلكها الداعية في تصديه للمدعو في سبيل التأثير عليه، وتتنوع تلك الصور تبعاً لتنوع المدعوين وحاجاتهم[٦] فمن صور الترغيب الأخرى مايلي:

١ – الترغيب للمدعو من خلال إشعاره بالثقة في نفسه:

ومن ألوان الترغيب إشعار المدعو بالثقة في نفسه وإعطاؤه تلك الثقة من خلال

---

(١) – انظر: الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج١٩/٨٥.

(٢) – سورة القصص، الآية: ٦١.

(٣) – سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٤) – الدَّنْدَنَةُ: أن يتكلم الرجل بالكلام تُسْمَع نغمته ولا يُفْهم . ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، باب الدال مع النون، ج٢/١٢٧، ابن منظور، لسان العرب، مادة: (دنن)، ج١٣/١٦٠.

(٥) – أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ، ج١/٢٩٥، رقم ٩١٠، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، ج٢/١٢٦٤، رقم ٣٨٤٧، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ج١/١٥٠، رقم ٧٤٢.

(٦) – انظر: توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، ص ٢٠٢.

قاعدة: " رأي الداعية في المدعو له أثر على شخصيته " وخلاصة القاعدة تقول: " إن فكرة الفرد عن نفسه هي انعكاس مباشر لفكرة الآخرين عنه، وأن الفرد يبني كثيراً من علاقاته على أساس من الرأي السائد فيه"(١)، فالمدعو يتأثر بآراء الداعية فيه، ويبني رأيه لما يقوله الآخرون عنه، فإذا كان المدعو محل ثقة الداعية من خلال ما يوكل إليه من مهمات ومسؤوليات كان ذلك أدعى لحفز همته والتأثير في دوافع استجابته(٢)، ولقد كان النبي ﷺ يغرس الثقة في نفوس أصحابه من خلال ممارسة هذا الأسلوب المؤثر معهم، والمتمثل في إشعارهم بقدراتهم وما يتمتعون به من صفات تؤهلهم للقيام بالمسؤولية، فكانوا جنوداً للدعوة في حياته ﷺ، وقادة بعد وفاته ﷺ، يشهد بذلك ما خطه التاريخ من جهادهم وتضحياتهم، وفي هذا الحديث تبيان لبعض خصال أولئك الرهط الكريم من الصحابة رضي الله عنهم، وإعطاء المثل السامي للمدعوين من خلال إبراز صفاتهم التي تميزوا بها عن غيرهم، والمدعو حين يسمع ذلك الثناء ممن لا ينطق عن الهوى تنمو دوافع الاستجابة في نفسه، ويستشرف للاقتداء، وتلك غاية ترجى من عرض النموذج الأسوة:«**عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»(٣). ولما جاءه قوم يطلبون رجلاً مؤهلاً بصفة الأمانة للقيام بأمر الدعوة بعث معهم أبا عبيدة ﷺ« **عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً أَمِينًا فَقَالَ: لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ قَالَ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ قَالَ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ**

---

(١) - عبد العزيز النغيمشي، علم النفس الدعوي، ص ٢٦٢.

(٢) - انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٣) - انظر تخريجه: ص ٤٨٢.

الْجَرَّاحِ»[١]، قال القسطلاني: معلقاً على قوله ﷺ: «**لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»: "فيه توكيد والإضافة فيه نحو قوله: إن زيداً لعالم حقَّ عالم، أي: عالم حقاً وجداً يعني: عالماً يبالغ في العلم جداً ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئاً"[٢]، وقد كان تأثير ذلك المدح بحق حافزاً لتطلّع كثير من الصحابة ﷺ لهذا الوصف الذي قاله المعصوم ﷺ، وإنما كان استشرافهم وتطلعهم ﷺ لا للولاية لذاتها، وإنما حرصاً على تحصيل تلك الصفة المذكورة وهي الأمانة[٣].

٢- الترغيب بالحياة الطيبة في الدنيا وحسن العاقبة في الآخرة:

كل إنسان ينشد السعادة وطمأنينة البال وذلك منوط بالإيمان والعمل الصالح قال الله ﷻ: ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾[٤]، وعندما يُرغَّب الداعيةُ المدعوَّ بذلك فإن الداعية يضرب على وتر حساس يرتكز على الشعور بالحاجة إلى السعادة، وربما كان ذلك سبيلاً إلى توارد المؤثرات في دوافع الاستجابة للدعوة، وقد اختلف المفسرون في المراد بالحياة الطيبة أهي في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال قوم: بأن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة، وقال آخرون: الحياة الطيبة هنا: في الدنيا بتوفيق الله عبده إلى فعل ما يرضيه ويرزقه حلالاً[٥]، وذكر الشنقيطي: أن في الآية قرينة تدل على أن المراد بالحياة الطيبة في الدنيا فلو قدرنا أنها في الآخرة في قوله ﴿**فلنحيينه حياةً طيبةً**﴾ صار قوله: ﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

---

(١) - أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة ﷺ، ج٧/٩٣، رقم ٣٧٤٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة ﷺ، ج٤/١٨٨١، رقم ٢٤٢٠.

(٢) - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٨/٢٣٠.

(٣) - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٧/٩٤.

(٤) - سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٥) - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣/٣٥٣، وانظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٨/٥٠٥ ؛ ٥٠٦، وانظر: الألوسي، روح المعاني، روح المعاني، ج٧/٤٦٢.

يعملون﴾: تكراراً معه؛ لأن تلك الحياة أجر عملهم، بخلاف لو قدرنا أنها في الدنيا فإن المعنى يكون: فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة ولنجزينه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل وهو واضح جداً وتؤيده نصوص السنة[١]، وهو ما قرره الإمام الطبري بقوله: "وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: "تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبُه، ولم يعظم فيها نصبُه، ولم يتكدر فيها عيشُه باتباعه بغية ما فاته منها، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها"[٢]، ثم علَّل سبب ترجيحه لقول من قال إن الحياة الطيبة المذكورة في الآية هي في الدنيا بقوله: وإنما قلت:ذلك أولى التأويلات بالآية لأن الله تعالى أوعد قوماً قبلها على المعصية بالسوء في الدنيا والعذاب في الآخرة في قوله ﷻ: **﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾**[٣]، فذكر النوعين من العذاب، فناسب أن يعقب ذلك وعد الطائعين بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة[٤]، ووافقه على ذلك القول الإمام المحقق ابن عطية الأندلسي وقال: " ظاهر هذا الوعد أنه في الدنيا"[٥]، قال الطبري: " نزلت في قوم من أهل ملل شتى تفاخروا، فقال أهل كل ملة منها: نحن أفضل، فبيَّن الله لهم أفضل أهل الملل"[٦].

٣ – الترغيب بتحقق المصالح في الدنيا:

ومن طبيعة النفس البشرية الحرص على مصالحها الذاتية، ومكاسبها الأصلية،

---

(١) – أضواء البيان، ج٣/٣٥٣، ٣٥٤. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٥٦٦. وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤/٢٣٩.

(٢) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٤/١٧٢. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٥٦٦. وانظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣/٣٥٣، وانظر: حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي، ج٣/١٩٨.

(٣) – سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٤) – انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٤/١٧٢.

(٥) – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٨/٥٠٦.

(٦) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٤/١٧٣.

وإدراكنا لهذه الحقيقة المهمة، يفيدنا في الدعوة، إذ إن تلك الحقيقة تفتح للدعاة مجالا خصباً لمخاطبة المدعوين من هذا الجانب، ومناداتهم من حيث يسمعون، من باب الترغيب الواسع، وهذا مما يستنبط من هذا الحديث الشريف **عن يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا بِالْمِرْبَدِ فَجَاءَ رَجُلٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ بِيَدِهِ قِطْعَةُ أَدِيمٍ أَحْمَرَ فَقُلْنَا: كَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. فَقَالَ: أَجَلْ. قُلْنَا: نَاوِلْنَا هَذِهِ الْقِطْعَةَ الأَدِيمَ الَّتِي فِي يَدِكَ. فَنَاوَلَنَاهَا فَقَرَأْنَاهَا فَإِذَا فِيهَا مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ أَنْ لاإِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَدَّيْتُمُ الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّفِيَّ أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقُلْنَا: مَنْ كَتَبَ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»**[1] فإعطاء المدعوين شيئاً من الأمل والتبشير في تحقيق مصالحهم العاجلة والآجلة، كان معلماً دعوياً في هديه ﷺ، «**عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا وَهُوَ لا يَسْكُتُ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»[2] إن تبشيرهم وترغيبهم بالفلاح المترتب على الاستجابة للدعوة يؤكد على ضرورة إعطاء المدعوين الأمل في الثمار التي يجنونها عند الاستجابة، إنه عز الدنيا والفوز برضوان الله تعالى، وهو أمر يلمسه كل متأمل في دعوة الأنبياء، ولا ريب أن منطق الحس أعظم تأثيراً في النفوس من منطق العقل، ولذا كان ترغيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للمدعو ممثلاً في ثمار حسية يوعد بها المدعو عند استجابته للدعوة، كوفرة الرزق، والإمداد بالأموال والبنين، ومنحهم القوة والسداد، فهذا نوح ﷺ يقول لقومه: ﴿**استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً ***

---

(١) - انظر تخريجه: ص ٤٨٢.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد، المسند، ج١٢/٤١٩، رقم ١٥٩٦٥، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾[١] وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يقول لقومه وهو يدعوهم إلى الله كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[٢] وهذا نبي الله هود عليه السلام يقول لقومه فيما قصه القرآن الكريم ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾[٣] والداعية الصادق يكون همه هداية الناس، ولن يتم هذا بعد توفيق الله إلا بالتودد إليهم وتذكيرهم، وطمأنتهم بالخير الذي ينتظرهم عند إجابة داعي الله، فقد وعدهم هود عليه السلام بالمطر الذي هم في أشد الحاجة إليه، والقوة، إذا تابوا واستقاموا.

ومن ذلك إعلامهم بأن استجابتهم لدعوة الحق تمنحهم رغد العيش والأمن والاستقرار قال سبحانه وتعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[٤]، بخلاف إعراضهم وكفرهم فإنه مؤذن بنزول العذاب كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٥] قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم: " القرية المضروب بها المثل مكة"[٦]، قال ابن عطية: " والذي يتوجه عندي في الآية

---

(١) - سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢، وانظر للاستزادة: عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (ط:الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـ)، ١٣٣.

(٢) - سورة العنكبوت، الآية:١٧ .

(٣) - سورة هود، الآية: ٥٢.

(٤) - سورة قريش، الآية: ٣ - ٤.

(٥) - سورة النحل، الآية: ١١٢ .

(٦) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٤/١٨٦، ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٨/٥٢٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/٥٦٩.

أنه قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلاً لكنه على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة"(١).

٤- الترغيب في العبادة:

ومن ذلك ممارسة الترغيب في العبادة عن طريق الإيحاء غير المباشر، فلقد كان النبي ﷺ يستثير في النفس همة المدعو في جانب العبادة والاستكثار من الخير عن طريق لمس الجانب الطيب فيه، لتتبدى صور من التأثير العظيم في دوافع الاستجابة لتنطلق طاقاته ويشق طريقه منتجاً في دعوته هادياً مهدياً يبين ذلك الحديث الذي رواه « **عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً**»(٢)، انظر إلى قوله:«**فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً** »، ترى الأثر العظيم الذي تركه هذا الإيحاء منه ﷺ لابن عمر تمثّل ذلك في استجابته رضي الله عنه فلم يعد ينم من الليل إلا القليل. قال الحافظ ابن حجر: " إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنوّ منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد

(١) - المحرر الوجيز. ج٨/٥٢٧.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٤٨٢.

ذلك.. وفي الحديث: أن قيام الليل يدفع العذاب"[١]، وانظر إلى الثقة التي أوحى بها الرسول ﷺ إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه بقوله: « **نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّهِ**» مع إشعاره بأن ثمة نقصاً يجب إكماله وهو قيام الليل الذي لم يدعه رضي الله عنه بعد سماعه ذلك من المعلم الأول ﷺ، فهل هناك ترغيب أكثر رفقاً وأعمق أثراً في أسلوبه من هذا[٢].

٥ – الترغيب بالوعد بالنصر والعز في الدنيا والأخرى:

قال الله ﷻ: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[٣] وقال ﷻ: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾[٤]، إن النصر والتمكين والعز في الدنيا والآخرة مربوط بالاستجابة لهذا الدين، ولما قالت قريش للنبي ﷺ فيما قصه القرآن الكريم: ﴿**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**﴾ رد الله عليهم رداً حاسماً ﴿**أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾[٥]، وتلك آية كافية يشهدونها بأعينهم، فقد زعموا أن اتباعهم للهدى يسلط عليهم العرب يتخطفونهم "فقطعهم الله بالحجة، أي: أليس كون الحرم لكم مما يسَّرناه وكففنا عنكم الأيدي فيه؟ فكيف بكم لو أسلمتم واتبعتم شرعي وديني؟"[٦]، حجة بالغة تكررت عليهم في آية أخرى: ﴿**أولم يروا أنا**

---

(١) – فتح الباري، ج٣/٧.

(٢) – انظر: عبد العزيز النغيمشي، علم النفس الدعوي، ص ٢٦٤ .

(٣) – سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) – سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) – سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٦) – ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج١١/د٣١.

جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾[١]، ولكن قست قلوبهم و لم ينتفعوا بالآيات، إن ذلك يجلي لنا طريقة القرآن ومنهجه في مخاطبة النفوس وعرض الحق عليها بصور مختلفة وألوان متعددة،إحدى تلك الصور إشعارهم أن استجابتهم للدعوة لن تجلب لهم شراً ولن تحرمهم خيراً وإنما هو عز الدنيا والآخرة، وقد كان النبي ﷺ يؤكد هذه المعاني للمدعو ويعلمه أن اعتناقه لشهادة الحق تؤدي إلى ملك العرب وطاعة العجم، يبين ذلك الحديث المروي « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**[٢] **قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً. قَالَ: يَا عَمِّ قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ**[٣] **إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ ﴿ص * وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾**»[٤].

ثالثاً: صور الترهيب:

١ – الترهيب القولي.

---

(١) – سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

(٢) – أي: تضعهم العرب بتلك الكلمة، وتعطيهم العجم الجزية بتلك الكلمة. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٩/٧٢.

(٣) – أي: ملة النصرانية فإنها آخر الملل قبل الإسلام، أو ملة قريش التي أدركوا عليها آباءهم. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٩/٧٢.

(٤) – أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ٣٩ من سورة " ص "، ج٥ ٣٦٥، رقم ٣٢٣٢، وقال: حديث حسن. وأخرجه الإمام أحمد، ج٢ ٤٨٣، رقم ٢٠٠٨، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، ج٢ ٤٦٩، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وانظرللاستزادة حول معرفة سبب نزول الآيات: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٣/١٢٤، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/٢٩.

٢ – الترهيب العملي[١].

١ – الترهيب القولي:

لا جرم أن من النفوس من لا يصلحها إلا القوة، ولا يقمع تطلعها إلا الشدة، ومن هنا شرعت العقوبات والحدود في غاية المصلحة والحكمة، كعلاج حاسم لكبح الشذوذ والفسوق، حتى لا يتسع نطاقه، وتتفشى جرائيمه، فيتحول العالم إلى مباءة شر وإجرام، فيكون التهديد بالآخرة رادعاً عن التفكير في الجريمة والإيذاء[٢]، وقد سبق القول أن الأصل في الترهيب أن يرهب المدعو من عذاب الله وسخطه، ولكن ثمة صور أخرى يستعمل فيها الترهيب الذي منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة، فمن الأول قول الله ﷻ: ﴿**حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون**﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾[٣]، ومن الثاني قول الله ﷻ: ﴿**ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم**

---

(١) – انظر: رقية بنت نصر الله نياز، الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة. (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام، عام ١٤١٥ هـ)، ص ٧٠ .(رسالة غير منشورة).

(٢) – انظر: محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة (ط: العاشرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ)، ص ٢٩٨.

(٣) – سورة فصلت، الآيات: ١ – ١٣.

بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾[١]، والترهيب يكون بالتخويف من عذاب الله ونقمته في الدنيا وعند الموت، وفي الآخرة عند الحساب وبعده ومن النار وأهوالها، وما يصيب الإنسان في الدنيا من الخوف والفزع والجوع ونقص البركات وتسليط العدو، وبيان أحوال الأمم السابقة من المكذبين ومآلهم، وقد يكون بالتحذير من عدم نيل الدرجات العلى في الجنة، والحرمان من مرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، فقصُّ أخبارهم على المدعو مما يؤثر في دوافع الاستجابة، وقد قيل: " من قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يُعَالَجَ بسماع الأخبار والآثار"[٢].

٢ – الترهيب العملي:

ومن درجات الترهيب العملي استخدام القوة لإرهاب الكفار، وذلك لا يقوم به إلا من قدر عليه كالإمام أو من ينيبه[٣] ، قال الله ﷻ: ﴿ **وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾[٤]، وفي الآية أمر بإعداد القوة للعدوّ من باب فعل الأسباب ليس إلا، ولو شاء الله لهزمهم بأي أمر من عنده مهما كان في نظر الناس حقيراً، فقد نصر ﷻ عبده ورسوله محمداً ﷺ في بعض غزواته ومشاهده بحفنة من تراب رمى بها في وجوه المشركين، ولكن اقتضت حكمته ﷻ أن يبلو العباد بعضهم ببعض، فكل ما تعدُّه من خير لصديقك، أو شر لعدوِّك فهو داخل في عدتك[٥]،

---

(١) – سورة فصلت، الآيات: ١٩ – ٢٤.

(٢) – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤/٢٦١، وانظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٢١ – ٤٢٤. وانظر: هشام بنان، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، ص ٢٤٩.

(٣) – رقية بنت نصر الله نياز، الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، ص ٧٠ .

(٤) – سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) – انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨/٣٥.

وذكر الخيل هنا تخصيصاً من باب أنها أصل الحروب وأوزارها، ذكرها الله تشريفاً، وإلا فالسلاح بجميع أنواعه والمركوبات والنفقات والآلات كلها داخلة في القوة المأمور بها[١]، يؤيد ذلك ما قاله الإمام الطبري: " أعدوا لهم ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل"[٢]، وقال ابن كثير - مبيناً الغاية من الإعداد للعدوّ-: " ﴿**ترهبون**﴾ أي: تخوّفون به ﴿**عدوَّالله وعدوَّكم**﴾ من الكفار، ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ قال مجاهد: يعني: بني قريظة، وقال السدي: فارس"[٣]، وقال القرطبي بعد إيراد تلك الأقوال: " ولا ينبغي أن يقال فيهم شيء ؛ لأن الله ﷻ قال: "﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾؛ فكيف يدَّعي أحد علماً بهم، إلا أن يصح حديث جاء عن رسول الله ﷺ"[٤]، والقوة الحربية في المجتمع الإسلامي لا يراد بها الهجوم على أحد، ولا مجرد الدفاع لهجوم العدوّ، وإنما ينص القرآن الكريم على الهدف الواضح منها وهو إرهاب الأعداء [٥]، وفي ترهيب الكفار مصلحة للإسلام وأهله ذلك أن رؤية الكفار للإسلام عزيزاً ذا قوة يقذف في قلوبهم الرعب، ويكف بأسهم عن المسلمين ويثبت الضعفاء من المسلمين، ومن أوضح الأدلة على ذلك ما حصل للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ وارتداد العرب عن الإسلام، فقد كثر المتربصون بهم من الأعراب والمشركين، إلا أن ما يسره الله من توفيق أبي بكر رضي الله عنه لإنفاذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه تحقيقاً لأمر الرسول ﷺ به واعتماداً وتوكلاً على الحي الذي لا يموت كان سبباً في إيجاد تأثير قوي، كان له أقوى الآثار وأعمقها في الاستجابة الممثلة في الأوبة إلى الإسلام من بعد

---

(١) - انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز. ج٦/٣٥٧.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج١٠/٢٩.

(٣) - تفسير القرآن العظيم. ج٢/٣٠٨.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن. ج٨/٣٨.

(٥) - انظر: محمد الصادق عرجون. سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، (الثالثة. الدر السعودية، ١٤٠٤ هـ). ص ٦٠.

ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال:" لما قبض رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب قاطبة، ونجم النفاق، وأشرأبَّت اليهودية والنصرانية، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، وقلتهم وكثرة عدوهم"(١)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى – مبيناً تأثير خروج ذلك الجيش وما فيه من المصالح-: " فكان خروج – ذلك الجيش – في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة"(٢)، ولئن كان ذلك تأثُّر القريبين من المدينة من العرب، المتمثل في دفع الزكاة لدولة الخلافة وإعلان الخضوع للإسلام، فإن أقواماً من الأعداء البعيدين طارت إليهم الأخبار، فبلغ ذلك حاكم الفرس فأمر جنده بالمرابطة خوفاً من المسلمين(٣)، وفي ذلك تأكيد لأثر الترهيب العملي في تقوية دوافع الاستجابة، وذلك من خلال التلويح بالقوة حين لا يجدي إلا هو، ومما يقوي هذا الرأي الحديث المروي « **عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ(٤) ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ(٥) وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ يَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ، قَالَ: وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ بَيْتًا بِالْيَمَنِ لِخَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ، قَالَ:**

---

(١) – انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦/ ٣٠٤.

(٢) – البداية والنهاية، ج٦/ ٣٠٤، وانظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣/ ٢٤٧.

(٣) – انظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ٢/ ٢٨٣.

(٤) – الخَلَصَة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم ، ابن حجر، فتح الباري، ج٨/ ٧١، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/ ٥٩، مادة:(خلص).

(٥) – أَحْمَسُ: إخوة نجيلة وهم رهط جرير ﷺ ينتسبون إلى أحمس بن الغوث بن أنمار. ابن حجر، فتح الباري، ج٨/ ٧٢.

فَأَتَاهَا فَحَرَّقَهَا بِالنَّارِ وَكَسَرَهَا قَالَ: وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ(١) **بِالأَزْلاَمِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَهُنَا فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ ﷺ فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَوْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ جَرِيرٌ رَجُلاً مِنْ أَحْمَسَ يُكْنَى: أَبَا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ**(٢)**،قَالَ: فَبَرَّكَ**(٣) **النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ»**(٤)، في هذا الحديث إشارة إلى الترهيب، ممثلاً في استخدام القوة مع المشركين في تهديم الأصنام وحرقها على أصحابها، وفي التهديد بإيقاع العقوبة على المخالف حينما هدد جرير ﷺ الرجل الذي يستقسم بالأزلام، فقال له:«**لَتَكْسِرَنَّهَا وَلَتَشْهَدَنَّ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَوْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ**»، لقد أثر الترهيب والتلويح بالقوة في الاستجابة، فها هو يكسر ما معه ويتشهَّد شهادة الحق ويعلن دخوله في السلم كافة، منخلعاً من عادات الجاهلية وتعلقها بما هو رجس من عمل الشيطان، قال الحافظ ابن حجر: " وكَأَنَّ الذي استقسم عنده لم يبلغه التحريم أو لم يكن أسلم حتى زجره جرير"(٥).

وكان النبي ﷺ يستخدم أسلوب الترهيب مع المعاندين والجاحدين، من أمثال اليهود الذين جحدوا رسالته ﷺ بغياً وحسداً من عند أنفسهم، وهم يعلمون أن ما جاء به هو

---

(١) – أي: يستخرج غيب ما يريد فعله من خير أو شر. ابن حجر، فتح الباري، ج٨/٧٣.

(٢) – كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها وتحريقها حتى اسودَّت. ابن حجر، فتح الباري، ج٨/٧٣.

(٣) – أي: دعا لهم بالبركة. ابن حجر، فتح الباري، ج٨/٧٢، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٩/٣٣٣.

(٤) – أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخَلَصَة، ج٨/ ٧٠، رقم: ٤٣٥٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، ج٤/١٩٢٥، رقم٢٤٧٦.

(٥) – انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٨/ ٧٣.

الحق كما قال ﷻ: ﴿ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[1]، فقد التقى النبي ﷺ برهط منهم « **فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا**»[2].

وهكذا تبين لنا في هذا المطلب صور الترغيب والترهيب وأثرها في دوافع الاستجابة.

---

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٢) - انظر تخريجه: ص ٣٣٥ .

المبحث الثاني: المؤثرات الداخلية

توطئة:

سبق الحديث عن المؤثّرات الخارجية في الدوافع، وبياناً للموضوع من جانبه الآخر سأتطرَّق بالحديث عن المؤثّرات الداخلية والتي تنبثق من المدعو ذاته، حيث يتجمَّع تيار تلك الدوافع ليصب في خانة التسليم للحق والانصياع الكامل لدلائله، وسأعالج هذا المبحث من خلال مطلبين هما:

المطلب الأول: البحث عن الحق.

المطلب الثاني: الشعور بغلبة الحق.

والبحث عن الحق يعد استجابة لرغبة ذاتية يحس بها المدعو وينطلق لسد رغبته، والشعور بغلبة الحق شعور داخلي بقوة الحق وغلبته وعلُوِّه وزهوق الباطل ووهنه، مما يجعله يوقن بالعجز أمام قوة الحق وجلائه، فتنمو دوافع الاستجابة في نفسه، ولعل هذه الإشارات تتضح بصورة أكبر من خلال المعالجة المدعَّمة بالشواهد والأمثلة بالقدر الذي ييسره الله تعالى .

المطلب الأول: البحث عن الحق

ثمة نماذج وصور تعبر عن الرغبة الشديدة في البحث عن الحق وأثر ذلك في استجابة المدعو، وربما تمثل البحث عن الحق في صور شتى، فهناك الإقبال على الداعية للسماع منه بحثاً عن الحق، وهناك من كان على دين باطل ولكنه يبحث عن الحق الذي ينير له الطريق، ومن تلك النماذج ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ **عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى** ﴾[1]،فهي صورة للباحث عن الحق بلهفة، إنه الرجل الأعمى عبد الله بن أم مكتوم[2]، يعاتب الله نبيه ﷺ فيه حين أعرض عنه طمعاً في إسلام من هو في ظنه أكثر غناءً للإسلام، ولكن القرآن الكريم يقرر حقيقة جليلة مهمة وهي أن هذه الدعوة يجب أن تبقى عزيزة، وأن على الداعية أن يبدأ بالأولويات مادام وقته محدوداً ومهمته محددة، فإن من الخير أن يبدأ بمن جاء يسعى وهو يخشى، أما الذين استغنوا فعلى الداعية أن يدعوَ لهم ويتطلع للوقت الذي يشرح الله فيه صدورهم للهداية، وليس معنى ذلك أنهم لا توجه لهم الدعوة كلا، وإنما المقصود ألا يُحرَم غيرُهم من الباحثين عن الحق الخيرَ بسببهم، ففي الآية بيان لمنهج الله في دعوة مَنْ اهتدى ومن أعرض وتولى، أما من جاء باحثاً عن الحق متواضعاً له فهو أجدر بأن يعطى الأولوية في الاهتمام والرفق، وهو حري بالاستجابة للدعوة، « **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا قَالَتْ: أُنْزِلَ (عَبَسَ وَتَوَلَّى)فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**

---

(١) - سورة الأعمى، الآيات: ١ - ١٠.

(٢) - عبد الله بن أم مكتوم صحابي مهاجري، هاجر بعد مصعب بن عمير، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة غيرمرة. وقيل: إنه شهد القادسية واستشهد فيها زمن عمر ﷺ سنة ١٤ هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٤٩.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ وَيَقُولُ: أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ فَيَقُولُ: لاَ»[1]، ومن صور البحث عن الحق هذا الأعرابي الذي أوفده قومه كما ذكر الحافظ ابن حجر:"أن قومه أوفدوه"[2] « عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ»[3]، فقد جاء باحثاً عن الحق، فلما سأل النبي ﷺ صدقه وآمن به إيماناً عميقاً، وقد كان إسلامه رضي الله عنه صادقاً، فإنه ذهب إلى قومه وذمَّ اللات والعزى وأعلن البراءة من الشرك كله، « **فقالوا له:اتق البرص والجذام والجنون، فقال:ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليكم كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما**

---

(١) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ٧٣ ومن سورة عبس، ج٥/٤٣٢، رقم ٣٣٣١ وأخرجه مالك في الموطأ، رقم٤٧٥، ص ١٦٢، قال الألباني: صحيح .انظر: صحيح سنن الترمذي،ج٣/١٢٦، رقم ٢٦٥١.

(٢) - فتح الباري، ج١/١٥٣.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ج١/١٤٨، رقم ٦٣. وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٢١٩، ٢٢٠، وانظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ج٢/٢٣٣ .

أمسى ذلك اليوم من حاضرته رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال ابن عباس ﷺ: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»[١]، إن ضمام بن ثعلبة يمثّل صورة للمدعو الباحث عن الحق بفطرة الأميين في منطقهم، وسلامة طويتهم في تساؤلهم، والحق أن الصورة المشرقة عن جهاد الدعوة الطويل في ذهن ضمام كان أحد الروافد المعززة للتأثر بهذه الدعوة، وربما أن إيمانه لم يكن وليد الساعة، وإنما خاطب النبي ﷺ مستحضراً في ذهنه ما مرت به الدعوة في أطوارها المتعددة من محن شتى كشفت عن جوهرها وسلامة معدنها وعمق جذورها[٢]، فها هو نعم الوافد يسمع من النبي ﷺ ويؤمن به ثم ينقلب إلى قومه مبشراً ومنذراً، إن ذلك يدل على عمق دوافع الاستجابة في نفسه، ثم انظر إلى حرصه في البحث عن الحق من خلال أَقْسَامِه المتعدِّدة ومن خلال أسئلته التي تدل على أنواع من العلم، حيث ظهر حسن سؤاله وملاحة سياقته وترتيبه، فإنه سأل أولاً عن خالق المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للإله عز وجل ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله[٣].

وهناك صور أخرى للبحث عن الحق من قوم كانوا على دين باطل، من أمثلة ذلك زيد ابن عمرو عم الفاروق ﷺ،قام بسفر طويل بحثاً عن النبي المنتظر ﷺ، ولما أيقن أنه بمكة جلس ينتظره حتى توفي[٤]، وهذا سلمان الفارسي ﷺ يروي قصته على ابن عباس « **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ**[٥]**، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ** [٦]

---

(١) – أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣/٥٦. وصححه، قال الذهبي في التلخيص: صحيح. وانظر: ابن هشام السيرة النبوية، ج٤ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) – انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ٤٥٧.

(٣) – انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١/١٧١.

(٤) – محمد سليمان سلمان المنصور فوري، رحمة العالمين، (ط: الأولى، الدار السلفية، بومباي، ١٤١٠ هـ)، ج١/٤٢. تعريب: مقتدي حسن ياسين الأزهري.

(٥) – اصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن، واصبهان اسم للإقليم بأسره من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع. ياقوت =

قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، أَيْ: مُلاَزِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ[1] الَّذِي يُوقِدُهَا لاَ يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لاَ أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلاَتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلاَّ وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلاَدِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الأُسْقُفُّ فِي

=

الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٠٦.

(٦) - الدِّهقان: رئيس القرية ومقدَّم التُّناء وأصحاب الزراعة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/١٣٥، مادة: دهق.

(١) - أي: خازنها وخادمها. المصدر السابق، ج٤/٧٥، مادة: قطن.

الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا وَاللَّهِ لاَ نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً لاَ يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ وَلاَ أَدْأَبُ لَيْلاً وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلاَنُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلاَّ رَجُلاً بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلاَنٌ فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلاَنُ إِنَّ فُلاَنًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ:فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلاَنُ إِنَّ فُلاَنًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ:وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلاً عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلاَّ بِنَصِيبِينَ[1] وَهُوَ

---

(١) - نصيبين: في أقصى شمال الجزيرة الفراتية على الحدود بين تركيا وسوريا وهي اليوم تتبع تركيا حسب الحدود. عاتق بن غيث البلادي. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٣١٩.

فُلاَنٌ فَالْحَقْ بِهِ، وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلاَنُ إِنَّ فُلاَنًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلاَنٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلاَنٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ: وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلاَّ رَجُلاً بِعَمُّورِيَّةَ[1] فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلاَنُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلاَنٍ فَأَوْصَى بِي فُلاَنٌ إِلَى فُلاَنٍ وَأَوْصَى بِي فُلاَنٌ إِلَى فُلاَنٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلاَنٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ بِهِ عَلاَمَاتٌ لاَ تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلاَدِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لاَ أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ

---

(١) - كانت مدينة عظيمة للروم في وسط تركيا. و لم يبق إلا آثارها اليوم. المرجع السابق، ص ٢١٧.

بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: فُلانٌ قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمُ الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ[1] حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ مَاذَا تَقُولُ ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لاَ شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ:كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لاَ تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ[2] قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ [3] لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَحَوَّلْ فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ

---

(١) - العُرَواء: بَرْد الحُمَّى وهي: الرِّعدة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣/٢٠٤، مادة:عرا.

(٢) - وهو: مقبرة أهل المدينة بجوار المسجد النبوي جهة الشرق. محمد محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ٥٢.

(٣) - الشَّمْلة: الكساء والمئزر يتزر به. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/٤٤٨، مادة: شمل.

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ (١) حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرٌ وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاَثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلاَثِينَ وَدِيَّةً وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاَثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ، قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»(٢) إن هذا الجهد المبذول هو جهد الباحث عن الحقيقة المتطلع إلى الدين الحق، فلا غرو أن يكون ذلك دافعاً إلى الاستجابة.

---

(١) - الرِّق: بلسك. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢/ ٢٢٨، مادة: رقق.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١٧/ ٩٥، رقم ٢٣٦٢٧، قال حمزة الزين: إسناده صحيح.

المطلب الثاني: الشعور بغلبة الحق

الشعور بغلبة الحق مظهر من مظاهر قوة الدعوة، وما يحدثه ذلك من رهبة ورغبة في الإقبال على الحق من قبل المدعو أمر متقرر يشهد بذلك تاريخ الدعوة، فإنه لما نصر الله نبيه ﷺ في غزوة بدر، ونصره على يهود بني قينقاع، مالت إلى دينه القلوب حيث اجتمع له ﷺ الدين والدنيا(١)، وقد ذكر أحد المهتدين في جوابه لما سُئِل لماذا يعتنق الغربيون الإسلام ؟ فقال: هناك أسباب كثيرة تدعو لذلك، وفي مقدمة تلك الأسباب أن للحق دائماً قوته(٢)، وقد وردت نصوص تبين أن الشعور بالحق كان أحد المؤثرات في دوافع الاستجابة نورده فيما يلي:

ففي قصة موسى عليه السلام قال الله ﷻ: ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون ﴾(٣) وفي معجزة صالح وموقف قومه منها قال الله ﷻ: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون

---

(١) - انظر: ابن تيمية، الإيمان، ص ٢٦٦.

(٢) - انظر: لماذا أسلمنا، ص ٧٣.

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ١١٥ - ١٢٢.

الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون * فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾[1]. وفي معجزة سليمان عليه السلام قال الله ﷻ: ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾[2]. ومن أمثلة الشعور بغلبة الحق في سنة النبي ﷺ ما جاء « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ[3] ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ[4] فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ»[5]. وفي أثر القوة المادية لما استسلمت مكة للإسلام رأينا العرب تقبل على الإسلام راغبة راهبة، وهذا ما يشير إليه قول الله ﷻ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً *

---

(١) - سورة الأعراف، الآيات: ٧٣ - ٧٨.

(٢) - سورة النمل، الآيات: ٣٨ - ٤٤.

(٣) - أي: من معجزاتك. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج١٠: ٧١.

(٤) - أي: رجع العذق إلى ما كان عليه. المصدر السابق، ج١٠/٧٢.

(٥) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ٦. في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ، ج٥: ٥٩٤، رقم ٣٦٢٨. وأخرجه الدارمي في سننه، باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إتيان الشجر به وإليها له وحنين، ج١: ٢٦، رقم ٢٤. قال الترمذي: حسن غريب صحيح، وقال الألباني: صحيح. صحيح سنن الترمذي، ج٣: ١٩٣. وانظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، كتاب علامات النبوة، باب شهادة الشجر بنبوته ﷺ، ج٨/٥١٧، ٥١٨.

فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾[1]، وفي الشعور بغلبة الحجة ما جاء « عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ ؛ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُاللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُاللَّهِ ابْنُ سَلامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُاللَّهِ ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُاللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ»[2]

واستناداً إلى تلك النصوص فإن معالجة الموضوع ستكون على النحو التالي:

أولاً: الغَلَب الإعجازي.

ثانياً: غلبة السيف والسنان.

ثالثاً: غلبة الحُجَّة .

---

(١) - سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ج٦/٣٦٢، رقم ٣٣٢٩، كتاب مناقب الأنصار، باب ٥١، ج٧/٢٧٢، رقم ٣٩٣٨، كتاب التفسير، باب قوله ﷻ: ﴿من كان عدوًا لجبريل﴾، ج٨/١٦٥، رقم ٤٤٨٠.

أولاً: الغَلَب الإعجازي:

يمثل الغَلَب الإعجازي معجزات الأنبياء بما حوت من قوة خارقة للعادة، تجعل المدعو يوقن أن وراء ذلك قوة غير قوة البشر فيوقن بالعجز والضعف، ومن يتتبع دعوة الرسل عليهم السلام لا يكاد يجد أنهم قدموا معجزاتهم بمجرد دعواهم النبوة، بل إن المعجزة يسبقها محاولات كثيرة تهدف إلى الإقناع بالدعوة، فإذا لم تنفع تلك المحاولات جاء الغلب الإعجازي قاطعاً لقول أصحاب العناد والتحدي، وربما كانت المعجزة تطميناً للمؤمنين، أو تحدياً لمعاندين، أو لإقامة الحجة على صدق النبيين والمرسلين، وربما كان بعضها آخر محاولات يعقبها حلول العذاب بالمكذبين، كما حصل لقوم موسى وقوم صالح عليهما السلام[1]، وفيما يلي استعراض لبعض تلك المعجزات:

١ – معجزة موسى عليه السلام:

قال الله ﷻ: ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون** ﴾[2]، قال ابن عطية معلقاً على قول موسى ﷺ: ﴿ **قال ألقوا** ﴾: "وهذا فعل المدلّ الواثق بنفسه.. وثق بالحق فأعطاهم التقدم، فنشطوا وسُرُّوا حتى أظهر الله الحق وأبطل سعيهم"[3]، قال الألوسي: " والفاء في قوله: ﴿**فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾، فصيحة أي: فألقاها فصارت حية فإذا هي الخ، وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى ﷺ إلى الإلقاء وبغاية سرعة

---

(١) – انظر: عبد الله يوسف الشاذلي، الدعوة والإنسان، ص ٣٩٧.

(٢) – سورة الأعراف، الآية: ١١٥ – ١٢٢.

(٣) – المحرر الوجيز، ج٦/ ٣٥.

الانقلاب، كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلاً بالأمر بالإلقاء، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الغريبة، واللقف كاللقفان التناول بسرعة، وفسره الحسن هنا بالسرط والبلع، والإفك صرف الشيء وقلبه عن الوجه المعتاد ويطلق على الكذب"(١)، وعبر بقو لله ﷻ: ﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾ دون خروا ساجدين تنبيهاً على أن الحق بهرهم بقوة دليله وسلطانه، فكان السجود بحيث لم يبق لهم تمالك، فكأن أحداً دفعهم وألقاهم، أو أن الله ﷻ ألهمهم ذلك وحملهم عليه(٢)، وذكر ابن عاشور أن سجود السحرة كان بعد الشعور بغلبة الحق المتمثل في انقداح الدليل على صدق موسى ﷺ في نفوسهم، وذلك أن المتمرسين في السحر أعظم مَنْ تبين له الحق العظيم، فلما رأوا معجزة موسى ﷺ علموا أنها ليست من جنس السحر الذي يعرفونه، ولا ريب إن إيمان العالم بأدلة الحق أقوى وأمكن من إيمان الجاهل، ومن هنا كانت الاستجابة الفورية التي تمت بعد انقلابهم صاغرين بزمن قليل، ليعلنوا الغلبة للحق الخالد الذي جاء به موسى عليه السلام، والحق أن الدعوة لها قوتها وهيبتها لأنها تقوم على الحق(٣) .

٢- معجزة صالح عليه السلام:

قال الله ﷻ: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * قال الملأ

---

(١) - روح المعاني، ج٥/٢٦.

(٢) - المصدر السابق، ج٦/٢٦ وانظر: حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، ج٢/٢٦١، وانظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٩/٦٩.

(٣) - انظر: التحرير والتنوير، ج٩/٥٢، وانظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣/٧٥.

الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون * فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾[1]، ذكر أبو السعود أن صالحاً دعا قومه إلى الله وحذرهم وأنذرهم، وأنهم طلبوا منه آية وقالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم وتدعو إلهك وندعو إلهنا فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتنا، فقال صالح ﷺ: نعم، فخرج معهم فدعوا أوثانهم فلم تجبهم وقام أحدهم وهو جندع بن عمرو وطلب من صالح الآية وحدَّدَها بناقة ذات صفات معينة وحدَّد الصخرة التي تخرج منها، قال له صالح ﷺ: « لئن فعلت ذلك لتؤمنن وتصدقن؟ قالوا: نعم »، فصلى ودعا ربه، فخرجت ناقة كما وصفوا فآمن جندع بن عمرو لما رأى غلبة الحق[2].

٣ – معجزة النبي سليمان عليه السلام:

قال الله ﷻ: ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم * قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت

---

(١) – سورة الأعراف، الآيات: ٧٣ – ٧٨.

(٢) –تفسير أبي السعود، ج٣/ ٢٤١، وانظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٨/ ٢٢٦، وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج٤/ ٤٠٤.

من قوم كافرين * قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾[١]، وفي قصة سليمان مع ملكة سبأ أسرار عجيبة، وهو شأن القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ففي الحوار بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب إشارة إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، وأن الحكمة مكتسبة لقوله ﴿عنده علم من الكتاب﴾، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضاً، كما يرمز الحوار إلى تغلُّب العلم على القوة، وأن سلطان العلم أعز وأقوى، وأن الحضارات إنما تقوم بالعلم مقروناً مع القوة[٢]،قال الإمام الطبري – بعد أن ذكر أقوالاً عدة في السبب الذي جعل سليمان يطلب من الملأ إحضار عرشها من بين أملاكها قبل إسلامها-: " وأولى الأقوال بالصواب: أنه أمر بإحضار عرشها ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويُعَرِّفَهَا بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى نبيه عليه السلام، فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته"[٣]، لقد شعرت المرأة بغلبة الحق الذي جاء به سليمان عليه السلام فلم يكن لها بد من الإذعان وقد رأت من آيات القدرة العجيبة ما بهرها وحيَّرها، قال ابن عاشور: " بهرها ما رأت من آيات علمت منها أن سليمان صادق فيما دعاها إليه وأنه مؤيَّد من الله ﷻ، وعلمت أن دينها ودين قومها باطل فاعترفت بأنها ظلمت نفسها في اتباع الضلال بعبادة الشمس، وفي قولها ﴿مع

---

(١) – سورة النمل، الآيات: ٣٨ – ٤٤.

(٢) – انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٩/ ٢٧١.

(٣) – انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٩، ١٦١.

سليمان ﷺ إيمان بالحق الذي آمنت به"[١].

٤ – معجزات نبينا محمد ﷺ:

« عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ فَأَدْلَجُوا[٢] لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَرَّسُوا[٣] فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ لاَ يُوقَظُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ ﷺ فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ وَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟ قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ ثُمَّ صَلَّى، وَجَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَكُوبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ[٤]،فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ لاَ مَاءَ فَقُلْنَا: كَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ؟ قَالَتْ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَقُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثَتْنَا غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ [٥] فَأَمَرَ بِمَزَادَتَيْهَا فَمَسَحَ فِي الْعَزْلاَوَيْنِ[٦]،فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلاً حَتَّى رَوِينَا فَمَلأْنَا

---

(١) – التحرير والتنوير، ج١٩/٢٧٦، وانظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥/٥٨٢، ٥٨٣.

(٢) – الإدلاج: سير الليل كله. والإدّلاج: معناه: السير آخر الليل. انظر: صحيح مسلم، ج١/ ٤٧٤، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي. حاشية رقم: ٥.

(٣) – التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: عرس، ج٣ ١٨٦.

(٤) – سادلة: أي: مدلّية رجليها بين مزادتين. والمزادة: قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها والمراد بهما الراوية. ابن حجر، فتح الباري، ج١/٤٥٢.

(٥) – أي: ذات أيتام. توفي زوجها وترك أولاداً صغاراً. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٥/١٩١.

(٦) – العزلاوان: تثنية عزلاء، وهي فم القربة. ابن حجر، فتح الباري، ج٦/٥٨٤.

كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا وَهِيَ تَكَادُ تَنِضُّ مِنَ الْمِلْءِ[١]،ثُمَّ قَالَ هَاتُوا: مَا عِنْدَكُمْ فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الْكِسَرِ وَالتَّمْرِ، حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا، فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ[٢] بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا»[٣]، لقد عملت هذه المعجزة التي رأتها تلك المرأة عملها، في التأثير الإيجابي في دوافع الاستجابة، وذلك حينما رأت أمراً عجباً هالها أمره، إذ إن قومها لما سألوها عن سبب التخلف وقالوا لها:« **مَا حَبَسَكِ يَا فُلاَنَةُ ؟ قَالَتِ: الْعَجَبُ، لَقِيَنِي رَجُلاَنِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ[٤]،فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ: بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ تَعْنِي: السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا»[٥]**، وانضم إلى ذلك ما كان يفعله المسلمون من إكرام قومها بعدم التعرض لها« **فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا: مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ يَدَعُونَكُمْ عَمْدًا فَهَلْ لَكُمْ فِي الإِسْلاَمِ؟ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ**»[٦] قال الحافظ ابن حجر مبيناً معنى قولها لقومها:أي:" لا أعلم حالكم في تخلفكم عن الإسلام مع أنهم يدعونكم عمداً، ومحصل القصة أن المسلمين صاروا يراعون قومها على سبيل

---

(١) - تَنِضُّ: أي: تنشق ويخرج منها الماء. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: نضض، ج٥/٦٢.

(٢) - الصِّرم: الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث مادة: صرم، ج٣/٢٥، ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، ج٢/٣٤٤.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٦/٥٨٠، رقم ٣٥٧١، كتاب التيمم، باب الصَّعيد الطَّيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، ج١ ٤٤٧، ٤٥٧ رقم ٣٤٤، ٣٤٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج١/٤٧٤، رقم ٦٨٢.

(٤) - بالهمزة من صبأ، أي: خرج من دين إلى آخر، ويروى بتسهيله ياء من صبا يصبي، أي: المائل. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١/٥٩٢.

(٥) - صحيح البخاري مع الفتح، ج١/٤٤٧، رقم ٣٤٤.

(٦) - صحيح البخاري مع الفتح، ج١/٤٤٧، رقم ٣٤٤.

الاستئلاف لهم حتى كان ذلك سبباً لإسلامهم"[١].

« وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ[٢]،قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَى قَوْمِكَ ؟ قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً فَقَالَ: رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمُ ضِمَادٍ »[٣]، ففي الحديث بيان لعظم التأثير الذي أحدثه قوله ﷺ لهذا الرجل المتمكن من اللغة القادر على تصاريفها، فما كان منه إلا أن شعر بعجزه وأيقن أن هذا الكلام لا يصدر إلاَّ عن نبيٍّ، قال القرطبي:" إن ضماداً لما كان عالماً بأصناف الكلام البليغ، قطع بأنه لا يصدر مثل ذلك إلا عن نبيٍّ، وأنه محقّ في قوله، فأسلم وحسن إسلامه، وضمن عن قومه الإسلام، حتى قدموا عليه فأسلموا.. وهذا القول من ضماد يعني: أنه لو كان في قعر البحر أحد لبلغت ووصلت إليه، ويكون الماضي بمعنى المستقبل، ويحتمل أن يتجوَّز بالبحر ويعبِّر به عن قلبه ؛ لأنه

---

(١) - فتح الباري، ج١/٤٥٣. وانظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١/٥٩٣.

(٢) - ناعوس البحر: وسطه ولُجَّته. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢/١٥٨.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج٢/٥٩٣، رقم ٨٦٨.

كثير المعارف والفضائل، ولسعته لكل ذلك، فكأنه قال: بلغت كلماتك قعر قلبي، وتكون هذه استعارة"(١). وربما كان رؤية المعجزة بحد ذاته كافياً للقناعة بالدعوة، فقد كان كثير من المدعوين يرى معجزة من الرسول ﷺ فيشعر بغلبة الحق ويعلن عجزه وضعفه، كما حصل للأعرابي المذكور في حديثٍ: « **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ(٢) ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ(٣) فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ**»(٤)، ومما يلفت النظر أن يتحول الكافر لا إلى مسلم فحسب، بل إلى داعية متحرك بالدعوة يبلغ دعوته عن قناعة واجتهاد، وهو ما حدث للرجل الأعرابي الذي رأى معجزة من النبي ﷺ،« **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ قَالَ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلَمَةُ، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا، حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلاَثًا فَشَهِدَتْ ثَلاَثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبِتِهَا، وَرَجَعَ الأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ وَإِلاَّ رَجَعْتُ فَكُنْتُ مَعَكَ** »(٥).

---

(١) - انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٤/٧٧ - ٧٨.

(٢) - أي: من معجزاتك. المباركفوري. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. ج١٠/٧١.

(٣) - أي: رجع العذق إلى ما كان عليه. المصدر السابق، ج١٠/٧٢.

(٤) - انظر تخريجه: ص ٥١١.

(٥) - أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إتيان الشجر به والبهائم والجن، ج١/٢٢، رقم ١٦. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، ج٨/٥١٧، رقم ١٤٠٨٥.

ثانياً: غلبة السيف والسنان:

انظر إلى قول الله ﷻ: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾[١]، وكيف كان انتصار الدعوة بفتح مكة مقوياً لدوافع الاستجابة، حيث هرعت الوفود والقبائل تعلن ولاءها للدين الجديد ما بين راغب وراهب، مما يؤكد القول بأن رؤية الإسلام قوياً ممكناً مما يبعث في النفوس الرهبة والشعور بغلبة الحق، وبالتالي يؤثر ذلك في الاستجابة بإذن الله، قال الطبري:"يقول ﷻ لنبيه محمد ﷺ إذا جاء نصرك يا محمد على قومك قريش، والفتح: فتح مكة ﴿**ورأيت الناس**﴾ من صنوف العرب وقبائلها وأهل اليمن منهم وقبائل نزار ﴿**يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾ يقول: في دين الله الذي ابتعثك به وطاعتك التي دعاهم إليها زمراً، فوجاً فوجاً"[٢]. وقال ابن عطية: " والنصر الذي رآه رسول الله ﷺ غلبته لقريش وهوازن وغير ذلك، والفتح هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن... قال ابن عبد البر في كتابه " **الاستيعاب في أسماء الأصحاب** " في باب أبي خراش الهذلي[٣]: " لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر، بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين والطائف، منهم من قدِم، ومنهم من قدِمَ وافدُه"[٤]، لقد أصبح فتح مكة مقدمة لأفواج التائبين الذين بدأوا يبصرون الحق ويعلنون إسلامهم وولاءهم للدولة الناشئة التي تفردت بالحكم والسلطان، وأصبح سقوط أهم معاقل الوثنية يمثل انهياراً لجدار الكفر، لتنطلق حركة الدعوة بخفة وسرعة حيث أزيلت العوائق وأقبل الناس على الإسلام، ولكثرة الوفود

---

(١) - سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.

(٢) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٣٠/٣٣٢.

(٣) - أبو خِرَاش الهذلي الشاعر اسمه خويلد بن مرة القردي من بني قرَد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، مات في خلافة عمر ﷺ . ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، (ط: دار الكتاب العربي ، بيروت)،ج٤/٥٦ -٥٨ .

(٤) - المحرر الوجيز، ج١٥/٥٩٢، وانظر: ابن عبد البر القرطبي الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج٤/٥٨ .

القادمة في العام التالي لإعلان الإسلام في فتح مكة سمي عام الوفود، قال ابن إسحاق: " وإنما كانت العرب تربَّص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم، وضريح ولد إسماعيل، وقادة العرب، لا ينكرون ذلك،.. فلما افتتحت مكة ودانت له قريش، ودوَّخها الإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً يضربون إليه من كل وجه"(١)، وكانت العرب تنتظر ما يسفر عنه فتح مكة، أخرج البخاري عن عمرو بن سلمة قال:« **وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ(٢) بِإِسْلاَمِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلاَمِهِمْ**»(٣)، ويقولون: « انظروه فإن ظهر فهو نبي فصدِّقوه، فلما كان بعد وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم»(٤)، وعن الحسن: " لما فتحت مكة أقبلت العرب بعضها على بعض، فقالوا: أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس لنا به يَدَان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً"(٥)، وانظر إلى قول عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يتحدث عن سبب إسلامه: " **إني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً**"(٦)، لقد كان علو أمر النبي ﷺ سبباً في تقوية دوافع الاستجابة في نفسه.

وما يؤكد أثر الغلبة والقوة المنهج الذي سلكه النبي ﷺ في فتحه مكة، لقد كانت قريش في أشد عنفوانها حرباً للدعوة وعناداً واستكباراً،وقد عمل النبي ﷺ كل ما من شأنه إقناعهم بطريقة سلمية بالدخول في الإسلام وعدم حمل لواء العداوة للدعوة، ولكن دون جدوى، ولما كان الحق الذي تسنده قوة له وقعه في النفوس وهيبته في القلوب رأينا

---

(١) - السيرة النبوية لابن هشام، ج٤/٢٠٥، وانظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ٢٥٧.

(٢) - أي: تنتظر وتمكث. ابن حجر، فتح الباري ج٨/٢٣، الكرماني، صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج١٦/١٤٢.

(٣) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ٤٣٠٠، ج٨/٢٢، رقم ٤٣٠٢.

(٤) - أخرجه الحاكم في المستدرك،ج٣/٤٩، رقم ٤٣٦٤وقال الذهبي في التلخيص: أخرج البخاري بعضه.

(٥) - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠ ٥٩١، وانظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج٦ ٢٩٦.

(٦) - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤/٢٣٦.

النبي ﷺ وهو يحشد الحشود لفتح مكة وخضد شوكة الشرك يحاول أن يقذف في قلوب المشركين الرعب من خلال الحق المدجَّج بالسلاح، لعل نفوسهم تتخلى عن عنادها، ولا سيما أن قريشاً ممثلة في قادتها لا تزال تؤمل في منازلة الإسلام، ففي طريقه ﷺ إلى فتح مكة نزل في واد وأوقد فيه نيراناً عظيمة في معسكر المسلمين الذي قدر عدده بعشرة آلاف، وصادف أن ثلاثة من زعماء المشركين خرجوا يتحسسون الأخبار، فلما اقتربوا من الوادي هالهم ما رأوا من هيبة تلك النيران، عبَّر عن ذلك هذا الحوار الذي دار بين أبي سفيان رضي الله عنه زعيم قريش وسيدها وبين بديل بن ورقاء زعيم خزاعة بعد رؤية تلك النيران، قال أبو سفيان رضي الله عنه: " ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً !! فقال بديل بن ورقاء: "هذه خزاعة حمشتها الحرب "، قال أبو سفيان: "خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها"[1]، وبينما هما يتحدثان بصر بهما العباس عم رسول الله ﷺ ، وحذر أبا سفيان عاقبة الأمر وعرض عليه أن يأخذه إلى الرسول ﷺ ويأخذ منه أماناً له ولقريش، فركب معه بغلته وذهب به إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المسلمون أباسفيان رضي الله عنه قالوا: الحمد لله الذي أمكن منه بغير عقد ولا عهد، وهم يرومون قتله منهم الفاروق رضي الله عنه الذي لحق به حتى دخل على النبي ﷺ، واستأذنه في ضرب عنق أبي سفيان فطلب له العباس الأمان فأمنه، وأمر العباس أن يأخذه معه فإذا أصبح جاء به، ولعله يفكر بعدما رأى ما رأى، فلربما كان ما رآه من قوة وهيبة يؤثر في دوافع الاستجابة في نفسه فيشعر بغلبة الحق وقوته فيذعن، وهذا هو الذي حصل بفضل الله، فعندما أصبح وجيء به إلى النبي ﷺ عرض عليه الإسلام فأسلم رضي الله عنه، وأمر النبي ﷺ العباس أن يأخذه ويحبسه على الطريق الذي تمر عليه جنود الله حتى يرى ما لعله أن يستأصل من نفسه بقية الاصرار على المقاومة، فمرت عليه القبائل واحدة واحدة وهو يرى، فيسأل العباسَ من هؤلاء؟ فيقول:"سليم، فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء ؟ فيقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، وجعلت القبائل كلها تمر وهو يسأل العباس فيخبره، فيقول:

---

(١) - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٤.

مالي ولهؤلاء حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منها إلا السيوف والحديد، فقال: يا عباس من هؤلاء ؟ فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال أبو سفيان: سبحان الله ما لأحد بهؤلاء من طاقة ؛ والله يا أباالفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، فقال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن[١] .

وفي رواية البخاري:« فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ »[٢] قال العباس ﷺ: قلت لأبي سفيان:النجا إلى قومك، حتى إذا دخل مكة صرخ بأعلى صوته:يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيم لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن[٣] وذكر الحافظ ابن حجر رواية قال فيها:" **أن العباس ﷺ قال لرسول الله ﷺ: لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تريه جنود الله ففعل، فقال أبو سفيان أغدراً يا بني هاشم؟ قال العباس ﷺ:لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين، وما أعدَّ الله للمشركين فحبسه بالمضيق، قال ابن حجر: وإنما حبسه هناك لكونه مضيقاً ليرى الجميع فلا يفوته رؤية أحد منهم**"[٤]. لقد نجحت الرسالة تماماً وأثمرت رؤيته لقوة المسلمين شعوراً وقناعة بغلبة الحق وسطوته، فأيقن بقوته ونمت في نفسه دوافع الاستجابة، بل نقل تلك القناعات إلى آخرين من بني قومه، ليؤكد لهم أن لا جدوى من المقاومة، وأن

---

(١) - المصدر السابق،ج٤/ ٤٤ - ٤٧.

(٢) - أخرجه البخاري، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح، ج٨ ص، رقم ٤٢٨٠.

(٣) - انظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/ ٤٤ - ٤٧.

(٤) - فتح الباري، ج٨/ ٨.

جيوش المسلمين القادمة الزاحفة سوف لا يقف في طريقها أحد قط منهم، وبالتالي لا قدرة على الجلاد ولا استجلاب الأمداد، إن الحق القوي يستهوي قلوباً كثيرة ويلفت نظر الكثيرين الذين يحاربون الإسلام الضعيف، ولعل هذا هو السر في كون منهج النبي ﷺ في بدء الدعوة يقوم على البحث عن قوة تسند دعوته وتؤويه حتى يبلغ الرسالة، وهكذا كانت غلبة الحق ممهداً قوياً للإقبال على الدعوة المباركة، فلما فتحت مكة واستقر النبي ﷺ فيها أعلن خطته السلمية التي تهدف إلى تأليف القلوب النافرة، وهداية النفوس الحائرة فشرع يبايع الناس على الإسلام[١]، والقول كما قال عمرو بن العاص عن أحوال العرب وموقفهم من الدعوة لما سأله جيفر وعبد ابنا الجلندي[٢] قائلاً وكان قد بعثه النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان[٣] ليدعوهما إلى الإسلام قال له ملك عمان: " ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف.. فما أعلم أحداً بقي غيرك، وأنت إن لم تُسْلِم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك فأسلِم تسلَم ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال"[٤] وطلب من عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يمهله يوماً ليفكر، ثم قرر أخيراً اعتناق الإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وهكذا كان شعوره بغلبة الحق مؤثراً في دوافع الاستجابة[٥] .

---

(١) - انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) - جيفر وعبد ابنا الجلندي كانا رئيسي أهل عمان وأسلما على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد خيبر، ولم يقدما على النبي ﷺ ولم يراياه. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١/٣٧١.

(٣) - انظر نص الكتاب: أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (ط: الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ)، ج٦/ ٣٦٥. وانظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، كتاب الأموال، (ط:الثانية، دار الفكر، ١٣٩٥ هـ)، ص ٢٨. تحقيق: محمد خليل هرّاس.وقد ذكر أكرم العمري أن كتابه ﷺ إلى ملكي عمان لم يثبت من الناحية الحديثية، ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب، كما أنه لا يعني الطعن التاريخي بالنص إذ قد يصح شكلاً ومضموناً، ولكنه لا يرقى إلى مستوى الاحتجاج به في السياسة الشرعية. انظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج٢/٤٥٨.

(٤) - ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢/٢٦٩ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣/ ٦٩٥ .

(٥) - انظر: المرجع السابق، المدرك ذاته.

ثالثاً: غلبة الحجة:

الحُجَّةُ هي: " الدِّلالة المبيِّنةُ للمحَجَّة، أي: المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين"(١)، قال الله تعالى:﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾(٢)، وثمة مواقف لبعض المدعوين الذين تأثروا بغلبة الحجة نذكر منها:

١ – قصة عبد الله بن سلام ﷺ:

في قصة إسلام عبد الله بن سلام ﷺ بيان لغلبة حجة النبي ﷺ، إذ أجابه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي يأتيه الوحي من السماء، فأيقن حينئذ عبد الله بن سلام بأن حجة النبي ﷺ أقوى وأمره أظهر، ولم يكن ثمة مانع من الهوى وغيره يمنعه عن الاستجابة للحق، فآمن واستكبر بعض قومه حسداً من عند أنفسهم، وقال: « **أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ**»، «**وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ ؛ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُاللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلامٍ ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُاللَّهِ ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُاللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا**

---

(١) – الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٧.

(٢) – سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

وَوَقَعُوافِيهِ»[١]

٢- قصة وفد بني تميم[٢]:

جاء وفد بني تميم في عام الوفود[٣]،وطلبوا من الرسول ﷺ أن يأذن لخطيبهم وشاعرهم أن يقولا،وقالوا: يا محمد جئنا لنفاخرك فأذن له فقام عطارد بن حاجب[٤]، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا برءوس الناس وأولي فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعَدِّد مثل ما عدَّدْنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نخشى من الإكثار فيما أعطانا، وأنا نُعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس رضي الله عنه[٥]: قم، فأجب الرجل في خطبته، فقام ثابت رضي الله عنه فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيَّه علمُه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن،

---

(١) - انظر تخريجه: ص ٥١٢ .

(٢) - انظر خبر قدوم الوفد: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ج٨/٨٣، رقم ٤٣٦٥.

(٣) - سمي بهذا الإسم لكثرة الوفود التي قدمت على النبي ﷺ لتبايع على الإسلام وكان ذلك سنة تسع من الهجرة، وقد بلغ مجموع ما ذكرته المصادر أكثر من ستين وفداً. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٢٠٥، أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٥٤١.

(٤) - عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي وفد على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلموا سنة تسع من الهجرة، وكان سيداً في قومه وهو الذي أهدى إلى النبي ﷺ ثوب ديباج فعجب منه الصحابة ﷺ ولما ادعت سجاح التميمية النبوة كان ممن تبعها ثم إنه تاب وحسن إسلامه. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٥٣٩.

(٥) - ثابت بن قيس بن شماس بن زهير كان خطيب الأنصار وخطيب النبي ﷺ شهد أحداً وما بعدها وقتل يوم اليمامة شهيداً. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١/٢٧٥.

فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

فقام الزبرقان بن بدر[١] فقال قصيدته التي نورد بعضها لطولها:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا يقسم الربع[٢]

وكم قسرنا من الأحياء كلِّهمِ ... عند النهاب وفضل العز يتبع

إلى قوله:

إنا أبينا ولم يأب لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فلما فرغ الزبرقان قال النبي ﷺ قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان رضي الله عنه:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي

قوم إذا حاربوا ضروا عدوَّهم ... أوحاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

إلى قوله:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع

فإنهم أفضل الأحياء كلِّهم ... إن جدَّ بالناس جدُّ القول أو شمعوا[٣].

فلما فرغ حسان رضي الله عنه أقسم الأقرع بن حابس وقال: إن هذا لمؤتى له[٤]. لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا، فلما فرغ

---

(١) - الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمي، كان سيداً في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام، ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني عوف، فأداها في الردة إلى أبي بكر، فأقره أبوبكر وعمر رضي الله عنهم على ولايته تلك لما رأى ثباته على الإسلام. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢ ص٩٥.

(٢) - البِيَع: مواضع الصلوات والعبادات. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٢٠٨.

(٣) - أي: هزلوا. وأصل الشمع: اللهو والطرب. ابن هشام السيرة النبوية، ج٤/٢١١. وانظرالقصيدة كاملة: ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري. (ط: دار بيوت، ١٣٩٨ هـ)، ص ١٤٣ - ١٤٦.

(٤) - أي: موفق له. ابن هشام السيرة النبوية، ج٤/٢١٢.

القوم أسلموا[١]،وذكر عمرو بن شبَّة في تاريخه أنه لما فرغ حسان رضي الله عنه من شعره "قال ﷺ للأقرع وعيينة: قد سمعنا ما قلتما وسمعتما ما قلنا فخرجا، فلما خَلَوَا أخذ أحدهما بيد صاحبه، قال الأقرع لعيينة: أسمعت ما سمعت؟، ما سكَتَ حتى ظننت أن سقف البيوت سوف يقع علينا، فقال عيينة: أوجدت ذلك ؟ والله لقد تكلم شاعرهم فما سكت حتى أظلم علي البيت وحيل بيني وبين النظر إليك، وقال الأقرع: إن لهذا الرجل لشأناً، ثم دخلا بعد ذلك في الإسلام، وكانا من المؤلفة قلوبهم"[٢].

كان توفيق الله ثم الحماس والإخلاص الذي تمتع بهما خطيب رسول الله ﷺ وشاعره وراء هذا التأثير العظيم، إذ انتهى أمر المفاخرة إلى إسلام الوفد بعد أن شَعَرَا بغلبة الحق ونفوذه، وانضم أولئك الرجال إلى جند الإسلام ليكونوا من أبطاله بعدما ثبت لهم بالتجربة عجزهم عن مضاهاة أبطال الإسلام، وفي ذلك لفتة دعوية، مفادها: أن تقدير النبي ﷺ للمواهب والطاقات كان منهجاً له ﷺ في دعوته، فالخطيب له مكانته في الدعوة،كما أن للشاعر مكانته فيها أيضاً، ويتفرع عن تلك اللفتة درس آخر يتلخص في أن الداعية مهما يكن عنده من موهبة صغرت أو كبرت فإن الدعوة تستفيد منها شريطة أن يتحقق الإخلاص للدعوة، وأنه يتعيَّن على الدعاة أن يكونوا أكثر تمكناً في أي فن مشروع يتقنه عدوُّهم، لأن مهمتهم التي يتصدون لها هي أن يكونوا شهداء على الناس، وما لم يكن الشاهد متفوقاً فإن تأثيره سيكون دون المستوى المطلوب، وسوف تضمحل تلك الشهادة ولن يكون له شأن يذكر.

وهكذا تبين لنا في هذا المبحث أثر البحث عن الحق والشعور بغلبته في التأثير في دوافع الاستجابة.

---

(١) – انظر المفاخرة كاملة: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٢٠٦ – ٢١٣، وانظر:الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣/١١٥ – ١٢٠، وانظر:ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/٤١ – ٤٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/٢٩٣ – ٢٩٤.

(٢) – أبويزيد عمرو بن شبة النميري البصري، كتاب أخبار المدينة النبوية، (ط: الأولى، دار العليّان، بريدة، ١٤١١١ هـ)، المجلد السادس، الجزء الثاني/١٢٤، ١٢٥.

الخاتمة: تتضمن خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فنعمه علي لا تحصى، حيث يسر وأعان على إنجاز هذا البحث، ومعالجته من خلال خطته المرسومة، وخروجه بصورته النهائية، والحقيقة أن البحث محاولة واجتهاد لإخراج دراسة دعوية ديدنها التعمق في النصوص استدلالاً واستنباطاً، تستخلص دوافع الاستجابة للدعوة، سواء كانت تلك الدوافع في موضوع الدعوة أو الداعية أو المدعو، وهي في ذلك كله تعتمد على نصوص الوحي من الكتاب والسنة، فما كان منها صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وما كان خطأً فمن نفسي، وأسأل الله العفو والمغفرة إنه جواد كريم، ولا يسعني في ختامه إلا أن أدعو الله كما قال العبد الصالح ﴿ **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾[1]، وأسأله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به ويكتب له القبول، وأن يجزي كاتبه ومشرفه خير الجزاء. وبعد أن مَنَّ الله علي بإنجاز هذا البحث يحسن بي أن أورد خاتمة للبحث تتضمن خلاصته وأهم نتائجه والتوصيات التي رأيتها:

١ – الخلاصة:

شمل البحث تصنيفاً علمياً وموضوعياً مقسّماً لدوافع الاستجابة من حيث النوع إلى محاور ثلاثة هي:

أ – **دوافع تتعلق بموضوع الدعوة** وتتلخص في ما تحمله الدعوة من خصائص، من أبرزها خصيصة الربانية فهي ربانية في منهجها، بمعنى أن مصدرها هو الله جل جلاله، وغايتها أيضاً ربط الناس بربهم ﷻ،وينبثق من تلك الخصيصة خصائص أخرى كالشمولية التي تعنى شمول الدعوة لأصول الإيمان، وأنظمة الحياة، وشمولها للجن والإنس. وشمولها للإنسان في حياته جميعِها، وكالوسطية المتمثلة في وسطية العقيدة ووسطية العبادة،

---

(١) – سورة النمل، الآية: ١٩.

وكالواقعية التي تعطي صورةً واقعيةً للدعوة في جانبي العقيدة والعبادة.

ب – دوافع تتعلق بالداعية وهي ما يحمله الداعية من صفات تمنحه القدرة على التأثير والجاذبية للمدعو لتنمو دوافع الاستجابة في نفسه، وتلك الصفات بكليتها تعمل متصلة، وهي في مجموعها تشكل الشخصية الدعوية للداعية، فإخلاص الداعية من الأمور المهمة، وعلاوة على كونه شرطاً للقبول عند الله، فإنه أيضاً سبب عظيم من أسباب نجاح الداعية في دعوته وغزوها للقلوب، وتبين من خلال البحث أنواع العلوم التي يحتاجها الداعية وهو يقوم بواجبه، وأهمية العلم الشرعي الذي يمنح الداعية البصيرة في الدعوة، والعلم بأحوال المدعو، كما اتضح من خلال البحث ضرورة مراعاة حال المدعوّ في الدعوة، وظهر أيضاً لنا أن الحرص على هداية الآخرين من صفات الأنبياء وأتباعهم، وأن إحسان التعامل مع المدعو يوفر للداعية جهداً ووقتاً كثيريْن، وتلك الصفات إنما هي أساس القدوة الصالحة التي يتطلبها نجاح العملية الدعوية وتحقيق التفاعل بين المدعو والداعية.

ج – دوافع تتعلق بالمدعو وقد انتهى البحث إلى تصنيفها إلى: ذاتية وتتمثل في الفطرة الصحيحة، والإدراك العقلي، ودوافع مكتسبة: تتمثل في الإيمان بالغيب، والعلم بالحق.

كما تطرق البحث إلى المنهج الفريد الذي سلكه الكتاب والسنة في مخاطبة النفس البشرية طلباً لاستثارة دوافع استجابتها، وانتهى البحث إلى أن ذلك المنهج تمثل في أمرين أساسين هما: المنهج العقلي الذي يركز على مخاطبة العقل من خلال أساليب متعددة أهمها: المحاكمات العقلية، والأقيسة بجميع أنواعها، والسَّبْر والتقسيم، والاستفهام التقريري، والحوار، والدعوة إلى التفكير السليم، والمنهج الحسي الذي يخاطب المدعو من خلال لفت نظره إلى ما هو محسوس ومألوف، وأبرز قواعده: لفت النظر إلى التاريخ البشري، ولفت النظر إلى المحسوس.

وتبين من البحث أن المؤثّرات في الدوافع تنقسم إلى قسمين: خارجية وداخلية، فالخارجية يقصد بها: ما كان من خارج المدعو وتتمثل في البيئة والترغيب والترهيب، وتلك البيئة تشمل البيئة الصغرى البيت، والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه المدعو، والمسجد، والجليس، والقسم الثاني: المؤثّرات الداخلية: وهي نابعة من ذات المدعو،

أحدها: البحث عن الحق والإحساس بالحاجة إليه، والآخر: الشعور بقوة الحق وغلبته، وما يحدثه من تأثير بالغ وسلطان قوي في النفوس، فقد تبين من خلال الشواهد والنصوص آثار تلك المؤثّرات.

٢ – النتائج:

النتائج التي انتهى إليها الباحث هي في الواقع إجابة على التساؤلات المطروحة في المشكلة البحثية، وتتلخص تلك النتائج بإيجاز وتركيز شديدين فيما يلي:

أولاً: انتهى البحث إلى تعريف محدد لدوافع الاستجابة.

ثانياً: ثبت من خلال البحث أن الناس بطبيعتهم عندهم استعدادات، متى ما أثيرت كانت سبباً في قبول الحق .

ثالثاً: أثبت البحث أن تفاعل المدعو الإيجابي مع الدعوة له علاقة وطيدة بما تمتاز به الدعوة من خصائص .

رابعاً: ثبت من خلال البحث أن تكامل شخصية الداعية له تأثير كبير في تحقيق الاستجابة.

خامساً: انتهى البحث إلى تصنيف دوافع الاستجابة في المدعو إلى نوعين هما: الدوافع الذاتية والدوافع المكتسبة ، وأن الصلة بينهما صلة تعاضد وتعاون .

سادساً: أثبت البحث أن مخاطبة عقل المدعو من أقرب الطرق في تحقيق دوافع الاستجابة ، وأن لفت نظرالمدعو لما هو محسوس أمر مهم في الدعوة.

سابعاً: انتهى البحث إلى تحديد العلاقة بين نجاح الدعوة وبين إصلاح المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه المدعو، كما ثبت من خلال البحث أن مراعاة حاجة النفس الفطرية وما ترغبه وما ترهبه من أسباب نجاح الدعوة.

٣ – التوصيات:

وبعد الخاتمة أسجل بعض التوصيات المهمة من وجهة نظري:

وتلك التوصيات تقوم على محورين هما:

أولاً: المحور العلمي:

١ – يوصي الباحث بالتوجه في الدراسات الدعوية إلى الاهتمام بالدراسات

التأصيلية التي تعتمد على استنكاه نصوص الكتاب والسنة، والوقوف مع حقائقهما للتعرف على مختلف المناهج في دعوة البشر على مختلف طبقاتهم وأجناسهم، فإن في تلك النصوص ثروة دعوية لا تقدر بثمن، وربما غفل عنها كثير من الناس، فظنوا ألاَّ تجديد في المنهج، وأن مخاطبة الناس واحدة سواء فيهم العالم والجاهل، ولكل منحى، ولكل أسلوب.

٢ - كما يوصي الباحث أن يتفرع عن هذا البحث دراسات وبحوث مكثفة غايتها دراسة النفس البشرية ومعرفة ميولها واتجاهاتها، وأن تعقد مؤتمرات علمية يشترك فيها متخصصون في علم النفس وعلم الدعوة تصب في ذلك الاتجاه.

ثانياً: المحور العملي:

١- يوصي الباحث الدعاة بسلوك المنهج السوي الذي سلكه الكتاب والسنة في استثارة دوافع الاستجابة، ولا ريب أن سلوك ذلك المنهج يعد ضمانة لسلامة المنهج من الزيغ والإنحراف.

٢ - يوصي الباحث بضرورة تأهيل الدعاة تأهيلاً شرعياً يمكنهم من القيام بوظيفتهم على أكمل وجه وأتمّه، ويمكن أن تقوم معاهد متخصصة لهذا الغرض.

هذا وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أولاً: فهرس الآيات

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
إياك نعبد	٤	الفاتحة	١٠١
الم . ذلك الكتاب لاريب فيه	١ـ ٤	البقرة	١٦٨
ذلك الكتاب لاريب فيه	٢ ـ ٥	=	٣١٧
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم	٧	=	٢٧٩
وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض	١١ ـ ١٢	=	١٦٩
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً	١٧	=	٣٧٧
يا أيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	=	٢٨
الذي جعل لكم الأرض فراشاً	٢٢	=	٣٨ ـ ٤٥١
فلا تجعلوا لله أنداداً	٢٢	=	٣٤١
أتأمرون الناس بالبر	٤٤	=	٢٣٥
لا فارض ولا بكر	٦٨	=	٣٧٧
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك	٧٤	=	٢٧٩
وقولوا للناس حسناً	٨٣	=	١٧٠ ـ٢٥٥
أفتؤمنون ببعض الكتاب	٨٥	=	٤٥
قل بئسما يأمركم به إيمانكم	٩٣	=	٣٢١
ودَّ كثيرمن أهل الكتاب لو يردونكم	١٠٩	=	١٦٩
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	١١١	=	٧٢
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله	١١٨	=	١٥١
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصاري	١٢٠	=	١٦٨
ولئن اتبعت أهواءاهم بعد الذي جاءك	١٢٠	=	١٣٤
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته	١٢١	=	٣٣١
وارزق أهله من الثمرات	١٢٦	=	٣٩
ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب	١٣٢ ـ ١٣٣	=	٥٣ـ٢٠٩ـ٢١٦
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا	١٣٦	=	٤١ ـ ٤٩
فإن تولوا فإنما هم في شقاق	١٣٧	=	١٣

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	١٤٣	=	٦٣ - ١٦٥
ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك	١٤٥	البقرة	١٣٥
وإن منهم لفريقاً يكتمون الحق	١٤٦	=	٥٠٠
وإلهكم إله واحد	١٦٣ - ١٦٥	=	٤٤٦
إن في خلق السموات والأرض	١٦٤	=	٤٢٣
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	١٧١- ١٧٢	=	٣٤٧ - ٣٧٣
فمن اضطر غير باغ ولاعاد	١٧٣	=	٩٢
وعلى الذين يطيقونه فدية	١٨٤	=	٦٠
يريد الله بكم اليسر	١٨٥	=	١٧٤
ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم	١٩٨	=	٦٧-٩٥
ومن الناس من يعجبك قوله	٢٠٤ - ٢٠٦	=	٢٣٧
كان الناس أمةً واحدةً	٢١٣	=	٧
كتب عليكم القتال وهو كره لكم	٢١٦	=	٣٧٥
والوالدات يرضعن أولادهن	٢٣٣	=	٥٧
لاتكلف نفس إلا وسعها	٢٣٣	=	١٧٤
ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض	٢٥١	=	٤٠٣
لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي	٢٥٦	=	٣٤٣
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	٢٦١	=	٣٧٩
الذين ينفقون أموالهم	٢٦٢	=	١٢٢
يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم	٢٦٤	=	١٢٢
وما يذكر إلا أولوا الألباب	٢٦٩	=	٣٠٤
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢٨٦	=	١١-٨٣ - ١٧٤
قد كان لكم آية فى فئتين التقتا	١٣	آل عمران	٣٤٤-٣٥٣
زين للناس حب الشهوات	١٤	=	٨٤
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم	١٥	=	٨٤
شهد الله أنه لا إله الا هو	١٨	=	١٤١

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
إن الدين عند الله الإسلام	١٩	=	٤
ذرية بعضها من بعض	٣٤	آل عمران	٤٦٣
وأنبتها نباتاً حسناً	٣٧	=	٤٦٠-٤٦٤
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	٤٤	=	٤٠٢
فلما أحس عيسى منهم الكفر	٥٢	=	٣٨٥
إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم	٥٩-٦٠	=	٣٤٥-٣٥٤
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب	٧٩	=	١٦
وإذ أخذ الله ميثاق النبين	٨١	=	٤٠
أفغير دين الله يبغون	٨٣	=	٢٧
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً	٨٥	=	٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	=	أ
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	١٠٤	=	٤٧
الذين ينفقون في السراء والضراء	١٣٤	=	١٦٨
والذين إذا فعلوا فاحشة	١٣٥-١٣٦	=	٩٥
قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض	١٣٧	=	٢٨٦-٣٠٤-٣٩٧
هذا بيان للناس وهدىً وموعظة	١٣٨	=	١٤٥
وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير	١٤٦	=	١٦٨- ٤١٩
فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	=	١٠٨-٢٥٥
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها	١٦٥-١٦٧	=	٤٠٣
ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه	١٧٩	=	١٣٣
لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير	١٨١	=	٦٨
إن في خلق السماوات والأرض	١٩٠- ١٩١	=	٤٥٢
يا أيها الناس اتقوا ربكم	١	النساء	أ
فانكحوا ماطاب لكم من النساء	٣	=	٨٤
يريد الله أن يخفف عنكم	٢٨	=	٨٢
إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما	٣٥	=	١٢٤

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
ومن يكن الشيطان له قريناً	٣٨	النساء	١٢٤
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى	٤٣	=	٣١٥-٣٢٦
أفلا يتدبرون القرآن	٨٢	=	٢١
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف	٨٣	=	٣٧٤
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله	١٠٨	=	١٢٤-١٢٩
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله	١١٤	=	١٠٢
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله	١٣٦	=	٣٥- ٤١
إن المنافقين يخادعون الله	١٤٢	=	١٢٥
يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً	١٤٢	=	١١٩
ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار	١٤٥-١٤٦	=	١٠٦
الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا	١٤٦	=	١٠٢
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح	١٦٣-١٦٤	=	٢٤- ٦
رسلاً مبشرين ومنذرين	١٦٥	=	٦
يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم	١٧١	=	٦٦
يا أيها الناس قد جاءكم برهان	١٧٤	=	٣٣-٥١-١٤٥-٣٤٠
اليوم أكملت لكم دينكم	٣	المائدة	٤
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج	٦	=	٨٤- ٩١
وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً	٤٨	=	٣٦- ٧٩
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح	٦٤	=	٦٩
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة	٧٣	=	٧٠
ما المسيح ابن مريم إلارسول	٧٥	=	٩٠
ذلك بأن منهم قسيسين	٨٢- ٨٣	=	٣٢٤
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول	٨٣ - ٨٤	=	ب- ٢٩٨ - ٣٣٢
فهل أنتم منتهون	٩١	=	٣١٥-٣٢٦
اعلموا أن الله شديد العقاب	٩٨	المائدة	٦٧-٧٤
قل سيروا فى الأرض	١١	الأنعام	٣٩٨

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به	١٩	=	١٤٦
وإن كان كبر عليك إعراضهم	٣٥	=	٢٢٤
إنما يستجيب الذين يسمعون	٣٦	=	٢٨٠
ما فرطنا في الكتاب من شيء	٣٨	=	٣٢
قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم	٤٦	=	٣٤٤
وما نرسل المرسلين إلا مبشرين	٤٨ـ ٤٩	=	٤٨٥
وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا	٥١	=	٣٢٠
وكذلك فتنا بعضهم ببعض	٥٣	=	٢٨٢
وهو الذي يتوفاكم بالليل	٦٠ـ٦٢	=	٤٤٤
وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً	٧٠	=	٣٢١
وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر	٧٤	=	٥٣
نرفع درجات من نشاء	٨٣	=	١٤١
وهذا كتاب أنزلناه	٩٢	=	٣١٥ـ ٣١٩
إنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه	٩٩	=	٣٩٤
و هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً	١١٤	=	٤٤
أفغير الله أبتغي حكماً	١١٤	=	١٤٦
وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً	١١٥	=	٢٢
إلا ما ضطررتم إليه	١١٩	=	٩٢
أو من كان ميتاً فأحييناه	١٢٢	=	١٣ـ٢٩ـ٣٧٩
نبئوني بعلم إن كنتم صادقين	١٤٣	=	٣٤٧ـ٣٧٣
ثمانية أزواج من الضأن	١٤٣ـ١٤٤	=	٣٤٥ـ٣٥٩
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا	١٤٨	=	٣٤٧
قل فلله الحجة البالغة	١٤٩	=	٥٢٦
لا نكلف نفساً إلا وسعها	١٥٢	=	١٧٤
وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه	١٥٥	الأنعام	١٤٥
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي	١٦٢ـ ١٦٣	=	٤٤

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
قل أغير الله أبغي ربا ً	١٦٤	=	٣٧
ولقد مكناكم فى الأرض	١٠	الأعراف	٤٥٢
قل أمر ربي بالقسط	٢٩	=	١٠١
فريقاً هدى وفريقاً حقت عليه الضلالة	٣٠	=	ب
ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون	٣٤	=	٤٠٥
والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه	٥٨	=	٢٨٢-٤٦٠-٤٦٤
ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره	٥٩	=	٣٦
انا لنراك في ضلال مبين	٦٠-٦٢	=	٢١٠
ولكني رسول من رب العالمين	٦٢	=	٢١٣
أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين	٦٨	=	٢١٠
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح	٦٩	=	٤٠٧
وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم	٧٣	=	٤٠٨-٥١١
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعدعاد	٧٤	=	٤٠٧
وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا	٧٧	=	٤٠٩
حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق	١٠٥	=	٢١٤
قالوا يا موسى إما أن تلقي	١١٥-١٢٢	=	٥١٠
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي	١٥٧	=	٣٣٣
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر	١٥٧	=	٢٣
ويضع عنهم إصرهم	١٥٧	=	٨٢
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم	١٥٨	=	٣٣-٥١
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم	١٧٢	=	٢٨٦-٢٩٠
لهم قلوب لا يفقهون بها	١٧٩	=	٢٧٩-٣٩٧
أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء	١٨٥	الأعراف	٣٩٤-٤٥٠
والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم	١٩٧-١٩٨	=	٣٥٠

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
خذ العفو وأمر بالعرف	١٩٩	=	٢٥٥
وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين	١	الأنفال	٣٢١
إن شر الدواب عند الله الصم البكم	٢٢	=	٣٨٠
واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم	٢٥	=	٣٨١
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	٣٩	=	٢٩
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوه	٦٠	=	٤٩٦
لو أنفقت مافي الأرض جميعاً	٦٣	=	٣٦٧
الآن خفف الله عنكم	٦٦	=	٢٠١
ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم	٢٥	التوبة	١٢١
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا	٥١	=	٣٥
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم	٩٢	=	٢٣٠
وما كان المؤمنون لينفروا كافة	١٢٢	=	١٤٩
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	١٢٨	=	٢٠٩-٢٢٣
هو الذي جعل الشمس ضياءً	٥-٦	يونس	٤٥٤
وإذا تتلى عليهم آيتنا بينات	١٥	=	١٨-٢٥
إنمامثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء	٢٤	=	٣٧٨
ويقولون متى هذا الوعد	٤٨	=	٤٠٦
قل لا أملك لنفسي ضراً ولانفعاً	٤٩-٥٠	=	٤٠٦
يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة	٥٧	=	١٤٥
إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون	٩٦- ٩٧	=	٢٨٠
أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين	٩٩	=	٢٢٤
قل انظروا ماذا في السماوات والأرض	١٠١	=	٢٨٦-٣٠٤-٤٤٩
قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم	١٠٨	=	٣٤٣
الر . كتاب أحكمت آياته	١-٢	هود	١٤٥
وهو الذي خلق السماوات والأرض	٧	=	١٠٢
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها	١٥-١٦	=	١١٩

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينه من ربي	٢٨	=	٣٤٣
ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً	٢٩	=	٢١٥
ويا قوم استغفروا ربكم	٥٢	=	٤٨١-٤٩١
فعقروها فقال تمتعوا في داركم	٦٥- ٦٨	=	٤٠٩
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها	٨٢-٨٣	=	٤١١
قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي	٨٨	=	٢٣٥
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت	٨٨	=	٢١٤
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي	٨٩	=	٤٠٧
وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل	١٢٠	=	٣٩٩-٤٠٤-١٥٤
إنا أنزلناه قرآناً عربياً	٢	يوسف	١٧
وراودته التي هو في بيتها	٢٣-٢٤	=	١١٤
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء	٢٤	=	١١٠
ودخل معه السجن فتيان	٣٦-٤٠	=	٢٠٩
أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار	٣٩	=	٨٦
الآن حصحص الحق	٥١	=	٣٧٨
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	١٠٢	=	٤٠٢
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	١٠٣	=	٢٠٨
قل هذه سبيلي	١٠٨	=	١٣٥
لقد كان في قصصهم عبرة	١١١	=	٣٥٣
الله الذي رفع السماوات بغير عمد	٢	الرعد	٣٨-٤٤٨
قل من رب السماوات والأرض	١٦	=	٣٨٣
قل إن الله يضل من يشاء	٢٧	الرعد	١٢٤
ويهدي اليه من أناب	٢٧	=	١٢٦
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال	٣١	=	١٢
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك	٣٦	=	٣١٦-٣٣٠
ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم	٣٧	=	١٣٥

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
الر . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس	١	إبراهيم	١٨-٢٧
كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس	١	=	٧٩
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	٤	=	١٦٤- ١٨٩
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا	٥	=	٤٨٦
قالت رسلهم أفي الله شك	١٠	=	٢٨٣-٢٩٢
وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم	٤-٥	الحجر	٤٠٥
وإذقال ربك للملائكة	٢٨-٢٩	=	٥
نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم	٤٩-٥٠	=	٦٧-٧٣-٤٨٥
إن في ذلك لآيات للمتوسمين	٧٥	=	٤١٢
وإنها لبسبيل مقيم	٧٦	=	٤١٢
خلق السماوات والأرض بالحق	٣-١٧	النحل	٤٢٥
والأنعام خلقها لكم فيها دفء	٥	=	٤٣٣
وتحمل أثقالكم إلى بلد	٧- ٨	=	٤٣٢
أفمن يخلق كمن لا يخلق	١٧	=	٣٨٣
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	١٨	=	٤٢٥
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون	٢٠ - ٢١	=	٣٥٣
ولقد بعثنا في كل أمة	٣٦	=	٢٨-٣٦
إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل	٣٧	=	٢٠٨-٢٢٤
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً	٤٣	=	١٣٥
وأنزلنا إليك الذكر	٤٤	=	١٤٧
ولله يسجد مافي السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون	٤٩-٥٠	=	٢٧
ومابكم من نعمة فمن الله	٥٣	النحل	١٢٣
ويجعلون لله البنات سبحانه	٥٧-٦٠	=	٣٤٥-٣٥٦
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم	٦١	=	٤٠٦

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
وإن لكم في الأنعام لعبرة	٦٦	=	٤٣٣
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً	٧٣	=	٣٥٢
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة	٧٨	=	٣٩٧
وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً	٨٠	=	٤٣٣
كذلك يتم نعمته عليكم	٨١	=	٤٢٤
ونزلنا عليك الكتاب تبياناً	٨٩	=	٣٢-١٧
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	٩٠	=	٢٢
ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم	٩٤	=	٤٨٩
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى	٩٧	=	٤٨٨-٤٨١
إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا	٩٩-١٠٠	=	١١٠
وإذا بدلنا آية مكان آية	١٠٢	=	٤٠٤
وضرب الله مثلاً قرية	١١٢	=	٤٩١
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم	١١٦-١١٧	=	٣٦٠
ادع الى سبيل ربك باحكمة	١٢٥	=	١٧٤
واصبروما صبرك إلا بالله	١٢٧	=	٢٠٨
سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً	١	الإسراء	٣١
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها	١٩	=	١٠٣
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	٢٣-٢٤	=	٦٠
ولا تقف ماليس لك به علم	٣٦	=	٤٢٠
إن السمع والبصر والفؤاد	٣٦	=	٣٩٧
قل لو كان معه آلهه كما يقولون	٤٢	=	٣٤٤-٣٤٩
أولئك الذين يدعون يبتغون	٥٧	=	٦٦-٧٣
وقالوا لن نؤمن لك	٩٠-٩٣	الإسراء	٨٨
أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات	٩٩	=	٣٥٥
وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس	١٠٦	=	١٧٤
قل آمنوا به أولا تؤمنوا	١٠٧-١٠٩	=	٣١٦-٣٣٠

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
فلعلك باخع نفسك على آثارهم	٦	الكهف	٢٠٨
وقل الحق من ربكم	٢٩	=	٣٤٣
فوجدا عبداً من عبادنا	٦٥	=	١٣٥
قل إنما أنا بشر مثلكم	١١٠	=	١٠٢-٨٧
فمن كان يرجوا لقاء ربه	١١٠	=	١١٩
يا أخت هارون ماكان أبوك	٢٨	مريم	٤٦٥-٤٦٠
واذكر في الكتاب إبراهيم	٤١- ٤٣	=	٥٣
==========	٤١-٤٥	=	٢١٥
ياأبت إني قد جاءني من العلم	٤٣	=	١٣٥
فاعبده واصطبر لعبادته	٦٥	=	٢٤٢
ويقول الإنسان أإذا ما مت	٦٦-٦٧	=	٤٣٨
لتبشر به المتقين	٩٧	=	٣٢٢
وكم أهلكنا قبلهم من قرن	٩٨	=	٣٩٨
إذهبا إلى فرعون إنه طغى	٤٣-٤٤	طه	١٦٢
فاجعل بيننا وبينكم موعداً	٥٨	=	٣٤١
موعدكم يوم الزينة	٥٩	=	٣٤٢
قال لهم موسى ويلكم	٦١ - ٦٢	=	١١٧-١١٠
إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا	٧٣-٧٦	=	٤٠
وقل ربي زدني علما	١١٤	=	١٣٥
قال اهبطا منها جميعا	١٢٣- ١٢٦	=	٦
ومن أعرض عن ذكري	١٢٤	=	١٢٤
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين	١٦-١٨	الأنبياء	٤٠٣
لايستكبرون عن عبادته	١٩- ٢٠	الأنبياء	٣٨
أم إتخذوا آلهه من الأرض	٢١- ٢٢	=	٨٦
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	٢٢	=	٣٥-٢١٨
وما أرسلنا من قبلك من رسول	٢٥	=	١٨- ٢٨

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين	٥٣	=	٣٦٩
فاسألوهم إن كانوا ينطقون	٦٣	=	٣٧٠
فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم	٦٤	=	٣٧٠
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون	٦٥	=	٣٧٠
قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم	٦٦-٦٧	=	٣٧٠
فاستجبنا له ووهبنا له يحي	٩٠	=	٣٦-٧٣
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	١٠٧	=	٣٣-٥٠
يا أيها الناس إن كنتم في ريب	٥	الحج	٤٤٠
ذلك بأن الله هو الحق	٦-٧	=	٤٤٠
ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات	١٨	=	٢٧
ومن يهن الله فما له من مكرم	١٨	=	١٢٤
أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم	٤٦	=	١٥٥-٢٨٤-٣٠٢-٣٤٠
ذلك بأن الله يولج الليل في النهار	٦١-٦٢	=	٤٥٣
ويمسك السماء أن تقع على الأرض	٦٥	=	٤٤٨
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له	٧٣	=	٣٥٢
وجاهدوا في الله حق جهاده	٧٨	=	٩١
وما جعل عليكم في الدين من حرج	٧٨	=	٨٤-١٧٤
والذين هم لفروجهم حافظون	٥-٧	المؤمنون	٨٤
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	١٢-١٤	=	٤٣٨
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق	١٧	=	٤٤٨
ومنها تأكلون	٢١	=	٤٣٣
فقال الملأ الذين كفروا من قومه	٢٤-٢٥	=	٣٨
والذين هم بربهم لا يشركون	٥٩	المؤمنون	١٠٢
والذين يؤتون ما آتوا	٦٠	=	٧٣
ولو اتبع الحق أهواءهم	٧١	=	٧٨
ولولا فضل الله عليكم ورحمته	٢١	النور	١٢٣

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات	٣٤	=	٣٢٣
في بيوت أذن الله أن ترفع	٣٧-٣٦	=	٤٦٠-٤٦٨
وينزل من السماء من جبال	٤٣	=	٤٢٧
إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله	٥١	=	٣٢٦
وعد الله الذين آمنوا منكم	٥٥	=	١٢٥-١٣٢ ٤٨٣-٤٩٣
لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم	٦٣	=	١٤٢
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده	١	الفرقان	٣٣-٥٠
واتخذوا من دونه آلهة	٣	=	٣٥٠
قل أنزله الذي يعلم السر	٦	=	١٧٠
ويوم يعض الظالم على يديه	٢٧-٢٩	=	٤٦٢
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة	٣٢	=	١٩٤
ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء	٤٠	=	٤١٣
أم تحسب أن أكثرهم يسمعون	٤٤	=	٢٧٩
وما أسألكم عليه من أجر	١٠٩	=	٢١٥-٩٨
وإنه لتنزيل رب العالمين	١٩١-١٩٥	الشعراء	
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين	٣-٤	=	٢٢٣
أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج	٧-٨	=	٤٥١
وأنذر عشيرتك الأقربين	٢١٤	=	١٩٦
هدى وبشرى للمؤمنين	٢	النمل	٣٢١
وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم	٦	=	١٨
ولقد آتينا داود وسليمان علما	١٥	النمل	١٣٥
رب أوزعني أن أشكر نعمتك	١٩	=	٥٣٠
وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد	٢٠-٢٦	=	١٦٦
قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها	٣٨-٤٤	=	٥١٦

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
قيل لها ادخلي الصرح	٤٤	=	٥١١
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً	٤٥-٥٣	=	٤٠٠- ٤٠٩
فتلك بيوتهم خاوية	٥٢- ٥٣	=	١٥٥
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	٥٦	=	٤١١
قل الحمد لله وسلام على عباده	٥٩- ٦٤	=	٣٦٢
قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب	٦٥	=	٨
وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين	٧٧	=	٣٢١
إنك لا تسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء	٨٠- ٨١	=	٢٨٠
ولما بلغ أشده واستوى	١٤	القصص	١٣٥
واضمم إليك جناحك من الرهب	٣٢	=	٤٧٩
ومن أضل ممن اتبع هواه	٥٠	=	٢٢
الذين آتيناهم الكتاب من قبله	٥٢	=	٣٣٠
==========	٥٢ - ٥٥	=	٣٢٣
وقالوا إن نتبع الهدى معك	٥٧	=	٤٩٣
أفمن وعدناه وعداً حسناً	٦١	=	٤٨٦
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً	٧١ - ٧٣	=	٤٥٤
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره	٧٧	=	٣٢
إن قارون كان من قوم موسى	٧٦- ٨٢	=	١٨٤
آلم . أحسب الناس أن يتركوا	١- ٣	العنكبوت	١١٥
أحسب الناس أن يتركوا	٢ - ٣	=	١٣٣
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه	١٤	=	٢١٠
فابتغوا عند الله الرزق	١٧	=	٤٨١- ٤٩١
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق	٢٠	العنكبوت	٢٨٦- ٣٠٤
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء	٤١	=	٣٥١
وتلك الأمثال نضربها للناس	٤٣	=	١٣٥ -٣٤٧- ٣٧٦
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب	٤٨	=	٤٠٢

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب	٥١	=	١٧
أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا	٦٧	=	٤٩٤
آلم . غلبت الروم	١-٥	الروم	١٦٥
فسبحان الله حين تمسون	١٧- ٢٨	=	٨٧
ومن آياته أن خلقكم من تراب	٢٠	=	٤٢٢-٤٣٦
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا	٢١	=	٤٢٢
ومن آياته خلق السماوات والأرض	٢٢	=	٤٢٢-٤٤٢
ومن آياته منامكم بالليل	٢٣	=	٤٢٢
ومن آياته يريكم البرق	٢٤	=	٤٢٦
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده	٢٧	=	٤٣٧
فأقم وجهك للدين حنيفا	٣٠	=	٢٨٦- ٢٩١
فانظر إلى آثار رحمة الله	٥٠	=	٤٢١-٤٢٧
إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا	٥٣	=	٣١٥- ٣١٩
خلق السماوات بغير عمد ترونها	١٠	لقمان	٤٤٨
الذي أحسن كل شيء خلقه	٧ - ٩	السجدة	٥
فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك	١٩	الأحزاب	٣٨٢
لقد كان لكم في رسول الله أسوة	٢١	=	٢٤٢
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا	٤٥	=	١٩٨
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً	٧٠ - ٧١	=	أ
ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك	٦	سبأ	٣١٦- ٣٣٠
لقد كان لسبأ في مسكنهم آيه	١٥- ١٧	=	٣٩٦
قل من يرزقكم من السماوات والأرض	٢٤	=	٣٤٦- ٣٦٣
وما أرسلنا في قرية من نذير	٣٤- ٣٥	سبأ	١٦٦
قل إنما أعظكم بواحدة	٤٦	=	١٥٧- ٣٧٥
الحمد لله فاطر السماوات	١	فاطر	٢٨٨
جاعل الملائكة رسلا	١	=	٣٩

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	٦	=	١١٣
أفمن زين له سوء عمله	٨	=	٢٢٤
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات	٨	=	٢٠٨
إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب	١٨	=	٣٢١
إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	=	١٣٥ - ٣٣٣
يس والقرآن الحكيم	١-٢	يس	٣٢٤
إنما تنذر من اتبع الذكر	١١	=	٣٢١
وجاء من أقصى المدينة	٢٠-٢٧	=	٢١٠
لينذر من كان حياً	٧٠	=	٣٢٣
أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون	٧١- ٧٢	=	٤٣١
ومنها يأكلون	٧٢	=	٤٣٤
وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه	٧٨ - ٧٩	=	٤٣٩
أوليس الذي خلق السماوات	٨١	=	٣٥٥
وما تجزون إلا ما كنتم تعملون	٤٠	الصافات	١٠٢
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين	٧٤	=	١١٠
فبشرناه بغلام حليم	١٠١- ١٠٧	=	١١٥
وإن لوطاً لمن المرسلين	١٣٣- ١٣٨	=	٤٠١ - ٤١١
يا داود إنا جعلناك خليفة	٢٦	ص	٢٢
قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين	٨٣	=	١٠١ - ١١٠
قل ما أسألكم عليه من أجر	٨٦	=	١٠٢
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق	١-٢	الزمر	١٠٢
قل إني أمرت أن أعبد الله	٤	الزمر	١٠٢
خلق السماوات والأرض بالحق	٥	=	٤٠٦
قل هل يستوي الذين يعلمون	٩	=	١٣٦
قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم	١٥-١٦	=	١١٣

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
وعد الله لا يخلف الله الميعاد	٢٠	=	١٣٣
ضرب الله مثلاً رجلاً	٢٩	=	٣٠
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن	٣٧	=	٣٤٨
الله يتوفى الأنفس	٤٢	=	٤٤٣
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب	٤٥	=	٣١٨
قل أغير الله تأمروني أعبد	٦٤ـ ٦٦	=	٣٧
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين	٦٦	=	٢٤٢
وقال الذي آمن ياقوم	٣٠ ـ ٣١	غافر	٤٠٨
لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس	٥٧	=	٤٤٨
الله الذي جعل لكم الأرض قرارا	٦٤	=	٤٥١
هو الحي لا إله إلا هو	٦٥	=	١٠٢
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك	٧٨	=	٣٩٥
وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً	٧	الشورى	٤١
ليس كمثله شيء	١١	=	٩٠
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً	١٣	=	٣٥ - ١٠٢
الله يجتبي إليه من يشاء	١٣	=	١٢٤
ويهدي إليه من ينيب	١٣	=	١٢٦
وقل آمنت بما أنزل الله	١٥	=	٩٠
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا	٥٢ - ٥٣	=	١٨ - ٢٨
وكذلك ما أرسلنا من قبلك	٢٣	الزخرف	٣٤٧
ثم جعلناك على شريعة من الأمر	١٨	الجاثية	٢٣
ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما	٣	الأحقاف	٤٠٦
واذكر أخا عاد	٢١ـ٢٥	الأحقاف	٤٠٠
فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم	٢٥	=	٣٩٩
وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن	٢٩ـ٣٢	=	٣١٩
ياقومنا أجيبوا داعي الله	٣١	=	٥٠

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
فاعلم أنه لا إله الا الله	١٩	محمد	١٣٦
هو الذي أنزل السكينة	٤	الفتح	٢٨١
يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق	٦	الحجرات	٣٧٤
ولكن الله حبب إليكم الايمان	٧-٨	=	٢٨٢
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله	١٥	=	١٦٨
يمنون عليك أن أسلموا	١٧	=	١٢٢
أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم	٦	ق	٤٤٩
أفعيينا بالخلق الأول	١٥	=	٣٦٤
وكم أهلكنا من قبلهم من قرن	٣٦-٣٧	=	١٥٥
إن في ذلك لذكرى	٣٧	=	٢٨٠
ولقد خلقنا السماوات والأرض	٣٨	=	٦٩
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	الذاريات	٤٣٨
والأرض فرشناها فنعم الماهدون	٤٨	=	٤٥١
كذلك ما أتى الذين من قبلهم	٥٢-٥٣	=	١٥٥
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦- ٥٧	=	٣٣٩
==========	٥٦-٥٨	=	٥٠
أم خلقوا من غير شيء	٣٥	الطور	٣٤٢- ٣٦٣
وما ينطق عن الهوى	٣-٤	النجم	٢٤- ١٤٧
إن هو إلا وحي يوحى	٤	=	١٧
فأوحى إلى عبده ما أوحى	١٠	=	٣١
وما لهم به من علم	١٨	=	٣٤٧-٣٧٣
خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث	٧	القمر	٣٨١
إنا كل شيء خلقناه بقدر	٤٩	القمر	٤١
انظرونا نقتبس من نوركم	١٣	الحديد	٣٩٤
ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم	١٦	=	٧٦
ما أصاب من مصيبة في الأرض	٢٢-٢٣	=	٤١

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
ألم تر أن الله يعلم مافي السماوات	٧	المجادلة	١٢٥
ما يكون من نجوى ثلاثة	٧	=	١٢٩
يرفع الله الذين آمنوا منكم	١١	=	١٤١
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي	٢١	=	١٢
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان	٢٢	=	٢٨١
فاعتبروا يا أولي الأبصار	٢	الحشر	٢٥٣
لأنتم أشد رهبة في صدورهم	١٣	=	٤٧٩
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى	١٤	=	٣٠١
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	٢-٣	الصف	٢٣٥
يريدون ليطفئوا نور الله	٨	=	٤٦
يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة	٩-١٠	الجمعة	٦٧-٧٥
هم العدو فاحذرهم	٤	المنافقون	١٦٩
ولله العزة ولرسولة وللمؤمنين	٨	=	٤٨٣-٤٩٣
فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	التغابن	٢٠١
ومن يوق شح نفسه	١٦	=	٢٥٤
لا يعصون الله ما أمرهم	٦	التحريم	٣٩
هل ترى من فطور	٣	الملك	٢٨٨
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل	١٠	=	٣٠١-٣٩٧
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	١٤	=	٢٠
وإنك لعلى خلق عظيم	٥	القلم	١٩١-٢٤٣
قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون	٢٨	=	٦٤
وما هو إلا ذكر للعالمين	٥٢	=	٣٣-٥٠
ولو تقول علينا بعض الأقاويل	٤٤-٤٧	الحاقة	٢٥
أن اعبدوا الله واتقوه	٤	نوح	٤٠٦
قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهاراً	٥- ٩	=	١٠٧-٢١٠
فقلت استغفروا ربكم	١٠-١٢	=	٤٨١- ٤٩١

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
والله أنبتكم من الأرض نباتا	١٧	=	٣٩٢
==========	١٨-١٧	=	٣٩
وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا	٢٦-٢٧	=	٤٦٣
قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن	١-٢	الجن	٥١
ومن يعرض عن ذكر ربه	١٧	=	١٢٤
وأنه لما قام عبدا لله يدعوه	١٩	=	٣١
ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم	٢٣	=	٤٨٦
إن ربك يعلم أنك تقوم	٢٠	المزمل	٢٠١
ولاتمنن تستكثر	٦	المدثر	١٢٢
إنا هديناه السبيل	٣	الإنسان	٥
وبنينا فوقكم سبعا شدادا	١٢	النبأ	٤٤٨
اذهب إلى فرعون إنه طغى	١٧-١٩	النازعات	١٦٢
عبس وتولى	١٠١	عبس	٥٠٢
فلينظر الإنسان إلى طعامه	٢٤-٣٢	=	٤٢١-٤٣٠
إذا السماء انفطرت	١	الإنفطار	٢٨٨
فلينظر الإنسان مم خلق	٥ -٨	الطارق	٤٣٧
قد أفلح من تزكى	١٤	الأعلى	١٠
بل تؤثرون الحياة الدنيا	١٦ -١٧	=	٤٠
أفلا ينظرون إلى الإبل	٧	الغاشية	٤٣٥
وإلى الجبال كيف نصبت	٢٠-١٩	=	٤٥١
ونفس وما سواها	٧-٩	الشمس	٥-١٠
فإذا فرغت فانصب	٧-٨	الإنشراح	٤٧٨
اقرأ باسم ربك الذي خلق	١-٥	العلق	١٣٨
كلا إن الإنسان ليطغى	٦ - ٧	=	١٨٥
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين	٥	البينة	١٠١

الآية	رقمها	اسم السورة	رقم الصفحة
فليعبدوا رب هذا البيت	٣-٤	قريش	٤٩١
فويل للمصلين	٤ - ٦	الماعون	١١٩
إذا جاء نصر الله والفتح	١-٣	النصر	٥١٢-٥٢١
قل هو الله أحد	١ - ٤	الإخلاص	٣٢٩

ثانياً: فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
أتحب أن تراها عريانه	عطاء بن يسار	٣٧١
أتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه	سهل بن سعد	٢٥٥
أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون	مالك بن الحويرث	٢٤٥
أدعوا إلى الله عز وجل وحده	=	٣١٣
أدعوك بدعاية الإسلام	=	ح
أرحم امتي بأمتي أبو بكر	أنس	٤٨٢
أسلم سالمها الله	=	١٥٩
أشبهت خلْقي وخُلُقي	=	١٩١
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	جابر بن عبدالله	٣٣-٥١
أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود	جابر بن عبد الله	٢٦٧
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	أبو بكرة	٣٧١
ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم	عياض بن حمار	٢٩١
ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه	المقدام بن معدي	١٨
ألا تريحني من ذي الخلصة	جرير بن عبدالله	٤٩٨
ألا وإن في الجسد مضغة أذا صلحت	=	٣٠٣
ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار	عبدالله بن عمرو	٧٥
أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة	أبو هريرة	٥٥
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	ابن عمر	١٩-٢٩-٣٧
أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل منازلهم	عائشة	١٧٢
أمَّا صاحبكم هذا فقد غامر	-	٣٤-٥٢
أن أعرابياً بال في المسجد	أبو هريرة	٢٥٥
الأنبياء إخوة لعلات	-	٣٦

الحديث	الراوي	الصفحة
إذا أبردتم إلي بريداً فا بعثوه حسن الوجه	أبو هريرة	١٩١
إذا أحب الرجل أخاه	المقدام بن معدي كرب	٢٦٠
إذا قال الرجل هلك الناس	=	١٢٢
إذا مرض العبد أو سافر	أبو موسى الأشعري	١٠٣
إذا نسي فأكل أو شرب فليتم صومه	أبو هريرة	٣٥٨
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً	-	٤١
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	-	١١٩
إن أقواماً بالمدينه خلفنا	أنس بن مالك	١٠٤
إن الصدق يهدي إلى البر	-	١١
إن ا لله إذا أحب عبداً دعا جبريل	-	١١١-١١٦
إن ا لله بعثني إليكم فقلتم كذبت	-	٢٩٤
إن ا لله خلق آدم من قبضة	أبو موسي الأشعري	٢٠٠
إن ا لله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة	أبو هريرة	٦٧-٧٤
إن ا لله عن تعذيب هذه نفسه لغني	أنس بن مالك	٨٢
إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة	أبو هريرة	٣٤٦
اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب	ابن عمر	٢٣٦
احبس أبا سفيان عند خطم الخيل	-	٥٢٤
احفظ عورتك إلا من زوجتك	بهز بن حكيم	٣٤٥
ادعهم إلى شهادة أن لا اله الا ا لله	ابن عباس	١٩
اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل	=	٢٩٥
اشترطت علي النبي ﷺ أن لا صدقه عليها	جابر بن عبد ا لله	١٩٨
اعبدوا ا لله ولاتشركوا به شيئا	أبو سعيد الخدري	١٦٩

الحديث	الراوي	الصفحة
حرف الألف		
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري	أبو هريرة	٣٢
اللهم العن بني لحيان ورعلاً	=	١٥٩
اللهم اهد أم أبي هريرة	أبو هريرة	٢٢٩
اللهم اهد دوساً وائت بهم	أبوهريرة	٢٢٩
إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً	عبدالله بن عمرو	١٣٧
إن الله لا ينظر إلى صوركم	أبو هريرة	١٠٤
إن الله لم يبعثني معنتاً	–	١٣٦
إن الله هو الحكم وإليه الحكم	هانىء	٢٧١
إن الله يحب العبد التقي	–	١٠٤
إن أول الناس يقضي يوم القيامه عليه	–	١٢٠
أنتم الذين قلتم كذا وكذا	أنس بن مالك	٩٣
انتهيت إلي النبي ﷺ وهو يخطب	أبو رفاعة	٢٠٢
إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم	ابن عباس	٢٧٢
أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة	أنس	٢٤٧
إن رسول الله ﷺ خرج ومع بلال	–	٥٦
أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه	–	٥٥
أن رسول الله ﷺ جاءه إعرابي	أبو هريرة	٣٠٥
إن رسول الله ﷺ ينهانا عن كثير من الإرفاه	عبدالله بن بريدة	٥٨
أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر	ابن عمر	٤١٥
أن رسول الله ﷺ مربالسوق	جابر بن عبدالله	٣٨٦
أن رسول الله ﷺ نهي عن الشراء والبيع في المسجد	عبدالله بن عمرو	٤٦٠
أنزل عبس وتولى في ابن أم كتوم الأعمى	عائشة	٥٠٢

الحديث	الراوي	الصفحة
أن ضماداً قدم مكه وكان من أزد شنوءه	ابن عباس	٥١٩
انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم	عبدا لله بن عمر	١١٠
إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته	عمار بن ياسر	١٨١
أن فتىً شابا أتي النبي ﷺ	أبو أمامه	٣٤٦
أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية	عائشة	٢٤٤
إنك لن تخلف فتعمل عملاً	سعد بن أبي وقاص	١٠٣
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	جرير بن عبدا لله	٣٨٨
إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً	-	٤٦١
إن لله تسعة وتسعين اسماً	أبو هريرة	٨٩
إن ا لله يحب أن يري أثر نعته على عبده	-	٢٥٣
إن للإسلام صوىً ومناراً	-	٣١٨
إنما الأعمال بالنيات	عمر بن لخطاب	١٠٣
إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم	أبو هريرة	٢١٠
إنما منعني أن أرد عليك أني كنت أصلي	جابر بن عبدا لله	٢٧١
إنما يبعث الناس على نياتهم	أبو هريرة	١٠٤
إنما ينصر ا لله هذه الأمة بضعيفها	-	١٠٤
إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	أبو هريرة	٤٠
إن مثلي ومثل ما بعثني ا لله به	أبو موسي الأشعري	٣٨٢
إن مطعم ابن آدم جعل مثلاً للدنيا	أبي بن كعب	٤٣٠
إن من إجلال ا لله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم	أبو موسي الأشعري	٦٠
إن من الشجرشجرة لا يسقط ورقها	ابن عمر	١٨٠
إن النبي ﷺ قال وسطاً عدولاً	أبو سعيد الخدري	٦٣
أن نبي ا لله ﷺكان يقوم من الليل	عائشة	٢٤٢

الحديث	الراوي	الصفحة
إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة	عبدا لله بن عمرو	٢١٣
إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم	جابر بن عبدا لله	٢٦١
إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس	معاوية بن الحكم	٢٦٥
أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير	عمران بن حصين	٥١٧
إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه	-	٢٧٣
إياك والتنعم	-	٥٨
إياكم والجلوس على الطرقات	أبو سعيد الخدري	٤٦٢
الإيمان بضع وسبعون شعبة	أبو هريرة	٤٤
أيها الناس أفشوا السلام	عبدا لله بن سلام	١١٨
أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي	سهل بن سعد	٢٤٦
حرف الباء		
بسم ا لله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد ا لله	عبدا لله بن عباس	٥٥
بعثت بين يدي الساعة بالسيف	ابن عمر	١٩-٢٩
بعثنا رسول ا لله ﷺ إلى الحرقة	أسامة بن زيد	٢٥٦
بعثني رسول ا لله ﷺ أنا والزبير	علي	٢٦٦
بلغ عبدا لله بن سلام مقدم رسول ا لله ﷺ	أنس	٥١٢
بينما رجل يمشي في حلة	أبو هريرة	٤١٦
بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته	-	١٢٢
بينما رسول ا لله ﷺ في المسجد فأقبل	أبو واقد الليثي	٤٦٩
بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد	أنس	٥٠٣
حرف التاء		
تبسمك في وجه أخيك صدقة	-	٢٧٦
تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء	عائشة	٤١٦

الحديث	الراوي	الصفحة
تنكح المرأة لأربع	أبو هريرة	٤٦٥
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له	أنس	٢٣٣
حرف الثاء		
ثلاث من كن فيه وجدحلاوة الايمان	أنس	٣٩٢
حرف الخاء		
خطب أبو طلحة أم سليم فقالت	-	٢٣٣
حرف الجيم		
جاء النبي ﷺ رجل من الأعراب	-	٣٢٨
جاءني رسول الله ﷺ يعودني	جابر بن عبدالله	٢٧٥
خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا	ابن عباس	١٩٦
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء	شداد بن أوس	٢٦٨
خرجت في نفر فكنا في بعض الطرق	أبو محذورة	٢٠٤
خلقت الملائكة من نور	عائشة	٣٩
خير دور الأنصار بنو النجار	-	١٥٩
حرف الدال		
دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود	أنس	١٧٨
دعاه النبي ﷺ فقال : أبك جنون	أبو هريرة	٢٣
دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً	-	٢٦٤
الدنيا متاع وخير متاع الدنيا	عبد الله بن عمر	٤٦٥
حرف الذال		
ذاك صريح الإيمان	-	١٧٧
ذكرت شيء من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني	عقبة	٢٤٨

الحديث	الراوي	الصفحة
ذهب أهل الدثور بالأجور	أبو هريرة	١٧٥
حرف الراء		
رأى عمر حلة على رجل تباع	ابن عمر	٢٧٦
رأيت رسول الله ﷺ أَذَنَ في أُذُن الحسن	-	٤٥٦
حرف السين		
سئل أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله	-	١٧٥
حرف الشين		
شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد	خباب بن الأرت	٤١٧
حرف الطاء		
طلب العلم فريضة	-	١٣٦
حرف العين		
عرضت علي الجنة والنار	أنس بن مالك	١١٢
حرف الغين		
غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه	أبو هريرة	١٢٥
غسل يوم الجمعة على كل محتلم	-	٤٧٠
حرف الفاء		
فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	-	٨٥
فإن دمائكم وأموالكم	-	٣٨٣
فوالذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم	-	٧٠
حرف القاف		
قال الله تبارك وتعالي أناأغنى الشركاء عن الشرك	-	١٢٠
قال إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة	ابن عباس	٥١١
قال فأخبرني عن الإيمان	-	٣٥-٣٨

الحديث	الراوي	الصفحة
قال نعم ولك أجر	ابن عباس	١٨٧
قالت النساء للنبيﷺغلبنا عليك الرجال	أبو سعيد الخدري	٥٦
قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم	العرباض بن ساريه	١١٢
قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة	سلمان الفارسي	٤٥
قدمت علي أمي وهي مشركة	أسماء بنت أبي بكر	٢٧٧
قريش والأنصار ومزينه	-	١٥٩
قم يا حمزة قم يا علي	علي	٢٤٧
قوموا فانحروا ثم احلقوا	-	٢٤٠
حرف الكاف		
كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا	ابن عمر	٤٨٢
كان رسول اللهﷺ معتكفاً	صفيه بنت حيي	١٤٢
كان رسول اللهﷺ يفطر في الشهر	-	٢٤٣
كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ	أنس	٢٢٧
كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر	صهيب الرومي	٢١٩
كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة	ابن مسعود	١٨٠
كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه	عائشة	١٧٣
كتب إلى كسرى وإلى قيصر	أنس بن مالك	٥٥
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات	عبدالله بن عمرو	٤٢
كل بني آدم خطاء	أنس بن مالك	٩٤
كلا والله لا يخزيك الله أبدا	-	٢٤٠
كنت أنا وجار لي من الأنصار	عمر بن الخطاب	١٣٧
كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي	الطفيل بن عمرو	٣١٢
كنت رجلا فارسياً من أهل أصبهان	ابن عباس	٥٠٤

الحديث	الراوي	الصفحة
كنت ردف النبي ﷺ	معاذ بن جبل	١٠٤
كيف جميع هيئتك وقومك	-	١٥٩
حرف اللام		
لأبعثن إليكم رجلاً أمينا حق أمين	حذيفة	٤٨٨
لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين	ابن عمر	٤٠٠
لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	عمر بن الخطاب	٦٦-٧١
لاحسد إلا في اثنتين	-	١٣٦
لا ضرر ولاضرار	-	٨٣
لأن يأخذ أحدكم حبله	الزبير بن العوام	٥٩
لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء	عبدالله بن عباس	٥٩
لقد لقيت من قومك وكان أشد	عائشة	٢٦١
لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم	أنس بن مالك	١٧٤
لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى	أبو سعيد الخدري	٣٦٥
لما انصرفنا من الاحزاب عن الخندق	عمرو بن العاص	٣٠٨
لايشكر الله من لايشكر الناس	-	ع
لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	ابن عمر	٢٦٨
لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان	-	١٥٧
لم يبعث الله نبيا إلا بلغه قومه	أبو ذر	١٩٠
لم يكن يرد الحديث كردكم	عائشة	١٧٣
لولا قومك حديث عهدهم	-	١٧٥
حرف الميم		
ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك	عبدالله بن عمر	١٧٨
ما أغناك الله فلا تسأل الناس	-	١٩٠

الحديث	الراوي	الصفحة
مابال دعوى أهل الجاهلية	جابر بن عبدالله	٢٦٣
مابعث الله من نبي إلا أنذر أمته	-	٤٢
ما تقول في الصلاة ؟	أبو هريرة	٤٨٦
ما رأيت أحد كان أرحم بالعيال	أنس	٢٦٩
ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت	جرير بن عبدالله	٢٧٦
مارأيت رجلا التقم أذن رسول الله ﷺ	أنس	٢٤٣
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر	أبو هريرة	١٨-٢٥
ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها	عبدالله بن سلام	٢٩٦
ما من مولد إلا يولد على الفطرة	-	٢٨٩
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن	-	١١٣
ما يضرك أن تقول لا إله إلا الله	عدي بن حاتم	١٨٨
مثل الجليس الصالح والسوء	-	٣٨١
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	-	٣٤٨
مثل ما بعثني الله به من الهدى	-	١٣٦
مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً	جابر	٢١٠
مخيريق خير يهود	-	٣٣٤
مر بغلام وهو يسلخ شاة	-	٢٧٥
مره فليتكلم وليستظل وليقعد	-	٨١
مرض أبو طالب فجاءته قريش	ابن عباس	٤٩٤
مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	ابن عمر	٤٢٦
من أتى عرّافا فسأله عن شيء	-	٣٧٥
من أصبح منكم اليوم صائماً	-	٢٣٩
من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا	-	٤٧٠

الحديث	الراوي	الصفحة
من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج	ابن عمر	١٦٠
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	-	٢٧٣
من سرته حسنته وساءته سيئته	-	٣١٨
من سَمَّع سَمَّع الله به	-	١٢٠
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله	أبو موسى الأشعري	٢٩
من كانت الآخرة همه	أنس	٣٨٧
من محمد رسول الله إلي بني زهير بن أقيش	-	٤٨١
من يرد الله به خيراً يفقه في الدين	-	١٣٦-١٤٩
حرف النون		
نضر الله امرءاً سمع مقالتي	أبو سعيد الخدري	١٠٣
حرف الهاء		
هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن	-	١٦٠
هذا مكرز وهو رجل فاجر	-	١٦٠
هل تدرون ماذا قال ربكم	زيد بن خالد	٤٢٨
هل تضارون في القمر ليلة البدر	أبو هريرة	٣٨٩
هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل	كعب بن مالك	٢٧٠
هل لكم إلى خير مما جئتم له	محمود بن لبيد	٢٢٥
هل من رجل يحملني إلى قومه	جابر بن عبدالله	١٥٩
هلك المتنطعون قالها ثلاثا	-	٦٦-٧١
حرف الواو		
والذي نفسي بيده لو تدومون على ماتكونون عندي	حنظلة الأسدي	١٧٩
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا	أبو هريرة	٩٤
والذي نفس محمد بيده لغفار وأسلم	-	١٥٩
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد	أبو هريرة	٣٣-٥١

الحديث	الراوي	الصفحة
والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ	صفوان بن أميه	٢٧٤
والله ما الدنيا في الآخرة	-	٣٨٧
وفي بضع أحدكم صدقة	أبو ذر	٣٥٧
حرف الياء		
يا ابن أخي ماذا ترى	-	٢٩٢
ياأيها الناس إنكم محشورون	ابن عباس	٣٨٧
يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين	عبدالله بن عباس	٨٠
يا أيها الناس ردوا علي ردائي	-	٢٥٦
يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	ربيعة بن عباد	٤٩٠
ياحصين كم تعبد اليوم إلها	عمران بن الحصين	٤٥٥
يازيد تعلم لي كتاب يهود	زيد بن ثابت	٢٠٥
يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق	-	٢٦٢
ياعم قل لا إله إلا الله كلمة	المسيب بن حزن	٢٢٧
ياغلام إني معلمك كلمات	ابن عباس	٥٤
ياغلام سم الله وكُل بيمنك	عمر بن أبي سلمه	٥٤
ياغلام هل عندك من لبن تسقينا	ابن مسعود	٢٠٦
يا معشر الشباب من استطاع منكم	عبدالله بن مسعود	٥٧
يامعشر يهود أسلموا تسلموا	أبو هريرة	٢٢٦
يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم	ابن عباس	٤٠١
يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله	-	٣٣٥
يؤتى بالرجل يوم القيامه فيلقى في النار	أسامه بن زيد	٢٣٥
يرحم الله نساء المهاجرات الأول	عائشة	٣٢٦
يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا	-	١٩٨
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامه	أنس	٢٩٠

ثالثاً : فهرس الأثار

الأثر	القائل	الصفحة
إذا أحسن الناس فأحسن معهم	عثمان بن عفان	٣٧٤
إن أفضل الفعال على الكلام مكرمة	الحسن البصري	٢٥٢
إن أقل العيب على الرجل جلوسه في داره	طلحة بن عبيد الله	٢٣٢
إن الله بعث محمداً ﷺ هاديا	عمر بن عبد العزيز	٢٣١
إنما نزل أول مانزل منه سورة المفصل	عائشة	١٩٥
أي قوم والله لقد وفدت علي الملوك	عروة بن مسعود	٤٧
أيها الأمير قرأت في بعض الكتب	مالك بن دينار	١٢٨
تعلموا النيه فإنها أبلغ من العمل	يحي بن أبي كثير	١٢٨
حدث الناس كل جمعه مرة	ابن عباس	١٨٢
حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	١٦٢
ذهب الفراغ لا فراغ إلا عند الله	عمر بن عبدالعزيز	٢٣٢
سمعت بعض الخلفاء يقول	أبو سفيان الداراني	١٢٨
صدقاً فيما قال عدلاً فيما حكم	قتادة	٢٢
ظهرت منهم علامات الخير في السماء والسمت والهدي	الحسن البصري	٢٤٩
كانت عكاظ ومجنة وذوالمجاز أسواقا في الجاهلية	ابن عباس	٧٥
كنا قوم أهل جاهلية نعبد الأصنام	جعفربن أبي طالب	١١
تفقهوا قبل أن تسودوا	عمر بن الخطاب	١٣٦
لأن أرى في بيتي شيطانا خير من أرى فيه وسادة	عطاء بن أبي رباح	٢٣٢
لا تطعم طعامك من لا يشتهيه	مطرف	١٨٣
لاتنشر بَزَّك إلا عند من يبغيه	مسروق	١٨٢
لا يعجبنكم من الرجل طنطنته	عمر بن الخطاب	٢٤٩
ما أنت بمُحَدِّث قوماً حديثاً	ابن مسعود	١٩٧

الأثر	القائل	الصفحة
ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق	على وابن عباس	٤٠
ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ	ابن عباس	٧١
يسرني أن يكون لي في كل شيء نِيَّة	سفيان بن زبيد	١٢٨

رابعاً : الأعلام

العَلم	الصفحة
أسد بن فرات	٢٥٢
أبو اسرائيل	٨١
الأصيرم عمرو بن ثابت	٣٢٧
أنس بن رافع	٢٢٥
إياس بن معاذ	٢٢٥
أيوب بن شرحبيل الأصبحي	٢٣١
ثابت بن قيس	٢٥٠
جابا (كوفهي لال جابا)	٤٧
جابر بن عبد الله	١٤١
جعفر الصادق	٢٥٩
جيفروعبد ابناالجلندي	٥٢٥
الحسن البصري	٢٥١
الحسن بن علي	٥٤
أم حكيم	٢٣٣
أبو حنيفة (النعمان بن ثابت)	٢٥٢
أبي خراش الهذلي	٥٢١
دحية بن خليفة الكلبي	١٩١

العَلم	الصفحة
ركويل (دونالد ركويل)	٩٠
الزبرقان بن بدر	٥٢٨
زهير (ابن أبي سلمى)	٤١٣
زيد بن ثابت	٢٠٥
زيد بن سعنه	٢٩٦
سلمان الفارسي	٤٥
سلمة بن سلامة بن وقش	٣٣٣
أم سليم	٢٣٣
أم شريك	٣٣٤
صفية بنت حيي بن أخطب	١٤٢
الطفيل بن عمرو الدوسي	٣١١
عاصم بن ثابت	١١٥
عامر بن شرحبيل	١٣١
عبد الله بن سلام	٣٣٥
عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر	٤٧٢
عبد الله بن المبارك	٢٥٣
عبد الله بن مسعود	١٨١
عبد الله بن أم مكتوم	٥٠٢
عبد يا ليل بن عبد كلال	٢٦١
عدي بن أرطأة	٢٣٢
عدي بن حاتم	١٨٨
عروة بن مسعود الثقفي	٤٧
عطاء بن حاجب	٥٢٧

العَلم	الصفحة
عقبة بن أبي معيط	٢٠٦
عكرمة بن أبي جهل	٣٣٤
علي يول	٧٧
عمر بن هبيرة	١٣١
قيصر	٥٥
كسرى	٥٥
ماعز بن مالك	٢٣
مالك بن دينار	١٢٨
محمد أسد	٤٨
أبو محذورة	٢٠٤
المهلب بن أبي صفرة	٢٥١
ميليما	٧٦
النجاشي	٥٥
ابن هبيرة	٢١٨
هند بنت عتبة	٢٤٠

خامساً: فهرس المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم وعلومه.

٢- الأبرش: مها ، الأمومة ومكانتها في الإسلام ،(ط: جامعة أم القرى، ١٤١٧ هـ).

٣- أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والمسمى تفسير أبي السعود،(ط: إحياء التراث العربي،بيروت،١٤١٤ هـ).

٤- أبو زيد: محمد بن محمد ،أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية (ط: الأولى، دار وفاء ، المنصورة ،١٤١٢هـ).

د- أبو غدة: عبد الفتاح ،الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ،(ط: الثانية ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٧هـ).

٦- أبو فارس: محمد عبد القادر ، أسس الدعوة ووسائل نشرها ،(ط: الأولى دار الفرقان، عمّان ،١٤١٢هـ).

٧- أبوداود: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت،)، مراجعة وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد.

٨- أبوزهرة: محمد المعجزة الكبرى، (ط: دار الفكر العربي).

٩- أبوفارس: محمد عبد القادر، في ظلال السيرة النبوية، (ط: الأولى، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان، ١٤٠٤ هـ).

١٠- الأبي: محمد بن خليفة الوشتاني، إكمال إكمال المعلم المسمى شرح الأبي والسنوسي على صحيح مسلم، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ)، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم.

١١- أسد: محمد ، الإسلام على مفترق الطرق (ط: الثامنة ، دار العلم للملايين ، بيروت،١٩٧٤م).

١٢- الأصفهاني: الراغب المفردات في غريب القرآن، (ط: دار المعرفة، بيروت)، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

١٣- الألباني: محمد ناصر الدين ، صحيح الترغيب والترهيب، (ط: الثانية،المكتب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ).

١٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، (ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ).
١٥- السلسلة الصحيحة، (ط: الثالثة، المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤٠٣ هـ)، (ط: الأولى، الدار السلفية، الكويت، ١٣٩٩ هـ، ١٤٠٣ هـ)،(ط: الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢ هـ).
١٦- صحيح سنن أبي داود،(ط: الأولى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٩هـ).
١٧- صحيح سنن ابن ماجه، (ط: الأولى، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ).
١٨- صحيح سنن الترمذي، (ط: الأولى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٨هـ).
١٩- صحيح سنن النسائي، (ط: الأولى، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ هـ).
٢٠- الألمعي: زاهر بن عواض مناهج الجدل في القرآن الكريم، (ط: الثانية، مطابع الفرزدق، ١٤٠٠ هـ).
٢١- الألوسي: محمد روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،(ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ).
٢٢- الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (ط: الأولى، الدوحة، قطر، ١٤٠٤ هـ)، تحقيق: عبد الله الأنصاري، عبد العال السيد إبراهيم.
٢٣- الأندلسي: أبوحيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف البحر المحيط، (ط: مكتبة النصر، ط: الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.
٢٤- أنيس: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (ط: الثانية، القاهرة، ١٣٩٢ هـ)، (ط: الثانية، دار المعارف، ودار إحياء التراث العربي ، مصر، ١٣٩٢ هـ)
٢٥- إصلاحي: أمين أحسن، منهج الدعوة إلى الله،(ط: دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٥١ م)، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي ونور عالم الندوي.

٢٦- الإمام مالك، المؤطأ (ط:الثالثة ، دار إحياء العلوم ،بيروت ،١٤١٤هـ) ، تقديم الشيخ: عارف الحاج ، ترقيم سعيد محمد اللحام ،مراجعة: مصطفى قصاص .

٢٧- ابن الأثير الجزري:علي بن محمد ،أُسد الغابة في معرفة الصحابة ،(ط: دار الفكر،بيروت،١٣٩٠هـ).

٢٨- الجزري: محمد بن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ،(ط: الثانية ،دار الفكر ١٤٠٣هـ).

٢٩- ابن الأثير الجزري النهاية في غريب الحديث والأثر (ط: الأولى ، دار الكتب العلمية،بيروت ،١٤١٨هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة.

٣٠- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن ،الوفاء بأحوال المصطفى ،(ط: الأولى دار الكتب الحديثة ، مصر،١٣٨٦هـ)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

٣١- سيرة عمر بن عبد العزيز، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ).

٣٢- مناقب الإمام أحمد ، (ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣ هـ).

٣٣- ابن الحنبلي: عبد الرحمن بن نجم كتاب استخرج الجدال من القرآن الكريم،(ط: الأولى، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠٠هـ)،تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي .

٣٤- ابن القيم: محمد بن أبي بكر ، زاد المعاد في هدي خير العباد ،(ط: الأولى ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٣٩٩هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

٣٥- تحفة المودود في أحكام المولود ، (ط:الأولى ، دار الجيل بيروت ١٤٠٨هـ)، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري .

٣٦- مفتاح دار السعادة، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

٣٧- بدائع الفوائد ، (ط: دار الكتاب العربي، بيروت).

٣٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط: الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ)، تحقيق: عصام الدين السباطي.

٣٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ).

٤٠- الأمثال في القرآن الكريم،(ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت،١٤٠٣ هـ)، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب.

٤١- التفسير القيم،(ط: دار الكتب العلمية، بيروت)، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٢- ابن النحاس: أحمد بن إبراهيم ، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين ،(ط: دار الكتب العلمية ،بيروت)، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد.

٤٣- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم ،مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط:الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٤٤- النبوات (ط: دار الفكر، بيروت).

٤٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (ط: الأولى ،جامعة الإمام ١٤٠٦هـ).

٤٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (ط: الأولى، مطابع العبيكان، الرياض، ١٤٠٤ هـ)، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل).

٤٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ط: دار العلوم، القاهرة، ١٤٠٩ هـ)، تعليق: أبو عبد الله محمد بن سعيد.

٤٨- الإيمان، (ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٤٩- الوصية الكبرى،(ط: الأولى ، دار عمَّان الأردن،١٤٠٧هـ).

٥٠- العسقلاني، حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ط: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٧٩ هـ)، تصحيح وتعليق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٥١- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، (ط: دار المعرفة ، بيروت لبنان،١٤١٤هـ)،تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .

٥٢- الإصابة في تمييز الصحابة ،(ط: دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٨٥٢م)(ط: دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ).

٥٣- ابن حديدة الأنصاري: محمد بن علي ، المصباح المضيء في كُتَّاب النبيﷺ إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (ط: الثانية ،عالم الكتب ، بيروت ،١٤٠٥هـ)،تصحيح وتعليق: محمد عظيم الدين .

٥٤- ابن حنبل: أحمد، مسند الإمام أحمد:(ط: الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤١٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وحمزة موسى الزين .

٥٥- ابن دقيق العيد: شرح الأربعين النووية، (ط: مؤسسة الطباعة والصحافة، جدة).

٥٦- ابن رجب الحنبلي:عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المشهور بابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة،(ط: مطبعة السنة المحمدية،١٣٧٢هـ).

٥٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (ط: الأولى، بيروت، ١٤١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس .

٥٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ط: الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٧ هـ).

٥٩- ابن سلام: أبو عبيد القاسم ، الأموال، (ط: الثانية، دار الفكر، ١٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد خليل هراس.

٦٠- ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والسير، (ط: دار المعرفة، بيروت)

٦١- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (ط: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م).

٦٢- مقاصد الشريعة الإسلامية، (ط: الدار التونسية للنشر والتوزيع).

٦٣- ابن عبد الوهاب: محمد ، أصول الإيمان،(ط: مكتبة المعارف، الرياض).

٦٤- ابن عثيمين: محمد مصطلح الحديث (ط: الثانية ،دار طيبة ،١٤٠٦هـ).

٦٥- ابن فارس: أحمد، معجم مقاييس اللغة، (ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ).

٦٦- ابن كثير الدمشقي: أبو الفداء إسماعيل تفسير القرآن العظيم، (ط: الأولى، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٠٨ هـ).

٦٧- البداية والنهاية، (ط: الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م).

٦٨- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه، (ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ)، تحقيق وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٩- باعبد الله: محمد باكريم محمد، وسطية أهل السنة بين الفرق ،(ط: الأولى ، دار الراية ، الرياض ،١٤١٥هـ).

٧٠- البدوي: حسن عبد الرؤوف وآخرون،بحوث في الثقافة الإسلامية ،(ط: الأولى ، دار الحكمة ،الدوحة ،١٤١٤هـ).

٧١- بدير: بدير محمد، منهج السنة النبوية في تربية الإنسان،(ط: الثانية، مكتبة الضياء، جدة، ١٤١٣ هـ).

٧٢- البصري: أبو يزيد عمرو بن شبة النميري ، كتاب أخبار المدينة النبوية (ط: الأولى ، دار العليان ،بريدة ،١٤١١هـ).

٧٣- البغدادي: أبو القاسم عبد الله بن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، (ط: منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر)، تحقيق: مصطفى الصافي الجويني.

٧٤- البغدادي: أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ط:المكتبة السلفية ، المدينة ، بدون تاريخ)

٧٥- البغدادي: محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش،(ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، تصحيح وتعليق: خورشيد أحمد فاروق.

٧٦- البغوي: أبو محمد الحسن بن مسعود ، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، (ط: دار طيبة، الرياض، ١٤١٢ هـ)، تحقيق: محمد النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش.

٧٧- بكرة: عبد الرحيم الرفاعي ،أسس التربية البيئية في الإسلام،(ط: جامعة الإمام،١٤١٣هـ).

٧٨- البكري الأندلسي: عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،(ط:عالم الكتب، بيروت، تحقيق: مصطفى السقا).

٧٩- البلادي: عاتق بن غيث ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ،(ط:الأولى دار مكة،١٤٠٢هـ).

٨٠- البلاذري: أبو الحسن ، فتوح البلدان ،(ط: دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ١٣٩٨هـ)،مراجعة وتعليق:رضوان محمد رضوان .

٨١- البلالي: عبد الحميد ، المصفى من صفات الدعاة، (ط: الأولى، دار الدعوة،الكويت،١٤٠٢ هـ).

٨٢- بلقيس: أحمد، توفيق:مرعي، الميسر في علم النفس التربوي (ط:الأولى ، دار الفرقان،عمَّان الأردن ،١٤٠٢هـ).

٨٣- البنا: أحمد عبد الرحمن، الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (ط: دار الشهاب، القاهرة).

٨٤- بنان: هشام يوسف ، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية،(ط: الأولى، دار المجتمع، جدة، ١٤١٣ هـ).

٨٥- البوطي: محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن الكريم،(ط: الأولى، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٣٩٢ هـ).

٨٦- البيانوني: محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة، (ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ).

٨٧- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي،(ط: دار صادر، بيروت، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ).

٨٨- البيهقي: أبو بكرأحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (ط: دار المعارف ، بيروت، لبنان).

٨٩- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، (ط: الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ)، تصحيح: كمال يوسف الحوت.

٩٠- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، (ط: دار الحديث، القاهرة)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٩١- التومي: محمد، الجدل في القرآن الكريم،(ط: الشركة التونسية، تونس، ١٤٠٠ هـ).

٩٢- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعالبي، (ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان).

٩٣- الجرجاني: علي بن محمد ، التعريفات ،(ط: الثالثة ، دار الكتب العلمية،بيروت)

٩٤- الجلنيدمحمد السيد، تأملات في منهج القرآن في تأسيس اليقين، (ط: مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤١٠ هـ).

٩٥- الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين (ط: الأولى دار الكتب العمية ،بيروت ،١٤١١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

٩٦- الحربي: علي بن جابر، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، (ط: الأولى، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٦ هـ).

٩٧- حسن: عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، (ط: الثالثة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥ هـ).

٩٨- الحكمي: حافظ ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، (ط: الثالثة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٤ هـ).

٩٩- الحلبي: علي بن برهان الدين ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، (ط: بيروت، ١٤٠٠ هـ).

١٠٠- حماده: فاروق ،مصادر السيرة النبوية وتقويمها،(ط: الأولى دار الثقافة الدار البيضاء ١٤٠٠هـ).

١٠١- الحموي: ياقوت، معجم البلدان، (ط: دار صادر، بيروت، ١٤٠٠ هـ).

١٠٢- الحميري: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت).

١٠٣- حوّى: سعيد ،الرسول،(ط: الرابعة دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٩٩هـ).

١٠٤- الخازن علي بن محمد الشهير بالخازن ، تفسير الخازن، (ط: دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ).

١٠٥- الخشني: أبوذربن محمد بن مسعود، شرح السيرة النبوية، (ط: المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا).

١٠٦- الخطيب: عبد الكريم ، التفسير القرآني للقرآن، (ط: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ).

١٠٧- خليل: عماد الدين ، التفسير الإسلامي للتاريخ ،(ط: الثالثة ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م) .

١٠٨- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، (ط: الأولى ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ).

١٠٩- دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥ م.

١١٠- ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، (ط: السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ).

١١١- الخولي: البهي ،تذكرة الدعاة ،(ط:السادسة ، مكتبة الفلاح ،١٣٩٩هـ).

١١٢- الدارمي: سنن الدارمي، (ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ)، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي.

١١٣- درّاز: محمد عبد الله، النبأ العظيم ، (ط: ١٣٧٦ هـ).

١١٤- الدويش: عبد الله محمد، بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ).

١١٥- الديلمي: عبد الوهاب، معالم الدعوة في قصص القرآن، (ط: الأولى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦ هـ).

١١٦- الذهبي:محمد بن أحمد ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام ،(ط: دار الكتاب العربي،بيروت).

١١٧- تذكرة الحفاظ، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

١١٨- سير أعلام النبلاء، (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومأمون الصاغرجي)، (علي أبو زيد، وشعيب الأرنؤوط).

١١٩- المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال،(ط: الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ).

١٢٠- الذهبي: محمد حسين، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، (ط:من أعمال المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في العصر الحديث ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة).

١٢١- راجح: أحمد عزت، أصول علم النفس، (ط: التاسعة، المكتب المصري، الاسكندرية، ١٩٧٣ م)، (ط: الثالثة، دار الكتاب المصري الحديث ، ١٩٧٠ م).

١٢٢- الرازي: فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي، (ط: دار الفكر ، القاهرة).

١٢٣- الرحيلي: حمود بن أحمد ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، (ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض ، ١٤١٤ هـ).

١٢٤- رضا: محمد رشيد، تفسير المنار، (ط: الثانية، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ).

١٢٥- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٣ هـ)،تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مراجعة: عبد العليم الطحاوي، وعبد الستار فراج، (ط: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٠٧هـ).

١٢٦- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، (ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

١٢٧- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، (ط: الثالثة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢٨- الزركلي: خير الدين ، الأعلام، (ط: السادسة، دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٨٤ م).

١٢٩- الزرنوجي: برهان الإسلام ، تعليم المتعلم طريق التعلم،(ط: الأولى ،المكتب الإسلامي،بيروت، ١٤٠٠هـ)، تحقيق:مروان قباني .

١٣٠- الزمخشري: محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (ط: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ)، رتبه وصححه: مصطفى حسين أحمد.

١٣١- الزنيدي: عبد الرحمن، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي،دراسة نقدية في ضوء الإسلام، (ط: الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢ هـ).

١٣٢- الزيد:زيد بن عبد الكريم ،الوسطية في الإسلام (ط: الأولى ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٢هـ).

١٣٣- زيدان: عبد الكريم ، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، (ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـ).

١٣٤- السباعي: مصطفى، من روائع حضارتنا، (ط: الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ).

١٣٥- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ).

١٣٦- السعودي: ربيع محمد ، معالم غائبة عن حياة المسلمين،(ط:الأولى، دار معاذ للنشر، ١٤٠٩ هـ).

١٣٧- سعيد: محمد رأفت، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم (ط: الأولى ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض،١٤١٠هـ).

١٣٨- السلفي: محمد لقمان، السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها، (ط: الأولى، دار البشائر، بيروت ، ١٤٠٩ هـ).

١٣٩- السمعاني: أبو المظفر منصوربن محمد ، تفسير القرآن،(ط: الأولى، دار الوطن، الرياض،١٤١٨ هـ)، تحقيق: أبوتميم ياسر بن إبراهيم.

١٤٠- السيوطي، جلال الدين الإتقان في علوم القرآن ،(ط: دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (ط: محمد دمج ، بيروت).

١٤١- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد ، الاعتصام ، (ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ).

١٤٢- الموافقات، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

١٤٣- شاكر: أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (ط: الثالثة، دار التراث، ١٣٩٩ هـ).

١٤٤- شُرَّاب:محمود محمد حسن ، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ط: الأولى ، دار القلم ، دمشق ،١٤١١هـ).

١٤٥- الشريف: عبد السلام بن نصر الله، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار المعارج الدولية، الرياض، ١٤١٥ هـ).

١٤٦- الشعراوي: محمد متولي، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، (ط: دار العودة، بيروت، ١٩٨٩ م).

١٤٧- شلتوت:محمد ، الإسلام عقيدة وشريعة ،(ط: العاشرة دار الشروق، ١٤٠٠هـ).

١٤٨- الشنقيطي: سيد محمد الساداتي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، (ط: الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٥ هـ).

١٤٩- مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، (ط: عالم الكتب، الرياض، ١٤١٨ هـ).

١٥٠- البرامج الإسلامية بين الواقع والأمل ، (ط: الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٩هـ).

١٥١- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في تفسير إيضاح القرآن بالقرآن.

١٥٢- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، (ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ)، حققه: محمد سيد كيلاني.

١٥٣- الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ).

١٥٤- شيخ زاده: محي الدين ،حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، (ط: دار صادر، بيروت).

١٥٥- الصابوني: محمد علي ، من كنوز السنة دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف،(ط: مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١ هـ).

١٥٦- الصالح: صبحي، مباحث في علوم القرآن،(ط: التاسعة، دار العلم للملايين، ١٩٧٧م).

١٥٧- الصالحي الشامي: محمد بن يوسف ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، (ط: القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم الترزي وعبد الكريم العزباوي (ط: القاهرة ،١٤٠٤هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت وجودة عبد الرحمن هلال.

١٥٨- صبَّاريتي: محمد سعيد ، ورشيد الحمد، البيئة ومشكلاتها، (ط: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٥ م).

١٥٩- الصباغ: محمد لطفي، لمحات في علوم القرآن، (ط: الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠ هـ).

١٦٠- الصنعاني: محمد بن إسماعيل الأمير اليمني ، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ،(ط: دار الجيل ، بيروت لبنان) ، صححه وعلق عليه محمد بن عبد العزيز الخولي.

١٦١- طبارة: عفيف ، مع الأنبياء في القرآن الكريم، (ط: السابعة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩ م).

١٦٢- الطبرابي: سليمان بن أحمد بن أيوب ،(ط: مكتبة العلوم والحكم ، الموصل،١٤٠٤هـ)مراجعة:حمدي عبد المجيد السلفي .

١٦٣- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ).

١٦٤- تاريخ الأمم و الملوك ،(ط:الثانية، دار سويدان،بيروت،١٣٨٧هـ)

١٦٥- الطوير: حسن مسعود ، الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، (ط: الأولى، بيروت، ١٤١٣ هـ).

١٦٦- عاشور: عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع ،(ط: الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩ هـ).

١٦٧- عامر:كوكب ،أسس التفكير السليم،ومناهجه في الكتاب والسنة (ط:بدون الناشر).

١٦٨- عبد الباقي: محمد فؤاد،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ط: الثانية، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ).

١٦٩- عبد الحميد: محسن ، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، (محاضرات الثقافة الإسلامية لطلاب الدراسات العليا ، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٢ هـ).

١٧٠- عبد الكريم الزيدان، أصول الدعوة، (ط: مكتبة المنار، عمَّان، ١٤٠١ هـ).

١٧١- عبد اللطيف: محمد عبد الوهاب ، موسوعة الأمثال القرانية ،(ط: الأولى ، مكتبة الآداب ١٤١٤هـ)

١٧٢- عبد المجيد: عبد المجيد محمود ، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحيث ، (ط: الثانية، البيان، الطائف ،١٤١٣هـ).

١٧٣- العثمان: بدرية بنت محمد، من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، (ط: الأولى، دار الراية، الرياض، ١٤١٧ هـ).

١٧٤- عرجون: محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، (ط: الثالثة، الدار السعودية، ١٤٠٤ هـ).

١٧٥- العظيم آبادي: شمس الحق ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، (ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ).

١٧٦- العقاد:عباس محمود ، الإسلام في القرن العشرين (ط:المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت).

١٧٧- العقل: ناصر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ط: الأولى ، دار الصميعي، الرياض،١٤١٣هـ).

١٧٨- العمر: ناصر سليمان، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣ هـ).

١٧٩- العمري: أحمد جمال، دراسات في القرآن والسنه، (ط: الاولى ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٢م).

١٨٠- عميرة: عبد الرحمن، منهج القرآن الكريم في تربية الرجال، (ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ).

١٨١- العوايشة: حسين ، الإخلاص ،(ط: الثانية، المكتبة الإسلامية ، عمّان).

١٨٢- العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القارىء شرح صحيح البخاري، (ط: دار إحياء التراث العربي ، بيروت).

١٨٣- غباري: محمد سلامة، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية، (ط: الاسكندرية، المكتب الجامعي، كلية الخدمة الاجتماعية، ١٩٨٩ م).

١٨٤- الغرناطي: محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (ط: دار الكتب الحديثة، مصر)، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض.

١٨٥- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ،(ط: دار الحديث ، القاهرة،١٤١٤هـ)، تحقيق:سيد إبراهيم .

١٨٦- الغزالي: محمد ، فقه السيرة، (ط: الدوحة): حقق أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني.

١٨٧- مع الله، (ط: الأولى، دار القلم ، دمشق، ١٤٠٩ هـ).

١٨٨- غضبان: محمد منير، فقه السيرة، (ط: الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ).

١٨٩- فضل إلهي: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، (ط: الأولى، دار الفرقان، ١٤١٧ هـ).

١٩٠- فقيهي: علي محمد ناصر، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان،(ط: الأولى، ١٤٠٥هـ).

١٩١- القاسمي: محمد جمال الدين ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل،(ط: الثانية، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ)، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩٢- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ،(ط: المكتبة التجارية بمصر).

١٩٣- القرضاوي: يوسف، أولويات الحركة الإسلامية، في المرحلة القادمة، (ط: الأولى، مكتبة وهبة، ١٤١١ هـ).

١٩٤- القرطبي: ابن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ،(ط: دار الكتاب العربي بيروت).

١٩٥- القرطبي:أحمد بن عمر إبراهيم ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ط: دار الكلم الطيب ،دمشق ،بيروت ،١٤١٧هـ)،تحقيق وتعليق: محي الدين ديب مستو، يوسف علي بدوي، أحمد محمد السيد، محمد السيد محمود إبراهيم بزال .

١٩٦- القرطبي: محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (ط: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٢ هـ).

١٩٧- القسطلاني: شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،(ط:الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ).

١٩٨- قلعة جي: محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، (ط: الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ).

١٩٩- الكتاني:عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (ط: دار الكتاب العربي ،بيروت).

٢٠٠- كرسون: أندريه ، الأخلاق في الفلسفة الحديثة - القسم الثاني من المشكلة الأخلاقية والفلاسفة (ط: القاهرة ،١٨٦٨هـ)، ترجمة: عبدالحليم محمود وأبو بكر زكري

٢٠١- الكرماني: صحيح البخاري بشرح الكرماني، (ط: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ).

٢٠٢- الكيلاني: ماجد عرسان، مقومات الشخصية المسلمة أوالإنسان الصالح،(ط: الأولى، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر).

٢٠٣- لندال دافيدوف: مدخل علم النفس، (ط: الثانية، دار المريخ، ١٩٨٣ م)، ترجمة: سيد الطواب، ومحمود عمرو نجيب خزام .

٢٠٤- المباركفوري: محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ).

٢٠٥- مدكور:علي أحمد ، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، (ط: الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤١٧ هـ).

٢٠٦- المشوخي: عبد الله، موقف الإسلام والكنيسة من العلم، (ط: الأولى، مكتبة المنار، ١٤٠٢ هـ).

٢٠٧- المقدسي: موفق الدين عبد الله ابن قدامة ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (ط:دار الفكر، بيروت ،١٣٩١هـ)، تحقيق: علي نويهض.

٢٠٨- التبين في أنساب القرشين ، (ط:الأولى ،منشورات المجتمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ).

٢٠٩- المقرّي: أحمد محمد ، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار حافظ، جدة، ١٤٠٩ هـ).

٢١٠- مكانسي: عثمان قدري، التربية النبوية، (ط: الأولى، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ١٤١٧هـ).

٢١١- ملكاوي: محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (ط: الأولى، دار ابن تيمية، الرياض، ١٤٠٥ هـ).

٢١٢- المنصورفوري: محمد سليمان بن سلمان ،رحمة العالمين ،(ط:الدار السلفية، بمباي، ١٤١٠هـ)، تعريب: مقتدي حسين ياسين .

٢١٣- مهدي: محمود أحمد البرهان من القرآن، (ط: منشورات حمد ، بيروت).

٢١٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ط:الأولى ، الندوة العالميةللشباب الإسلامي، في الرياض،١٤٠٩هـ).

٢١٥- المولى: محمد أحمد جاد وآخرون، قصص القرآن الكريم، (ط: دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ).

٢١٦- الميداني:عبد الرحمن حسن حبنّكة ، الأخلاق الإسلامية وأسسها (ط: الأولى ، دار القلم بيروت، ١٣٩٩هـ).

٢١٧- ميشيل: دينكن، معجم علم الإجتماع، (ط: دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق)، ترجمة: إحسان محمد الحسن .

٢١٨- نجاتي: عثمان القرآن وعلم النفس، (ط: الخامسة، دار الشروق، بيروت، ١٤١٤هـ).

٢١٩- النحلاوي: عبد الرحمن ، التربية بالآيات، (ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٩هـ).

٢٢٠- الندوي: أبو الحسن علي الحسني، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم، (ط: السادسة، دمشق، ١٤٠٤ هـ).

٢٢١- النسائي: أحمد بن شعيب بن علي سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، (ط: الثانية، دار البشائر ،بيروت، ١٤٠٩ هـ)، ترتيب: عبد الفتاح أبوغدة.

٢٢٢- النسفي:عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل المسمى تفسير النسفي، (ط: دار الكتاب العربي،بيروت، ١٤٠٨ هـ).

٢٢٣- النشار: علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، (ط: الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤ هـ).

٢٢٤- النشمي: عجيل، معالم في التربية، (ط: الأولى، مكتبة المنار، الكويت، ١٤٠٠هـ).

٢٢٥- نصر: محمد إبراهيم ، المعلقات العشر، (ط: دار الرشيد، الرياض).

٢٢٦- نواب الدين: عبد الرب، الدعوة إلى الله في ضوء سورة النمل، (ط: الأولى، دار القلم، ١٤١٠ هـ).

٢٢٧- نوح: السيد محمد، آفات على الطريق،(ط: الثانية، دار الوفاء، ١٤٠٩ هـ).

٢٢٨- النووي: محي الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، (ط: الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ).

٢٢٩- هاشم: أحمد عمر، قصص السنة، (ط: دار ثابت، ١٤٠٤ هـ).

٢٣٠- الهاشمي:عبد الحميد ، الرسول العربي المربي (ط: الأولى ، دار الثقافة للجميع،دمشق،١٤٠١هـ).

٢٣١- الهاشمي: محمد علي ، شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم،(ط: الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ).

٢٣٢- الواقدي: محمد بن عمر، المغازي (ط: عالم الكتب ، بيروت)، تحقيق: مارسدن جونس.

٢٣٣- الوكيل: محمد السيد ، أسس الدعوة وآداب الدعاة ، (ط: دار الوفاء،مصر،١٤٠٦هـ).

٢٣٤- اليحصبي:القاضي عياض الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (ط: الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٦ هـ).

الرسائل العلمية:

١- خوجة: عبد الحميد زين الدين رضا، الدعوة إلى الله في ضوء سور الروم (رسالة دكتوراه مقدمة لشعبة الدعوة في الجامة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ).

٢- الدويش: سليمان ، الترغيب في دعوة النبي ﷺ مفهومه مجالاته آثاره ،(رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة و الاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام عام ١٤١٦هـ).

٣- السماري:إبراهيم عبد الله ، الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام ١٤١٦هـ).

٤- الشويمان: عبد الله بن إبراهيم ، الهجرة في ضوء الكتاب والسنة دراسة دعوية ، (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام ١٤١٧هـ).

٥- عبد القادر: فريد ، الوسطية في الإسلام (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الإمام).

٦- نياز:رقية بنت نصر الله،الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة و الاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام عام ١٤١٥هـ).

الدوريات:

١- مجلة الأزهرالمجلد الثاني والعشرون .

٢- مجلة الحقوق العددالأول ١٩٦٠م.

٣- المجلة العربية رمضان ١٤٠٦هـ .

٤- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود العدد الرابع عشر ١٤١٦هـ.

٥- هذه سبيلي العدد الخامس ١٤٠٣هـ .

سادساً: فهرس المحتويات

المقدِّمة المنهجيَّة .....

أولا: خطبة الحاجة ..... أ

ثانياً: التعريف بالمصطلحات ..... ج

١ - معنى الدوافع في اللغة ..... د

٢ - معنى الدوافع في الاصطلاح ..... د

٣- معنى الدوافع في الدراسات الاجتماعية ..... د

٤- معنى الاستجابة في اللغة ..... و

٥- معنى الاستجابة في الاصطلاح ..... ز

الخلاصة ..... ز

٦- معنى الدعوة لغةً ..... ز

٧- معنى الدعوة اصطلاحاً ..... ح

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع ..... ح

رابعاً: الكتابات السابقة ..... ط

١- الكتابات الجامعية ..... ط

٢- الكتابات غير الجامعية ..... ي

خامساً: المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة ..... ك

سادساً: المناهج العلمية المستخدمة في الدراسة ..... ل

سابعاً: أدوات جمع المادة العلمية ..... ن

ثامناً: تقسيم الدراسة ..... س

تاسعاً: الشكر والتقدير ..... ع

المبحث التمهيدي: حاجة الإنسان إلى الدين ٣

أولا: التعريفات ٣

١- معنى الحاجة في اللغة ٣

٢- معنى الحاجة في الاصطلاح ٣

٣- معنى الدين ٣

حاجة الإنسان إلى الدين ٤

الفصل الأول: دوافع الاستجابة في موضوع الدعوة ١٥

المبحث الأول: ربانية الدعوة الإسلامية ١٦

المطلب الأول: ربانية المصدر ٢٠

١- موافقتها للفطرة ٢٠

٢- اتساقها مع حقائق العلم الصحيح ٢٠

٣- براءتها من العيب والخطأ ٢١

٤- قيامها على أساس العدل ٢٢

٥- هيبتها واحترامها في النفوس ٢٣

٦- خاصية الحفظ ٢٤

المطلب الثاني: ربانية الغاية ٢٧

١- توَحُّد الغاية والهدف ٣٠

٢- الارتقاء إلى أعلى درجات الكمال ٣١

المبحث الثاني: شمولية الدعوة الإسلامية ٣٢

المطلب الأول: شمول الدعوة لأصول الإيمان ٣٥

المطلب الثاني: شمولها لأنظمة الحياة وتحقيقها للمجتمع المثالي ٤٤

المطلب الثالث: شمول الدعوة للثقلين ٥٠

المطلب الرابع: شمولها للإنسان في جميع مراحل حياته ٥٧

المبحث الثالث: وسطية الدعوة الإسلامية ٦١

ومن معاني الوسطية ما يلي ٦٣

المعنى الأول: العدالة ٦٣

المعنى الثاني: الخيرية ٦٤

المعنى الثالث: التوسط بين طرفين ٦٤

المطلب الأول: مظاهر الوسطية في العقيدة ٦٨

المطلب الثاني: وسطية الدعوة في العبادة ٧٣

المبحث الرابع: واقعية الدعوة الإسلامية ٧٨

المطلب الأول: واقعية العقيدة ٨٦

المطلب الثاني: واقعية العبادة ٩١

الفصل الثاني: دوافع الاستجابة في الداعية ٩٧

المبحث الأول: إخـــــلاص الداعية ٩٨

أولاً: في اللغة ٩٨

ثانيا: في الاصطلاح ٩٩

حقيقة الإخلاص ١٠٠

المطلب الأول: مكانة الإخلاص في الدعوة ١٠٥

المطلب الثاني: ثمار الإخلاص ١١٠

١ - قبول العمل والنجاة من عذاب الله ١١٢

٢ - حفظ الله للداعية ١١٣

٣ - وضع القبول له في السماء والأرض ١١٦

٤ - التأثير التلقائي بإذن الله ١١٦

المطلب الثالث: نواقض الإخلاص ١١٩

أولاً: رياء الداعية ١١٩

ثانياً: عجبه بنفسه وبجهوده الدعوية واستكثارها ١٢١

المطلب الرابع: آثار ترك الإخلاص ١٢٤

أولاً: آثاره على الداعية ١٢٦

١ - الحرمان من الهداية والتوفيق ١٢٦

٢ - الضيق والاضطراب النفسي ١٢٦

٣ - نزع الهيبة من قلوب الناس ١٢٧

٤ - عدم إتقان العمل ١٢٩

ثانياً: آثاره على الدعوة ١٣٠

١ - إعراض المدعوِّ وعدم تأثره ١٣٠

٢ - تأخر التمكين للدعوة ١٣٢

المبحث الثاني: العلم ١٣٤

المطلب الاول: أهمية العلم للداعية ١٣٨

المطلب الثاني: أنوا ع العلوم التي يحتاجها الداعية ١٤٤

أولاً: العلم الشرعي ١٤٤

أ _ القرآن وعلومه ١٤٥

ب _ السنة وعلومها ١٤٧

ج - علم العقيدة ١٤٨
د - الفقه وأصوله ١٤٩
هـ - السيرة النبوية ١٥٠
ثانياً: الثقافة العامة ١٥٢
أ - الثقافة اللغوية والأدبية ١٥٢
ب - الثقافة التأريخية ١٥٤
ج - العلوم الإنسانية ١٥٦
١- علم النفس ١٥٦
٢- علم الاجتماع ١٥٧
٣- علم التربية ١٥٨
ثالثاً: العلم بأحوال المدعو ١٥٨
أ-: معرفة الأنساب والقبائل والأفراد ١٥٨
ب -: معرفة النفوس البشرية ١٦١
ج -: معرفة الواقع ١٦٤
المبحث الثالث: مراعاة أحوال المدعوين ١٧٢
تعريف المراعاة ١٧٣
المطلب الأول: مراعاة أحوالهم النفسية ١٧٧
أولاً - مراعاتهم بالاهتمام بقضاياهم ومحاولة الترقي بهم ١٧٧
ثانياً - مراعاتهم باختيار الظرف المناسب للدعوة ١٧٩
المطلب الثاني: مراعاة أحوالهم الاجتماعية ١٨٤
أولاً - مراعاة أحوالهم باعتبار البيئة الاجتماعية ١٨٤
ثانياً - مراعاة المكانة الاجتماعية للمدعوين ١٨٦
ثالثاً - مراعاة العادات الاجتماعية لدى المدعوين ١٨٩
رابعاً - مراعاة فارق اللهجات لدى المدعوين ١٨٩
خامساً - مراعاة أحوالهم باختيار الداعية المناسب لهم ١٩٠
المطلب الثالث: مراعاة سنة التدرج مع المدعوين ١٩٤
المطلب الرابع: مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين ٢٠٠
أولاً ـ مراعاة الحاجة الحاضرة للفرد ٢٠٢
ثانياً ـ مراعاة اختلاف الجواب باختلاف أحوال السائل ٢٠٢

ثالثاً ـ مراعاة المواهب وتوجيهها ٢٠٤
المبحث الرابع: الحرص على هداية الآخرين ٢٠٨
المطلب الأول: حرص السابقين على هداية الآخرين ٢١٢
أولاً: نوح عليه السلام وحرصه على هداية قومه ٢١٢
ثانياً: حرص إبراهيم عليه السلام على هداية قومه ٢١٥
ثالثاً: حرص يوسف عليه السلام على هداية قومه ٢١٧
رابعاً: حرص رجل صالح من السابقين على هداية قومه ٢١٨
خامساً: حرص الغلام المؤمن على هداية قومه ٢١٩
المطلب الثاني: مظاهر حرص النبي ﷺ على هداية الآخرين ٢٢٣
١ - شفقته ورحمته بأمته ٢٢٤
٢ - حرصه على دعوة الأنصار ٢٢٥
٣ - حرصه على دعوة اليهود ٢٢٦
٤ - حرصه على دعوة عمه أبي طالب ٢٢٧
٥ - حرصه على دعوة الغلام اليهودي ٢٢٧
٦ - حرص النبي ﷺ على الدعوة في كل الأحوال ٢٢٨
٧ - حرصه على الدعاء للمدعوين بالهداية للإسلام ٢٢٩
المطلب الثالث: حرص الصحابة والسلف على هداية الآخرين ٢٣٠
المطلب الرابع: حرص النساء المسلمات على هداية الآخرين ٢٣٣
المبحث الخامس: الدعوة المقرونة بالعمل ٢٣٥
المطلب الأول: أهمية الدعوة المقرونة بالعمل ٢٣٧
المطلب الثاني: اقتران القول بالعمل في حياة الرسول ﷺ ٢٤٢
أولاً: في مجال العبادة ٢٤٢
ثانياً: في مجال الخلق ٢٤٣
ثالثاً: مجال التعليم ٢٤٥
رابعاً: في مجال الفداء والتضحية ٢٤٦
خامساً: في مجال البذل والجود ٢٤٨
المطلب الثالث: اقتران القول بالعمل في حياة السلف ٢٤٩

المبحث السادس: حسن التعامل مع المدعوين ٢٥٥
المطلب الأول: أهمية حسن التعامل مع المدعوين ٢٥٨
أولاً: حسن تعامله ﷺ مع الأعداء ٢٦٠
ثانياً: حسن تعامله ﷺ مع الجاهل ٢٦٣
ثالثاً: حسن تعامله مع المتَأوِّل وحسنِ النية ٢٦٥
رابعاً: حسن تعامله ﷺ مع الأطفال والصغار ٢٦٨
المطلب الثاني: حسن التعامل مع المدعوين بالقول ٢٧٠
المطلب الثالث: حسن التعامل مع المدعوين بالفعل ٢٧٣
الفصل الثالث: دوافع الاستجابة في المدعو ٢٧٨
المبحث الأول: الدوافع الذاتية ٢٧٩
توطئة ٢٧٩
المسألة الأولى ٢٨١
المسألة الثانية ٢٨٣
المبحث الأول: الدوافع الذاتية ٢٨٦
المطلب الأول: دافع الفطرة ٢٨٨
أولاً:الفطرة في اللغة ٢٨٨
ثانياً:الفطرة في الاصطلاح ٢٨٩
ثالثاً:أثر الفطرة في تحقيق دوافع الاستجابة ٢٩٠
المطلب الثاني: دافع الإدراك العقلي ٣٠٠
أولاً: العقل في اللغة والاصطلاح ٣٠٠
أ- في اللغة ٣٠٠
ب - في الاصطلاح ٣٠٠
ثانياً:مكان العقل ٣٠٢
ثالثاً:العقل وأثره في الاستجابة للحق ٣٠٣
المبحث الثاني:الداوفع المكتسبة ٣١٥
المطلب الأول: دافع الإيمان بالغيب ٣١٧
المطلب الثاني : دافع العلم بالحق ٣٣٠

الفصل الرابع منهج القرآن والسنة في استثارة الدوافع ٣٣٧

توطئة ٣٣٨

المبحث الأول: المنهج العقلي ٣٣٩

المطلب الأول: أسلوب المحاكمات العقلية ٣٤٩

المطلب الثاني: أساليب الأقيسة بجميع أنواعها ٣٥٣

أولاً:قياس الطرد والعكس ٣٥٣

ثانياً:القياس الإضماري ٣٥٤

ثالثاً:قياس الأَوْلى ٣٥٥

رابعاً:القياس المساوي ٣٥٦

خامساً:قياس الخَلْف ٣٥٧

سادساً:القياس الضِّمْني ٣٥٨

المطلب الثالث: أسلوب السَّبْر والتقسيم ٣٥٩

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام التقريري ٣٦١

المطلب الخامس: أسلوب الحوار ٣٦٩

المطلب السادس: أسلوب الدعوة إلى التفكير السليم ٣٧٣

أولاً: تفريغ العقل من الشوائب المانعة من التفكير السليم ٣٧٣

ثانياً:ذم التقليد الأعمى ٣٧٣

ثالثاً: الأمر بالتثبت من كل أمر ٣٧٤

رابعاً: حفظ العقل من كل ما يعطل مهمته ٣٧٤

خامساً: وضع المقوِّمات الصحيحة للتفكير ٣٧٥

المطلب السابع: أسلوب ضرب الأمثال ٣٧٦

المبحث الثاني: المنهج الحسي ٣٨٥

توطئة ٣٩٤

المطلب الأول: لفت النظر إلى التاريخ البشري ٣٩٥

أولاً: الغاية من النظر في التاريخ البشري ٤٠٢

١ - التأكيد على المصدر الإلهي للقرآن ٤٠٢

٢ - بيان سنة الله ﷻ في الصراع بين الحق والباطل ٤٠٢
٣ - تثبيت الدعاة وتسليتهم أمام ما يلقونه من المصائب ٤٠٤
٤ - بيان آجال الأمم والشعوب ٤٠٥
ثانياً: ملامح المنهج الحسي في عرض تاريخ المكذّبين ٤٠٧
١ - قصة نبي الله صالح عليه السلام ٤٠٨
٢ - قصة نبيّ الله لوط عليه السلام ٤١١
٣ - استخدامات نبينا ﷺ للتاريخ البشري ٤١٣
المطلب الثاني: لفت النظر إلى المحسوس ٤٢٠
أولاً ـــ النظر في آلاء الله ٤٢٤
١ ـــ النظر في نعمة المطر ٤٢٦
٢ ـــ النظر في نعمة الطعام ٤٢٩
٣ـ النظر في نعمة الأنعام ٤٣١
أ - نعمة التذليل ٤٣١
ب - نعمة الركوب والحمل ٤٣٢
ج - نعمة الجلد والانتفاع بصوفه وشعره ووبره ٤٣٣
د - نعمة اللبن واللحم ٤٣٣
ثانياً: النظر في آيات الأنفس ٤٣٦
أ ـ النظر في أصل الخلق ٤٣٦
ب ـ النظر في آية التزاوج ٤٤١
ج ـ النظر في اختلاف الألسنة والألوان ٤٤٢
د ـ النظر في حالتي النوم واليقظة ٤٤٣
ثالثاً: النظر في آيات الآفاق ٤٤٤
أ ـ النظر في آيتي السموات والأرض ٤٤٧
ب ـ النظر في آيات الليل والنهار والشمس والقمر ٤٥٣

الفصل الخامس: المؤثّرات في دوافع الاستجابة ٤٥٧

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية ٤٥٨
توطئة ٤٥٨
المطلب الأول: البيئة الاجتماعية ٤٥٩
البيئة في اللغة ٤٥٩

البيئة في اصطلاح الدراسات الاجتماعية ٤٥٩
أولاً: كيف يؤثّر البيت المسلم ٤٦٣
ثانياً: كيف يؤثّر المحيط الاجتماعي في الدوافع ٤٦٦
ثالثاً: كيف يؤثّر المسجد في الدوافع ٤٦٨
رابعاً – كيف يؤثّر الجليس الصالح وجليس السوء في الدوافع ٤٧١
خامساً: كيف يؤثّرالطريق في الدوافع ٤٧٥
المطلب الثاني: الترغيب والترهيب ٤٧٨
الترغيب في اللغة ٤٧٨
الترغيب في الاصطلاح ٤٧٨
الترهيب في اللغة ٤٧٩
الترهيب في الاصطلاح ٤٧٩
أولاً: أهمية الترغيب والترهيب في التأثير على المدعو ٤٨٣
ثانياً: صور الترغيب ٤٨٦
١ – الترغيب للمدعو من خلال إشعاره بالثقة في نفسه ٤٨٦
٢– الترغيب بالحياة الطيبة في الدنيا وحسن العاقبة في الآخرة ٤٨٨
٣ – الترغيب بتحقق المصالح في الدنيا ٤٨٩
٤– الترغيب في العبادة ٤٩٢
٥ – الترغيب بالوعد بالنصر والعز في الدنيا والأخرى ٤٩٣
ثالثاً: صورالترهيب ٤٩٥
١ – الترهيب القولي ٤٩٥
٢ – الترهيب العملي ٤٩٦
المبحث الثاني: المؤثرات الداخلية ٥٠١
توطئة ٥٠١
المطلب الأول: البحث عن الحق ٥٠٢
المطلب الثاني: الشعور بغلبة الحق ٥١٠
أولاً:الغَلَب الإعجازي ٥١٣
١ – معجزة موسى عليه السلام ٥١٣
٢– معجزة صالح عليه السلام ٥١٤

٣ - معجزة النبي سليمان عليه السلام ٥١٥
٤ - معجزات نبينا محمد ﷺ ٥١٧
ثانياً: غلبة السيف والسنان ٥٢١
ثالثاً: غلبة الحجة ٥٢٦
١ - قصة عبد الله بن سلام ﷺ ٥٢٦
٢- قصة وفد بني تميم ٥٢٧
الخاتمة: تتضمن خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات ٥٣٠
١ - الخلاصة ٥٣٠
٢ - النتائج ٥٣٢
٣ - التوصيات ٥٣٢